المحتسب

في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها

تأليف

أبي الفتح عُثمان بن جنّي

المتوفّى سنة ٣٩٢هـ

دراسة وتحقيق

محمّد عبد القادر عطا

الجزء الأوّل

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2554-0




90000>

9782745125545

http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : baydoun@dm.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا، متصلا ما دامت الأرض والسماء. الحمد لله الذى أمد لعباده فى عفوه ولم يأخذهم بما اقترفته أيديهم، إنه - سبحانه - الغفور الرحيم، تعالى عما يصفون.. وسلام على المرسلين..

وبعد:

لقد فتح الله لأمة نبيه الخاتم ﷺ من أبواب رحمته ما لم يُفتح قبله مثله، منذ أن اصطفاهم بخيرة الأنبياء والمرسلين، النبى الأمى محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وحتى أدخلهم الجنان بمنّه وفضله، وأنعم عليهم النعمة كلها وفضلهم على كثيرًا ممن خلق تفضيلا، فالحمد له - تعالى - كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ومن أبواب الرحمة التى فتحها الله على الأمة الإسلامية - وهى أكثر من أن تحصى أو تعد - أن جعل فيهم القرآن هاديًا مرشدًا، فيه خبر الأولين ونبأ الآخرين، وحفظه من كل سوء وعبث: ﴿**إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ وتلك مزية لم تكن لغيره من الكتب قبله.

وزاد الله فى فضله - وهو سبحانه أهل الفضل - فيسر عليهم فيه، التيسير كله، فأباح لهم قراءته، كلٌ على قدر طاقته تخفيفًا عليهم، ورحمة منه، فقرأه الناس على حروفهم ولم يلتزموا حرفًا واحدًا، وإن التزموا فى العمل وامتثلوا هدى نبيهم ﷺ، فجاءت أفعالهم واحدة، وإن شابَ قراءتهم بعض الاختلاف.

فالحمد لله لا نحصى ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وقد اهتم المسلمون بذلك الباب من أبواب رحمة ربهم - نعنى علم القراءات - أيّما اهتمام، وأفردوا له من المجلدات والأسفار الكثير؛ دلالة منهم على شكر النعمة التى أنعم عليهم ربهم عز وجل.

فقد صنف فى علوم القرآن وفنونه جماعة من العلماء، منهم قاضى القضاة جلال الدين، أخو شيخ مشايخ الإسلام علم الدين البلقينى سماه «مواقع العلوم من مواقع النجوم» قال فى خطبته: «وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة فأردت أن أذكر فى هذا التصنيف ما وصل إلى علمى مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف، وينحصر فى أمور:

الأمر الأول: مواطن النزول وأوقاته ووقائعه وفى ذلك اثنا عشر نوعا:

المكى والمدنى، السفرى والحضرى، الليلى والنهارى، الصيفى والشتائى، القراشى، أسباب النزول، أول ما نزل، آخر ما نزل.

الأمر الثانى: السند، وهو ستة أنواع:

المتواتر، الآحاد، الشاذ، قراءات النبى ﷺ، الرواة، الحفاظ.

الأمر الثالث: الأداء، وهو ستة أنواع:

الوقف، الابتداء، الإمالة، المد، تخفيف الهمزة، الإدغام.

الأمر الرابع: الألفاظ، وهو سبعة أنواع:

الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه.

الأمر الخامس: المعانى المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعا:

العام الباقى على عمومه، العام المخصوص، العام الذى أريد به الخصوص، ما خص فيه الكتاب السنة، ما خصت فيه السنة الكتاب، المجمل المبين، المؤول، المفهوم، المطلق، المقيد، الناسخ، المنسوخ، نوع من الناسخ والمنسوخ، وهو ما عمل به من الأحكام مدة معينة والعامل به واحد من المكلفين.

الأمر السادس: المعانى المتعلقة بالألفاظ، وهو خمسة أنواع:

الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر.

قال: ومن الأنواع ما لا يدخل تحت الحصر: الأسماء، الكنى، الألقاب، المبهمات.

وتعقبه السيوطى فقال: تكلم فى كل نوع بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات فصنفت فى ذلك كتابا سميته «التحبير فى علوم التفسير» ضمنته ما ذكره البلقينى من الأنواع مع زيادة مثلها وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها.

ومنهم الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى الذى ألف كتابا فى ذلك حافلا يسمى «البرهان فى علوم القرآن» قال فى خطبته: «لما كانت علوم القرآن لا تحصى، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدر الممكن، ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشمل على أنواع علومه كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث، فاستخرت الله تعالى، وله الحمد فى وضع كتاب فى ذلك جامع لما تكلم الناس فى فنونه، وخاضوا فى نكته وعيوبه،

وضمنته من المعانى الأنيقة، والحكم الرشيقة، ما بهر القلوب عجبا ليكون مفتاحا لأبوابه، عنوانا على كتابه، معينا للمفسر على حقائقه، مطلعا على بعض أسراره ودقائقه، وسميته «البرهان فى علوم القرآن».

ومنهم الحافظ السيوطى صاحب كتاب الإتقان فى علوم القرآن، الذى قال فى خطبته: «لما وقفت على هذا الكتاب - أى كتاب البرهان - ازدت به سرورا، وحمدت الله كثيرا وقوى العزم على إبراز ما أضمرته وشددت الحزم فى إنشاء التصنيف الذى قصدته فوضعت هذا الكتاب العلى الشأن، الجلى البرهان، الكثير الفوائد والإتقان، ورتبت أنواعه ترتيبا أنسب من ترتيب البرهان، وأدمجت بعض الأنواع فى بعض وفصلت ما حقه أن يبان، وزدته على ما فيه من الفوائد والقواعد والشوارد ما يشنف الآذان، وسميته بـ «الإتقان فى علوم القرآن». الإتقان ١/٥، ٧.

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره.

وفى هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للقارئ المسلم سنقف عند أحد فروع علوم القرآن، ألا وهو علم القراءات القرآنية وعلى وجه الخصوص توجيه القراءات الشاذة، هذا العلم العظيم الشأن الذى أفردت له المؤلفات العظام منذ بدلاية زمن التأليف حتى زمننا هذا، ولأهمية هذا الكتاب أردنا إلا يخلو من تقديمه بمقدمة تليق بهذا الكتاب الذى قام بتأليفه ابن جنى جامعا مادته من عدة مؤلفات سابقة لإئمة هذا الشأن، وستدور المقدمة حول عدة محاور:

أولها: يدور حول القرآن وقراءاته.

وثانيهما: حول ابن جنى ومؤلفاته.

وآخرها: حول كتاب المحتسب.

* * *

القرآن وقراءاته

القرآن فى جمعه وترتيبه:

قال الديرعاقولى فى فوائده: حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهرى عن عبيد، عن زيد بن ثابت، قال: قبض النبى ﷺ ولم يكن القرآن جمع فى شىء.

قال الخطابى: إنما لم يجمع ﷺ القرآن فى المصحف، لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر.

وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن...» الحديث، فلا ينافى ذلك لأن الكلام فى كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة وقد كان القرآن كتب كله فى عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع فى موضع واحد ولا مرتب السور.

قال الحاكم فى المستدرك: جمع القرآن ثلاث مرات:

إحداها: بحضرة النبى ﷺ ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع» الحديث.

وقال البيهقى: أشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة فى سورها وجمعها فيها بإشارة النبى ﷺ.

الثانية: بحضرة أبى بكر.

روى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلىَّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتانى، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟. قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه. فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىَّ مما أمرنى به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟. قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره: ﴿**لقد جاءكم رسول**﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

وأخرج ابن أبى داود فى المصاحف بسند حسن عن عبد خير قال: سمعت عليًّا يقول: «أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر، رحمة الله على أبى بكر، هو أول من جمع كتاب الله».

لكن أخرج أيضا من طريق ابن سيرين، قال: «قال على: لما مات رسول الله ﷺ آليت أن لا آخذ علىَّ ردائى إلا لصلاة جامعة حتى أجمع القرآن فجمعته».

قال ابن حجر: هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، وبتقدير صحته، فمراده بجمعه حفظه فى

صدره، وما تقدم من رواية عبد خير، إن صح عنه، فهو المعتمد.

قال السيوطى: قد ورد من طريق أخرى، أخرجه ابن الضريس فى فضائله. حدثنا بشر بن موسى، حدثنا هودة بن خليفة، حدثنا عون، عن محمد بن سيرين، عن عكرمة، قال: لما كان بعد بيعة أبى بكر قعد على بن أبى طالب فى بيته، فقيل لأبى بكر: قد كره بيعتك: فأرسل إليه، فقال: أكرهت بيعتى؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عنى، قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدثت نفسى أن لا ألبس ردائى إلا لصلاة حتى أجمعه. قال أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت.

قال محمد: فقلت لعكرمة: ألفوه كما أنزل الأول فالأول، قال: لو اجتمعت الأنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا.

وأخرجه ابن أشتة فى المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين، وفيه: أنه كتب فى مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين، قال: تطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه.

وأخرج ابن أبى داود من طريق الحسن: «أن عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان يوم اليمامة، فقال: إنا لله، وأمر بجمع القرآن، فكان أول من جمع القرآن فى المصحف...» إسناده منقطع، والمراد بقوله: فكان أول من جمع، أى أشار بجمعه.

قال السيوطى: ومن غريب ما ورد فى أول من جمعه ما أخرجه ابن أشتة فى كتاب المصاحف من طرق كهمس، عن ابن بريدة، قال: أول من جمع القرآن فى مصحف سالم مولى أبى حذيفة أقسم لا يرتدى برداء حتى يجمعه، فجمعه ثم ائتمروا ما يسمونه، فقال بعضهم: سموه السفر، قال: ذلك تسمية اليهود، فكرهوه، فقال: رأيت بالحبشة يسمى المصحف، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف، إسناده منقطع أيضا، وهو محمول على أنه كان أحد الجامعين بأمر أبى بكر.

وأخرج ابن أبى داود من طريق يحيى عبد الرحمن بن حاطب، قال: قدم عمر، فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن، فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان.

وهذا يدل على أن زيدًا كان لا يكتفى بمجرد وجدانه مكتوبًا حتى يشهد به من تلقاه سماعا مع كون زيد كان يحفظ، فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط.

وأخرج ابن أبى داود أيضا من طريق هشام بن عروة، عن أبيه أن أبا بكر، قال: لعمر ولزيد: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه.

قال ابن حجر: وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة.

وقال السخاوى فى جمال القراء: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين

يدى رسول الله ﷺ أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التى نزل بها القرآن.

قال أبو شامة: وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين النبى ﷺ لا من مجرد الحفظ، قال: ولذلك قال: فى آخر سورة التوبة لم أجدها مع أحد غيره، أى لم أجدها مكتوبة مع غيره؛ لأنه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة.

قال السيوطى: أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبى ﷺ عام وفاته كما يؤخذ مما تقدم آخر النوع السادس عشر.

وقد أخرج ابن أشتة فى المصاحف عن الليث بن سعد، قال: أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلا بشاهدى عدل، وأن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها، فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين، فكُتبت، وأن عمر أتى بآية الرجم، فلم يكتبها؛ لأنه كان وحده.

وقال الحارث المحاسبى فى كتاب فهم السنن: كتابة القرآن ليست بمحدثة؛ فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والأكتاف والعسب؛ وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان، وكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرًا، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شىء.

قال: فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟. قيل: لإنهم قد شاهدوا تلاوته من النبى ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأمونًا، وإنما كان الخوف من ذهاب شىء من صحفه، وقد تقدم فى حديث زيد أنه جمع القرآن من العسب واللخاف.

وفى رواية: والرقاع، وفى أخرى: وقطع الأديم، وفى أخرى والأكتاف، وفى أخرى: والأضلاع، وفى أخرى: والأقتاب والعسب جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون فى الطرف العريض، واللخاف بكسر اللام وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء، جمع لخفة، بفتح اللام وسكون الخاء، وهى الحجارة الدقاق.

وقال الخطابى: صفائح الحجارة والرقاع، جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد، والأكتاف جمع كتف، وهو العظم الذى للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه، والأقتاب جمع قتب، وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

وفى موطأ ابن وهب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله بن عمر، قال: جمع أبو بكر القرآن فى قراطيس، وكان يسأل زيد بن ثابت فى ذلك، فأبى حتى استعان عليه بعمر، ففعل.

وفى مغازى موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: لما أصيب المسلمون باليمامة، فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبى بكر فى الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن فى المصحف.

قال ابن حجر: ووقع فى رواية عمارة بن غزية: أن زيد بن ثابت قال: فأمرنى أبو بكر، فكتبته فى قطع الأديم والعسب، فلما توفى أبو بكر، وكان عمر كتب ذلك فى صحيفة واحد، فكانت عنده، قال: والأول أصح، إنما كان فى الأديم والعسب أولا قبل أن يجمع فى عهد أبى بكر، ثم جمع فى الصحف فى عهد أبى بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة.

قال الحاكم: والجمع الثالث: هو ترتيب السور فى زمن عثمان.

روى البخارى عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدا لله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف.

وقال عثمان للرهط القريشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

قال زيد: ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول ا لله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها، فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى، فألحقناها فى سورتها فى المصحف.

قال ابن حجر: وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين، قال: وغفل بعض من أدركناه، فزعم أنه كان فى حدود سنة ثلاثين، ولم يذكر له مستندا، انتهى.

وأخرج ابن اشتة من طريق أيوب، عن أبى قلابة، قال: حدثنى رجل من بنى عامر يقال له أنس بن مالك، قال: اختلفوا فى القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون، فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندى تكذبون به، وتلحنون فيه، فمن نأى عنى كان أشد تكذيبًا وأكثر لحنًا يا أصحاب محمد، اجتمعوا، فاكتبوا للناس إمامًا فاجتمعوا، فكتبوا، فكانوا إذا اختلفوا فى أى آية، قالوا: هذه أقرأها رسول ا لله ﷺ فلانا، فيرسل إليه، وهو على رأس ثلاث من المدينة، فيقال له: كيف أقرأك رسول ا لله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول كذا وكذا، فيكتبونها، وقد تركوا لذلك مكانا.

وأخرج ابن أبى داود من طريق محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح، قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والأنصار، فبعثوا إلى الرابعة التى فى

بيت عمر فجيء بها، وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا اختلفوا فى شىء أخروه.

قال محمد: فظننت إنما كانوا يؤخرونه؛ لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة، فيكتبونه على قوله.

وأخرج ابن أبى داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة، قال: قال على: لا تقولوا فى عثمان إلا خيرًا، فوا الله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا، قال: ما تقولون فى هذه القراءة، فقد بلغنى أن بعضهم، يقول: إن قراءتى خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.

والفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان، أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد فجمعه فى صحائف، مرتبًا لآيات كل سورة على ما وقفهم عليه النبى ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرؤه بلغاتهم على اتساع اللغات؛ فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتبًا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم، رفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة.

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبى بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبى ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل، ولا منسوخ تلاوته، كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته، وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد.

وقال الحارث المحاسبى: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن، فأما السابق إلى جمع الجملة، فهو الصديق.

وقد قال على: لو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان، انتهى.

فائدة: اختلف فى عدة المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق المشهورة أنها خمسة.

وأخرج ابن أبى داود من طريق حمزة الزيات، قال: أرسل عثمان أربعة مصاحف، قال ابن أبى داود: وسمعت أبا حاتم السجستانى، يقول: كتبت سبعة مصاحف، فأرسل إلى مكة وإلى الشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحد.

ترتيب الآيات:

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهة فى ذلك، أما الإجماع، فنقله غير واحد منهم الزركشى فى البرهان وأبو جعفر بن الزبير فى مناسباته وعبارته: ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، من غير خلاف فى هذا بين المسلمين، انتهى.

وسنذكر من نصوص العلماء ما يدل عليه، وأما النصوص فمنها حديث زيد السابق: «كنا عند النبى ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع».

ومنها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس، قال: «قلت: لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال، وهى من المثانى، وإلى براءة، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما فى السبع الطوال؟.

فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما فى السبع الطوال.

ومنها ما أخرجه أحمد، بإسناد حسن، عن عثمان بن أبى العاص، قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتانى جبريل، فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى**﴾ إلى آخرها.

ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبير، قال: قلت لعثمان: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا، قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخى، لا أغير شيئًا منه من مكانه.

ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال: ما سألت النبى ﷺ عن شىء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه فى صدرى، وقال: تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء.
ومنها الأحاديث فى خواتيم سورة البقرة.

ومنها ما رواه مسلم عن أبى الدرداء مرفوعًا: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال. وفى لفظ: من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف.

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالا ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة كسورة «البقرة» و«آل عمران» و«النساء» فى حديث حذيفة.

و«الأعراف» فى صحيح البخارى أنه قرأها فى المغرب.

و«قد أفلح»، روى النسائى أنه قرأها فى الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سعلة فركع.

و«الروم»، روى الطبرانى أنه قرأها فى الصبح.

و«الم تنزيل» و«هل آتى على الإنسان»، روى الشيخان أنه كان يقرأهما فى صبح الجمعة.

و«ق» فى صحيح مسلم أنه كان يقرؤها فى الخطبة.

و«الرحمن» فى المستدرك، وغيره أنه قرأها على الجن و«النجم» فى الصحيح أنه قرأها بمكة على الكفار، وسجد فى آخرها.

و«اقتربت» عند مسلم أنه كان يقرؤها مع «ق» فى العيد والجمعة.

و«المنافقون» فى مسلم أنه كان يقرأ بها فى صلاة الجمعة.

و«الصف» فى المستدرك عن عبد الله بن سلام أنه ﷺ قرأها عليهم حين أنزلت حتى ختمها. تدل قراءته ﷺ لها بمشهد من الصحابة أن ترتيب آياتها توفيقى، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبى ﷺ يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر.

نعم يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف من طريق محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه قال: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد إنى سمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما.

فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن، فألحقوها فى آخرها.

قال ابن حجر: ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك إلا بتوقيف.

قال السيوطى: يعارضه ما أخرجه ابن أبى داود أيضا من طريق أبى العالية، عن أبى ابن كعب أنهم جمعوا القرآن، فلما انتهوا إلى الآية التى فى سورة براءة: ﴿**ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون**﴾ ظنوا أنها آخر ما أنزل، فقال أبى: إن رسول الله ﷺ أقرأنى بعد هذا آيتين: ﴿**لقد جاءكم رسول**﴾ ... إلى آخر السورة.

وقال مكى وغيره: ترتيب السور بأمر من النبى ﷺ و لم يأمر بذلك فى أول براءة؛ فتركت بلا بسملة.

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا فى موضع كذا.

وقال أيضا: الذى نذهب إليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، و لم

ينسخه، ولا رفع تلاوته، بعد نزوله هو هذا الذى بين الدفتين الذى حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من آى السور، لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبى ﷺ ترتيب آى كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة، وأنه يمكن أن يكون الرسول ﷺ قد رتب سوره، وأن يكون قد وكل ذلك إلى الأمة بعده، ولم يتول ذلك بنفسه.

قال: وهذا الثانى أقرب.

وأخرج عن ابن وهب، قال: سمعت مالكا، يقول: إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبى ﷺ.

وقال البغوى فى شرح السنة: الصحابة رضى الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله من غير أن يزيدوا أو ينقصوا منه شيئا خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن يقدموا شيئا أو يؤخروا أو يضعوا له ترتيبا لم يأخذوه من رسول الله ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا، فى سورة كذا فثبت أن سعى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا ترتيبه فإن القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا فى موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف.

* * *

ترتيب السور:

وأما ترتيب السور فهل هو توقيفى أيضا أو هو باجتهاد من الصحابة، ففيه: خلاف فجمهور العلماء على الثانى، منهم مالك والقاضى أبو بكر فى أحد قوليه.

قال ابن فارس: جمع القرآن على ضربين، أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال، وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذى تولته الصحابة، وأما الجمع الآخر، وهو جمع الآيات فى السور، فهو توقيفى تولاه النبى ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه مما استدل به، ولذلك اختلفت مصاحف السلف فى ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف عليٍّ، كان أوله: اقرأ، ثم المدثر، ثم نون، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر

المكى والمدنى، وكان أول مصحف ابن مسعود: البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبى وغيره.

وأخرج ابن أشتة فى المصاحف من طريق إسماعيل بن عباس، عن حبان بن يحيى، عن أبى محمد القرشى، قال: أمرهم عثمان أن يتابعوا الطوال، فجعلت سورتا الأنفال التوبة فى السبع، ولم يفصل بينهما بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

وذهب إلى الأول جماعة منهم القاضى فى أحد قوليه. قال أبو بكر بن الأنبارى: أنزل الله القرآن كله إلى السماء الدنيا، ثم فرقه فى بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويوقف جبريل النبى ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبى ﷺ فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرمانى فى البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا: ﴿**واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله**﴾ فأمره جبريل أن يضعها بين آيتى الربا والدين.

وقال الطيبى: أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقًا على حسب المصالح، ثم أثبت فى المصاحف على التأليف والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ.

قال الزركشى: والخلاف بين الفريقين لفظى؛ لأن القائل بالثانى يقول: إنه رمز إليهم ذلك لعلهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبى ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فآل الخلاف إلى أنه: هل هو بتوقيف قولى أو بمجرد إسناد فعلى بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر، وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير.

وقال البيهقى: فى المدخل كان القرآن على عهد النبى ﷺ مرتبا سوره وآياته على الترتيب إلا الأنفال وبراءة لحديث عثمان السابق، ومال ابن عطية إلى أن كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها فى حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده.

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ويبقى منها قليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف كقوله اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران. رواه مسلم.

وكحديث سعيد بن خالد: قرأ ﷺ بالسبع الطوال فى ركعة. رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه، وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصل فى ركعة.

وروى البخارى عن ابن مسعود أنه قال: فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهن تلادى، فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها.

وفى البخارى أنه ﷺ **كان إذا أوى** فراشه كل ليلة **جمع** كفيه ثم نفث فيهما فقرأ: **﴿قل هو ا لله أحد﴾** و«المعوذتين».

وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول ا لله ﷺ لحديث واثلة: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال.

قال: فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبى ﷺ وأنه من ذلك الوقت، وإنما جمع المصحف على شىء واحد؛ لأنه جاء فى هذا الحديث بلفظ يدل على تأليف القرآن بتوقيفه ﷺ.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحى.

وقال ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيا، قال: ومما يدل على أن ترتيبها توقيفى، ما أخرجه أحمد وأبو داود، عن أوس ابن أبى أوس، عن حذيفة الثقفى، قال: كنت فى الوفد الذين أسلموا من ثقيف، الحديث، وفيه: فقال لنا رسول ا لله ﷺ: طرأ علىَّ حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول ا لله ﷺ قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشر، وثلاث عشرة، وحزب المفصل من «ق» حتى نختم، قال: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو فى المصحف الآن كان على عهد رسول ا لله ﷺ.

قال: ويحتمل أن الذى كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه.

قال السيوطى: وما يدل على أنه توقيفى كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين «طسم» الشعراء و«طسم» القصص بـ «طس» مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت «طس» عن القصص.

والذى ينشرح له الصدر، ما ذهب إليه البيهقى، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفى إلا «براءة» و«الأنفال» ولا ينبغى أن يستدل قبل «آل عمران» لأن ترتيب السور فى القراءة ليس بواجب، ولعله فعل ذلك لبيان الجواز.

وأخرج ابن اشتة فى كتاب المصاحف من طريق ابن وهب سليمان بن بلال، قال: سمعت ربيعة يسأل: لم قدمت «البقرة» و«آل عمران» وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة، وإنما أنزلتا بالمدينة، فقال: قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما ينتهى إليه ولا يسأل عنه.

والثابت أن: السبع الطوال أولها «البقرة» وآخرها «براءة» كذا قال جماعة.

لكن أخرج الحاكم والنسائى وغيرهما عن ابن عباس، قال: السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف.

قال الراوى: وذكر السابعة فنسيتها، وفى رواية صحيحة عن ابن أبى حاتم وغيره عن مجاهد وسعيد بن جبير أنها: يونس، وتقدم عن ابن عباس مثله فى النوع الأول.

وفى رواية عند الحاكم أنها الكهف، والمئون ما وليها سميت بذلك؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثانى ما ولى المئين؛ لأنها ثنتها، أى كانت بعدها فهى لها ثوان، والمئون لها أوائل.

وقال الفراء: هى السورة التى آيها أقل من مائة آية؛ لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطوال والمئون، وقيل لثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر حكاه النكزاوى.

وقال فى جمال القراء: هى السور التى تثنت فيها القصص، وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة كما تقدم، والمفصل ما ولى المثانى من قصار السور، سمى بذلك لكثرة الفصول التى بين السور بالبسملة وقيل لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضا كما روى البخارى عن سعيد بن جبير، قال: إن الذى تدعونه المفصل هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع.

واختلف فى أوله على اثنى عشر قولا: أحدها: «ق» لحديث أوس السابق قريبا. الثانى: «الحجرات» وصححه النووى. الثالث: «القتال» عزاه الماوردى للأكثرين. الرابع: «الجاثية» حكاه القاضى عياض. الخامس: «الصافات». السادس: «الصف». السابع: «تبارك» حكى الثلاثة ابن أبى الصيف اليمنى فى نكته على التنبيه. الثامن: «الفتح» حكاه الكمال الذمارى فى شرح التنبيه. التاسع: «الرحمن» حكاه ابن السيد فى أماليه على الموطأ. العاشر: «الإنسان». الحادى عشر: «سبح» حكاه ابن الفركاح فى تعليقه عن المرزوقى. الثانى عشر: «الضحى» حكاه الخطابى، ووجهه بأن القارئ يفصل بين هذه السور بالتكبير وعبارة الراغب فى مفرداته المفصل من القرآن السبع الأخير.

فائدة: للمفصل طوال وأوساط وقصار، قال ابن معن: فطواله إلى «عم» وأوساطه منها إلى «الضحى»، ومنها إلى آخر القرآن قصاره هذا أقرب ما قيل فيه.

تنبيه: أخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف، عن نافع، عن ابن عمر أنه ذكر عنده المفصل، فقال: وآى القرآن ليس بمفصل، ولكن قولوا قصار السور، وصغار السور.

وقد استدل بهذا على جواز أن يقال سورة قصيرة وصغيرة، وقد كره ذلك جماعة منهم أبو العالية، وأخرج عن ابن سيرين وأبى العالية، قالا: لا تقل سورة خفيفة، فإنه تعالى يقول: ﴿**إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا**﴾ ولكن سورة يسيرة.

فائدة: قال ابن أشتة: فى كتاب المصاحف أنبأنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو داود حدثنا أبو جعفر الكوفى، قال: هذا تأليف مصحف أبى: الحمد ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة ثم يونس ثم الأنفال ثم براءة ثم هود ثم مريم ثم الشعراء ثم الحج ثم يوسف ثم الكهف ثم النحل ثم الأحزاب ثم بنى إسرائيل ثم الزمر... أولها، أخرجه أحمد فى المسند، ثم طه ثم الأنبياء ثم النور ثم المؤمنون ثم سبأ ثم العنكبوت ثم المؤمن ثم الرعد ثم القصص ثم النمل ثم الصافات ثم صدوق ثم يس ثم الحجر ثم حمعسق ثم الروم ثم الحديد ثم الفتح ثم القتال ثم الظهار ثم تبارك الملك ثم السجدة ثم إنا أرسلنا نوحا ثم الأحقاف ثم ق ثم الرحمن ثم الواقعة ثم الجن ثم النجم ثم سأل سائل ثم المزمل ثم المدثر ثم اقتربت ثم حم الدخان ثم لقمان ثم حم الجاثية ثم الطور ثم الذاريات ثم الحاقة ثم الحشر ثم المرسلات ثم عم يتساءلون ثم لا أقسم بيوم القيامة ثم إذا الشمس كورت ثم يا أيها النبى إذا طلقتم النساء ثم النازعات ثم التغابن ثم عبس ثم المطففين ثم إذا السماء انشقت ثم والتين والزيتون ثم اقرأ باسم ربك ثم الحجرات ثم المنافقون ثم الجمعة ثم لم تحرم ثم الفجر ثم لا أقسم بهذا البلد ثم إذا السماء انفطرت ثم والشمس وضحاها ثم والسماء والطارق ثم سبح اسم ربك ثم الغاشية ثم الصف ثم التغابن ثم سورة أهل الكتاب، وهى لم يكن، ثم الضحى ثم ألم نشرح ثم القارعة ثم التكاثر ثم العصر ثم سورة الخلع ثم ويل لكل همزة ثم إذا زلزلت ثم العاديات ثم الفيل ثم لإيلاف قريش ثم أرأيت ثم إنا أعطيناك ثم القدر ثم الكافرون ثم إذا جاء نصر الله ثم تبت ثم الصمد ثم الفلق ثم الناس.

قال ابن أشتة أيضا: وأخبرنا أبو الحسن بن نافع أن أبا جعفر محمد بن عمرو بن موسى حدثهم، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سالم، حدثنا على بن مهران الطائى، حدثنا جرير بن عبد الحميد، قال: تأليف مصحف عبدالله بن مسعود، الطوال: البقرة والنساء وآل عمران والأعراف والأنعام والمائدة ويونس. والمئين: براءة والنحل وهود ويوسف والكهف وبنى إسرائيل والأنبياء وطه والمؤمنون والشعراء والصافات. والمثانى: الأحزاب والحج والقصص وطس النمل والنور والأنفال ومريم والعنكبوت والروم ويس والفرقان والحجر والرعد وسبأ والملائكة وإبراهيم وص والذين كفروا ولقمان والزمر. والحواميم: حم المؤمن والزخرف والسجدة وحمعسق والأحقاف والجاثية والدخان. والممتحنات: إنا فتحنا لك والحشر وتنزيل السجدة والطلاق ون والقلم والحجرات وتبارك والتغابن وإذا جاءك المنافقون والجمعة والصف وقل أوحى وإنا أرسلنا والمجادلة والممتحنة ويا أيها النبى لم تحرم. والمفصل: الرحمن والنجم والطور والذاريات واقتربت الساعة والواقعة والنازعات وسأل سائل والمدثر والمزمل والمطففين وعبس وهل أتى والمرسلات والقيامة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت والغاشية وسبح والليل والفجر والبروج وإذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك والبلد والضحى والطارق والعاديات وأرأيت والقارعة و لم يكن والشمس وضحاها

والتين وويل لكل همزة وألم تر كيف ولإيلاف قريش وألهاكم وإنا أنزلناه وإذا زلزلت والعصر وإذا جاء نصر الله والكوثر وقل يا أيها الكافرون وتبت وقل هو الله أحد وألم نشرح وليس فيه الحمد ولا المعوذتان.

* * *

عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه:

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل: وثلاث عشرة: بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، أخرج أبو الشيخ عن أبى، قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة.

وأخرج عن أبى رجاء، قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة سورتان أم سورة؟ قال: سورتان، ونقل مثل قول أبى عن مجاهد.

وأخرجه ابن أبى حاتم عن سفيان.

وأخرج ابن أشتة عن ابن لهيعة، قال: يقولون: إن براءة من يسألونك، وإنما لم تكتب فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم، لأنها من يسألونك وشبهتهم اشتباه الطرفين وعدم البسملة ويرده تسمية النبى ﷺ كلا منهما، ونقل صاحب الإقناع أن البسملة ثابتة لبراءة فى مصحف ابن مسعود، قال: ولا يؤخذ بهذا

وأخرج القشيرى فى الصحيح أن التسمية لم تكن فيها لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها فيها.

وفى المستدرك: عن ابن عباس، قال: سألت على بن أبى طالب: لم تكتب فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأنها أمان وبراءة، نزلت بالسيف.

وعن مالك أن أولها لما سقط سقطت معه البسملة، فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها.

وفى مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة؛ لأنه لم يكتب المعوذتين.

وفى مصحف أبى ست عشرة، لأنه كتب فى آخره سورتى القدر والخلع.

وأخرج أبو عبيد عن ابن سيرين، قال: كتب أبى بن كعب فى مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك واللهم إياك نعبد، وتركهن ابن مسعود، وكتب عثمان منهن فاتحة الكتاب والمعوذتين.

وأخرج الطبرانى فى الدعاء من طريق عباد بن يعقوب الأسدى، عن يحيى بن يعلى الأسلمى، عن ابن أبى هبيرة، عن عبدالله بن زرير الغافقى، قال: قال لى عبد الملك بن مروان: لقد علمت ما حملك على حب أبى تراب إلا إنك أعرابى جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علمنى منه على بن أبى طالب سورتين علمهما إياه

رسول الله ﷺ ما علمتهما أنت ولا أبوك: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج البيهقى من طريق سفيان الثورى، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى نقمك، إن عذابك بالكافرين ملحق.

قال ابن جريج: حكمة البسملة إنهما سورتان فى مصحف بعض الصحابة.

وأخرج محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة عن أبى بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين، فذكرهما، وأنه كان يكتبها فى مصحفه.

وقال ابن الضريس: أنبأنا أحمد بن جميل المروزى، عن عبد الله بن المبارك، أنبأنا الأجلح، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: فى مصحف ابن عباس قراءة أبى وأبى موسى: بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثنى عليك الخير ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، وفيه: اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك، إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج الطبرانى بسند صحيح عن أبى إسحاق قال: أمنا أمية بن عبدالله بن خالد ابن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين: إنا نستعينك ونستغفرك.

وأخرج البيهقى وأبو داود فى المراسيل، عن خالد بن أبى عمران: أنه نزل بذلك على النبى ﷺ وهو فى الصلاة مع قوله: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ الآية، لما قنت يدعو على مضر.

تنبيه: كذا نقل جماعة عن مصحف أبى أنه ست عشرة سورة، والصواب أنه خمس عشرة فإن سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة، ونقل ذلك السخاوى فى جمال القراء عن جعفر الصادق وأبى نهيك أيضا.

قال السيوطى: ويرده ما أخرجه الحاكم والطبرانى من حديث أم هانئ أن رسول الله ﷺ قال: فضل الله قريشا بسبع...الحديث، وفيه: وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم لإيلاف قريش، وفى كامل الهذلى عن بعضهم أنه قال: الضحى وألم نشرح سورة واحدة، نقله الإمام الرازى فى تفسيره عن طاوس وغيره من المفسرين.

فائدة: قيل الحكمة فى تسوير القرآن سورا تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله والإشارة إلى أن كل سورة نمط مستقل، فسورة يوسف تترجم عن قصته وسورة إبراهيم وبراءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك، والسور سورا طوالا

وأوساطا وقصارا تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر آيات، وهى معجزة إعجاز سورة البقرة، ثم ظهرت لذلك حكمة فى التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه، قال الزركشى فى البرهان: فإن قلت: فهلا كانت الكتب السالفة كذلك؟ قلت: لوجهين، أحدهما أنها لم تكن معجزات من جهة النظم والترتيب، والآخر: أنها لم تيسر للحفظ.

لكن ذكر الزمخشرى ما يخالفه، فقال فى الكشاف: الفائدة فى تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة، وكذلك أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة وبوَّب المصنفون فى كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم منها الجنس إذا انطوت تحته أنواع، وأصناف كان أحسن وأفخم من أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب، ثم أخذ فى آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله، ومثله المسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا نفس ذلك منه، ونشط للسير ومن ثم جزئ القرآن أجزاء وأخماسا، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها، فيعظم عنده ما حفظه. ومنه حديث أنس: كان الرجل إذا قرأ «البقرة» و«آل عمران» جد فينا. ومن ثم كانت القراء فى الصلاة بسورة أفضل ومنها أن التفصيل بسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملائمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعانى والنظم إلى غير ذلك من الفوائد، انتهى.

وما ذكره الزمخشرى من تسوير سائر الكتب هو الصحيح أو الصواب، فقد أخرج ابن أبى حاتم عن قتادة، قال: كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود، وذكروا أن فى الأنجيل سورة تسمى سورة الأمثال.

* * *

فى عدد الآى:

أفرده جماعة من القراء بالتصنيف، قال الجعبرى: حد الآية قرآن مركب من جمل، ولو تقديرا له مبدأ ومقطع مندرج فى سورة، وأصلها العلامة، ومنه أن آية ملكة لأنها علامة للفضل والصدق والجماعة؛ لأنها جماعة كلمة.

وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها.

وقيل هى الواحدة من المعدودات فى السور سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها، وعلى عجز المتحدى بها، وقيل: لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها.

قال الواحدى: وبعض أصحابنا، قال: يجوز على هذا القول تسمية أقل من الآية آية، لولا أن التوقيف ورد بما هى عليه الآن.

وقال أبوعمرو الداني: اعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله: مدهامتان.

وقال غيره: بل فيه غيرها مثل والنجم والضحى والعصر وكذا فواتح السور عند من عدها، قال بعضهم: الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة، قال: فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها فى أول القرآن، وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن وعما قبلها وما بعدها فى غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك، قال: وبهذا القيد خرجت السورة.

وقال الزمخشرى: الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه؛ ولذلك عدوا «الم» آية حيث وقعت و«المص» ولم يعدوا «المر» و«الر» وعدوا «حم» آية فى سورها و«طه» و«يس» ولم يعدوا «طس».

قلت: ومما يدل على أنه توقيفى، ما أخرجه أحمد فى مسنده من طريق عاصم بن أبى النجود، عن زر، عن ابن مسعود، قال: أقرأنى رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من «حم» قال: يعنى الأحقاف.

وقال: كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين، الحديث.

وقال ابن العربى: ذكر النبى ﷺ أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، قال: وتعديد الآى من معضلات القرآن، وفى آياته طويل وقصير، ومنه ما ينقطع، ومنه ما ينتهى إلى تمام الكلام، ومنه ما يكون فى أثنائه.

وقال غيره: سبب اختلاف السلف فى عدد الآى أن النبى ﷺ كان يقف على رءوس الآى للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة.

وقد أخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: جميع آى القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرين ألف حرف وستمائة حرف وأحد وسبعون حرفا.

قال الدانى: اجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل وأربع عشرة، وقيل وتسع عشرة، وقيل وخمس وعشرون، وقيل وست وثلاثون.

قال السيوطى: أخرج الديلمى فى مسند الفردوس من طريق الفيض بن وثيق، عن فرات بن سلمان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس مرفوعا: درج الجنة على قدر آى القرآن بكل آية درجة، فتلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض.

قال فيه ابن معين: كذاب خبيث.

وفى الشعب للبيهقى من حديث عائشة مرفوعا: عدد درج الجنة عدد آى القرآن، فمن

دخل الجنة من أهل القرآن، فليس فوقه درجة.

قال الحاكم: إسناده صحيح، لكنه شاذ.

وأخرجه الأجرى فى حملة القرآن من وجه آخر عنها موقوفا.

قال أبو عبدالله الموصلى فى شرح قصيدته «ذات الرشد فى العدد»: اختلف فى الآى أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة، ولأهل المدينة عددان، عدد أول وهو عدد أبى جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، وعدد آخر وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى.

وأما عدد أهل مكة، فهو مروى، عن عبدالله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب، وأما عدد أهل الشام، فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره، عن عبدالله بن ذكوان وأحمد.

* * *

القراءات القرآنية

تعريف القراءة:

فى اللغة: قال أبو الحسن اللحيانى يقال: قرأتُ القرآن، وأنا أقرؤه قَرْءًا وقراءة وقُرآنا، وهو الاسم، وأنا قارئ من قوم قراء وقرأة وقارئين، وأقرأت غيرى، أقراته إقراء، ومنه قيل: فلان المقرئ. ويقال: اقرأت من سفرى، أى: انصرفت، واقرأت من أهلى، أى: دنوت، وأقرأت حاجتك وأقرأ بأمرك. ويقال أعتم فلان قراه وأقراه، أى حبسه. ويقال قرأت: إذا صرت قارئا ناسكا، وتقرأت بهذا المعنى، وقال بعضهم: تقرأت: تفقهت.

ويقال: أقرأت فى الشعر. وهذا الشعر على قرء هذا الشعر، أى على طريقته ومثاله.

وقال ابن بزرج: هذا الشعر على قرى هذا الشعر وغراره.

وقال اللحيانى: يقال: قارأت فلانا مقارأة، أى دراسته، واستقرأت فلانا. (انظر تهذيب اللغة «قرأ» ٩/٢٧٥).

فى الاصطلاح: هى اختلاف ألفاظ الوحى فى الحروف، وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما. (انظر الإتقان ١/٨٠).

* * *

أنواع القراءات وشروطها:

اعلم أن القاضى جلال الدين البلقينى، قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ، فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر وتلحق بها

الصحابة، والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره.

وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى، قال فى أول كتابه «النشر»: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية، ولو احتمالا، وصح سندها، فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم. هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الدانى ومكى والمهدوى وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه.

قال أبو شامة فى «المرشد الوجيز»: لا ينبغى أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، وأنها أنزلت هكذا إلا دخلت فى الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء، فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه، فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه فى قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم.

قال ابن الجزرى: فقولنا فى الضابط: «ولو بوجه» تريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح؛ إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أوكثير منهم ولم يعتبر إنكارهم كإسكان «بارئكم» و«يأمركم» وخفض و«الأرحام» ونصب «ليجزى قوما» والفصل بين المضافين فى «قتل أولادهم شركائهم» وغير ذلك.

قال الدانى وأئمة القراء: لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الإفشاء فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها .

قال السيوطى: أخرج سعيد بن منصور فى سننه عن زيد بن ثابت، قال: القراءة سنة متبعة.

قال البيهقى: أراد أن اتباع من قبلنا فى الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذى هو إمام ولا مخالفة القراءات التى هى مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغا فى اللغة أو أظهر منها.

قال ابن الجزرى: ونعنى بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا فى بعضها دون بعض كقراءة

ابن عامر: ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾ فى البقرة بغير واو و«بالزبر» و«بالكتاب» بإثبات الباء فيهما، فإن ذلك ثابت فى المصحف الشامى، وكقراءة ابن كثير: ﴿تجرى من تحتها الأنهار﴾ فى آخر براءة بزيادة «من» فإنه ثابت فى المصحف المكى ونحو ذلك، فإن لم يكن فى شىء من المصاحف العثمانية، فشاذ لمخالفتها الرسم المجمع عليه وقولنا: «ولو احتمالا» نعنى به ما وافقه ولو تقديرا كـ«ملك يوم الدين» فإنه كتب فى الجميع بلا ألف، فقراءة الحذف توافقه تحقيقا وقراءة الألف توافقه تقديرا لحذفها فى الخط اختصارا كما كتب «ملك الملك».

وقد يوافق اختلاف القرءات الرسم تحقيقا نحو «تعلمون» بالتاء والياء و«يغفر لكم» بالياء والنون، ونحو ذلك، مما يدل تجرده عن النقط والشكل فى حذفه وإثباته على فضل عظيم للصحابة رضى الله عنهم فى علم الهجاء وفهم ثاقب فى تحقيق كل علم، وانظر كيف كتبوا «الصراط» بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التى هى الأصل؛ لتكون قراءة السين، وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك، وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل؛ ولذلك اختلف فى «بسطة» الأعراف دون بسطة البقرة لكون حرف البقرة كتب بالسين والأعراف بالصاد، على أن مخالف صريح الرسم فى حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفا إذا ثبتت القراءة به، ووردت مشهورة مستفاضة، ولذا لم يعدوا إثبات ياء الزوائد وحذف ياء «تسئلنى» فى الكهف وواو «وأكون من الصالحين» والطاء من «بطنين» ونحوه من مخالفة الرسم المردودة، فإن الخلاف فى ذلك مغتفر؛ إذ هو قريب إلى معنى واحد، وتمشية صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفا واحدا من حروف المعانى، فإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم ومخالفته.

قال: وقولنا: «وصح إسنادها» نعنى به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله، وهكذا حتى ينتهى، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم.

قال: وقد شرط بعض المتأخرين التواتر فى هذا الركن و لم يكتف بصحة السند، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجىء الآحاد لا يثبت به قرآن.

قال: وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره؛ إذ أن ما ثبت من أحرف الخلاف متواترا عن النبى ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا، سواء وافق الرسم أم لا، وإذا شرطنا التواتر فى كل حرف من حروف الخلاف، انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة.

وقد قال أبو شامة: شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن السبع كلها متواترة، أى كل فرد فرد فيما روى عنهم، قالوا: والقطع بأنها منزلة من عند الله

واجب، ونحن بهذا نقول: ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق، واتفقت عليه الفرق، من غير نكير له، فلا أقل من اشتراط ذلك إذا لم يتفق التواتر فى بعضها.

وقال الجعبرى: الشرط واحد، وهو صحة النقل، ويلزم الآخران، فمن أحكم معرفة حال النقلة وأمعن فى العربية وأتقن الرسم، وانجلت له هذه الشبهة.

وقال مكى: ما روى فى القرآن على ثلاثة أقسام: قسم يقرأ به ويكفر جاحده وهو ما نقله الثقات ووافق العربية وخط المصحف، وقسم صح نقله عن الآحاد وصح فى العربية وخالف لفظه الخط، فيقبل ولا يقرأ به لأمرين: مخالفته لما أجمع عليه وأنه لم يؤخذ بإجماع، بل بخبر الآحاد ولا يثبت به قرآن ولا يكفر جاحده، وقسم نقله ثقة ولا حجه له فى العربية أو نقله غير ثقة فلا يقبل وإن وافق الخط.

وقال ابن الجزرى: مثال الأول كثير كـ«مالك» و«يخدعون» و«يخادعون»، ومثال الثانى قراءة ابن مسعود وغيره: و«الذكر والأنثى» وقراءة ابن عباس: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة» ونحو ذلك.

قال: واختلف العلماء فى القراءة بذلك والأكثر على المنع لأنها لم تتواتر وإن ثبتت بالنقل، فهى منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثمانى.

ومثال ما نقله غير ثقة كثير مما كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبى حنيفة التى جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى ونقلها عنه أبو القاسم الهذلى ومنها: «إنما يخشى اللهُ من عبادةَ العلماء» برفع الله ونصب العلماء.

وقد كتب الدارقطنى وجماعة: بأن هذا الكتاب موضوع لا أصل له.

ومثال ما نقله ثقة ولا وجه له فى العربية قليل لا يكاد يوجد وجعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع «معائش» بالهمز.

قال: وبقى قسم رابع مردود أيضا، وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة، فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر.

وقد ذكر جواز ذلك عن أبى بكر بن مقسم وعقد له بسبب ذلك مجلس وأجمعوا على منعه، ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق الذى لا أصل له يرجع إليه، ولا ركن يعتمد فى الأداء عليه.

قال: أما أصل ذلك، فإنه مما يصار إلى قبول القياس عليه كقياس إدغام «قال رجلان» على «قال رب» ونحوه مما لا يخالف نصا ولا يرد إجماعا مع إنه قليل جدا.

قال السيوطى: أتقن الإمام ابن الجزرى هذا الفصل جدا، وقد تحرر لى منه أن القراءات، أنواع:

الأول: المتواتر، وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك.

الثانى: المشهور، وهو ما صح سنده ولم يبلغ المتواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، يقرأ به على ما ذكره ابن الجزرى ويفهمه كلام أبى شامة السابق، ومثاله ما اختلفت الطرق فى نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض، ومن أشهر ما صنف فى ذلك «التسير» للدانى و«قصيدة الشاطبى» و«أعية النشر فى القرءات العشر» و«تقريب النشر» كلاهما لابن الجزرى.

الثالث: الآحاد، وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به، وقد عقد الترمذى فى جامعه والحاكم فى مستدركه لذلك بابا أخرج فيه شيئا كثيرا صحيح الإسناد.

ومن ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدى، عن أبى بكرة أن النبى ﷺ قرأ: «متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان».

وأخرج من حديث أبى هريرة أنه ﷺ قرأ: «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرات أعين».

وأخرج عن ابن عباس أنه ﷺ قرأ: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم» بفتح الفاء.

وأخرج عن عائشة أنه ﷺ قرأ: «فروح وريحان» يعنى بضم الراء.

الرابع: الشاذ وهو ما لم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة من ذلك قراءة: «ملك يوم الدين» بصيغة الماضى ونصب «يوم» و«إياك نعبد» ببنائه للمفعول.

الخامس: الموضوع كقراءات الخزاعى.

وظهر لى سادس يشبه: من أنواع الحديث المدرج، وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير كقراءة سعيد بن أبى وقاص: «وله أخ أو أخت من أم». أخرجها سعيد بن منصور.

وقراءة ابن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم» فى مواسم الحج أخرجها البخارى.

وقراءة ابن الزبير: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم».

قال عمرو: فما أدرى أكانت قراءته أم تفسير؟ أخرجه سعيد بن منصور.

وأخرجه الأنبارى وجزم بأنه تفسير.

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ: «وإن منكم إلا واردها» الورود الدخول.

قال الأنبارى: قوله: الورود الدخول، تفسير من الحسن لمعنى الورود، وغلط فيه بعض الرواة فأدخله فى القرآن.

قال ابن الجزرى، فى آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءات إيضاحًا وبيانًا؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى ﷺ قرآنا، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه، وأما من يقول: إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى، فقد كذب.

تنبيهات:

الأول: لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترًا فى أصله وأجزائه وأما فى محله ووضعه وترتيبه فكذلك عند محققى أهل السنة للقطع بأن العادة تقضى بالتواتر فى تفاصيل مثله؛ لأن هذا القرآن العظيم الذى هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم مما تتوافر الدواعى على نقل جمله وتفاصيله، فما نقل آحادًا ولم يتواتر يقطع بأنه ليس من القرآن قطعًا.

وذهب كثير من الأصوليين إلى أن التواتر شرط فى ثبوت ما هو من القرآن بحسب أصله وليس بشرط فى محله ووضعه وترتيبه بل يكثر فيها نقل الآحاد، وهو الذى يقتضيه صنع الشافعى فى إثبات البسملة من كل سورة، ورد هذا المذهب بأن الدليل السابق يقتضى التواتر فى الجميع، ولأنه لو لم يشترط التواتر لجاز سقوط كثير من القرآن المكرر، وثبوت كثير مما ليس بقرآن.

أما الأول، فلأنا لو لم نشترط التواتر فى المحل جاز أن لا يتواتر كثير مما ليس بقرآن. وأما الثانى، فلأنه إذا تواتر بعض القرآن بحسب المحل، جاز إثبات ذلك البعض فى الموضع بنقل الآحاد.

وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار: ذهب قوم من الفقهاء والمتكلمين إلى إثبات قرآن، حكمًا لا علمًا، بخبر الواحد، وكره ذلك أهل الحق وامتنعوا منه.

وقال قوم من المتكلمين: إنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صوابا العربية، وإن لم يثبت أن النبى ﷺ قرأ بها، وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطؤوا من قال به، انتهى.

وقد بنى المالكية وغيرهم ممن قال بإنكار البسملة قولهم على الأصل وقرروه بأنها لم تتواتر فى أوائل السور، وما لم يتواتر فليس بقرآن، وأجيب من قبلنا بمنع كونها لم تتواتر فرب متواتر عند قوم دون آخرين، وفى وقت دون آخر، ويكفى فى تواترها إثباتها فى مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخط المصحف مع منعهم أن يكتب فى المصحف ما ليس منه كأسماء السور، وآمين، والأعشار، فلو لم تكن قرآنا لما استجازوا إثباتها، لأن ذلك يحمل على اعتقادها قرآنا، فيكونوا مغررين بالمسلمين، حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا، وهذا مما لا يجوز اعتقاده فى الصحابة.

فإن قيل لعلها أثبتت للفصل بين السور أجيب بأن هذا فيه تغرير ولا يجوز ارتكابه لمجرد

الفصل، ولو كانت له لكتبت بين براءة والأنفال.

ويدل لكونها قرآنا منزلا ما أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن أم سلمة أن النبى ﷺ كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، الحديث، وفيه: وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية، و لم يعد عليهم.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقى فى «المعرفة» بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج البيهقى فى «الشعب» وابن مردويه بسند حسن من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحد سوى النبى ﷺ إلا أن يكون سليمان ابن داود: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج الدارقطنى والطبرانى فى «الأوسط» بسند ضعيف عن بريدة، قال: قال النبى ﷺ: «لا أخرج من المسجد حتى أخبرك بآية لم تنزل على نبى بعد سليمان غيرى ثم قال: بأى شىء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة؟ قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: هى هى».

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقى والبزار من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «كان النبى ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم...».

زاد البزار: فإذا نزلت عرف أن السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أخرى.

وأخرج الحاكم من وجه آخر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: «كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا نزلت علموا أن السورة قد انقضت...». إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرج الحاكم أيضا من وجه آخر عن سعيد، عن ابن عباس «أن النبى ﷺ كان إذا جاءه جبريل، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أنها سورة». إسناده صحيح.

وأخرج البيهقى فى «الشعب» وغيره عن ابن مسعود، قال: كنا لا نعلم فصلا بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم.

قال أبو شامة: يحتمل أن يكون ذلك وقت عرضه ﷺ على جبريل كان لا يزال يقرأ فى السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية، فيعلم أن السورة قد انقضت، وعبر ﷺ بلفظ النزول إشعارا بأنها قرآن فى جميع أوائل السور، ويحتمل أن يكون المراد أن جميع آيات كل سورة كانت تنزل قبل نزول البسملة، فإذا كملت آياتها نزل جبريل بالبسملة واستعرض السورة فيعلم النبى ﷺ أنها قد ختمت ولا يلحق بها شيئا.

وأخرج ابن خزيمة والبيهقى بسند صحيح عن ابن عباس قال: السبع المثانى فاتحة الكتاب، قيل فأين السابعة؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن علي أنه سئل عن السبع المثاني، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقيل له: إنما هي ست آيات، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم آية.

وأخرج الدارقطني وأبو نعيم والحاكم في تاريخه بسند ضعيف عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول ما يلقي عليَّ: بسم الله الرحمن الرحيم.

وأخرج الواحدي من وجه آخر عن نافع، عن ابن عمر قال: نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة.

وأخرج البيهقي من وجه ثابت عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا ختم السورة قرأها، ويقول: ما كتبت في المصحف إلا لتقرا.

وأخرج الدارقطني بسند صحيح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأتم الحمد، فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها أم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها».

وأخرج مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقال: «أنزلت عليَّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر...» الحديث.

فهذه الأحاديث تعطي التواتر المعنوي بكونها قرآنا منزلا في أوائل السور.

ومن المشكل على الأصل ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي، قال: نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن، وهو في غاية الصعوبة؛ لأنا إن قلنا: إن النقل المتواتر كان حاصلا في عصر الصحابة، يكون ذلك من القرآن فإنكاره يوجب الكفر، وإن قلنا: لم يكن حاصلا في ذلك الزمان، فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل، قال: والأغلب على الظن أن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل، وبه يحصل الخلاص عن هذه العقدة.

وكذا قال القاضي أبو بكر: لم يصح عنه أنها ليست من القرآن ولا حفظ عنه إنما حكها وأسقطها من مصحفه إنكارا لكتابتها لا جحدا لكونها قرآنا؛ لأن السنة كانت عنده أن لا يكتب في المصحف إلا ما أمر النبي ﷺ بإثباته فيه، ولم يجده كتب ذلك ولا سمعه أمر به.

وقال النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منها شيئا كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح.

وقال ابن حزم في كتاب القدح المعلى تتميم المحلى: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم، عن زر، عنه وفيها المعوذتان والفاتحة.

وقال ابن حجر في شرح البخاري: قد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك فأخرج أحمد

وابن حبان عنه أنه كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه.

وأخرج عبدالله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى وابن مردويه من طريق الأعمش، عن أبى إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد النخعى، قال: كان عبدالله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه، ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله.

وأخرج البزار والطبرانى من وجه آخر عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: إنما أمر النبى ﷺ أن يتعوذ بهما، وكان عبدالله لا يقرأ بهما أسانيدها صحيحة.

قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة، وقد صح أنه ﷺ قرأهما فى الصلاة.

قال ابن حجر: فقول من قال: إنه كذب عليه مردود والطعن فى الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الروايات صحيحة والتأويل محتمل.

قال: وقد أوله القاضى وغيره على إنكار الكتابة كما سبق، قال: وهو تأويل حسن إلا أن الرواية الصريحة التى ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله.

قال: ويمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف، فيتم التأويل المذكور، لكن قال: من تأمل سياق الطرق المذكورة استبعد هذا الجمع.

قال: وقد أجاب ابن الصباغ بأنه لم يستقر عنده القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك وحاصله أنهما كانتا متواترتين فى عصره لكنهما لم يتواترا عنده، انتهى.

وقال ابن قتيبة فى مشكل القرآن: ظن ابن مسعود أن المعوذتين ليستا من القرآن؛ لأنه رأى النبى ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين، فأقام على ظنه، ولا نقول إنه أصاب فى ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار.

قال: وأما أسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه أنها ليست من القرآن معاذ الله، ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون فى سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد.

قال السيوطى: وإسقاطه الفاتحة من مصحفه، أخرجه أبو عبيد بسند صحيح كما تقدم فى أوائل النوع التاسع عشر.

التنبيه الثانى: قال الزركشى فى البرهان: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل: بل هى مشهورة.

قال الزركشى: والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة أما تواترها عن النبى ﷺ، ففيه

نظر، فإن اسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود فى كتب القراءات وهى نقل الواحد عن الواحد.

قال السيوطى: فى ذلك نظر لما سيأتى، واستثنى أبو شامة كما تقدم الألفاظ المختلف فيها عن القراء واستثنى ابن الحاجب ما كان من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتحقيق الهمزة.

وقال غيره: الحق أن الأصل المد والإمالة، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف فى كيفيته كذا قال الزركشى قال: وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلها متواترة.

وقال ابن الجزرى: لا نعلم أحدا تقدم ابن الحاجب إلى ذلك.

وقد نص على تواتر ذلك كله أئمة الأصول كالقاضى أبى بكر وغيره، وهو الصواب؛ لأنه إذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر هيئة أدائه لأن اللفظ لا يقوم إلا به ولا يصح إلا بوجوده.

التنبيه الثالث: قال أبو شامة: ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل.

وقال أبو العباس بن عمار: لقد نقل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغى له وأشكل الأمر على العامة بإبهامه كل من قل نظره إن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة، ووقع له أيضا فى اقتصار على كل إمام على روايين أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها وقد تكون هى أشهر وأصح وأظهر وربما بالغ من لا يفهم فخطأ أو كفر.

وقال أبو بكر بن العربى: ليست السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبى جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم، فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم. وكذا قال غير واحد منهم مكى وأبو العلاء الهمدانى وآخرون من أئمة القراء.

وقال أبوحيان: ليس فى كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راويا ثم ساق أسماءهم واقتصر فى كتاب ابن مجاهد على اليزيدى، واشتهر عن اليزيدى عشرة أنفس، فكيف يقتصر على السوسى والدورى وليس لهما مزية على غيرهما؛ لأن الجميع مشتركون فى الضبط والإتقان والاشتراك فى الأخذ. قال: ولا أعرف لهذا سببا إلا ما قضى من نقص العلم.

وقال المكي: من ظن أن قراءة هؤلاء كنافع وعاصم هى الأحرف السبعة التى فى الحديث فقد غلط غلطًا عظيمًا، قال: ويلزم من هذا أيضًا أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآنًا وهذا غلط عظيم فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبى عبيد القاسم بن سلام وأبى حاتم السجستانى وأبى جعفر الطبرى وإسماعيل القاضى قد ذكروا أضعاف هؤلاء، وكان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبى عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزةوعاصم، وبالشام على قراءة ابن

عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع، واستمروا على ذلك فلما كان على رأس الثلاثمائة أثبت ابن مجاهد اسم الكسائى وحذف يعقوب، قال: السبب فى الاقتصار على السبعة مع أن فى أئمة القراء من هو أجل منهم قدرًا أو مثلهم أكثر من عددهم أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيرًا جدًا، فلما تقاصرت الهمم اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر فى ملازمة القراءة به والاتفاق على الأخذ عنه، فافردوا من كل مصر واحدًا ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به كقراءة يعقوب وأبى جعفر وشيبة وغيرهم.

قال: وقد صنف ابن جبر المكى مثل ابن مجاهد كتابًا فى القراءات، فاقتصر على خمسة، اختار من كل مصر إمامًا، وإنما اقتصر على ذلك؛ لأن المصاحف التى أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار، ويقال أنه وجه بسبعة، هذه الخمسة ومصحفًا إلى اليمن والبحرين، لكن لم يسمع لهذين المصحفين خبرًا.

وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين واليمن قارئين كمل بهما العدد، فصادف ذلك موافقة العدد الذى ورد الخبر به، فوقع ذلك بمن لم يعرف أصل المسألة ولم تكن له فطنة، فظن أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع والأصل المعتمد عليه صحة السند فى السماع واستقامة الوجه فى العربية وموافقة الرسم وأصح القراءات سندًا نافع وعاصم وأفصحها أبو عمرو والكسائى، انتهى.

وقال القراب فى الشافى: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين، فانتشر، وأوهم أنه لا تجوز الزيادة على ذلك وذلك لم يقل به أحد.

وقال الكواشى: كل ما صح سنده واستقام وجهه فى العربية ووافق خط المصحف الإمام، فهو من السبعة المنصوصة، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو من الشاذ.

وقد اشتد إنكار أئمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة فى مثل ما فى التيسير والشاطبية وآخر من صرح بذلك الشيخ تقى الدين السبكى، فقال فى شرح المنهاج قال الأصحاب: تجوز القراءة فى الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذ، وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ.

وقد نقل البغوى الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبى جعفر مع السبع المشهورة، وهذا القول هو الصواب، قال: واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على، قسمين: منه ما يخالف رسم المصحف، فهذا لا شك فى أنه لا تجوز قراءته لا فى الصلاة ولا فى غيرها، ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به، وإنما ورد من طريق غريب لا يعول عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضًا، ومنه ما اشتهر عن أئمة هذا الشأن القراءة به قديمًا وحديثًا

فهذا لا وجه للمنع منه، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره.

قال: والبغوى أولى من يعتمد عليه فى ذلك فإنه مقرئ فقيه جامع للعلوم، قال: وهكذا التفصيل فى شواذ السبعة، فإن عنهم شيئا كثيرا شاذا، انتهى.

وقال ولده فى منع الموانع: إنما قلنا فى الجوامع والسبع متواترة، ثم قلنا فى الشاذ والصحيح إنه ما وراء العشرة و لم نقل: والعشر متواترة؛ لأن السبع لم يختلف فى تواترها فذكرنا أولا موضع الإجماع ثم عطفنا عليه موضع الخلاف، قال: على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة فى غاية السقوط ولا يصح القول به عمن يعتبر قوله فى الدين، وهى لا تخالف رسم المصحف، قال: وقد سمعت أبى يشدد النكير على بعض القضاة وقد بلغه أنه منع من القراءة بها واستأذنه بعض أصحابنا مرة فى إقراء السبع، فقال: أذنت لك أن تقرأ العشر، انتهى.

وقال: فى جواب سؤال سأله ابن الجزرى عن القراءات السبع التى اقتصر عليها الشاطبى والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر فى شىء من ذلك إلا جاهل.

التنبيه الرابع: باختلاف القراءات يظهر الاختلاف فى الأحكام، ولهذا بنى الفقهاء وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة فى «لمستم» و«لامستم»، وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف فى «يطهرن» وقد حكوا خلافا غريبا فى الآية إذا قرئت بقراءتين، فحكى أبو الليث السمرقندى فى كتاب البستان قولين أحدهما: أن الله قال بهما جميعا. والثانى: أن الله قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن تقرأ بقراءتين، ثم اختار توسطا، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يغاير الآخر، فقد قال بهما جميعا وتصير القراءتان بمنزله آيتين مثل «حتى يطهرن»، وإن كان تفسيرهما واحدا، فإن قيل إذا قلتم أنه قال بإحداهما، فأى القراءتين هى؟ قلنا: التى بلغة قريش انتهى.

وقال بعض المتأخرين: لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة، ومنها إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم ينزل كتاب غيرهم إلا على وجه واحد، ومنها إعظام أجرها من حيث إنهم يفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك وضبطه حتى مقادير المدات وتفاوت الإمالات ثم فى تتبع معانى ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح، ومنها إظهار سر الله فى كتابه وصيانته عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة، ومنها المبالغة فى إعجازه بإيجازه، إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدة لم يخف ما كان فيه من التطويل ولهذا كان قوله: «وأرجلكم» منزلا لغسل الرجل والمسح على الخف واللفظ واحد لكن باختلاف إعرابه، ومنها أن بعض القراءات يبين ما

لعله مجمل فى القراءة الأخرى، فقراءة «يطهرن» بالتشديد مبنية لمعنى قراءة التخفيف، وقراءة: «فامضوا إلى ذكر الله» تبين أن المراد بقراءة «اسعوا» الذهاب لا المشى السريع.

وقال أبوعبيد فى فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة «والصلاة الوسطى صلاة العصر» وقراءة ابن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما».

قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين فى التفسير فيحسن، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم صار فى نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى، فأدنى ما يستنط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل، انتهى.

التنبيه الخامس: اختلف في العمل بالقراءة الشاذة فنقل إمام الحرمين فى البرهان عن ظاهر مذهب الشافعى أنه لا يجوز وتبعه أبو نصر القشيرى، وجزم به ابن الحاجب لأنه نقله على أنه قرآن و لم يثبت، وذكر القاضيان أبو الطيب والحسين والرويانى والرافعى العمل بها تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد، وصححه ابن السبكى فى الجوامع وشرح المختصر، وقد احتج الأصحاب على قطع يمين السارق بقراءة ابن مسعود وعليه أبو حنيفة أيضا، واحتج على وجوب التتابع فى صوم كفارة اليمين بقراءته «متتابعات» و لم يحتج بها أصحابنا لثبوت نسخها.

التنبيه السادس: من المهم معرفة توجيه القراءات وقد اعتنى به الأئمة وأفردوا فيه كتبًا منها «الحجة» لأبى على الفارسى و«الكشف» لمكى و«الهداية» للمهدوى و«**المحتسب**» فى توجيه الشواذ لابن جنى، الذى نقدمه للقارئ اليوم.

قال الكواشي: وفائدته أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه أو مرجحا إلا أنه ينبغى التنبيه على شىء وهو أنه ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقطها وهذا غير مرضى؛ لأن كلا منهما متواتر.

وقد حكى أبو عمر الزاهد فى كتاب «اليواقيت» عن ثعلب أنه قال: إذا اختلف الإعرابان فى القراءات لم أفضل إعرابا على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى.

وقال أبو جعفر النحاس: السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أن لا يقال إحداهما أجود؛ لأنهما جميعا عن النبى ﷺ فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا.

وقال أبو شامة: أكثر المصنفون من الترجيح بين قراءة «مالك» و«ملك» حتى أن بعضهم بالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين، انتهى.

وقال بعضهم: توجيه القراءات الشاذة أقوى فى الصناعة من توجيه المشهورة.

* * *

الصراع حول قضية القراءات قديما وحديثا:

وقد تكلم ابن قتيبة فى كتابه «تأويل مشكل القرآن» عن قضية القراءات والصراع الذى يدور حولها تحت باب «الحكاية عن الطاعنين»، فقال: وكان مما بلغنا عنهم: أنهم يحتجون بقوله عز وجل: ﴿وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْر ا لله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ وبقوله: ﴿لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾.

وقالوا: وجدنا الصحابة، رضى ا لله عنهم، ومن بعدهم، يختلفون فى الحرف: فابن عباس يقرأ: «وادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ» وغيره يقرأ: ﴿بعد أُمَّةٍ﴾. و«عائشة» تقرأ: «إِذْ تَلِقُونَهُ». و«أبو بكرالصديق» يقرأ: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بالْمَوْتِ» والناس يقرأون: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بالْحَقِّ﴾.

وقرأ بعض القراء: «وَأَعتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكًا» وقرأ الناس: ﴿وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾. وكان «ابن مسعود» يقرأ: «إِنْ كَانَتْ إِلاّ زَقْيَةً وَاحِدَةً» ويقرأ: «كالصوف المنفوش».

مع أشباه لهذا كثيرة، يخالف فيها مصحفه المصاحف القديمة والحديثة. وكان يحذف من مصحفه «أم الكتاب» ويمحو «المعوذتين».

و«أبى» يقرأ: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَة أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيف أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا».

ويزيد فى مصحفه افتتاح «دعاء القنوت» إلى قول الداعى: «إن عذابك بالكافرين مُلْحق» ويعده سورتين من القرآن.

و«القراء» يختلفون: فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض ما يرفعه هذا.

* * *

باب الرد عليهم فى وجوه القراءات:

أما ما اعتلوا به فى وجوه القراءات من الاختلاف، فإنا نحتج عليهم فيه بقول النبى ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف، شاف كاف، فاقرءوا كيف شئتم».

وقد غلط فى تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، وأمر، ونهى، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال. وليس شىء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل.

ومن قال: فلان يقرأ بحرف «أبى عمرو» أو بحرف «عاصم»، فإنه لا يريد شئيا مما ذكروا. وليس يوجد فى كتاب ا لله حرف قرئ على سبعة أوجه - يصح، فيما أعلم.

وإنما تأويل قوله ﷺ: «نزل القرآن على سبعة أحرف»: على سبعة أوجه من اللغات متفرقة فى القرآن يدلك على ذلك قول رسول ا لله ﷺ: «فاقرأوا كيف شئتم».

وقال عمر: سمعت «هشام بن حكيم بن حزام» يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها،

وقد كان النبى ﷺ أقرأنيها، فأتيت به النبى ﷺ، فأخبرته، فقال له: اقرأ، فقرأ تلك القراءة، فقال: هكذا أنزلت. ثم قال لى: أقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت. ثم قال: «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فاقرأوا منه ما تيسر».

فمن قرأه قراءة «عبدا لله» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة «أُبىّ» فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة «زيد» فقد قرأ بحرفه.

و«الحرف» يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم، وعلى الكلمة الواحدة، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها، والقصيدة بكمالها.

ألا ترى أنهم يقولون: قال الشاعر كذا فى كلمته، يعنون فى قصيدته.

وا لله جل وعز يقول: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ﴾، وقال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُون وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالبون﴾.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ ا للهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فتنةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾، أراد سبحانه وتعالى: من الناس من يعبد ا لله على الخير يصيبه من تثمير المال، وعافية البدن، وإعطاء السؤل، فهو مطمئن ما دام ذلك له. وإن امتحنه ا لله تعالى باللأواء فى عيشه، والضراء فى بدنه وماله، كفر به.

فهذا عبد ا لله على وجه واحد، ومعنى متحد، ومذهب واحد، وهو معنى الحرف. ولو عبد ا لله على الشكر للنعمة، والصبر للمصيبة، والرضا بالقضاء - لم يكن عبده على حرف.

وقد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف فى إعراب الكلمة، أو فى حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها نحو قوله تعالى: ﴿هَؤلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ وَأطْهَرَ لَكُمْ. ﴿وَهَلْ يُجَازَى إلاّ الكَفُورَ﴾ وَهَلْ يُجَازَى إلاّ الكَفُورُ. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ وَبِالْبَخَلِ. ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ وَمَيْسُرَةٍ.

والوجه الثانى: أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة، وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿رَبنَا بَاعِد بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ وَربنُا بَاعَدَ بين أسفارنا، و﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ وتَلِقُونَه، ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ وبعد أمه.

الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ وَنُنْشِرُهَا، ونحو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ وفُرِّغَ.

الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إلاَّ زَقْيَةً﴾ و﴿صَيْحَةً﴾ و «كالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ» و ﴿كالعِهْنِ﴾.

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله: «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ» فى موضع: ﴿وطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾.

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. نحو قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحقِّ﴾، وفى موضع آخر: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحقِّ بالمَوْتِ».

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «وَما عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ»، ﴿وَما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، ونحو قوله: ﴿إِنَّ الله هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ و «انَّ الغَنِىَّ الحميدُ».

وقرأ بعض السلف: «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى»، و ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيَهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا﴾.

* * *

فأما زيادة «دعاء القنوت» فى «مصحف أبى»، ونقصان أم الكتاب والمعوذتين من «مصحف عبدا لله»، فليس من هذه الوجوه، وسنخبر بالسبب فيه، إن شاء ا لله.

وكل هذه «الحروف» كلام ا لله تعالى، نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام وذلك أنه كان يعارضه فى كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيحدث ا لله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، وييسر على ما يشاء. فكان من تيسيره: أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم:

فالهذلى يقرأ: «عَتَّى حين» يريد: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾؛ لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها.

والأسدى يقرأ: «تِعلمون» و«تِعلم» و «تِسْوَدّ وُجُوهٌ» و «أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيكُمْ».

والتميمى يهمز. والقرشى لا يهمز.

والآخر يقرأ: «وإذا قيل لهم» و «وغُيْضَ الماء» بإشمام الضم مع الكسر، و «هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا» بإشمام الكسر مع الضم و «ما لَكَ لا تَأْمَنَّا» بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يطوع به كل لسان.

ولو أن كل فريق من هؤلاء، أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا؛ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، و لم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للِّسان، وقطع للعادة.

فأراد ا لله، برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا فى اللغات، ومتصرفًا فى الحركات، كتيسيره عليهم فى الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله، ﷺ، أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته فى فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجهم، وطلاقهم وعتقهم، وسائر أمور دينهم.

فإن قال قائل: هذا جائز فى الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحدًا، فهل يجوز أيضًا إذا اختلفت المعانى؟.

قيل له: الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضاد «فاختلاف التضاد» لا يجوز، ولست واجده بحمد الله فى شيء من القرآن إلا فى الأمر والنهى من الناسخ والمنسوخ.

«واختلاف التغاير» جائز، وذلك مثل قوله: وادكر بعد أمةٍ أى بعد نسيان له، والمعنيان جميعًا وإن اختلفا صحيحان؛ لأنه ذكر أمر «يوسف» بعد حين وبعد نسيان له، فأنزل الله على لسان نبيه، ﷺ بالمعنيين جميعًا فى غرضين.

وكقوله: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أى تقبلونه وتقولونه، و«تلقونه» من الولق، وهو الكذب، والمعنيان جميعًا وإن اختلفا صحيحان؛ لأنهم قبلوه وقالوه، وهو كذب، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعًا فى غرضين.

وكقوله :﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ على طريق الدعاء ، و«رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» على جهة الخبر ، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرقهم فى البلاد فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فلما فرقهم الله فى البلاد، وباعد بين أسفارهم، قالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، وأجابنا إلى ما سألنا، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين فى غرضين.

وكذلك قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هؤُلاء إلا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ و «لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء» لأن فرعون قال لموسى: إن آياتك التى أتيت بها سحر. فقال موسى مرة: لقد علمت ما هى سحر، ولكنها بصائر. وقال مرة: لقد علمت أنت أيضا ما هى سحر، وما هى إلا بصائر. فأنزل الله المعنيين جميعًا.

وقوله: ﴿وأعتدت لهنَّ مُتْكَئًا﴾ وهو الطعام، و « أعتدت لهن مُتْكًا» وهو الأُتْرُجّ، ويقال: الزُّمَاوَرْد، فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام، وأنزل الله بالمعنيين جميعا.

وكذلك «نُنْشِرُها» ﴿نُنشِزها﴾؛ لأن الإنشار: الإحياء، والإنشاز هو: التحريك للنقل، والحياة حركة، فلا فرق بينهما.

وكذلك: ﴿فزع عن قلوبهم﴾ و «فرغ»؛ لأن فزع: خفف عنها الفزع، وفرغ: فرغ عنها الفزع.

وكل ما فى القرآن من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصا، فعلى مثل هذه السبيل.

* * *

فإن قال قائل: فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه؟:

قيل له: كل ما كان منها موافقا لمصحفنا غير خارج من رسم كتابه - جاز لنا أن نقرأ به. وليس لنا ذلك فيما خالفه؛ لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين، قرأوا بلغاتهم، وجروا

على عادتهم، فكان ذلك جائزا لهم، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل؛ فأما نحن معشر المتكلفين، فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض، وليس لنا أن نعدوه، كما كان لهم أن يفسروه، وليس لنا أن نفسره.

ولو جاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت فى مصحفنا، لجاز أن نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، وهناك يقع ما كرهه لنا الأئمة الموفقون، رحمة الله عليهم.

وأما نقصان «مصحف عبدالله» بحذفه «أم الكتاب» و«المعوذتين» وزيادة «أبى» سورتى القنوت - فإنا لا نقول: إن «عبدالله» و «أبيا» أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكن «عبدالله» ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن «المعوذتين» كانتا كالعوذة والرقية وغيرها، وكان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين وغيرهما، كما كان يعوذ بأعوذ بكلمات الله التامة، وغير ذلك، فظن أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة جميعا كما أقام على التطبيق.

وأقام «غيره» على الفتيا بالمتعة، والصرف.

ورأى «آخر» أكل البرد وهو صائم.

ورآى «آخر» أكل السحور بعد طلوع الفجر الثانى. وأشباه هذا كثيرة.

وإلى نحو هذا ذهب «أبى» فى «دعاء القنوت»؛ لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به فى الصلاة دائما، فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة.

* * *

وأما «فاتحة الكتاب» فإنى أشك فيما روى عن «عبدالله» من تركه إثباتها فى مصحفه، فإن كان هذا محفوظا، فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يظن به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم، والنبى ﷺ يقول: «من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأه قراءة ابن أم عبد».

وعمر يقول فيه: «كنيف ملئ علما» وهو مع هذا متقدم الإسلام بدرى لم يزل يسمع رسول الله ﷺ يؤم بها، وقال: «لا صلاة إلا بسورة الحمد» وهى السبع المثانى، وأم الكتاب، أى أعظمه وأقدم ما نزل منه، كما سميت مكة أم القرى؛ لأنها أقدمها قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين؛ مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها ولأنها تثنى فى كل صلاة وكل ركعة، وأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها وحفظها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه.

فلما أمن عليها العلة التى من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن.

ولو أن رجلا كتب فى المصحف سورا، وترك سورا لم يكتبها، لم نر عليه فى ذلك وكفا إن شاء الله تعالى.

* * *

باب ما ادعى على القرآن من اللحن:

وأما ما تعلقوا به من «حديث عائشة» رضى الله عنها فى غلط الكاتب، و«حديث عثمان» رضى الله عنه: أرى فيه لحنا - فقد تكلم النحويون فى هذه الحروف، واعتلوا لكل حرف منها، واستشهدوا الشعر:

فقالوا: فى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ وهى لغة بلحرث بن كعب يقولون: مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه، وركبت علاه.

وأنشدوا:

أى قلوص راكب تراها ... طاروا علاهن فطر علاها

على أن القراء قد اختلفوا فى قراءة هذا الحرف: فقرأه «أبو عمرو بن العلاء»، و«عيسى بن عمر»: «إِنَّ هَذَيْن لَسَاحِرَانِ» وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت «عائشة».

وكان «عاصم الجحدرى» يكتب هذه الأحرف الثلاثة فى مصحفه على مثالها فى الإمام، فإذا قرأها، قرأ: «إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِران»، وقرأ: «والمُقيمُونَ الصَّلاَةَ»، وقرأ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئِين».

وكان يقرأ أيضا فى سورة البقرة: «وَالصَّابِرُون فى البَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ» ويكتبها: «الصَّابرين».

وإنما فرق بين القراءة والكتاب؛ لقول «عثمان» رحمه الله: «أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها» فأقامه بلسانه، وترك الرسم على حاله.

وكان «الحجاج» وكل «عاصما» و «ناجية بن رمح» و «على بن أصمع» بتتبع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهما.

خبرنى بذلك «أبو حاتم» عن «الأصمعى» قال: وفى ذلك يقول «الشاعر»:

وإلا رسوم لدار قفر كأنها ... كتاب محاه الباهلى بن أصمعا

وقرأ بعضهم: ﴿إِنَّ هَذان لَسَاحِران﴾ اعتبارا بقراءة «أبى» لأنها فى مصحفه: «إِنْ ذَان إلا ساحران» وفى مصحف «عبدالله»: «وَأَسَرُّوا النَّجْوَى إِنْ هَذَانِ سَاحِرَانِ» منصوبة الألف بجعل: «إن هذان» تبيينا للنجوى.

وقالوا فى نصب «المقيمين» بأقاويل: قال بعضهم: أراد بما أنزل إليك وإلى المقيمين.

وقال بعضهم: وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين.

وكان «الكسائى» يرده إلى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أى: ويؤمنون بالمقيمين، واعتبره بقوله فى موضع آخر: ﴿يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أى بالمؤمنين.

وقال بعضهم: هو نصب على المدح.

قال «أبو عبيدة» هو نصب على تطاول الكلام بالنسق، وأنشد «للخرنق بنت هفان»:

لا يبعدن قومى الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

ومما يشبه هذه الحروف - ولم يذكروه - قوله فى سورة البقرة: ﴿والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾. و«القراء» جميعا على نصب «الصابرين» إلا «عاصما الجحدرى» فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه، وينصبه إذا كتبه؛ للعلة التى تقدم ذكرها.

واعتل «أصحاب النحو» للحرف، فقال «بعضهم»: هو نصب على المدح، والعرب تنصب على المدح والذم، كأنهم ينوون إفراد الممدوح بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام، كذلك قال «الفراء».

وقال «بعضهم»: أراد: «وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين والصابرين فى البأساء والضراء».

وهذا وجه حسن؛ لأن البأساء: الفقر، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الفَقِيرَ﴾.

والضراء: البلاء فى البدن، من الزمانة والعلة. فكأنه قال: وآتى المال على حبه السائلين الطوافين، والصابرين على الفقر والضر الذين لا يسألون ولا يشكون، وجعل «المُوفِين» وسطا بين المعطين نسقا على «من آمن بالله».

* * *

ومن ذلك قوله فى سورة الأنبياء: ﴿كَذَلِكَ نجى الْمُؤمِنِينَ﴾ كتبت فى المصاحف بنون واحدة، وقرأها «القراء» جميعا «ننجى» بنونين إلا «عاصم بن أبى النجود» فإنه كان يقرؤها بنون واحدة، ويخالف «القراء» جميعا، ويرسل الياء فيها على مثال «فعل».

فأما من قرأها بنونين، وخالف الكتاب، فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم، فأسقطها كاتب المصحف لخفائها، ونيته إثباتها.

واعتل بعض النحويين «لعاصم» فقالوا: أضمر المصدر، كأنه قال: نجى النجاء المؤمنين، كما تقول: ضرب الضرب زيدا، ثم تضمر الضرب، فتقول: ضرب زيدا.

وكان «أبو عبيد» يختار فى هذا الحرف مذهب «عاصم» كراهية أن يخالف الكتاب، ويستشهد عليه «حرفا» فى سورة الجاثية، كان يقرأ به «أبو جعفر المدنى»، وهو قوله: ﴿**لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كانُوا يَكْسِبُون**﴾ أى ليجزى الجزاء قوما.

وأنشدنى بعض النحويين:

ولو ولدت فقيرة جرو كلب ... لسب بذلك الجرو الكلابا

* * *

ومن ذلك: ﴿**فأصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِين**﴾ أكثر القراء يقرأون: «فأصَّدَّقَ أكُن» بغير واو.
واعتل «بعض النحويين» فى ذلك بأنها محمولة على «موضع» فأصدق، لو لم يكن فيه الفاء، وموضعه جزم، وأنشد:

فأبلونى بليتكم لعلى ... أصالحكم وأستدرج نويا

فجزم «وأستدرِجْ»، وحمله على موضع «أصالحكم» لو لم يكن قبلها: «لعلى» كأنه قال: فأبلونى بليتكم أصالحكم وأستدرج.

وكان «أبو عمرو بن العلاء» يقرأ: «فأصّدّق وأكُونَ» بالنصب، ويذهب إلى أن الكاتب أسقط الواو، كما تسقط حروف المد واللين فى «كَلَمُون» وأشباه ذلك.

* * *

وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطا من الكاتب، كما ذكرت «عائشة» رضى الله عنها.

فإن كانت على مذاهب النحويين، فليس ها هنا لحن بحمد الله.

وإن كانت خطأ فى الكتاب، فليس على رسوله ﷺ جناية الكاتب فى الخط.

ولو كان هذا عيبا يرجع على القرآن، لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتابة المصحف من طريق التهجى:

فقد كتب فى الإمام: ﴿**إنَّ هَذَن لَسَاحِران**﴾ بحذف ألف التثنية. وكذلك «ألف التثنية» تحذف فى هجاء هذا المصحف فى كل مكان، مثل: ﴿**قَالَ رَجُلَن**﴾ و ﴿**آخرَنِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا**﴾ وكتب كتاب المصحف: الصلوة والزكوة والحيوة، بالواو، واتبعناهم فى هذه الحروف خاصة على التيمن بهم، ونحن لا نكتب: «القطاة والقناة والقلاة» إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه.

وكتبوا «الربو» بالواو، وكتبوا: ﴿**فَمَالِ الذين كَفَرُوا**﴾ فمال بلام منفردة.

وكتبوا: ﴿**وَلَقَدْ جاءَكَ مِنْ نَبَإى الْمُرْسَلِين**﴾ بالياء ﴿**أَوْ مِنْ وَرائِى حِجَاب**﴾ بالياء فى الحرفين جميعا، كأنهما مضافان، ولا ياء فيهما، إنما هى مكسورة.

وكتبوا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَو﴾ و ﴿فَقَالَ الضُّعَفَو﴾ بواو، ولا ألف قبلها.

وكتبوا: ﴿أَوْ أَنْ نَفعل فى أموالنا ما نشاو﴾ بواو بعد الألف، وفى موضع آخر ﴿ما نَشاء﴾ بغير واو، ولا فرق بينهما.

وكتبوا: ﴿أولا أَذْبَحَنَّه أولَيأْتِيَنّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بزيادة ألف. وكذلك ﴿وَلا أوضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ بزيادة ألف بعد لام ألف.

وهذا أكثر فى المصحف من أن نستقصيه.

وكذلك لحن اللاحنين من القراء المتأخرين، لا يجعل حجة على الكتاب. وقد كان الناس قديما يقرأون بلغاتهم كما أعلمتك.

ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلف، فهفوا فى كثير من الحروف وزلوا وقرأوا بالشاذ وأخلوا.

منهم «رجل» ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقربه من القلوب بالدين. لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطا، ولا أشد اضطرابا منه؛ لأنه يستعمل فى الحرف ما يدعه فى نظيره، ثم يؤصل أصلا ويخالف إلى غيره لغير ما علة. ويختار فى كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة.

هذا إلى نبذه فى قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بإفراطه فى المد والهمز والإشباع، وإفحاشه فى الإضجاع والإدغام، وحمله المتعلمين على المركب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله، وتضيقه ما فسحه.

ومن العجب أنه يقرئ الناس بهذه المذاهب، ويكره الصلاة بها!.

ففى أى موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟!.

وكان «ابن عيينة» يرى لمن قرأ فى صلاته بحرفه، أو ائتم بقراءته: أن يعيد، ووافقه على ذلك كثير من خيار المسلمين منهم «بشر بن الحارث» «وأحمد بن حنبل».

وقد شغفت بقراءته عوام الناس وسوقتهم، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرئ فيها، فإذا رأوه قد اختلف فى أم الكتاب عشرًا، وفى مائة آية شهرًا، وفى السبع الطوال حولا، ورأوه عند قراءته مائل الشدقين، دار الوريدين، راشح الجبينين- توهموا أن ذلك لفضيلة فى القراءة وحذق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ ولا خيار السلف ولا التابعين؛ ولا القراء العالمين؛ بل كانت قراءتهم سهلة رسلة.

وهكذا نختار لقراء القرآن فى أورادهم ومحاريبهم. فأما الغلام الريض والمستأنف للتعلم، فنختار له أن يؤخذ بالتحقيق عليه، من غير إفحاش فى مد أو همز أو إدغام؛ لأن فى ذلك تذليلا للسان، وإطلاقًا من الحبسة، وحلا للعقدة.

وما أقل من سلم من هذه الطبقة فى حرفه من الغلط والوهم:

فقد قرأ «بعض المتقدمين»: «مَا تَلَوْتَهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ» فهمز، وإنما هو من دريت بكذا وكذا.

وقرأ: «ومَا تَنزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُون» توهم أنه جمع بالواو والنون.

وقرأ آخر: «فَلا تَشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ» بفتح التاء، وكسر الميم، ونصب الأعداء. وإنما هو من: أشمت الله العدو فهو يشمته، ولا يقال: شمت الله العدو.

وقال: «الأعمش» قرأت عند «إبراهيم» «وطلحة بن مصرف»: «قَالَ لَمَنْ حَوْلَهُ ألا تَسْتَمِعُونَ»، فقال: «إبراهيم» ما تزال تأتينا بحرف أشنع ! إنما هو: «لمن حوله» واستشهد «طلحة» فقال مثل قوله.

قال «الأعمش»: فقلت لهما: لحنتما، لا أقاعدكما بعد اليوم.

وقرأ «يحيى بن وثاب»: «وَإِنْ تَلُوا أَوْ تُعْرِضُوا» من الولاية. ولا وجه للولاية هاهنا، إنما هى تلووا - بواوين - من ليك فى الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر.

قال الله عز وجل: ﴿**يلوون ألسنتهم بالكتاب**﴾ واتبعه على هذه القراءة «الأعمش» و«حمزة».

وقرأ «الأعمش»: «ومَا أنتُمْ بِمُصْرِخِيِّ» بكسر الياء، كأنه ظن أن الباء تخفض الحرف كله، واتبعه على ذلك «حمزة».

وقرأ «حمزة»: «وَمَكْرَ السَّيِّئْ وَلا يَحيقُ المكرُ السَّيِّئ إلا بأهله» فجزم الحرف الأول، والجزم لا يدخل الأسماء، وأعرب الآخر وهو مثله.

وقرأ «نافع»: «فَبِمَ تُبَشِّرُونِ» بكسر النون. ولو أريد بها الوجه الذى ذهب إليه، لكانت «فَبِمَ تُبَشِّرُوننى» بنونين؛ لأنها فى موضع رفع.

وقرأ «حمزة»: «وَلا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا سَبَقُوا إنهم لا يُعِجزون» بالياء. ولو أريد بها الوجه الذى ذهب إليه لكانت: «وَلا يحسبَنّ الذين كفروا أنهم سبقوا إنهم لا يُعجزون». وهذا يكثر.

* * *

ابن جنى ومؤلفاته

نسبة ابن جنى(١):

هو عثمان ابن جنى، كان أبوه روميًا يونانيًا، وكان مملوكًا لـ«سليمان بن فهد بن أحمد

(١) انظر ترجمته فى: تاريخ الموصل ٥١/١، الكامل لابن الأثير، المختصر لابن كثير فى حوداث سنة ٤١١هـ.

الأزدى»؛ لذلك ينسب ابن جنى أزديًّا بالولاء، قال فى آخر كتابه «المنصف»: «قال أبو الفتح عثمان بن جنى الأزدى».

وجِنِّى، بكسر الجيم وكسر النون مشددة وسكون الياء، فلا تشدد الياء كياء النسب؛ إذ ليست بها. وفى «حاشية الشمنى على المغنى» بعد أن أورد ترجمة ابن جِنّى: «وفى الشرح فى غير هذا الموضع: هو بإسكان الياء، وليس منسوبًا، وإنما هو معرب. كذا فى شرح المفصل للاسفندارى».

وإعراب جنى على الحكاية لحالها فى العجميّة، فلا تعامل فى الإعراب معاملة الكلمات العربية؛ وذلك أنها لو ذُهب بها هذا المذهب فعوملت معاملة المنقوص لقيل: ابن جنٍّ فتضيع صورة العلم، ويلتبس الأمر بالجِنّ، فمن ثم أبقيت كما هى حِفاظًا على صورتها.

وقد جاء من الأعلام على نسق جِنّى: حِنّى.

ويقول ابن ماكولا فى كتابه: «وأما حِنِّى - بكسر الحاء المهملة وتشديد النون الممالة - فهو أبو الحسن علىّ بن أبى بكر ابن أحمد بن علىّ بن يحيى البيع البغدادى، يعرف بابن حنى. حدث عن ابن رزقويه»، وذكر أن مولده فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

وقد ذكر صاحب القاموس فى «حنن» هذا الاسم، وذكر أيضًا آخر يعرف بابن حنى.

* * *

مولده(٢):

ولد ابن جنى فى المَوْصِل، ويقول من ترجم له: إنه ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة من الهجرة، ولا يعينون مولده بعد هذا، إلا أبا الفداء فى المختصر، يذكر أن وفاته سنة ٣٠٢هـ.

ويقول ابن قاضى شهْبة فى طبقات النحاة: إنه توفى وهو فى سن السبعين. فإذا أُخذ بهذا وروعى أن وفاته كانت فى سنة ٣٩٢ هـ، فإن ولادته تكون فى سنة ٣٢٢هـ أو سنة ٣٢١هـ.

ويذكر الرواة أنه صحب أبا على الفارسى أستاذه أربعين سنة بعد اتصاله به على أثر حادثة مسجد الموصل - وستأتى قِصتها - وكانت هذه الحادثة سنة ٣٣٧هـ، فإذا وضع تاريخ ولادته فى سنة ٣٢٢هـ، كانت سنه عندئذ خمس عشرة سنة.

وقول ابن قاضى شهبة: إنه توفى فى سن السبعين، قد يكون «السبعون» فيه محرفة عن التسعين.

ويرى بعض الكاتبين عنه من علماء المشرقيات أن ولادته كانت سنة ٣٢٠هـ، وهذا قريب مما ذكرت. وبعض هؤلاء جعل مولده سنة ٣٠٠هـ، وهذا قريب مما جاء فى رواية أبى الفداء.

* * *

---

(٢) انظر: مقدمة الخصائص (٩/١).

نشأته:

نشأ ابن جنى بالموصل، وتلقى مبادئ التعلم فيها. وقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلى الشافعى المعروف بالأخفش.

ويذكر ابن خلكان أنه قرأ الأدب فى صباه على أبى علىٍّ الفارسى.

ويقول ابن ماكولا: سمع جماعة من المواصلة والبغداديين.

ويذكر أنه فى بدء اتصاله بأستاذه: أن أبا الفتح كان يدرس العربية فى جامع الموصل وهو شاب، فمر به أبو على، فوجده يتكلم فى مسألة قلب الواو ألفا، فى نحو قال وقام، فاعترض عليه أبو على، فوجده مقصرا، ونبهه على الصواب، وقال له: تزَّببت وأنت حصرم!. فتبع أبا علىّ، حتى نبغ بسبب صحبته إياه، وبلغ من أمره ما بلغ.

وكأن خطأه أمام أستاذه فى مسألة قلب الواو ألفا كان سببا فى عنايته بها.

وتراه فى الخصائص يعرض لها فى أكثر من موضع، ومن ذلك ما جاء فى جـ١/١٤٥، ١٥٣، وإن كان الكلام كان أيضًا فى قلب الياء ألفًا، وهما من واد واحد.

وتكاد الروايات تتفق على أن ابن جنى لم يكن يعرف أبا علىّ قبل هذه الحادثة.

وفى ياقوت بعد أن ذكر سؤال أبى علىّ له فى مسألة التصريف متحدثًا عن ابن جنّى: «فسأل عنه، فقيل له: هذا أبو علىّ الفارسى».

وفى هذا بيان أنه لم يلقه قبل هذا. ولم يشذ عن هذا - فيما علمت - إلا ابن خلكان، فهو يقول: «قرأ الأدب على الشيخ أبى علىٍّ الفارسىٍّ المقدِّم ذكره فى حرف الحاء وفارقه. وقعد للإقراء بالموصل، فاجتاز به شيخه أبو علىّ، فجلس فى حلقته والناس حوله يشتغلون عليه، فقال له: «تزببت، وأنت حصرم!». فترك حلقته وتبعه حتى تمهر».

ويذكرنا عجز ابن جنى عن الجواب على ما أورده عليه أبو على من الاعتراض فى مسألة التصريف التى كان يتكلم فيها بحادثة لأبى على مع نحوىّ موصلى. وكأنما ثأر أبو علىّ يوما مع محمد بن سعيد البصير الموصلى العروضى النحوى عند أبى بكر بن شقير. فقال محمد بن سعيد لأبى على: فى أى شىء تنظر يا فتى؟. فقال: فى التصريف.

فجعل يلقى عليه من المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر منه أبو علىّ، فهرب منه إلى النوم، فقال: هربت يا فتى! قال: نعم، هربت.

ويؤرخ الرواة اجتياز أبى على بالموصل بسنة ٣٣٧هـ. وقد كان أبو على جوالا بالبلاد.

ولكن الباحث يسأل: فيم كان اجتيازه بالموصل؟ فهل كان ذلك لعلم يتلقاه، أو رواية يسمعها؟.

وأغلب الظن عندى أنه كان مع معز الدولة البويهى، فقد أغار على الموصل فى هذا

التاريخ، وهاجم الحمدانيين. وكان أبو عليّ على اتصال وثيق بآل بويه.

وكان أكثر اتصاله بعضد الدولة، حتى إن عضد الدولة كان يذكر عن نفسه أنه غلام أبى عليّ.

وقد يكون من دواعى هذه الصلة الاشتراك فى الانتساب إلى الفرس، ومعرفة الفارسية، فقد كان أبو على يعرفها، كما يذكر تلميذه أبو الفتح. ويبدو أنه كان يصحب آل بويه فى حروبهم؛ ففى البغية فى ترجمة أبى عليّ: أن عضد الدولة لما تهيأ لقتال ابن عمه دخل عليه أبو عليّ، فقال له عضد الدولة: ما رأيك فى صحبتنا؟.

فقال له أبو عليّ: أنا من رجال الدعاء، لا من رجال اللقاء.

ولولا أن أبا عليّ من عادته أن يصحب عضد الدولة فى مثل هذا الوجه لما عرض عليه هذا العرض. ويبدو أن اعتذار أبى عليّ عن صحبة عضد الدولة؛ لأنه كان يقصد حرب رجل من أسرة آل بويه، وهو لا يبغى أن يحمل أحد منهم حقدا عليه وضَغْنًا نحوه.

وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا على بعد سنة ٣٣٧هـ، ولازمه فى السفر والحضر، وأخذ عنه، وصنف كتبه فى حياة أستاذه، فاستجادها ووقعت عنده موقع القبول. وهو كثير الاعتزار بأبى عليّ، كثير الرواية عنه فى كتبه. وهو يثنى عليه الثناء الجيد.

ويقول فى «الخصائص ١/٢٠٨»: وقلت مرة لأبى بكر أحمد بن عليّ الرازى - رحمه الله - وقد أفضنا فى ذكر أبى عليّ ونبل قدره، ونباوة محله: أحسب أن أبا على قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا.

فأصغى أبو بكر إليه، ولم يتبشع هذا القول عليه؛ وهو يريد بالعلم علم العربية.

ويقول أيضًا فى «الخصائص ١/٢٧٦» فى أبى عليّ: «ولله هو، وعليه رحمته! فما كان أقوى قياسه، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه! مع جلة أصحابها، وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة علله، ساقطة عنه كلفه، وجعله همه وسدمه، لا يعتاقه عنه ولد، ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوْم به مطلبا، وقد حط عنه أثقاله، وألقى عصا ترحاله».

ويشبه ابن جنى فى نقله فى كتبه علم أبى عليّ، سيبويه فى نقله علم الخليل.

على أن ابن جنى كثيرًا ما يذكر أن أستاذه كان يسأله فى بعض المسائل، ويرجع إلى رأيه فيها، وأن أبا عليّ كان يقتنع بعلم ابن جنى فى بعض الأمور فيدون رأيه فى كتبه. فهو يقول فى الخصائص ١/٣٦٥: «وقلت مرة لأبى عليّ، رحمه الله: قد حضرنى شيء فى علة الإتباع فى نقيذ، وأن تكون عينه حلقية؛ وهو قرب القاف فى الخاء والغين. فكما جاء عنهم النخير والرغيف كذلك جاء عنهم النقيذ. فجاز أن تشبه القاف لقربها من حروف الحلق بها، كما شبه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم. فالنقيذ فى الإتباع كالمنخل والمنغل فيمن أخفى النون. فرضيه وتقبله. ثم جاء فيما بعد بخطه فى تذكرته».

ويقول فى الخصائص فى «باب فيما يرد عن العربىّ مخالفا لما عليه الجمهور»: «ودخلت يومًا على أبى علىّ - رحمه الله - خاليا فى آخر النهار، فحين رآنى قال لى: أين كنت؟ أنا أطلبك. قلت: وما ذلك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من حوريت؟ فخضنا معا فيه، فلم نحل بطائل منه.

فقال: هو من لغة اليمن، ومخالف للغة ابنى نزار، فلا ينكر أن يجىء مخالفا لأمثلتهم».

وقد ينهج فى تأليفه منهجا غير منهج شيخه أحرى عنده بالاتباع.

وقد ألف أبو علىّ «الحجة» فى توجيه القراءات السبعة، وألف ابن جنى «المحتسب» فى توجيه الشواذ من القراءات، ويقول فى خطبة هذا الكتاب: «إلا أننا - مع ذلك - لا ننسى تقريبه على أهل القرآن ليحيطوا به. فإن أبا علىّ - رحمه الله - عمل كتاب الحجة فى القراءات، فتجاوز فيه قدر حاجة القراء، إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء».

وقد يذكر موضع اجتماعه بأبى علىّ. فهو فى الخصائص ١/١٢١ يقول: «فقال لى أبو علىّ بالشام» وفى «باب فى الاستخلاص من الأعلام معانى الأفعال» يذكر أن أبا علىّ أنشده بيتا وهما فى دار الملك.

والأقرب أنها دار الملك لآل بويه فى بغداد، وكان لهم دار ملك أيضًا فى شيراز.

وفى «باب التفسير على المعنى دون اللفظ» أنه كان معه بحلب سنة ٣٤٦هـ، وظاهر أن ذلك كان عند سيف الدولة ابن حمدان.

وقد يكتب إليه فى غيبته عنه فى مسائل علمية.

وفى سرّ الصناعة «حرف الياء»: «وكتب إلىَّ أبو علىَّ من حلب فى جواب شىء سألته عنه».

* * *

صحبته للمتنبى:

وقد صحب المتنبى واجتمع به بحلب عند سيف الدولة ابن حمدان، وفى شيراز عند عضد الدولة. وكان المتنبى يجله، ويقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس.

وكان المتنبى إذا سئل عن شىء من دقائق النحو والتصريف فى شعره، يقول: سلوا صاحبنا أبا الفتح.

ويقول فى مسالك الأبصار: «وكان أبو الطيب المتنبى إذا سئل عن معنى قاله، أو توجيه إعراب، حصل فيه إغراب، دل عليه، وقال: عليكم بالشيخ الأعور ابن جنى فسلوه، فإنه يقول ما أردت وما لم أرد».

وترجع مقالة المتنبى الأخيرة، إذا صح نسبتها إليه، إلى سعة علم ابن جنى وتشعب

مذاهبه، فقد يقع له فى الكلام من المعانى ما لم يقع لقائله.

وابن جنى أول من شرح ديوان المتنبى، وقد شرحه شرحين، الشرح الكبير والشرح الصغير، والأخير هو الباقى لنا.

وقد تعقب معاصروه ومن بعدهم شرحه، ومن هؤلاء الربعى على بن عيسى المتوفى سنة ٤٢٠، له كتاب «التنبيه على خطا ابن جنى فى تفسير شعر المتنبى»، وهو ممن شارك ابن جنى فى الأخذ عن أبى علىّ وملازمته.

ومنهم محمد بن أحمد، المعروف بابن فورجه، له «كتابا» الفتح على أبى الفتح، والتجنى على ابن جنى، يرد فيهما على ابن جنى فى شعر المتنبى، وللشريف المرتضى على بن الحسين كتاب فى تتبع أبيات المعانى للمتنبى التى تكلم عليها ابن جنى.

وللشيخ العميد أبى سهل محمد بن الحسن الزوزنى استدراك على ابن جنى باسم «قشر الفسر» منه نسخة بمكتبة طلعت بدار الكتب مخطوطة سنة ٤٧٥هـ.

وكان ابن جنى يحسن الثناء على المتنبى فى كتبه، ويستشهد بشعره فى المعانى والأغراض، ويعبر عنه بشاعرنا. ويقول فى الخصائص ٢٣٩/١: «وحدثنى المتنبى شاعرنا، وما عرفته إلا صادقا»، وفى صـ٢٤: «وأمتثله شاعرنا آخرا فقال:

فلو قدر السنان على لسان ... لقال لك السنان كما أقول

ويسوق البديعى فى «الصبح المنبى» قصة تنبئ عن إعجاب ابن جنى بالمتنبى، وعن وجوده بشيراز، حين كان المتنبى هناك، وذلك فى آخر حياة الشاعر؛ فقد قتل بدير العاقول عند منصرفه عن شيراز. ذاك أن أبا على كان إذ ذاك بشيراز «وكان إذ مر به أبو الطيب يستثقله على قبح زيه، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء.

وكان لابن جنى هوى فى أبى الطيب، كثير الإعجاب بشعره، لا يبالى بأحد يذمه أو يحط منه. وكان يسوءه إطناب أبى على فى ذمه. واتفق أن قال أبو على يومًا: اذكروا لنا بيتا من الشعر نبحث فيه. فبدأ ابن جنى وأنشد:

حلت دون المزار فاليوم لو زر ... ت لحال النحول دون العناق

فاستحسنه أبو على واستعاده. وقال: لمن هذا البيت فإنه غريب المعنى؟ فقال ابن جنى: للذى يقول:

أزورهم وسواد الليل يشفع لى ... وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقال: والله هذا أحسن! بديع جدا! فلمن هما؟ قال: للذى يقول:

أمضى إرادته فسوف له قد ... واستقرب الأقصى فثم له هنا

فكثر إعجاب أبى علىّ، واستغرب معناه، وقال: لمن هذا؟ فقال ابن جنى: للذى يقول:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فقال: وهذا أحسن! وا لله لقد أطلت يا أبا الفتح، فأخبرنا من القائل؟ فقال: هو الذى لا يزال الشيخ يستثقله، ويستقبح زيه وفعله. وما علينا من القشور إذا استقام اللب!.

قال أبو علىّ: أظنك تعنى المتنبى. قال: نعم».

ومن دلائل عناية ابن جنى بالمتنبى أنه أخذ شيئًا من أخباره عن على بن حمزة البصرى، لأن المتنبى لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها. كما ذكره ياقوت فى ترجمة على بن حمزة.

* * *

جلالته والثناء عليه:

بلغ أبو الفتح فى علوم العربية من الجلالة والخطر ما لم يبلغه إلا القليل. وقد سلف لك قول المتنبى فيه، وقد كان المتنبى ذا قدم مكينة وبصر نافذ وإحاطة تامة بالعربية.

وقد أصبح ابن جنى فى مجرى القرون بعده مضرب المثل فى معرفة النحو والتبريز فيه.

يقول العماد فى حديثه عن الحسن بن صافى المعروف بملك النحاة: «وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيتى، ولو عاش ابن جنى لم يسعه إلا حمل غاشيتى».

ويقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى الشيخ عبدالكريم سلمان: «وجعلته منى مكان النحو من ابن جنى».

ويقول ابن فضل ا لله العمرى فى مسالك الأبصار: « لم ير مثله فى توجيه المعانى، وشد بيوت القصائد الوثيقة المبانى».

ويقول ابن ماكولا: «وكان نحويا حاذقا مجودا».

ويقول الثعالبى فى اليتيمة:«هو القطب فى لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة فى الأدب».

وقد يبدو للباحث أن ابن جنى لم يبلغ فى حياته من المكانة العلمية ما يستحقه، ولم يدرك ما أدركه بعد النبالة ونباهة الذكر. وقد يطل له هذا المعنى من قول المتنبى فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس.

وقد يطيب له أن يحتج لهذا الرأى بأنه لا يرجع إلى عراقة أصل، ولا يئول إلى شرف محتد، وبأن العصر كان مشحونا بأفاضل العلماء، وجلة الفهماء، فكان يجرى فى مضمارهم بمقدار.

ولكن التوسع فى دراسة ابن جنى قد يصرف عن هذا الرأى، وقد يئول بصاحبه إلى أن الرجل أوتى حظا من الشهرة العلمية فى حياته، ورزق من القبول ما هو أهله. ألسنا نراه يخلف أستاذه أبا على فى التدريس فى بغداد بعد وفاته، ويدين له بالتتلمذ. ومنهم أئمة عظام كعبدالسلام البصرى، والسمسمى.

وأبو على لا ينكر أمره وأستاذيته. فهذا شرف استأثر به أبو الفتح واستبد به على أصحاب أبى على، وهم كُثُر.

ويقول القفطى فى «إنباه الرواة» فى الحديث عن زميل لابن جنى وهو العبدى: «وكان العبدى قد أدركه خمول الأدب، ولم يحصل له من السمعة ما حصل لابن جنى والربعى، وكان كثير الشكوى لكساد سوق الأدب فى زمانه».

ولابن جنى قصيدة بائية سلف منها أبيات فى الكلام على نسبه، أوردها ياقوت فى ترجمته، وفيها ما ينبئ عن أنه نال ما يبغى من الكمال والمنزلة. ومن ذلك قوله:

شكرت الله نعمته ... وما أولاه من أرب
زكت عندى صنائعه ... فوفقنى وأحسن بى
تخولنى وخولنى ... ونولنى ونوه بى
وأخر من ... وأعلانى وأرغم
يقادمنى ... بى

ويقول فى الحديث عن كتبه:

تناقلها الرواة لها ... على الأجفان من حدب
فيرتع فى أزاهرها ... ملوك العجم والعرب

ويبدو فضله وعلمه فى كتبه ومباحثه التى توفر عليها، وأحسن عرضها. وهو يعد بحق فيلسوف العربية وباقرها.

وعلى مباحث ابن جنى طابع الاستقصاء والغوص فى التفاصيل، والتعمق فى التحليل، واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات. وهو فى هذا يشبه ابن الرومى فى الشعر. وكأنما للجنس الرومى الذى ينتميان إليه أثر فى هذا.

ومن مباحثه التى اهتدى لها، وسبق بها الاشتقاق الأكبر، وإن كان استمد فكرته من أستاذه أبى علىّ. وهو يقول فى الخصائص، فى الباب الذى قصره على هذا المبحث: «هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا؛ غير أن أبا علىّ كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر؛ لكنه – مع هذا – لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به. وإنما هذا التلقيب لنا نحن».

وابن جنى – مع حرصه على اتباع من سبقه وتبجيله لهم – لا يبالى أن يخالفهم إذا تهدى لرأى لم يقولوا به، واستوى له دليله، واستقرت عنده حجته. ومن ذلك ما رآه فى مسألة: «هذا حجر ضب خرب» وهو رأى خالف به السلف.

وقد سن للباحث أن يذهب إلى ما يهتدى إليه بعد أن رأيناه وسوغنا مرتكبه – لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التى قد طال بحثها، وتقدم نظرها، وتتالت أواخر على أوائل،

وأعجازًا على كلاكل، والقوم الذين لا نشك فى أن الله - سبحانه تقدمت أسماؤه - قد هداهم لهذا العلم الكريم، وأراهم وجه الحكمة فى الترحيب له والتعظيم، وجعله ببركاتهم، وعلى أيدى طاعاتهم، خادما للكتاب المنزل، وكلام نبيه المرسل، وعونا على فهمهما، ومعرفة ما أمر به أو نهى عنه الثقلان منهما، إلا بعد أن يناهضه إتقانا، ويثابته عرفانا؛ ولا يخلد إلى سانح خاطره، ولا إلى نزوة من نزوات تفكره».

* * *

عبارته:

اشتهر ابن جنى ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعانى بأحسن وجوه الأداء، وهو يسمو فى عبارته، ويبلغ بها الفصاحة، فى المسائل العلمية الجافة البعيدة عن الخيال ووجوه التطرية. وقد عرفت عنه هذا.

يقول الأيبوردى، فى أبى على أحمد بن محمد المرزوقى: «وهو يتفاصح فى تصانيفه كابن جنى». والمرزوقى أيضا ممن أخذ عن أبى على.

ولابن جنى فى عباراته وجوه فى استعمال بعض المفردات يدونها اللغويون، وينوهون بها كما يدونون ما صدر عن العرب؛ ثقة بطبيعته العربية، وسجيته اللغوية.

فهو يستعمل الأصلية فى معنى التأصل، ويقول فى ذلك صاحب اللسان «أصل»: «واستعمل ابن جنى الأصلية موضع التأصل، فقال: الألف وإن كانت فى أكثر أحوالها بدلا أو زائدا، فإنها إذا كانت بدلا من أصل جرت فى الأصلية مجراه. وهذا لم تنطق به العرب، وإنما هو شىء استعملته الأوائل فى بعض كلامها».

وظاهر أنه يريد بالأوائل قدامى المؤلفين بعد عهد العرب، وأن أول هؤلاء فى الاستعمال ابن جنى، كما يبدو من صدر هذا الكلام.

ويقول فى الخصائص فى «باب فى امتناع العرب من الكلام بما يجوز فى القياس»: «فالعين فى الصحيح اللام إنما غاية أصليتها أن تقع متحركة».

على أن ابن جنى إذ يستعمل الأصلية فى معنى التأصل لم يرتكب بدعًا، وإنما جرى فى هذا على انتهاج المصدر الصناعى، فالأصلية للشىء كونه أصلا، وهذا معنى التأصل.

ويقول المجد صاحب القاموس فى «بغية الرشاف من خطبة الكشاف» عند قول الزمخشرى: أنشأ كتابًا ساطعا بيانه، قاطعا برهانه: «أنشأ لا يستعمل إلا فى الجواهر، وقد تقدم معناه يقال: أنشأ دارًا: أى بناها، وأنشأ الله السحاب: رفعه.

وقال ابن جنى فى تأدية الأمثال على ما وضعت عليه: يؤدى ذلك فى كل موضع على صورته التى أنشئ فى مبدئه عليها. فاستعمل الإنشاء فى العرض الذى هو الكلام».

على أنه قد تند منه بعض الهنات الكلامية التى لا تثلم البلاغة، ولا تغض من شأوه، وفراهة أسلوبه.

فهو يدخل «قد» على الفعل المنفى. ففى «الخصائص ١/٢٠»: «كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره». وهذا لا يجيزه النحويون.

وهو يدخل «ال» على بعض، والنحويون لا يجيزون هذا، وإن جاء ذلك فى عبارة سيبويه والأخفش.

ومن أمثلة هذا ما جاء فى «الخصائص ١/٦٤»: «فلما كان الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض».

ويقول فى «الخصائص ١/٣٦»: «وبذلك تعرف حاله: أصلب هو أم رخو؟ وأصحيح هو أم سقيم؟» وتراه قدم حرف العطف على أداة الاستفهام، وهذا لا يجيزه النحو، والواجب أن يقال: أو صحيح هو أم سقيم؟ وكذلك يقول فى صـ١٥٩: «ثم ألا ترى».

ويقول فى «الخصائص ١/٣٤٨»: «وإنما جاز ذلك فى هذا الموضع لا لشىء يرجع إلى نفس أو، بل لقرينة انضمت من جهة المعنى: أى أو» وهذا أسلوب غير قاصد. فإن «لا» فى قوله: لا لشىء، عاطفة، ولم يتقدم معطوف عليه.

ويقول فى «الخصائص ١/٣٦١»: «لاسيما والأصمعى ليس ممن ينشط للمقاييس» ودخول الواو بعد لاسيما لا يجيزه بعض النحويين، وهو المرادى، وإن أجازه غيره.

* * *

علمه باللغة:

كان ابن جنى واسع الرواية والدراية فى اللغة، ونرى قدرًا صالحا من اللغة مرجعه إلى هذا الإمام.

ومن أمثلة هذا ما جاء فى الخصائص فى باب «فى الشىء يسمع من الفصيح لا يسمع من غيره»، فقد أورد البيت:

مارية لؤلؤان اللون أودها ... طل وبنس عنها فرقد خصر

ثم قال: «وقوله: بنس عنها، هو من النوم». وفى اللسان بنس: «قال ابن سيده: قال ابن جنى: قوله: بنس عنها، إنما هو من النوم، غير أنه إنما يقال للبقرة. ولا أعلم هذا القول من غير ابن جنى».

وفى اللسان فرح: «ورجل فرح، ومفروح، عن ابن جنى».

وقوله: «عن ابن جنى» راجع إلى الصيغتين الأخيرتين كما ذكره فى التاج.

وفى اللسان أيضًا خرفع: «الخرفع، والخرفع، والخرفع - بكسر الخاء وضم الفاء - الأخيرة

عن ابن جنى». وهذا فى الخصائص ١/٦٨.

وكذلك قال فى الضئبل؛ فقد حكى صاحب اللسان عن ابن جنى: الضئبل، بكسر الضاد وضم الباء، وهو ما فى الخصائص فى الموطن السابق.

وفى اللسان: «واستكبر الشىء: رآه كبيرا وعظم عنده، عن ابن جنى».

وهو فى علل العربية وتخريجها وبيان الحكمة فى تصاريفها واستخراج مناسبات الاشتقاق لا يشق له غبار.

على أنه قد يركب متن الشطط والإسراف فى الاشتقاق.

فهو فى باب «فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى» من الخصائص يذكر أن المسك فعل من أمسكت الشىء، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه، ولا يعدل صاحبها عنه.

والمسك فارسى معرب، ذكره الجواليقى فى كتابه «المعرب» وعربيته المشموم كما فى المزهر ١/١٦٦.

ويقول الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على معرب الجواليقى: «لم أجد من ادعى أن المسك معرب غير الجواليقى»، وقد علمت أن المزهر قد عرض لعدة من المعربات، وقد نقله عن الثعالبى.

وفى اللسان مسك: «وقال الجواهرى: المسك من الطيب فارسى معرب. قال: وكانت العرب تسميه المشموم».

وذكر فى الباب السابق للقطعة من المسك، ثم قال: «فقيل له صوار؛ لأنه فعال من صاره يصوره إذا عطفه وثناه. وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يسمه إليه، وليس من خبائث الأرض فيعرض عنه، وينحرف إلى شق غيره» والصوار أيضًا فارسى كما فى اللسان، وإن أهمله الجواليقى.

وفى الباب نفسه يذكر الرطل الذى يوزن به، ويشتقه من ترطل الشعر، وهو فارسى معرب. وقد ذكر فى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة.

وفى هذا الباب يقول: «فلان طفيلى. وذلك أنه يميل إلى الطعام». وهذا – وإن قال بعض اللغويين – غير المشهور المتعارف؛ فإنما الطفيلى منسوب إلى طفيل بن زلال: وهو رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولائم دون أن يدعى إليها، فنسب إليه من يأتى هذا العمل.

* * *

مذهبه الفقهى:

يبدو أن ابن جنى كان حنفى المذهب، فإن لم يكنه، فقد كان له هوى فى هذا المذهب

وانعطاف نحوه. ولا غرو، فهو عراقى يصبو إلى مذهب أهل العراق.

وهو فى ذلك كأغلب نحويى العراق، كالسيرافى الذى كان يقضى على مذهب العراقيين.

وليس لدينا من المصادر ما يقفنا على من أخذ عنه الفقه فى شبيبته. وأحمد بن محمد الموصلى الذى أخذ عنه النحو كان شافعيا، كما يذكر السيوطى فى البغية، وإن لم أقف على ترجمته فى طبقات الشافعية، ولم أقف على تاريخ وفاته.

وانتسابه للحنفية فى الفقه يبدو من قوله فى الخصائص ١/١٦٣: «وكذلك كتب محمد بن الحسن - رحمه الله - إنما ينتزع أصحابنا منها العلل؛ لأنهم يجدونها منثورة فى أثناء كلامه، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق، ولا تجد له علة فى شىء من كلامه مستوفاة محررة. وهذا معروف من هذا الحديث عند الجماعة غير منكور».

وظاهر أنه يريد محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة، وأنه يتحدث عن استخراج العلل الفقهية من كتبه. فقوله: «أصحابنا» يعنى به أتباع أبى حنيفة. ويبدو أن ابن جنى كان ينظر فى كتب الفقه وأصوله كثيرا، وقد احتذى فى مباحث النحو كثيرا من منهج الفقه وأصول الفقه. وكان لهذا معنيا بكتب محمد بن الحسن. وكذلك كان شيخه أبو على معنيا بآثار محمد هذا.

ويقول ابن جنى فى الحديث عن شيخه: «وحدثنى أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين. قال: وكنت قد كتبت ذلك كله بخطى، وقرأته على أصحابنا، فلم أجد من الصندوق الذى احترق شيئًا البتة، إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن».

وفى ثبت كتب ابن جنى عند بروكلمان: «مسألتان من كتاب الإيمان لمحمد بن الحسن الشيبانى»، ويذكر بروكلمان أنه فى الفاتيكان. فهذا لا يدع مجالا للشك فى صلته بمذهب العراقيين فى الفقه.

وتراه ينصر الحنفية على الشافعية. ومن أمثلة هذا ما أورده فى «سر الصناعة» فى حرف الباء: «وأما ما يحكيه أصحاب الشافعى عنه من أن الباء للتبعيض، فشىء لا يعرفه أصحابنا، ولا ورد به ثبت».

وتراه فى «سر الصناعة» فى حرف الواو، ينكر على الشافعية ما يرونه من الترتيب فى غسل أعضاء الوضوء، ويعتمد فى هذا على أن الواو لا تفيد الترتيب. وقد عطف غسل هذه الأعضاء بالواو فى الكتاب. وتراه يحتفل للرد ويفيض فيه أيما إفاضة.

وجاء ذكر الإمام أبى حنيفة فى مبحث الدور من الخصائص ١/٢٠٨؛ وفى هذا الموطن يذكر الجصاص أبا بكر الرازى شيخ الحنفية فى بغداد. وفى صـ٢٠٦ يذكر أبا يوسف صاحب أبى حنيفة.

* * *

مذهبه النحوى:

كانت المذاهب النحوية فى عهد ابن جنى ثلاثة: مذهبان قديمان، وهما البصرى والكوفى. ومذهب حدث من خلط المذهبين والتخير منها. وهو مذهب للبغداديين.

وكان ابن جنى - كشيخه أبى علىّ - بصريا. فهو يجرى فى كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب، وهو ينافح عنه ويذب، ولا يألو فى ذلك جهدا. وتراه فى «سر الصناعة» فى حرف النون، يقول: كما قال الآخر:

أن تهبطين بلاد قو م يرتعون من الطلاح

فهذا على تشبيه «أن» بـ«ما» التى فى معنى المصدر، فى قول الكوفيين. فأما على قولنا نحن فإنه أراد أن الثقيلة، وخففها ضرورة. وتقديره: أنك تهبطين.

وفى «سر الصناعة» أيضًا فى حرف الكاف: «فإذا قلت: أنت كزيد، وجعلت الكاف اسما فلا ضمير فيها؛ كما أنك إذا قلت: أنت مثل زيد، فلا ضمير فى مثل؛ كما لا ضمير فى الأخ ولا الابن، إذا قلت: أنت أخو زيد، وأنت ابن زيد. هذا قول أصحابنا. وإن كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون فى هذا النحو الذى هو غير مشتق من الفعل ضمير؛ كما يكون فى المشتق». ومن الجلى أنه يريد بقوله: «أصحابنا» البصريين.

ولم يدر بخلد ناظر، إن كان ابن جنى كوفيا؛ فهذا ما لم يجر فى الوهم والخيال. ولكن بعض الباحثين طاب له أن يسلك ابن جنى فى عداد البغداديين. وشبهته فى هذا أن سكن بغداد واستوطنها، حتى لقى ربه فيها. وإنما كان مقامه ببغداد بآخرة بعد أن نضج واستقرت إمامته وتأصل عده فى البصريين. والناظر فى كلام ابن جنى من الدلائل ما لا يحصى على هدم هذه الدعوى، ونقضها.

ومن هذا ما سقته عن سرّ الصناعة. وفى هذا الكتاب أيضًا فى حرف الفاء: «وقوى البغداديين: أنا ننصب الجواب على الصرف، كلام فيه إجمال، بعضه صحيح، وبعضه فاسد...». وفيه أيضًا فى حرف الواو: «واعلم أن البغداديين قد أجازوا فى الواو أن تكون زائدة فى مواضع. فأما أصحابنا فيدفعون هذا التأول البتة، و يجيزون زيادة هذه الواو».

على أن الرجل كان منهوما بالعلم يأخذه عن أهله، بصريا كان أو غيره. فهو كثير النقل عن ثعلب والكسائى وأضرابهما، حسن الذكر لهذين الرجلين والثناء عليهما. فهو يقول فى الكسائى - فى الخصائص: «باب فى قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتلطف لا بالإقدام والتعجرف»: «وكان هذا الرجل كبيرا فى السداد والثقة عند أصحابنا».

وهو برىء من العصبية التى تعمى عن الحق، وينحى باللائمة على من ينساق معها، ويمضى فى سبيلها. فتراه يقول فى سرّ الصناعة، فى حرف الهاء: «ورأيت أبا محمد بن درستويه قد أنحى على أحمد بن يحيى فى هذا الموضع من كتابه الموسوم بشرح الفصيح،

وظلمه وعصبه حقه.

والأمر عندى بخلاف ما ذهب إليه ابن درستويه فى كثير مما ألزمه إياه. وما كنت أراه بهذه المنزلة، ولقد كنت أعتقد فيه الترفع عنها. فإن كان من أصحابى، وقائلا بقول مشيخة البصريين فى غالب أمره، وكان أحمد بن يحيى كوفيا قلبا، فالحق أحق أن يتبع، أين حل وصقع».

وقد يرى فى النحو ما هو بغدادى. فتراه يثبت فى ألفاظ التوكيد التابعة لأجمع وأبتع وما تصرف منه، فيقول فى الخصائص ١/٨٣: «ووجه ما ذكرناه من ملالتها الإطالة - مع محبتها بها للضرورة الداعية إليها - أنهم لما أكدوا فقالوا: أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون...».

ويقول الرضى فى شرح الكافية ١/٣٣٦: «وأما أكتع وأخواته، فالبصريون - على ما حكى الأندلسى عنهم - جعلوا النهاية أبصع ومتصرفاته، ولم يذكروا أبتع ومتصرفاته... والبغدادية جعلوا النهاية أبتع وأخواته، فقالوا: أجمع أكتع أبصع أبتع».

ولا يقضى هذا الوفاق للبغداديين أن يكون ابن جنى بغداديا؛ فإن هذه مسألة ترجع إلى السماع، وقد صح عنده هذا، ولكنه باقٍ على أصول البصريين، ولا يرضى لنفسه أن يكون بغداديًا، فهو كثير النيل منهم والتصريح بخلافهم.

* * *

ابن جنى بين النحو والصرف:

كان ابن جنى إماما فى النحو والصرف، وهو على إمامته فيهما فى النحو أمثل منه فى الصرف، كما يذكره الكاتبون لترجمته، وإن كان لا يعرف إلا بالنحوى، فالنحو - بالمعنى العام - ينتظم الصرف.

ومرد نبوغه فى الصرف وتفوقه فيه أن عجزه أمام أبى علىّ كان فى مسألة صرفية؛ كما سبق إيراده، فكان جدّه فى الصرف أكثر وأبلغ من جده فى النحو.

وقد يونس بتخلفه فى النحو، القصة التى يرويها صاحب نزهة الألباء فى ترجمة على ابن عيسى الربعى. وها هى ذى: «اجتمع الربعى وابن جنى يمشيان فى موضع، فاجتاز على باب خربة فرأى فيها كلبا - أى الربعىّ وكان مغرى بقتل الكلاب - فقال لابن جنى: قف على الباب، ودخل. فلما رآه الكلب يريد أن يقتله هرب وخرج، ولم يقدر ابن جنى على منعه. فقال له الربعى: ويلك يا ابن جنى! مدبر فى النحو، ومدبر فى قتل الكلاب!».

ويذكر ابن عقيل فى شرحه للألفية فى مبحث الابتداء أن أبا الفتح سأله ولده عن إعراب بيت أبى نواس:

غير مأسوف على زمن ينقضى بالهم والحزن

فارتبك فى إعرابه.

ومن آرائه النحوية التى لم يتابع فيها تجويزه إظهار متعلق الظرف الواقع خبرا فى الكون العام، نحو زيد عندك زيد عندك. قال ابن يعيش فى شرح المفصل ١/٩٠: «وقد صرح ابن جنى بجواز إظهاره».

ومن هذا أنه فى الخصائص ١/١٠٦، ٣٤٢ يجيز أن يقال: مررت بزيد وعمرا، بعطف عمرا على محل زيد المجرور بالحرف، وهذا لا يجيزه النحويون؛ لأن شرط العطف على المحل عندهم ظهور الإعراب المحلى فى فصيح الكلام. وانظر المغنى فى مبحث العطف من الكتاب الرابع.

ومن آرائه التى خالف فيها اصطلاح النحويين ما يراه فى علل منع الصرف. فهو فى الخصائص ١/١٠٩ يقول: «ألا ترى أن الأسباب المانعة من الصرف تسعة: واحد منها لفظى، وهو شبه الفعل لفظا؛ نحو أحمد ويرمع وتنضب وإثمد وأبلم وبقم وإستبرق. والثمانية الباقية كلها معنوية؛ كالتعريف والوصف والعدل والتأنيث وغير ذلك» واصطلاح النحاة المتأخرين أن المعنوى منها التعريف والوصف، وما عدا هذين لفظى.

ومن آرائه أنه يرى فى بغىّ فى معنى الفاجرة أن زنتها فعيل لا فعول. ويقول الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿**قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا**﴾: «والبغى: الفاجرة التى تبغى الرجال. وهى فعول عند المبرد: بغوى، فادغمت الواو فى الياء. وقال ابن جنى فى كتاب التمام: هى فعيل. ولو كانت فعولا لقيل: بغو؛ كما قيل: فلان نهو عن المنكر».

* * *

شعره:

كان لابن جنى شعر. ويقول ابن الأثير وابن ماكولا: «وله شعر بارد». وكأن أساس هذا الحكم منهما أن ابن جنى كان يتعاطى فى شعره الغريب والمعقد من الأساليب، وأنه لم يكن يعنى بالشعر، فقد كان همه العلم، وكان غناه به، وكانت به حظوته عند الملوك وذوى السلطان، فلم يكن يحتاج إلى الشعر يسمتيح به.

ويقول الثعالبى: «وكان الشعر أقل خلاله، لعظم قدره وارتفاع حاله».

وابن الجوزى أحسن رأيا فيه، فهو يقول: «وكان يقول الشعر ويجيد نظمه»، وكذلك من قبله الخطيب فى تاريخ بغداد يقول المقالة السالفة.

وقد كان ابن جنى - لما أسلفت - مقلا من الشعر، غير مشهور به. ويقول الباخرزى فى

الدمية: «وما كنت أعلم أن له القريض، حتى قرأت له مرثية فى المتنبى...».

على أنه يقع له من الشعر ما يأخذ بالقلوب، ويأسر الألباب.

وشعره فيما يمسه، من فقد حبيب أو غزل فيه، أو فخر بعلمه ومآثره. ولا نرى له شعرا فى مدح ملك إلا لماما.

ومن شعره مرثيته فى المتنبى التى بها الباخرزى. وفيها يقول:

غاض القريض وأودت نضرة الأدب ... وصوّحت بعد رى دوحة الكتب
سلبت ثوب بهاء كنت تلبسه ... كما تخطف بالخطية السلب
ما زلت تصحب فى الجلى إذا انشعبت ... قلبا جميعًا وعزما غير منشعب
وقد حلبت لعمرى الدهر أشطره ... تمطو بهمة لا وان ولا وصب
من للهواجل يحيى ميت أرسمها ... بكل جائلة التصدير والحقب
قباء خوصاء محمود علالتها ... تنبو عريكتها بالحلس والقتب

وترى من هذا ميله للغريب.

وله فى الغزل:

غزال غير وحشى ... حكى الوحشى مقلته
رآه الورد يجنى الور ... د داود فاستكساه حلته
وشم بأنفه الريحا ... ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريحه الصهبا ... ء فاختلِستْه نكهته

وهو شعر يسيل من الرقة، كما ترى.

وله فى الغزل أيضًا:

تجبب أو تدرع أو تقبا ... فلا والله لا أزداد حبا
أخذت ببعض حبك كل قلبى ... فإن رمت المزيد فهات قلبا

تجبب، أى البس الجبة، وتدرع: البس المدرعة - وهى ثوب من صوف - وتقبا، أى البس القباء. ويقع هذان البيتان فى كثير من الكتب محرفين.

وله فى الحنين إلى الشباب وبكاء عهده الناضر:

رأيت محاسن ضحك الربيـ ... ـع طال عليها بكاء السحاب
وقد ضحك الشيب فى لمتى ... فلم لا أبكى ربيع الشباب
أأشرب فى الكأس كلا وحاشا ... لأبصره فى صفاء الشراب

ترى فى هذا معنى بديعا، فهو يتجنب الشرب فى الكأس خشية أن يرى فى صفائها شيبه، فتناله الحسرة ويأخذ الجزع.

وله قصيدة طويلة يفخر فيها، مطلعها:

وحلو شمائل الأدب ... منيف مراتب الحسب

أخـــى فخـــر مفــاخرة عقـــائل عقلـــة الأدب
لـــه كلـــف بمـا كلفـــت بــه العلمـــاء ملعـــرب

وقد أورد له الثعالبى فى اليتيمة:

أيا دارهم ما أنـت أنت مـذ انتووا ولا أنـا مـذ سار الركـاب أنـا أنـا
وجنـود المنـى ألا يكـاثر بـالمنى ونيـل الغنـى ألا يكـاثر بـالغنى
ومن كان فى الدنيا أشد تضـورا يجده عن الدنيـا أشـد تصونـا

ومما أذكره فى هذا الموطن أن صاحب تاريخ الموصل أورد من شعره:

شـواهد عينـاى أنـى بهـا بكيـت حتـى ذهبـت واحـدة
وأعجـب الأشيـاء أن التـى قد بقيت فى صحبتى زاهـدة

وهذا شعر لأبى الحسن على بن منصور أورده لـه ابـن خلكـان فـى ترجمة ابـن جنـى فـى صدد الكلام على شعره الذى يذكر فيه عوره، على ما سلف.

* * *

وفاته:

بلغ ابن جنى المنهل الذى يرده كـل مـن علـى ظهرهـا، ورحـل عـن هـذه الحياة فـى يـوم الخميس السابع والعشرين من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. ويكاد الـرواة يجمعـون علـى سنة وفاته، إلا ما كان من ابن الأثير فى تاريخه، فهو يضع وفاته سنة ٣٩٣، وتبعـه علـى هـذا أبو الفداء فى المختصر.

ويبدو أن وفاته كـانت ليـلا، أى ليلـة الجمعـة. ففـى فهرسـت ابـن النديـم: «توفـى ليلـة الجمعة».

وفى «ديوان الشريف الرضى» عند إيراد مرثيته فى ابن جنى: «وتوفى ببغداد ليلة الجمعة».

وفى «الديوان» أيضا فى الموطن السابق: «وتـولى الصـلاة عليـه الشـريف الرضـى؛ وكـان بينهما صداقة وكيدة».

وقد كانت وفاته ببغداد، حيث استقر فى آخر أيامه. ودفـن فـى مقابرهـا، ولا أدرى فـى أيها دفن، ودفن أبو علىّ أستاذه فى الشونيزية، فهل دفن فيها بجوار شيخه.

وقد رثاه الشريف الرضى بقصيدة عامرةِ عدتها تسـعة وخمسـون بيتـا، مثبتـة فـى ديوانـه، يقول فى أولها:

ألا يـالقوم للخطـوب الطـوارق وللعظـم يرمـى كـل يـوم بعـارق
وللدهـر يعرى جانبى مـن أقـاربى ويقطـع مـا بينـى وبـين الأصـادق
وللنفس قد طارت شعاعا من الجـوى لفقـد الصفايـا وانقطـاع العلائـق
لهـا كـل يـوم موقـف مـن مـودع وملتـف فـى عقـب مـاض مفـارق
نجوم من الإخوان يرمى بهـا الـردى مغاربها فـوت العيـون الروامـق

ويقول بعد توجع كثير:

لتبك أبا الفتح العيون بدمعها ... والسنا من بعدها بالمناطق
إذا هب من تلك الغليل بدامع ... تسرع من هذى الغرام بناطق
شقيقى إذا التاث الشقيق وأعرضت ... خلائق قومى جانبا عن خلائقى

* * *

كتبه:

لقد خلف ابن جنى كتبا حسانا تدل على فضله الجم الغزير. وقد تخير لها أسماء حسانا كذلك، حتى ليقال إن الشيخ أبا إسحاق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦هـ وأستاذ المدرسة النظامية قد سمى بعض كتبه بأسماء كتب لابن جنى؛ وذلك أن لأبى إسحاق المهذب والتنبيه فى الفقه، فقه الشافعية، واللمع والتبصرة فى أصول الفقه. وهذه أسماء كتب لابن جنى، كما سيأتى إيراده.

ولقد كتب ابن جنى إجازة بكتبه لبعض الآخذين عنه فى سنة ٣٨٤هـ، أى قبل موته بنحو ثمانى سنوات. وذكر فيها ما يأتى:

١ - «الخصائص». وهو مطبوع.

٢ - «التمام». وهو تفسير ما أغفله السكرى من أشعار الهذليين. ويبلغ - على حسب ما يذكر المؤلف أن حجمه خمسمائة ورقة - نحو نصف الخصائص. وشرح السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ. وجاء ذكر هذا الكتاب بعنوان «كتابنا فى شعر هذيل» فيها ١/١٥١. وجاء ذكره بعنوان «التمام» فى الخزانة ٣/١٥٣. ولم أقف عليه فى كشف الظنون. ولا يعلم له وجود فى مكتبات العالم.

٣ - «سر الصناعة». وهذا الكتاب نسخه الخطية كثيرة. ويقوم بعض الأساتذة بتحقيقه وتهيئته للطبع. وقد أورده صاحب كشف الظنون، وذكر أن عليه حاشية لأبى العباس أحمد بن محمد الإشبيلى المعروف بابن الحاج المتوفى سنة ٦٤٧هـ.

٤ - «تفسير تصريف المازنى». ويسمى «المنصف». وفى الخزانة ١/٥٠٥ «قال ابن جنى فى المنصف، وهو شرح تصريف المازنى» وقد عرض لهذا الكتاب صاحب كشف الظنون تحت اسم «تصريف المازنى»، فقد قال: «وشرحه أبو الفتح عثمان بن جنى».

وقد يحرف «المصنف» إلى المنصف. وقد يظن أنه كتاب آخر غير شرح تصريف المازنى. والمنصف كـ«سر الصناعة» كثير النسخ المخطوطة.

٥ - «شرح مستغلق أبيات الحماسة، واشتقاق أسماء شعرائها». ويبدو أن هذا كان كتابا واحدًا، ثم جعله بعد كتابين: الأول «التنبيه على مشكل أبيات الحماسة». والآخر «المبهج فى أسماء شعراء الحماسة». والأول يوجد منه نسخ خطية. وجاء ذكره فى الخزانة ١/٢٩، ٩٧ باسم «إعراب الحماسة». وقد طبع المبهج. ونقل عنه فى الخزانة ٢/٢٦٤.

٦ - «شرح المقصور والممدود لابن السكيت». ولم أقف على شيء يتعلق به.

٧ - «تعاقب العربية». يقول السيوطى فى الأشباه والنظائر النحوية ١/١٣٢: «وقد ألف ابن جنى كتاب التعاقب فى أقسام البدل والمبدل منه، والعوض والمعوض منه. وقال فى أوله: اعلم أن كل واحد من ضربى التعاقب - وهما البدل والعوض - قد يقع فى الاستعمال موقع صاحبه. وربما امتاز أحدهما بالموضع دون رسيله، إلا أن البدل أعم استعمالا من العوض».

وجاء ذكره فى الخصائص ١/٢٦٤، ٢٦٦ وفى الخزانة ٧/٢٠١ وأورده فى كشف الظنون.

٨ - «تفسير ديوان المتنبى الكبير». ويسمى الفسر. ويذكر المؤلف أنه ألف ورقة ونيف، فهو أكبر من الخصائص.

ويذكر صاحب كشف الظنون أنه فى ثلاث مجلدات.

ويذكر بروكلمان أن الثانى منه يوجد فى الأسكوريال، وأنه يوجد منه نسخة فى المتحف الأسيوى فى بطرسبرج. ولأبى سهل محمد بن الحسن الزوزنى استدراك على هذا الكتاب باسم: «قشر الفسر» السابق ذكره.

٩ - «تفسير معانى ديوان المتنبى». وهو شرح ديوان المتنبى الصغير. ويوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب.

١٠ - «اللمع فى العربية». يقول عنه فى كشف الظنون: «جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسى» منه نسخ خطية بدار الكتب، وهذا الكتاب عليه شروح كثيرة. يوجد معظمها فى المكتبات مخطوطا.

١١ - «كتاب مختصر التصريف». ويبدو أنه هو المعروف بالتصريف الملوكى، وقد طبع، وعليه شرح لابن يعيش. ويوجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب.

١٢ - «كتاب مختصر العروض والقوافى». ذكر بروكلمان كتابين: الأول مختصر العروض، ويقول: إنه يوجد فى مكتبة برلين وفى المتحف البريطانى، وفى ليدن. والثانى مختصر القوافى، وقال: إنه فى الأسكوريال. وكأنهما الكتاب السابق جعلا كتابين فيما بعد.

١٣ - «كتاب الألفاظ المهموزة». ذكر بروكلمان من كتبه «ما يحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود، وعقود الهمز وخواص أمثلة الفعل، وقال: إن هذين الكتابين طبعا مع المقتضب.

١٤ - «كتاب المقتضب». وهو فى اسم المفعول المعتل العين من الثلاثى. وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة مع الكتابين السابقين.

١٥ - «تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب». ويذكر ابن جنى فى إجازته أنه لم يكن أتمه.

١٦ - «المحاسن فى العربية» يذكر المؤلف حين كتب الإجازة أنه فقد منه، وأن الحوادث أزالت يده عنه. وقد أورده فى كشف الظنون.

١٧ - «النوادر الممتعة» ويذكر المؤلف فى إجازته أنه فقد منه أيضًا. وقد جاء ذكره فى الخصائص ١/٣٨٢.

١٨ - «الخاطريات». ويذكره المؤلف هكذا: «ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة، مما أمللته أو حصل فى آخر تعاليقى عن نفسى، وغير ذلك مما هذه حاله وصورته» وقد نقل عنه فى الخزانة ٢/٤٧٠، ٤/١٠. وورد فى كشف الظنون تحت اسم «الخاطرات».

وهذه هى الكتب التى وردت فى الإجازة. وأورد ياقوت كتبا أخرى ويبدو أنه ألفها بعد الإجازة. وهى.

١٩ - «كتاب المحتسب فى شرح شواذ القراءات». ومنه مخطوطات كثيرة فى مكتبات العالم.

٢٠ - «تفسير أرجوزة أبى نواس». ويبدو أنها أرجوزته فى الطرد.

٢١ - «تفسير العلويات». ويقول ياقوت: «وهى أربع قصائد للشريف الرضى، كل واحدة فى مجلد. وهى قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة أولها:

ألقى الرماح ربيعة بن نزار   أودى الردى بقريعك المغوار

ومنها قصيدته التى رثى بها الصاحب بن عباد وأولها:

أكذا المنون تقطر الأبطالا   أكذا الزمان يضعضع الأجبالا

وقصيدته التى رثى بها الصابى أولها:

أعلمت من حملوا على الأعواد   أرأيت كيف خبا زناد الوادى

ولا يذكر ياقوت القصيدة الرابعة.

وفى فهرست ابن النديم ١٢٨: «كتاب تفسير المراثى الثلاث، والقصيدة الرائية للشريف الرضى» ويبدو أن المراثى الثلاث هن ما ذكر ياقوت فيما سلف، فأما الرائية فيبقى البحث عنها.

٢٢ - «كتاب البشرى والظفر». يقول ياقوت: «صنعه لعضد الدولة - ومقداره خمسون ورقة - فى تفسير بيت من شعر عضد الدولة:

أهلا وسهلا بذى البشرى ونوبتها   وباشتمال سرايانا على الظفر

٢٣ - «رسالة فى مد الأصوات ومقادير المدات». يقول ياقوت: «كتبها إلى أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبرى، مقدارها ست عشرة ورقة، بخط ولده».

٢٤ - «كتاب المذكر والمؤنث». يذكر بروكلمان أنه نشر فى مجلة الشرق الأوسط جـ٨ صـ١٩٣ - ٢٠٢. وهذا غير الكتاب السالف الذكر: «تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب».

٢٥ - «كتاب المنتصف». ويبدو أن هذا تحريف عن «المنصف» وهو شرح تصريف المازنى كما سبق الكلام عليه: وقد وقع فى هذا الخطأ - فيما أحسب - صاحب كشف الظنون، وهو عند ابن خلكان: «المنصف».

٢٦ - «كتاب مقدمات أبواب التصريف». والراجح أن هذا هو مختصر التصريف الذى سبق الكلام عليه واستظهار أنه التصريف الملوكى.

٢٧ - «كتاب النقض على ابن وكيع فى شعر المتنبى وتخطئته». وابن وكيع هو أبو محمد

الحسن بن على التنيسى الشاعر المشهور. ذكره ابن خلكان، وذكر أن له كتابًا بين فيه سرقات المتنبى، سماه المنصف. ويبدو أن كتاب النقض لابن جنى فى نقد كتاب السرقات هذا.

٢٨ - «المعرب فى شرح القوافى». وقد يصحف فى بعض المواطن بالمغرب. وهو تفسير قوافى أبى الحسن الأخفش. وجاء ذكره فى الخصائص ٨٤/١، وكذا فى «باب فى اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فى الحروف والحركات والسكون»، وفى الخزانة ٣٣١/٢، وفى المخصص ١٣/١.

٢٩ - «كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام».

٣٠ - «كتاب الوقف والابتداء». ويبدو أنه فى أحكام الوقف والابتداء النحوية، وليس فى أحوال الوقف والابتداء القرآنية. كما يشتهر فيه هذان الاسمان، كالوقف والابتداء لابن الأنبارى وغيره.

٣١ - «كتاب المعانى المحررة».

٣٢ - «كتاب الفرق».

٣٣ - «كتاب الفائق».

٣٤ -«كتاب الخطيب». ويبدو أنه جعله للخطب المنبرية وغيرها. وقد أورد ياقوت فى ترجمته خطبة نكاح.

٣٥ - «كتاب الأراجيز».

٣٦ - «كتاب ذى القد». ورد ذكره فى الخزانة ١٢٩/٢، وفى هامشها: «جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسى. من هامش الأصل».

ويبدو أن «ذا» فى «ذى القد» بمعنى صاحب، فمن ثم جاءت الياء فى عنوان الكتاب لوقوعها مجرورة.

«وقال السيوطى فى شرح أبيات المغنى: ونقل ابن جنى فى ذى القد عن أبى على...» ويعارض هذا ما جاء فى مقدمة الإتقان فى عد الكتب التى اعتمد عليها: «وذا القد» وهو مرفوع فى كلامه.

وكذلك فى الخزانة فى المواطن السابق: «وهذا البيت نسبه ابن جنى فى كتاب ذا القد لبعض العرب» ومقتضى هذا أن «ذا» اسم إشارة. وفى «التصريح شرح التوضيح» فى مبحث ألف التأنيث: «وحلكى - بالحاء المهملة - لدويبة. قال أبو على الفارسى: هى مقصورة. حكاه عنه ابن جنى فى».

٣٧ - «شرح الفصيح». والفصيح لثعلب. وذكر فى كشف الظنون تحت اسم: «الفصيح» من شروحه، شرح ابن جنى.

٣٨ - «كتاب شرح الكافى فى القوافى». فى كشف الظنون: «كافى فى شرح القوافى للأخفش لابن جنى» ويبدو أنه شرح آخر غير المعرب الذى سبق الكلام عليه.

ومما لم يذكره ياقوت ما يلى:

٣٩ - «التلقين فى النحو». ذكره الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٣١١/١١، وابن خلكان.

٤٠ - «التذكرة الأصبهانية» ذكره ابن خلكان.

٤١ - «التهذيب». وهو تهذيب أبى على، عن ابن خلكان.

٤٢ - «المهذب». ذكره ابن خلكان.

٤٣ - «التبصرة». ذكره ابن خلكان.

٤٤ - «كتاب الزجر». يقول فى الخصائص فى آخر «باب فى هذه اللغة أفى وقت واحد وضعت أن تلاحق تابع منها بفارط»: «وقد كنت حضرتنى وقتا فيه نشطة، فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف فى كتاب ثابت فى الزجر».

٤٥ - «مسألتان من كتاب الأيمان لمحمد بن الحسن الشيبانى». ذكره بروكلمان، وقال: إنه يوجد فى الفاتيكان.

٤٦ - «علل التثنية». ذكره بروكلمان، وقال: إنه يوجد فى ليدن.

٤٧ - «المسائل الواسطية». فى ياقوت فى ترجمة على بن عيسى الربعى: «حكى أبو غالب بن بشران النحوى الواسطى، قال: ورد أبو الفتح بن جنى عثمان إلى واسط. ونزل فى دار الشريف أبى على الجوانى نقيب العلويين، وكنا نتردد إليه ونسأله، ويملى علينا مسائل سماها الواسطية».

٤٨ - «كتاب شرح الإبدال ليعقوب». يقول فى الخصائص فى «باب فى الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه»: «ونحن نعتقد إن أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والإبدال».

وفى ختام سرد كتب ابن جنى أذكر أن بعض الكاتبين لحياته ذكر له كتاب «مفردات القراء السبعة». وهذا الكتاب ليس لابن جنى، وإنما هو لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى. وقد جاء الاشتباه من توافقهما فى الاسم «عثمان».

* * *

أما المحتسب الذى هو موضوع عملنا هذا

فقد قام ابن مجاهد على رأس المائة من الهجرة بتأليف كتابه: «القراءات السبعة»، وفيه قسَّم القراءات إلى شاذة وغير شاذة، وغلب وصف الشاذ على ما عدا القراءات السبع.

ثم بدا لأبى على الفارسى أن يحتج مدافعًا عن «القراءات السبع» فألَّف كتابه «الحجة».

ثم كان منه أن فكر بعض الوقت فى تأليف كتاب مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة، بل إنه فيما يقول ابن جنى فى «مقدمة المحتسب» عراضًا لجهد شيخه أبى علىٍّ فى هذا المضمار: «قد

هَمّ أن يضع يده فيه ويبدأ به، فاعترضت خوالج هذا الدهر دونه، وحالت كَبَواته بينه وبينه».

و لأَجل هذا تجرد ابن جنى للقراءات الشاذة علّه يمكنه النيابة عن شيخه فى الاحتجاج لها، وتأدية حقها عليه، كما أدى شيخه حق القراءَات غير الشاذة عليه؛ إذ كانت دواعى الاحتجاج للنوعين ثابتة، والاستجابة لها لازمة، بل لعل دواعى الاحتجاج للشاذ أثبت، والاستجابة لها ألزم.

يقول فى «مقدمة المحتسب» شارحًا غرضه المرجو فى الاحتجاج للشاذ: «... غرضنا منه أن نُرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذا، وأنه ضارب فى صحة الرواية بجِرانه، آخذ من سَمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرَى مرى أن العدول عنه إنما هو غض منه أو تهمة له».

وقال فى موضع آخر منها، يبين رأيه فى الشاذ ومكانه عند الله: «... إلا أننا وإن لم نقرأْ فى التلاوة به؛ مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع فى القراءة كل جائز رواية ودارية، فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًا، وأَنه مما أَمر الله تعالى بتقبُّله، وأَراد منا العمل بموجبه، وأَنه حبيب إليه، ومرضى من القول لديه».

وزاد من رغبته في الإقبال على الشاذ والاحتجاج له أن أحدا من أصحابه لم يتقدم للاحتجاج له على النحو الذى يريد.

قال: «فإذا كانت هذه حاله عند الله... وكان مَن مضى من أَصحابنا لم يضعوا للحِجَاجِ كتابا فيه، ولا أَولَوه طرفًا من القول عليه، وإنما ذكروه مرويًّا مسلمًا، مجموعًا أو متفرقًا، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنع فيه... حسُن بل وجب التوجه إليه، والتشاغل بعمله، وبسط القول على غامضه ومشكله».

وهكذا أصبح كتاب «المحتسب فى الاحتجاج لشواذ القراءات»، الذى أَلفه أَبو الفتح عثمان بن جنى، ضرورة مُلِحْة على كاتبه إمام العربية، رغم علو سنه آنذاك.

قال الشريف الرضى: كان شيخنا أبو الفتح النحوى عمل فى آخر عمره، كتابا يشتمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ.

وَقال أبو الفتح فى مقدمة المحتسب: «وإن قصرت أَفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك بنا، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أَسباب الحياة لنا، فإذا انقضت علائق مُددنا، واستوفى ما فى الصحف المحفوظة لديك من عَدد أَنفاسنا، واستؤنفت أَحوال الدار الاخرة بنا، فاقلبنا إلى كنز جنتك التى لم تخلف إلا لمن وسع ظلُّ رحمتك».

وهذا كلام قلما يقوله إلا امرؤ غلب عليه التفكر فى الآخرة، واستبد به حبُّ التزود لها؛ لأنه يشعر أن منيته قد دنت، وأن حياته قد آذنت بزوال، فهو يتخضع لله، ويبتغى إليه الوسيلة؛ عسى أن يثيبه الله مغفرة منه ورضوانا.

وربما كانت تسمية الكتاب «المحتسب» مرجعها أنه يحتسب أجره على هذا الكتاب عند

الله سبحانه وتعالى، وهو نعم المثيب على الأعمال، وهو أعظم من يؤجر على فضائل الأفعال،ولهذا اختار أن يدل باسمه على الغرض الذى يريده بـه، لا على الموضع الذى يريده عليه.

ومنهج المحتسب كمنهج الحجة، لا يكاد يخالفه إلا بمقدار ما تقتضيه طبيعة الاحتجاج لقراءة الجماعة والقراءة الشاذة، فأبو الفتح يعرض القراءة، ويذكر من قرأ بها، ثم يرجع فى أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهدًا فيرويه، أو نظيرًا فيقيسها عليه، أو لهجة فيردها إليها ويؤنسها بها، أو تأويلا أو توجيها فيعرضه فى قصد وإجمال، أو تفصيل وافتنان على حسب ما يقتضيه المقام، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأى فى القراءَة.

وهو فى الجملة آخذ بها، مطمئن إليها، وربما وقع فى نفسك من كثرة ما عدد من خصائصها واستخرج من لطائفها، أنه يؤثرها ويحكم لها على قراءَة الجماعة، كما فى الاحتجاج لقراءَة الحسن: «اهْدِنا صراطا مستقيما» وإن هو لم يجد للقراءَة وجها يسكن إليه، إما لشذوذه فى اللغة، وإما لحاجته فى الاحتجاج إلى ضرب من التكلف والاعتساف، لم يتخرج أن يردها أو يضعف القراءَة بها، لا يكاد يأْخذها هى نفسها بهذا أو ذاك، ولكن يأْخذ به الوجه الذى يتجه بها إليه، فهو أخْذ غير مباشر ولا صريح.

فقال مثلا فى الاحتجاج لقراءَة ابن مُحَيْصِن: «ثم أَطَّرُّه إِلى عذاب النار» بإدغام الضاد فى الطاء: هذه لغة مرذولة.

وقال فى الاحتجاج لقراءة أَبى جعفر يزيد: «لِلْملائكةُ اسجدوا» بضم التاءِ: «هذا ضعيف عندنا جدًّا».

وليس عجيبًا ولا منكورًا أن يتشابه الكتابان فى المنهج على هذا النحو؛ فموضوعهما واحد، وصاحب الحجة أُستاذ لصاحب المحتسب، ووحدة الموضوع تستدعى تشابهًا فى علاج مسائله، وللأُستاذ فى تلميذه تأْثير، وللتلميذ فى أُستاذه قدوة.

ولهذا كان «المحتسب» كما كان «الحجة» معرضًا حافلا، يزخر بكثير من الشواهد والتوجيهات، وألوان من الآراءِ والبحوث اللغوية والصوتية التى تدل على الغزارة والتمكن، وعلى شمول الإحاطة، ودقة الملاحظة، وبراعة القياس، وصحة الاستنباط.

وليس هذا بكثير على أبى الفتح، ولا هو مما يتعاظمه، فذلك دأْبه فى كل ما عرفنا له من كتب، ثم هو بعدَ هذا قد ألف المحتسب فى آخر حياته كما سبق، أى حين استفاضت تجاربه، واستحصدت ملكاته، وبلغت معارفه غاية ما قدر لها من نضج واكتمال.

على أن ابن جنى كان يأخذ على الحجة أن الشيخ أبا على قد أغمضه وأطال الاحتجاج فيه حتى عيّ به القراء، وجفا عنه كثير من العلماء.

قال فى مقدمة المحتسب: «فتجاوز فيه قدْر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماءِ».

وقال في الاحتجاج لقراءة: «تماما على الذى أحسنُ»: وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة، فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرًا ممن يدعى العربية فضلا عن القرأة وأجفاهم عنه.

فلم يشأ أن يكون في المحتسب كما كان شيخه من قبله في الحجة، لهذا لا تراه يكثر مثله من الشواهد، ولا يمعن إمعانه في الاستطراد، ولا يغمض إغماضه في الاحتجاج. وهو يذكر هذا وينبه علَيه في مواطن شتى من الكتاب.

فيقول في الاحتجاج لقراءَة: «لا تَنْفع نَفْسا إِيمانُها»: «والشواهد على ذلك كثيرة، لكن الطريق التى نحن عليها مختصرة قليلة قصيرة».

ويقول في الاحتجاج لقراءَة: «فأَكثرْتَ جدَلنا»: «ولولا أَن القراءَ لا ينبسطون في هذه الطريق لنبهت على كثير منه، بل إذا كان منتحلو هذا العلم والمترسمون به قلما تُطوع طباعهم لهذا الضرب منه... فما ظنك بالقراء لو جُشموا النظر فيه والتقرى لِعَزْوره ومطاويه؟».

ولعِزوف ابن جنى عن الإسهاب والإمعان في الاستطراد في مقدمة المحتسب يفضل كتاب أبي حاتم السجستاني في الشواذ على كتاب قطرب «من حيث كان كتاب أبى حاتم مقصورًا على ذكر القراءات، عاريًا من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التى انحط قطرب فيها وتناهى إلى متباعد غاياتها».

على أن أبا الفتح عثمان بن جنى لم يلتزم الاقتصاد في الاستشهاد في كل مقام، ولاسيما حين تكون القراءة غريبة، يدعو ظاهرها إلى التنكر لها والتعجب منها.

فقد استشهد في قراءَة: «اهدنا صراطًا مستقيما» بعشرة شواهد، بعضها من شعر المولدين.

واحتج لقراءَة: «ولا أَدْرأْتُكم به» فأَطال الاحتجاج ما شاء الله أن يطيل، ثم ختمه بقوله: وهذا وإن طالت الصنعة فيه أَمثل من أن تُعطَى اليد بفساده.

وعبارة المحتسب مرسلة متدفقة، فيها طلاوة بادية، وعليها مسحة ملازمة من عذوبة الفن وأَناقته، مبسوطة في غير حشو ولا فضول، يشيع فيها الازدواج، ويطول الفصل، جزلة الأَلفاظ، لا تخلو أَحيانًا من بعض الغريب الذى يحتاج في الكشف عن معناه الذى يقتضيه المقام إلى فضل تأَول وإِمعان.

أَما شواهد المحتسب فكثيرة، لكن يشيع فيها التكرار، لتكرر مقتضيات الاستشهاد بها، وجملتها من الشعر، وفيها قليل من حديث الرسول وكلام البلغاء والأَمثال السائرة. وطريقته في إِيراداها لا تخالف طريقة العلماءِ الآخرين، فهو ينسب بعضها ولا ينسب بعضها الآخر، ويرويها في أكثر الأَمر أَبياتًا كاملة، وفي أَقله أَجزاء الأَبيات يبلغ أَحدها شطر البيت وقد يقل عنه أَو يزيد عليه. وربما روى الشاهد مع بعض صلته، فإذا هو معها بضعة أَبيات.

وأَكثر شواهده مما يتردد في كتب اللغة وعلومها، وبينها طائفة من أَشعار المولدين، يأتى

بها للاستئناس والتمثيل، أو لإيضاح المعنى وتأييده.

قال: وقد روى بيتا للمتنبى فى أقناءِ الاحتجاج لقراءَة: «ولِيَلْبَسوا عليهم دِينهم»، بفتح الباءِ: «ولا تقل ما يقوله من ضعفت نحيزته وركتْ طريقته: هذا شاعر محدث، وبالأمس كان معنا، فكيف يجوز أن يُحتج به فى كتاب الله -جل وعز - فإن المعانى لا يرفعها تقدم، ولا يُزرى بها تأخر. أما الألفاظ فلعمرى إن الموضع معتبر فيها».

* * *

مصادر المحتسب:

يوضح ابن جنى فى مقدمة «المحتسب» أنه استند فى كتابه الذى بين أيدينا إلى ضربين من المصادر التى اعتبرها جديرة بالركون إليها والثقة فيها:

الأول: كتب يأْخذ منها ويستند إلى بعض ما ورد فيها من علم أصحابها.

والآخر: روايات صح لديه الأَخذ بها.

فأَما الكتب فهى:

١ - كتاب أبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذى وضعه لذكر الشواذ من القراءة.

٢ - كتاب أبى حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستانى.

٣ - كتاب أبى على محمد بن المستنير قطرب.

٤ - كتاب المعانى للزجاج.

٥ - كتاب المعانى للفراء.

وأما ما صح عنده الأخذ به مما يرويه عن غير فيقول عنه: «لانألو فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحرى الصحة فى روايته».

وقد نقل عن طائفة من رواة اللغة وعلمائها، وسنقصر الكلام على نقله عمن يبدو أثرهم فى الكتاب ويكثر ذكرهم فيه.

ولم يكن ابن جنى يتقبل كل ما ينقله أو يأخذه على ما خيلت، ولكنه كان ينظر فيه وينقده، فى تطلف ورفق حينا، وفى قوة وعنف حينا آخر، صريحا واضحا وحُرًّا مستقلا، وعادلا منصفًا فى كل حين، ينشد الحقيقة وينزل على حكمها أَنَّى تكون.

لقد نقل عن سيبويه واستشهد بكثير من شواهده، فوافقه وخالفه، وربما جاوز الوفاق إلى الدفاع، وجاوز الخلاف إلى الإنكار والملام.

ويظهر ذلك واضحًا جليًّا فى الاحتجاج لقراءة: «ويُعَلِّمْهم الكِتابَ» بسكون الميم، فقد أَورد قول امرئ القيس:

فاليوم أَشربْ غير مستحقِب إثمًا من الله ولا واغل

ثم قال: «وأَما اعتراض أَبى العباس هنا على الكتاب، فإنما هو على العرب لا على صاحب الكتاب؛ لأَنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن فى الوزن أيضا غيره. وقول أَبى العباس: إنما الرواية

فاليوم فاشرب، فكأنه قال لسيبويه: كذبتَ على العرب، ولم تسمع ما حكيت عنهم! وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرَف فقد سقطت كلفة القول معه».

وكما فى الاحتجاج لقراءَة عيسى بن عمر: «على تقوًى من الله» بالتنوين، فقد روى أن سيبويه سئل عن وجه التنوين هنا، فقال: لا أدرى، ولا أعرفه.

وقال ابن جني يبين الوجه: «وأما التنوين فإنه وإن كان غير مسموع إلا فى هذه القراءَة، فإن قياسه أن تكون ألفه للإلحاق لا للتأنيث... وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف فى قياس ذلك، وألا يقول: لا أدرى... فأما أن يقول سيبويه: لم يقرأ بها أحد فجائز، يعنى فيما سمعه. لكن لا عذر له فى أن يقول: لا أدرى».

ونَقل عن شيخه أبى على الفارسى، فروى مما أنشده إياه من شواهد، وما أخذه عنه من أُصول، وما انتهيا إليه من رأى فى المسائل التى دار بينهما فيها حوار ومساءَلة، يعرض كل أُولئك فى صراحة وأمانة، ثم يختم النقل ويعقب عليه بما قد يكون عنده من مزيد، فتراه مثلا يقول:

أنشدنا أبو على...، أو: حدثنى أبو على، أو: وهذا أخذناه عن أبى على. ثم يقول: هذا آخر الحكاية عن أبى على، وينتقل إلى إضافة ما يريد أن يضيف، مما يستقل به من رأى. فتراه مثلا يقول: «ينبغى أن يُعلم ما أذكر»، أو: «وفيه عندى شىء لم يذكره أبو على ولا غيره من أصحابنا»، أو: «ووجه ذلك عندى ما أذكره». أو نحو ذلك مما يتردد كثيرًا فى مواضع مختلفات من المحتسب.

ونقل عن الكسائى فأعجب به وأنكر عليه، ففى الاحتجاج لقراءة: «وما يُخدَعون إلا أنفُسَهم» بضم الياء وفتح الدال يقرر أنها جاءَت «على خدعَتْه نفسه؛ لما كان معناه معنى انتقصته نفسه أو تخونته نفسه.

ورأيت أبا على يذهب إلى استحسان مذهب الكسائى فى قوله:

إذا رضِيت علىَّ بنو قُشير   لعمر الله أعجبنى رضاها

لأنه قال: عدى رضيت بـ«على» كما يعدى نقيضها وهى سخطت به، وكان قياسه رضيت عنى، وإذا جاز أن يجرى الشىء مجرى نقيضه، فإجراؤه مجرى نظيره أسوغ، فهذا مذهب الكسائى وما أحسنه!.

وفى الحديث عن قراءَة يعقوب: «ويْك أنه لا يُفلِح الكافرون» بالوقف على «ويك» والابتداء بـ«أنه» يقول بعد أن أورد بيت عنترة:

ولقد شفى نفسى وأبرأ سُقْمَها   قيل الفوارس ويك عنتر أقدمِ

وقال الكسائى فيما أظن: أراد ويلك، ثم حذف اللام. وهذا يحتاج إلى خبَر نبى لِقُبل».

ونقل عن ابن مجاهد فوثق به فى النقل والرواية، وتعقبه فى اللغة بالإنكار والمخالفة، فيقول فى المقدمة عن كتابه فى الشواذ: «أثبتُ فى النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته ولا توفيقه ولا هدايته».

وينقل تفسيره لقراءَة: «ولا يووده حفظهما» بلا همز، ثم يقول: «خلط ابن مجاهد في هذا التفسير تخليطًا ظاهرًا غير لائق بمن يعتد إماما في روايته، وإن كان مضعوفًا في فقاهته».

وينقل قراءَة يحيى وإبراهيم السلمي: «أَفحكمُ الجاهلية يَبْغُون» بالياء ورفع الميم، وينقل معها قول ابن مجاهد فيها: وهو خطأ. ويقول: قول ابن مجاهد: إنه خطأ فيه سرف، لكنه وجهٌ غيره أقوى منه.

وينقل قراءَة: «أَنبهم» بوزن أَعطهم، وقراءَة: «أَنبيهم» بلا همز، وقراءة: «أنبئهم» وينقل معها أيضا قول ابن مجاهد فيها: وهذا لا يجوز، ثم يمضي في الاحتجاج لهذه القراءات والتماس الوجه لكل منها، حتى إذا بلغ من ذلك غايته، قال: فقد علمت بذلك أن قول ابن مجاهد: هذا لا يجوز - لا وجه له لما شرحناه من حاله.

ورحم الله أبا بكر فإنه لم يأل فيما علمه نصحا، ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يره الله تعالى إياه.

وسبحانه قاسم الأرزاق بين عباده، وإياه نسأل عصمة وتوفيقًا وسدادًا بفضله.

ورأينا ابن جني في المحتسب يأخذ ببعض ما لم ير الأخذ به في الخصائص، فإذا هو بذلك لا يخالف رأيا له وحسب، ولكنه يخالف مذهبه النحوي أيضا.

قال في الخصائص: وسمعت الشجري أبا عبدالله غير دفعة يفتح الحرف الحلقي في نحو: يعدو وهو محموم، ولم أسمعها من غيره من عقيل.

فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته. وما أظن الشجري إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك حرف الحلق بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين.

وهذا قاسه الكوفيون، وإن كنا نحن لا نراه قياسا، لكن مثل: يعدو وهو محموم، لم يرو عنهم فيما علمت.

وقال في المحتسب في الاحتجاج لقراءة: «إِن يَمْسَسْكم قَرَح» بفتح القاف والراء: قرح وقرح كالحلب والحلب.

وفيه أيضا قرح على فعل، بقرأ بهما جميعا، ثم لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفا حلقيا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكنا من حروف الحلق، نحو قولهم في الصخر: الصخر.

ولعمري إن هذا عند أصحابنا ليس أمرا راجعا إلى حرف الحلق لكنها لغات.

وأنا أرى في هذا رأى البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدًا معتمدًا، فلقد رأيت كثيرًا من عقيل لا أحصيهم تحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدًا، لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم: نحوه، يريد نحوه.

وهذا ما لا توقف في أنه أمر راجع إلى حرف الحلق؛ لأنه الكلمة بنيت عليه.

وبعد أن دلل على ذلك وذكر ما سمعه من الشجري، قال: ولا قرابة بيني وبين البصريين،

لكنها بينى وبين الحق والحمد لله.

وقد سمع ابن جنى من عرب عُقيل، ونقل عمن يثق بعربيته منهم إلى المحتسب وغيره، كما فعل سيبويه من قبل. فتراه يقول فى المحتسب مثلا: حضرنى قديمًا بالموصل أعرابى عقيلى، أو رأيت كثيرا من عقيل لا أحصيهم، أو سمعت غلاما حدثا من عقيل ... وهكذا.

ويبدو أن سبب اختصاصه بنى عقيل بالأخذ والرواية أنهم كانوا بالكوفة والبلاد الفراتية والجزيرة والموصل، هاجروا إليها بعد ما غلبوا على مساكنهم فى البحرين.

وأفاد ابن جنى فى الاحتجاج للشواذ من لهجات القبائل، يرجع إليها ويخرِّج على مقتضاها، ولهذا ورد فى المحتسب كثير منها.

ويذكر ابن جنى فى المحتسب طائفة من أصول العربية وقواعدها العامة من لغوية ونحوية وعروضية، دعته دواعى الاحتجاج وتأييد الرأى إلى إيرادها فى مواطن شتى من الكتاب من مثل: العرب إذا نطقت بالأعجمى خلطت فيه.

ويجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره ووقوع الواحد موقع الجماعة فاش فى اللغة، والخطاب بالتاء أذهب فى قوة الخطاب، والقوافى حوافر الشعر، وتشبع العرب مدات التأسيس والردف والوصل والخروج عناية بالقافية، إذا كانت للشعر نظامًا، وللبيت اختتامًا والأمثال تجرى مجرى المنظوم فى تحمل الضرورة.

وفى الكتاب كذلك عرض لبعض مسائل البلاغة، ففى الاحتجاج لقراءة ابن عباس: «إنى أرانى أعصر عِنَبًا» كلام عن بعض صور المجاز المرسل.

وفى الاحتجاج لقراءة: «وعلم آدم الأسماء كلها»، كلام عن نظم الأسلوب وعلاقته بإرادة ناظمه.

* * *

منهج التحقيق

وقد اعتمدنا فى تحقيقنا لهذا الكتاب الجليل فى فرعه على نسختين:

الأولى: نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم ٧٨/ قراءات، والتى يرجع تاريخها إلى سنة ٥٢٨هـ، وتقع فى ١٦٩ورقة، وهى ممهورة بتوقيع غير مكتمل: «عبد.....أحمد بن محمد» والذى يرجح أن يكون اسم الناسخ، وتفتتح النسخة بالآتى:

«قرأ علىَّ هذا الكتاب الفقيه الأجل العالم البرُّ عبدا لله محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد الدانى المقرئ حرسه ا لله من هذا الفرع وأنا أنظر فى أصل كتاب أبى الحسن نصر بن عبدالعزيز بن نوح الشيرازى الذى عليه خط على بن زيد القاسانى بسماعه، وكان يرويه عن مؤلفه أبى الفتح...................................».

وأما نسختنا الأخرى التى اعتمدناها فى التحقيق، فهى محفوظة - أيضًا - بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٢/ قراءات، ويرجع تاريخها إلى سنة ١٣٣٥هـ، ومنسوخة بمعرفة

الأستاذ محمود بن عبيد.

أما ما كان له عظيم الأثر فى إتمام عملنا الذى نأمل أن يحوز رضاء كل المهتمين باللغة العربية والبحوث المتخصصة فى علوم القرآن؛ فكان النسخة المنقحة الدقيقة التى أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتحقيق الفضلاء السادة:د. على النجدى ناصف، ود. عبدالحليم النجار، ود. عبدالفتاح إسماعيل شلبى.

وقد قمنا فى التحقيق بعمل، يتضاءل إذا ما نظرنا إليه بجوار قيمة هذا المتن الجامع لمؤلفه أبى الفتح عثمان بن جنى، نلخصه فى الآتى:

١- قمنا بتخريج الآيات القرآنية.

٢- قمنا بتخربج القراءات القرآنية منسوبة لأصحابها، لتتحقق الإفادة بذكر من أغفلهم ابن جنى من القراء حين عرضه للقراءة.

٣- قمنا بالترجمة للأعلام الذين تحقق الترجمة زيادة فى الفائدة عند التعرض للقراء.

* * *

أما ما لا يمكن أن ننساه، فهو الدور الرائد الذى تلعبه دار الكتب العلمية، وعلى رأسها صاحبها ومديرها السيد الأستاذ: محمد على عبدالحفيظ بيضون، الذى آل على نفسه ألا يغفل أثرًا من أهم ما خلفه العرب فى علوم القرآن، وتلك مهمته التى تصدى لها منذ سنوات طوال، فى نشر كل ما يخص التراث العربى الممتلئ ثراءً، لا يدخر فى ذلك جهدًا أو وقتًا. والله نسأل أن يوفيه خير الجزاء.

والله نسأل الأجر والإثابة، وأن هذا العمل مُحْتَسبًا لنا عنده، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والله من وراء القصد وهو سبحانه يهدى سواء السبيل.

* * *

مراجع التحقيق

١ - آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم أبـي محمـد عبـد الرحمـن المتوفـى (٣٢٧هـ). تحقيق عبد الغنى عبد الخالق. نشر مكتبة التراث بحلب.

٢ - آداب العصر فى شعراء الشام والعراق ومصر: لسعد ميخائيل.

٣ - الآداب، للإمام البيهقى، المتوفى (٤٥٨ هـ) تحقيق محمد عبـد القـادر عطـا، طبـع دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ - أبجد العلوم: لصديق حسن خان القنوجى. طبع فى بهوبال ١٢٩٥هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٥ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: للبشارى. طبع فى ليدن ١٩٠٩.

٦ - أحكام القرآن لابـن العربـى، تحقيـق محمـد عبـد القـادر عطـا. دار الكتـب العلميـة. بيروت.

٧ - أحوال الرجال، لأبى إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى المتوفى سـنة ٢٥٩ هـ، تحقيق صبحى السامرائى مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

٨ - أخبار أبى تمام: لأبى بكر الصولى. طبع فى مصر ١٣٥٦/١٩٣٧.

٩ - الأخبار الطوال: للدينورى. طبعة مصر ١٣٣٠هـ.

١٠ - أخبار القضاة: لوكيع. طبع فى القاهرة سنة ١٣٦٦- ١٣٦٩هـ.

١١ - أخبار النحويين البصريين: لأبى سعيد السيرافى. مـن مطبوعـات معهـد المبـاحث الشرقية بالجزائر ١٩٣٦.

١٢ - أدب الإملاء والاستملاء: لعبد الكريم بن محمد السمعانى. طبع فى لنـدن ١٩٥٢. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٣ - أسد الغابة فى معرفة الصحابة: لابن الأثير. خمسة مجلدات. طبع بمصـر ١٢٨٠هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٤ - أسماء الصحابة الرواية: لابن حزم. طبع مع «جوامع السيرة». ودار الكتب العلميـة. بيروت.

١٥ - أسماء المغتالين من الأشراف: لمحمـد بـن حبيـب. طبـع فـى نـوادر المخطوطـات ٢: ١٠٥.

١٦ - أسماء خيل العرب وفرسانها: للجواليقـى. طبـع مـع نسـب الخيـل للكلبى، بليـدن ١٩٢٨.

١٧ - الأسماء والكنى: للحافظ الحاكم محمد بن محمد النيسابورى.

١٨ - الأصمعيات: اختيار الأصمعى. طبع فى مصر ١٣٧٥/١٩٥٥.

١٩ - الأعلاق النفيسة: لابن رسته. طبع فى ليدن ١٨٩١.

٢٠ - أعلام الأدب والفن: لأدهم الجندى. طبع بدمشق ١٩٥٤.

٢١ - الأعلام الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة: لمحمد بن على بن شداد. والجزء الثانى منه فى «تاريخ مدينة دمشق». طبع بها ١٩٥٦/١٣٧٥).

٢٢ - أعلام النساء: لعمر رضا كحالة. ثلاثة مجلدات. طبع فى دمشق ١٣٥٩هـ.

٢٣ - الأغانى: لأبى الفرج الأصفهانى. طبعة الساسى بمصر ٢١ جزءًا، عدا الفهارس وهى ٤ أجزاء. سنة ١٣٢٣. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٤ - ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه: لمحمد بن حبيب . طبع بمصر ١٩٥٤/١٣٧٤ (فى نوادر المخطوطات ٢:٢٧٩).

٢٥ - الأمالى الشجرية لابن الشجرى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

٢٦ - أمالى المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الاولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م البابى الحلبي.

٢٧ - الأمالى: لإسماعيل بن القاسم القالى. جزآن. طبع فى مصر ١٩٢٦/١٣٤٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٨ - أمثال العرب: للمفضل الضبى. طبع بالآستانة ١٣٠٠هـ.

٢٩ - أنساب الخيل: لابن الكلبى. طبع فى مصر ١٩٤٦.

٣٠ - الأنساب المتفقة فى الخط، المتماثلة فى النقط والضبط: لابن القيسرانى. طبع فى ليدن ١٨٦٥.

٣١ - الأنساب: للسمعانى. طبع بالزنكوغراف، بليدن ١٩١٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٢ - الأنيس المطرب القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاج مدينة فاس: لأبى عبد الله محمد بن عبد الحليم المعروف بابن أبى زرع. مطبوع على الحجر بفاس ١٣٠٥هـ.

٣٣ - أيام العرب فى الجاهلية: لمحمد أحمد جاد المولى، وعلى البجاوى، ومحمد أبى الفضل إبراهيم. طبع فى مصر ١٩٤٢/١٣٦١.

٣٤ - إنباه الرواة على انباه النحاة للقفطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٣٥ - إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدى.

٣٦ - إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشرة، لأحمد الدمياطى البنا، ط. عبد الحميد حنفى بالقاهرة.

٣٧ - إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن: لمحمد بن على، ابن المحب الطبرى. مخطوط فى مكتبة محمد ماجد الكردى، بمكة.

٣٨ - الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط. الثالثة ١٣١٧هـ/١٩٥١م.

٣٩ - إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء: للسيوطى. بدار الكتب العلمية. بيروت.

٤٠ - الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان، لأبى الحسن على بن بلبان الفارسى المتوفى

(٧٣٩ هـ)، طبع دار الكتب العلمية. بيروت.

٤١ - الإدغام الكبير للدانى مخطوطة معهد جامعة الدول العربية رقم ٣ قراءات.

٤٢ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء: لياقوت الحموى. سبعة أجزاء، طبعة مرجليوث، بمصر ١٩٠٧-١٩٢٥. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٣ - إسعاف المبطأ برجال الموطأ: لجلال الدين السيوطى. طبعة الهند ١٣٢٠هـ. بآخر تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للسيوطى أيضًا. طبعة مصر ١٣٤٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٤ - الإشارة بلطيف العبارة فى القراءات المأثورات بالرويات المشهورات مخطوطة معهد جامعة الدول العربية رقم ٦ قراءات.

٤٥ - الإشراف فى منازل الأشراف: لابن أبى الدنيا. دار الكتب العلمية. بيروت. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

٤٦ - الإصابة فى تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلانى. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٩٣٩/١٣٥٨. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٧ - إعجام الأعلام: لمحمود مصطفى. طبع فى مصر ١٩٣٥/١٣٥٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٤٨ - إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين: لمحمد بن على بن طولون. رسالة طبعت فى دمشق ١٣٤٨هـ.

٤٩ - إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: لمحمد راغب الطباخ الحلبى. سبعة مجلدات. طبع فى حلب ١٣٤٢هـ.

٥٠ - الإعلام بتاريخ الإسلام : لأبى بكر بن أحمد، ابن قاضى شهبة الأسدى، المتوفى سنة ٨٥١هـ.

٥١ - الإعلام بفضائل الشام: لأحمد بن على المنينى. طبع فى القدس.

٥٢ - الإعلام بما وقع فى مشتبه الذهبى من الأوهام: جردها من توضيح المشتبه مؤلفهما محمد بن أبى بكر عبد الله بن محمد، المعروف بابن ناصر الدين. مخطوط كتب سنة ٨٢٩. فى المكتبة العربية بدمشق.

٥٣ - الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: لعباس (بن محمد بن محمد) بن إبراهيم المراكشى. خمسة مجلدات منه، طبعت بفاس ابتداء من سنة ١٩٣٦.

٥٤ - الإعلان بالتوابيخ لمن ذم التاريخ: للسخاوى. طبع بدمشق ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٥٥ - الإكليل: للهمدانى. الجزء الثامن. طبع فى بغداد ١٩٣١ وفى برنستن ١٩٤٠.

٥٦ - الإكمال فى رفع الارتياب عن المختلف والمؤتلف من الأسماء والكنى والأنساب: للأمير على بن هبة الله بن ماكولا. مخطوط فى مجلدين ضخمين. كتب سنة ٥٩١ هـ . وطبع بدار الكتب العلمية. بيروت.

٥٧ - إمتاع الأسماع: للمقريزى. المجلد الأول منه. طبع فى القاهرة ١٩٤١.

٥٨ - الإمتاع والمؤانسة: لأبى حيان التوحيدى. ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٩٣٩.

٥٩ - إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون: لعلى بن برهان الدين الحلبى. يعرف بالسيرة الحلبية. ثلاث مجلدات. طبع بمصر ١٢٩٢هـ.

٦٠ - الإنصاف فى مسائل الخلاف للانبارى تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط. الثانية بمصر ١٩٥٣م.

٦١ - الإهتداء فى الوقف والأبتداء للشيخ على السخاوى مخطوطة دار الكتب رقم ٢٢٥ تفسير تيمور.

٦٢ - إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى البغدادى. مجلدان. طبع فى استانبول، الأول ١٣٦٤/١٩٤٥ والثانى ١٣٦٦/١٩٤٧.

٦٣ - إيضاح الوقف والأبتداء فى كتاب الله عز وجل، لأبى بكر محمد ابن القاسم بن بشار الأنبارى تحقيق محيى الدين عبد الرحمن رمضان. ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٦٤ - الاستدراك، لأبى بكر محمد بن عبد الغنى بن نقطة، المتوفى ٦٢٩ هـ. نسخة الظاهرية (٤٢٩) ونسخة دار الكتب المصرية (١٠).

٦٥ - الاستيعاب فى أسماء الأصحاب: ليوسف بن عبد الله بن عبد البر، أربعة أجزاء طبعت على هامش «الإصابة» بمصر ١٣٥٨/١٩٣٩. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٦٦ - الاشتقاق: لابن دريد الأزدى. طبع فى جوتنجن ١٨٥٤.

٦٧ - الاغتباط بتراجم أعلام الرباط: لأبى عبد الله محمد بوجندار الرباطى. مخطوط، جزآن فى مجلد واحد. نسخة عبد الله بن العباس الجرارى، فى الرباط.

٦٨ - بحر الأنساب، المسمى بالمشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف: لمحمد بن أحمد بن عميد الدين الحسينى النجفى. طبع بمصر، على الحجر ١٣٥٦هـ.

٦٩ - البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر: لمحمود فهمى المهندس. أربعة أجزاء. طبع فى بولاق ١٣١٢-١٣١٣هـ.

٧٠ - البحر المحيط لأبى حيان، مكتبة النصر الحديثة/ الرياض.

٧١ - البخلاء: للجاحظ. طبع بمصر ١٩٤٨. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٧٢ - البدء والتاريخ: المنسوب لأحمد بن سهل البلخى، وهو لمطهر بن طاهر المقدسى. ستة أجزاء. طبع فى شالون ١٩١٦.

٧٣ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور: لابن إياس. ثلاثة أجزاء. طبع بمصر ١٣١١هـ. والرابع والخامس منه: طبعا فى استامبول ١٩٣١و١٩٣٢.

٧٤ - البداية والنهاية فى التاريخ: لابن كثير. أربعة عشر جزءًا. طبع فى مصر ١٣٥١-١٣٥٨هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٧٥ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكانى مجلدان. طبع بمصر

١٣٤٨هـ.
٧٦ - بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس: لابن عميرة الضبى. طبع فى مجريط ١٨٨٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.
٧٧ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الأولى، عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤هـ/١٩٦٦٤م.
٧٨ - بلاغات النساء: لأحمد بن طيفور. طبع بمصر ١٣٢٦/١٩٠٨.
٧٩ - بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب: لمحمود شكرى الآلوسى البغدادى. الطبعة الثانية، بمصر ١٣٤٢/١٩٢٤ ثلاثة أجزاء. ودار الكتب العلمية. بيروت.
٨٠ - بلوغ المرام، فى شرح مسك الختام، فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام: لحسين بن أحمد العرشى. ختم حوادثه سنة ١٣١٨هـ، وزاد عليه الأب أنستاس مارى الكرملى، فأوصله إلى ١٣٥٨هـ. طبع بمصر ١٩٣٩.
٨١ - بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين: لمحمد بن أحمد بن عبد الله الغزى الشافعى الدمشقى. مخطوط. فى الظاهرية بدمشق.
٨٢ - البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشى. أربعة أجزاء، الأول والثانى طبعة ليدن ١٩٤٨و١٩٥١ والثالث طبعة باريس ١٩٣٠ والرابع طبعة تطوان ١٩٥٦.
٨٣ - البيان فى عد آى القرآن للدانى مخطوطة دار الكتب رقم ٤٨ قراءات مكتبة قولة.
٨٤ - البيان فى غريب إعراب القرآن أبو البركات الأنبارى تحقيق د. طه عبد الحميد. مصر ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
٨٥ - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب: للمقريزى. رسالة طبعت بمصر ١٣٣٤/ ١٩١٦. ودار الكتب العلمية. بيروت.
٨٦ - البيان والتبيين: للجاحظ. أربعة أجزاء. طبع فى مصر ١٣٦٧ - ١٣٦٩ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
٨٧ - تاج التراجم : لقاسم بن قطلوبغا الحنفى. مخطوط ناقص الآخر. فى المكتبة الخالدية بالقدس. (طبع فى ليبسيك ١٨٦٢).
٨٨ - تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد مرتضى الزبيدى. عشر مجلدات. طبع بمصر ١٣٠٦-١٣٠٧هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.
٨٩ - تاج اللغة وصحاح العربية: للجوهرى. مجلدان. طبع بمصر ١٢٨٢هـ.
٩٠ - تاريخ آداب العرب: لمصطفى صادق الرافعى. ثلاثة أجزاء طبع اثنان منها بمصر ١٣٣٠ - ١٣٣٢ هـ. ثم طبع الثالث بعد وفاة مؤلفه.
٩١ - تاريخ ابن الفرات: لمحمد بن عبد الرحيم بن الفرات. المجلدات ٧،٨،٩ وطبعت فى بيروت ١٩٣٦-١٩٤٢.
٩٢ - تاريخ ابن خلدون ط. دار البيان

٩٣ - تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بنى أمية: محاضرات لكارلو نالينو. نسقتها وترجمت بعض حواشيها الإيطالية إلى العربية، ابنته مريم نالينو. طبع فى مصر ١٩٥٤.

٩٤ - تاريخ الآداب العربية من نشأتها إلى أيامنا: للفيف من الأساتذة بمدارس «الفرير». طبع بالإسكندرية ١٩٢٥هـ.

٩٥ - تاريخ الآداب العربية، فى الربع الأول من القرن العشرين: للويس شيخو. طبع فى بيروت ١٩٢٦.

٩٦ - تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير الطبرى. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٩٧ - تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين: ليوسف أشباخ (الألمانى) . ترجمه وعلق عليه محمد عبد الله عنان. جزآن. طبع بمصر ١٣٥٩/١٩٤٠.

٩٨ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: للذهبى طبع منه بمصر، خمسة أجزاء.

٩٩ - تاريخ الخط العربى وآدابه: لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردى المكى الخطاط. طبع فى مصر ١٣٥٨/١٩٣٩.

١٠٠ - تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس: لحسين بن محمد الديار بكرى. مجلدان. طبع فى مصر ١٢٨٣هـ.

١٠١ - تاريخ السليمانية: لمحمد أمين زكى. طبع ببغداد ١٣٧٠/١٩٥١.

١٠٢ - تاريخ السودان: لعبد الرحمن عبد الله بن عمر السعدى. طبع فى باريس ١٨٩٨.

١٠٣ - تاريخ الشعراء الحضرميين: لعبد الله بن محمد بن حامد السقاف. خمسة أجزاء. طبع بمصر ابتداء من ١٣٥٣هـ.

١٠٤ - تاريخ الشعوب الإسلامية: لكارل بروكلن. نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى. خمسة أجزاء . طبع فى بيروت ١٩٤٨-١٩٥٠.

١٠٥ - تاريخ الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار المعارف بمصر.

١٠٦ - تاريخ العرب قبل الإسلام: لجواد على. طبع منه سبعة مجلدات، ببغداد ١٩٥٠-١٩٥٨.

١٠٧ - تاريخ الفتح العربى فى ليبيا: للطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى. طبع فى مصر ١٣٧٣/١٩٥٤.

١٠٨ - تاريخ القضاء فى الإسلام: لمحمود عرنوس. طبع فى مصر ١٣٥٢/١٩٣٤.

١٠٩ - تاريخ المساجد الأثرية (فى مصر) : لحسن عبد الوهاب. طبع بمصر ١٩٤٦.

١١٠ - تاريخ الموصل: لابن إياس الأزدى. مخطوط.

١١١ - تاريخ الموصل: لسليمان صائغ الموصلى. جزآن. طبع الأول فى مصر ١٩٢٣ والثانى فى بيروت ١٩٢٨.

١١٢ - تاريخ اليعقوبى: لأحمد بن إسحاق بن واضح اليعقوبى. ثلاثة أجزاء. طبعة النجف ١٣٥٨هـ.

١١٣ - تاريخ بغداد: للخطيب البغدادى. أربعة عشر مجلدًا. طبع بمصر ١٣٤٩هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١١٤ - تاريخ حماة: لأحمد الصابونى. طبع فى حماة ١٣٣٢هـ. وأعيد طبعه فيها ١٩٥٦ معلقًا عليه، ومصدرًا بترجمة لمؤلفه.

١١٥ - تاريخ دمشق، لأبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى ٥٧١ هـ، نسخة الظاهرية (تاريخ ١،٢).

١١٦ - تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء: لحمزة بن الحسن الأصفهانى. طبع فى برلين ١٣٤٠هـ.

١١٧ - تاريخ طرابلس الغرب، المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من الأخبار: وهو شرح لمحمد بن خليل غلبون الطرابلسى، على قصيدة أحمد بن عبد الدائم الأنصارى. طبع فى مصر ١٣٤٩هـ.

١١٨ - تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب: لروحى الخالدى. طبع بمصر ١٩١٢.

١١٩ - تاريخ علماء أهل مصر: لأبى القاسم يحيى بن على بن الطحان. جزء صغير منه. مخطوط فى المكتبة الظاهرية بدمشق.

١٢٠ - تاريخ علماء الأندلس: لابن الفرضى. جزآن . طبع فى مدريد ١٨٩٠. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٢١ - تاريخ علماء بغداد، المسمى منتخب المختار: لمحمد بن رافع السلامى، ذيل به على تاريخ ابن النجار. انتخبه التقى الفاسى المكى. طبع ببغداد ١٣٥٧/١٩٣٨.

١٢٢ - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو احتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. مخطوط.

١٢٣ - التبر المسبوك فى ذيل السلوك: للسخاوى. طبع بمصر ١٨٩٦.

١٢٤ - التبيان فى تخطيط البلدان: لإسماعيل رأفت. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.

١٢٥ - تتمة اليتيمة: لأبى منصور الثعالبى. جزآن صغيران. طبع فى طهران ١٣٥٣هـ.

١٢٦ - تجويد التلاوة وتحقيق القراءى للدانى مخطوطة معه جامعة الدول العربية رقم ١٧ قراءات.

١٢٧ - تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة لابن الجزرى تحقيق عبد الفتاح القاضى ومحمد الصادق قمحاوى دار الوعى بحلب.

١٢٨ - تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات: لعلى بن أحمد السخاوى. طبع بمصر ١٣٥٦هـ.

١٢٩ - تحفة الأديب بأسماء سلاطين محلديب: لمحمد سعيد ديدى. طبع بمصر ١٣٥٤هـ.

١٣٠ - تحفة الإخوان: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافى. طبع بمصر ١٣٦٥هـ.

١٣١ - تحفة الدهر ونفحة الزهر فى أعيان المدينة من أهل العصر: لعمر بن المدرس عبد السلام الداغستانى المدنى. مخطوط.

١٣٢ - تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين: لعبد الله الشرقاوى. طبع بمصر على هامش «أخبار الأول» للإسحاقى ١٣٠٣هـ.

١٣٣ - تحفة ذوى الأرب: لابن خطيب الدهشة. طبع بليدن ١٩٠٥.

١٣٤ - تذكرة الحفاظ: للذهبى. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٣-١٣٣٤هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٣٥ - التذكرة الكمالية مخطوط فى الخزانة التيمورية بدار الكتب بمصر.

١٣٦ - تراث الإسلام: لجمهرة من المستشرقين، بإشراف توماس أرنولد. ترجمه إلى العربية جرجيس فتح الله. جزآن. طبع فى الموصل ١٩٥٤.

١٣٧ - تراجم الأعيان، من أبناء الزمان: للحسن بن محمد البورينى. مخطوط، فى دار الكتب المصرية.

١٣٨ - تراجم علماء طرابلس وأدبائها: لعبد الله حبيب نوفل، طبع فى طرابلس ١٩٢٩.

١٣٩ - ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضى عياض، مجلدان.

١٤٠ - الترجمة للدانى مخطوط دار الكتب مكتبة قولة ٤٩ قراءات.

١٤١ - تفسير ابن كثير ط. دار إحياء الكتاب العربى البابى الحلبي.

١٤٢ - تفسير ابن كثير ط. كتاب الشعب تحقيق د. محمد إبراهيم البنا ومحمد إحمد عاشور وعبد العزيز غنيم.

١٤٣ - تفسير الفخر الرازى ط. الأولى بمصر ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

١٤٤ - تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمى ١٩١٤م ط. دار إحياء الكتب العربية البابى الحلبى وشركاه.

١٤٥ - تفسير القرطبى ط. دار الكتب ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٤٦ - تفسير غريب القرآن لابى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى تحقيق أحمد صقر ط. البابى الحلبي.

١٤٧ - تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. طبع فى دلهى ١٢٩٠هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٤٨ - تقويم البلدان: للملك المؤيد أبى الفداء إسماعيل بن على بن أيوب. طبع فى باريس ١٨٤٠.

١٤٩ - التكملة لوفيات النقلة: إملاء الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى. مخطوط.

١٥٠ - تلقيح فهوم أهل الأثر، فى عيون التاريخ والسير: لابن الجوزى. طبع مختصرًا فى ليدن ١٨٩٢ وكاملاً فى دلهى ١٢٨٦/١٨٦٩.

١٥١ - تمام المتون، فى شرح رسالة ابن زيدون: لصلاح الدين الصفدى. طبع فى دمشق ١٣٢٧هـ.

١٥٢ - التنبيه والإشراف: للمسعودى. طبع بمصر ١٩٣٨/١٣٥٧.

١٥٣ - التنبيه والإيقاظ، لما فى ذيول تذكرة الحفاظ: لأحمد رافع الطهطاوى. طبع بدمشق ١٣٤٨هـ.

١٥٤ - التنبيه، على أوهام أبى على فى أماليه: لأبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكرى. طبع بمصر مع كتاب «ذيل الأمالى والنوادر» ١٩٢٦/١٣٤٤.

١٥٥ - التنقيح، لألفاظ الجامع الصحيح: لبدر الدين الزركشى مطبوع.

١٥٦ - تهذيب الأسماء واللغات: لأبى زكريا النووى. طبع بمصر. أربعة أجزاء. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٥٧ - تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلانى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى حيدر آباد الدكن ١٣٢٥-١٣٢٧هـ.

١٥٨ - تهذيب الكمال، لأبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزى، المتوفى ٧٤٢هـ. النسخة المصورة بواسطة دار المأمون للتراث بدمشق، عن نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة.

١٥٩ - تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران. طبع منه سبعة أجزاء، فى دمشق ١٣٢٩-١٣٥١هـ.

١٦٠ - التهذيب لانفراد أئمة القراء السبعة للدانى مخطوطة معهد جامعة الدول العربية رقم ١٩ قراءات.

١٦١ - تهذيب مستمر الأوهام، لأبى نصر على بن هبة الله بن جعفر الأمير ابن ماكولا، المتوفى ٤٧٨ هـ، نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة (تاريخ ١٩٠) عن نسخة تركيا.

١٦٢ - التيسير فى القراءات السبع للدانى تصحيح اوتوبرتزل استنبول ط. الدولة ١٩٣٠م.

١٦٣ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ط. البابى الحلبى الثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٦٤ - جامع كرامات الأولياء: ليوسف النبهانى. مجلدان. طبع بمصر ١٣٢٩هـ.

١٦٥ - الجامع لأحكام القرآن ، المعروف بتفسير القرطبى: عشرون جزءًا . طبع فى مصر ١٣٥٤-١٣٦٩هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٦٦ - جامع مسانيد الإمام الأعظم أبى حنيفة: لمحمد بن محمود الخوارزمى. جزآن. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٢هـ.

١٦٧ - جذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: لابن القاضى. طبع بفاس، على الحجر ١٣٠٩هـ.

١٦٨ - جذوة المقتبس، فى ذكر ولاة الأندلس: للحميدى. طبع بمصر ١٩٥٢/١٣٧٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٦٩ - الجرح والتعديل: لعبد الرحمن بن محمد الرازى. أربعة مجلدات ضخمة. طبع فى

ثمانية أجزاء، فى حيدر آباد ١٣٧١/١٩٥٢-١٣٧٣/١٩٥٣. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٧٠ - جمهرة أشعار العرب: لابن أبى الخطاب. طبع بمصر ١٣٠٨هـ.

١٧١ - جمهرة اللغة: لابن دريد، أربعة مجلدات، الأخير منها فهارس. طبع فى حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١هـ.

١٧٢ - الجواهر المضية فى طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد القرشى. مجلدان. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٢هـ.

١٧٣ - حسن الصحابة ، فى شرح أشعار الصحابة: لعلى فهمى الموستارى. طبع الأول منه بالآستانة ١٣٢٤ رومية.

١٧٤ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الأولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٧٥ - حضارة الإسلام، فى دار السلام: لجميل نخلة المدور. طبع بمصر ١٣٢٣هـ.

١٧٦ - الحضارة الإسلامية، فى القرن الرابع الهجرى: لأدم متز. ترجمه إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريدة. جزءان. طبع بمصر ١٣٦٦/١٩٤٧.

١٧٧ - حضارة العرب: لجوستاف لوبون. نقله إلى العربية عادل زعيتر. طبع بمصر ١٣٦٧/١٩٤٨.

١٧٨ - حقائق الأخبار، عن دول البحار: لإسماعيل سرهنك. مجلدان وقسم من الثالث. طبع بمصر ١٣١٤-١٣٤١هـ.

١٧٩ - الحقيقة والمجاز، فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز: لعبد الغنى النابلسى. مخطوط فى ثلاثة أجزاء، الأول فى بقاع الشام، والثانى فى زيادات مصر، والثالث فى ديار الحجاز.

١٨٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبى نعيم الأصبهانى. عشرة مجلدات. طبع بمصر ١٣٥١هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

١٨١ - حلية البشر، فى تاريخ القرن الثالث عشر: لعبد الرزاق البيطار. مخطوط فى مكتبته بدمشق ثلاثة مجلدات.

١٨٢ - الحور العين: لنشوان الحميرى. طبع بمصر ١٩٤٨.

١٨٣ - الحيوان: للجاحظ. حزآن طبع بمصر ١٣٢٣-١٣٢٤هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٨٤ - الخطط التوفيقية الجديدة: لعلى مبارك. عشرون جزءًا. طبع بمصر ١٣٠٤ - ١٣٠٦هـ.

١٨٥ - خطط الشام: لمحمد كرد على. ستة أجزاء. طبع فى دمشق ١٣٤٣ - ١٣٤٧هـ.

١٨٦ - خلاصة الأثر، فى أعيان القرن الحادى عشر: للمحبى. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٢٨٤هـ.

١٨٧ - خلاصة تاريخ تونس: لحسن حسنى عبد الوهاب. طبع بتونس ١٣٧٣هـ.

١٨٨ - خير ما ابتدئ به القرآن الكريم.

١٨٩ - دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندى، وأحمد الشنتناوى، وإبراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس. طبع منها أحد عشر مجلدًا، فى مصر ١٩٣٣ - ١٩٥٧.

١٩٠ - دائرة المعارف: وتعرف بدائرة المعارف البستانية. أحد عشر مجلدًا. طبعت فى بيروت ١٨٧٦ - ١٩٠٠.

١٩١ - دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين): لمحمد فريد وجدى. عشرة أجزاء، طبعت فى مصر ١٣٥٦/ ١٩٣٧.

١٩٢ - الدارس فى تاريخ المدارس: لعبد القادر النعيمى الدمشقى. مجلدان. من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٦٧ - ١٣٧٠هـ. ودار الكتب العلمية بيروت.

١٩٣ - الدر الثمين، فى أدباء القرن العشرين: لعيسى إسكندر المعلوف. مخطوط.

١٩٤ - در الحبب، فى تاريخ أعيان حلب: لرضىّ الدين ابن الحنبلى. مخطوط، مصور فى الخزانة التيمورية بمصر.

١٩٥ - الدر الفريد، الجامع لمتفرقات الأسانيد: لعبد الواسع بن يحيى الواسعى. طبع فى مصر ١٣٥٧هـ.

١٩٦ - الدر الكمين، فى علماء دمشق سنة ١٣٤٠: لمحمد جميل الشطى: رسالة بخطه، اشتملت على ٤٠ ترجمة. فى المكتبة العربية بدمشق.

١٩٧ - الدر اللامع مع همع الهوامع للشنقيطى دار المعرفة بيروت ط. الثانية ١٩٧٣م.

١٩٨ - الدر المنتخب، فى تاريخ المصريين والعرب: لإتربى أبى العز. الجزء الأول منه، طبع بمصر ١٣١١/ ١٨٩٤.

١٩٩ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى ط. إيران ١٣٧٧هـ.

٢٠٠ - الدر النثير مخطوطة دار الكتب التيمورية رقم ٢٣٥ تفسير.

٢٠١ - الدرر البهية، والجواهر النبوية فى الفروع الحسنية والحسينية: لإدريس بن أحمد الحسنى العلوى. مجلدان. مطبوع على الحجر بفاس، بالخط المغربى، فى حياة مؤلفه ١٣١٤هـ.

٢٠٢ - الدرر السنية، فى أخبار السلالة الإدريسية: لمحمد بن على السنوسى الخطابى. طبع بمصر ١٣٤٩هـ.

٢٠٣ - الدرر الكامنة، فى أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلانى: أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٩٤٥ - ١٩٥٠. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٠٤ - دروس فى كتب النحو تأليف الدكتور عبدة الراجحى دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤م.

٢٠٥ - دمية القصر، وعصرة أهل العصر: لعلى بن الحسن الباخرزى. طبع فى حلب ١٣٤٩ هـ.

٢٠٦ - دول الإسلام للذهبي: جزآن في مجلد. طبع في حيدر آباد ١٣٣٧هـ.

٢٠٧ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (المالكي): لابن فرحون. طبع بمصر ١٣٢٩ و١٣٥١هـ.

٢٠٨ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور. دار التراث.

٢٠٩ - ديوان الإسلام: لشمس الدين الغزي. مخطوط. في الخزانة التيمورية بمصر.

٢١٠ - ديوان الحماسة: لأبي تمام. جزآن. طبعة مصر ١٣٣٥هـ.

٢١١ - ديوان المفضليات: لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي، مع شرحه لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري. طبعة كارلوس يعقوب لايل. في بيروت ١٩٢٠ مجلدان.

٢١٢ - ديوانا عروة بن الورد والسموأل. دار صادر بيروت ١٩٨٤هـ/١٩٦٤م.

٢١٣ - ذخائر العقبى، في مناقب ذوى القربى: لمحب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى. طبع بمصر ١٣٥٦ هـ.

٢١٤ - ذخائر القصر، في تراجم أبناء العصر: لابن طولون. مخطوط بمعهد المخطوطات في جامعة الدول العربية.

٢١٥ - ذخيرة الدارين، فيما يتعلق بسيدنا الحسين: للسيد عبد المجيد. طبع في النجف (على الحجر) ١٣٤٥ هـ.

٢١٦ - الذخيرة السنية، في تاريخ الدولة المرينية: مجهول المصنف. كتب في عصر السلطان يعقوب بن عبد الحق (في القرن السابع للهجرة) طبع في الجزائر ١٣٣٩هـ.

٢١٧ - الذخيرة، في محاسن أهل الجزيرة: لعلى بن بسام. أقسام منه في ثلاثة أجزاء، طبعت بمصر ١٣٥٨ - ١٣٦٤ هـ.

٢١٨ - ذكر أخبار أصبهان: للحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. مجلدان. طبع في ليدن ١٩٣١.

٢١٩ - الذهب المسبوك، في ذكر من حج من الخلفاء والملوك: رسالة للمقريزى. نشرت في المجلد السادس من مجلة الحج بمكة. ثم طبعت مستقلة في مصر ١٩٥٥.

٢٢٠ - ذيل المذيَّل في تاريخ الصحابة والتابعين: لابن جرير الطبرى. مختارات منه. طبعت في مصر ١٣٢٦ هـ، في آخر كتابه «تاريخ الأمم والملوك».

٢٢١ - الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب. الجزء الأول منه. طبع في بيروت ١٣٧٠/١٩٥١ ونشر كاملاً في جزأين بمصر ١٣٧٢ هـ.

٢٢٢ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: لمحمد بن محمد بن عبد الملك. ثلاثة أجزاء مخطوطة منه.

٢٢٣ - الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوزان القشيرى. طبعت بمصر ١٢٨٤ هـ.

٢٢٤ - رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبي الوفا: لمرتضى الحسيني الزبيدى. مخطوط في عشرين ورقة.

٢٢٥ - الروض الأنف، فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام: لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلى. جزآن. طبع بمصر ١٣٣٢/١٩١٤.
٢٢٦ - الروض المعطار فى أخبار الأقطار: لأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم الحميرى.
٢٢٧ - روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات: لمحمد باقر الموسوى الخوانسارى الأصبهانى أربعة أجزاء فى مجلد واحد. الطبعة الثانية على الحجر ١٣٤٧ هـ.
٢٢٨ - الروضة الفيحاء، فى تاريخ النساء: لياسين الخطيب العمرى. مخطوط فى الخزانة التيمورية بمصر.
٢٢٩ - الرياض النضرة فى مناقب العشرة: للمحب الطبرى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٢٧هـ.
٢٣٠ - رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية (إلخ): للمالكى. الجزء الأول منه، طبع فى مصر ١٩٥١.
٢٣١ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: للخفاجى. طبع فى مصر ١٢٧٣هـ.
٢٣٢ - سراج الملوك: للطرطوشى. طبع بمصر ١٢٨٩هـ.
٢٣٣ - سلك الدرر، فى أعيان القرن الثانى عشر: للمرادى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٠١ هـ.
٢٣٤ - سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: لمحمد بن جعفر الكتانى. ثلاثة أجزاء. طبع بفاس ١٣١٦هـ.
٢٣٥ - السلوك فى طبقات العلماء والملوك، ويعرف بطبقات الجندى: لمحمد بن يوسف الجندى اليمانى. مخطوط.
٢٣٦ - سمط اللآلى: يحتوى على «اللآلى فى شرح أمالى القالى» لأبى عبيد البكرى، جزآن فى مجلد متسلسل الأرقام، و«شرح ذيل الأمالى وصلة ذيله والتنبيه على الأغلاط المعدودة فيهما» فى جزء ثالث منفرد، و«فهارس سمط اللآلى» فى جزء آخر. نسّقه وأكثر من التعليق عليه عبد العزيز الميمنى (الراجكوتى). طبع فى مصر ١٣٥٤/١٩٣٦.
٢٣٧ - سنن ابن ماجة محمد محمد فؤاد عبد الباقى ط. البابى الحلبى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
٢٣٨ - سنن الترمذى ضبطه عبد الرحمن محمد عثمان نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
٢٣٩ - سنن الدارمى تحقيق عبد الله هاشم يمانى ط. دار محاسن بالقاهرة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.
٢٤٠ - سنن النسائى ط. البابى الحلبى ومحمود نصار الحلبى ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.
٢٤١ - سيبوية الكتاب كبعة مصورة عن بولاق ١٣١٧هـ.
٢٤٢ - سير النبلاء: للذهبى. مخطوط فى ١٥ مجلدًا.
٢٤٣ - سيرة أحمد بن طولون: لعبد الله بن محمد المدينى البلوى. طبع فى دمشق ١٣٥٨هـ.

٢٤٤ - السيرة النبوية: لابن هشام. «شرحها مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى». ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٤٥ - شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربى بيروت لبنان.

٢٤٦ - شذا الند، فى تاريخ نجد: لمطلق بن صالح. مخطوط صغير.

٢٤٧ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي. مكتبة القدس ١٣٥٠هـ.

٢٤٨ - شرح الأشمونى على الفية ابن مالك. دار أحياء الكتب العربية ط. البابي.

٢٤٩ - شرح المفصل لابن يعيش طبعة المنيرية. القاهرة.

٢٥٠ - شرح جامع الترمذى عبد الرحمن محمد عثمان ط. الفجالة بالقاهرة ١٣٨٦هـ.

٢٥١ - شرح ديوان الحماسة: للتبريزى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٢٩٦ هـ.

٢٥٢ - شرح ديوان امرئ القيس تأليف حسن السندوبى الطبعة الثالثة ١٣٧٣هـ ١٩٦٨م ط. الأستقامة بالقاهرة.

٢٥٣ - شرح سنن أبى داود تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ط. المجد ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

٢٥٤ - شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام تأليف محيى الدين عبد الحميد ط. السادسة ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م.

٢٥٥ - شرح شواهد المغنى: للسيوطى. طبع بمصر ١٣٢٢ هـ.

٢٥٦ - شرح نهج البلاغة: لابن أبى الحديد. أربعة مجلدات. طبع فى بيروت ١٣٧٤ هـ.

٢٥٧ - الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية: لطاشكبرى زاده. مطبوع على هامش وفيات الأعيان، طبعة مصر ١٣١٠ هـ.

٢٥٨ - صاحب الأغانى: لمحمد أحمد خلف الله. طبع فى مصر ١٩٥٣.

٢٥٩ - صبح الأعشى: للقلقشندى. أربعة عشر مجلدًا. طبع فى مصر ١٣٣١ - ١٣٣٨ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٦٠ - صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار: لمحمد بن عبد الله بن بليهد النجدى. خمسة أجزاء. طبع فى مصر ١٣٧٠ - ١٣٧٢ هـ.

٢٦١ - صفة جزيرة الأندلس: منتخبة من كتاب الروض المعطار، لمحمد بن عبد الله ابن عبد المنعم الحميرى. طبع بمصر ١٩٣٧.

٢٦٢ - صفة جزيرة العرب: للهمدانى. طبع فى ليدن ١٨٨٤ ثم بمصر.

٢٦٣ - صفوة الاعتبار، بمستودع الأمصار والأقطار: لمحمد بيرم (الخامس) خمسة أجزاء طبع بمصر ١٣٠٢ - ١٣١١ هـ.

٢٦٤ - صفوة العصر، فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر: لزكى فهمى. الجزء الأول. طبع بمصر ١٣٤٤/ ١٩٢٦.

٢٦٥ - صلة التكملة، فى وفيات النقلة: للحافظ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسينى:

مخطوط.

٢٦٦ - صلة الصلة: لابن الزبير. مخطوط في مجلد.

٢٦٧ - صلة تاريخ الطبرى: لغريب بن سعد القرطبى. طبع فى مصر ١٣٢٦ باسم «الجزء الثانى عشر» من تاريخ الطبرى.

٢٦٨ - الصلة لابن بشكوال ابى القاسم خلف بن عبد الملك ط. الدار المصرية ١٩٦٦م.

٢٦٩ - صورة الأرض: لابن حوقل. طبع القسم الأول منه، فى ليدن ١٩٣٨.

٢٧٠ - الصيد والتذكية فى الشريعة الإسلامية عبد الحميد شهاب العبيدى بغداد. دار الرسالة.

٢٧١ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للسخاوى. اثنا عشر جزءًا. طبع فى مصر ١٣٥٣.

٢٧٢ - الطالع السعيد، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد: للأدفوى. طبع فى مصر ١٩١٤/١٣٣٢.

٢٧٣ - طبقات الأطباء والحكماء: لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى، المعروف بابن جلجل.

٢٧٤ - طبقات الحفاظ للسيوطى تحقيق على محمد عمر ط. دار الكتب.

٢٧٥ - طبقات الحفاظ: للسيوطى. ودار الكتب العلمية بيروت.

٢٧٦ - طبقات الحنابلة: لابن أبى يعلى. جزآن. طبعة الفقى بمصر ١٩٥٢/١٣٧١.

٢٧٧ - طبقات الشافعية: لأبى بكر بن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف. طبع فى بغداد.

٢٧٨ - الطبقات الصغرى: لتاج الدين عبد الوهاب السبكى. مخطوط فى جزء واحد.

٢٧٩ - الطبقات الكبرى لابن سعد ط. بيروت ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.

٢٨٠ - طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى تحقيق على محمد عمر ط. دار الكتب ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٢٨١ - طبقات المفسرين: لمحمد بن على الداودى المالكى. طبع بدار الكتب العلمية. بيروت.

٢٨٢ - طبقات النحاة واللغويين: لابن قاضى شهبة. مخطوط فى معهد المخطوطات.

٢٨٣ - طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مصر ١٩٧٣.

٢٨٤ - الطبقات الوسطى: لمحمد بن إبراهيم المناوى. مخطوط.

٢٨٥ - طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحى. شرحه محمود محمد شاكر. طبع فى مصر ١٩٥٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٢٨٦ - عجائب الآثار فى التراجم والأخبار: ويعرف بتاريخ الجبرتى. مطبوع.

٢٨٧ - عدة الأديب: لسليم الجندى ومحمد الداوودى. ثلاثة أجزاء صغير. طبع فى

دمشق ١٣٤٥/١٩٢٦.

٢٨٨ - العسجد المسبوك فى من تولى اليمن من الملوك: لأبى الحسن على بن الحسن الخزرجى الأنصارى. مخطوط.

٢٨٩ - عصر سلاطين المماليك: لمحمود رزق سليم. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٦٦م - ١٣٦٩هـ.

٢٩٠ - العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: لتقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى. مخطوط فى مكتبة الحرم بمكة.

٢٩١ - عقد الدرر، فيما وقع فى نجد من الحوادث فى آخر القرن الثالث عشر والرابع: جمعه إبراهيم بن صالح بن عيسى. طبع فى دمشق ١٣٧٢/١٩٥٢ صفحة.

٢٩٢ - العقد الفريد: لابن عبد ربه. سبعة أجزاء. سابعها للفهارس. طبع بمصر ١٣٥٩ - ١٣٧٢هـ.

٢٩٣ - العقد المفصل: لحيدر الحسينى الحلى. جزآن. طبع فى بغداد ١٣٣١ - ١٣٣٢هـ.

٢٩٤ - العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم: للشقائق النعمانية. مطبوع على هامش الجزء الثانى من «وفيات الأعيان» فى مصر ١٣١٠هـ.

٢٩٥ - عقود الجمان، فى أيام آل سعود فى عمان: جمعه عبد الله بن صالح المطوع من أهالى بلدة الشارقة فى ساحل عمان، سنة ١٣٧٤هـ. مخطوط، فى ٢٢٠ صفحة.

٢٩٦ - عقود الجمان، فى شعراء هذا الزمان (أى عصر المؤلف): لابن الشعار، من أهل أواخر القرن السادس وأوائل السابع. مخطوط فى معهد المخطوطات بالقاهرة.

٢٩٧ - عمدة الأخبار، فى مدينة المختار: لحمد بن عبد الحميد العباسى. نشره أسعد درابزونى، بمكة.

٢٩٨ - العمدة: لابن رشيق القيروانى. طبع بمصر ١٣٢٥/ ١٩٠٧.

٢٩٩ - عنوان الأريب، عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب: لمحمد النيفر. جزآن. طبع فى تونس ١٣٥١ هـ.

٣٠٠ - عيون الأخبار: لابن قتيبة. أربعة مجلدات. طبع بمصر ١٣٤٣ - ١٣٤٩ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٠١ - غاية الأرب، فى خلاصة تاريخ العرب: ترجمه عن الفرنسية محمد بن أحمد ابن عبد الرزاق. طبع بمصر ١٢٨٩ هـ.

٣٠٢ - غاية المرام، فى رجال البخارى إلى سيد الأنام: لمحمد بن داود البازلى. مخطوط.

٣٠٣ - غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى عنى بنشره ج برجبتراسر. مصر ١٣٥١هـ ١٩٣٢م.

٣٠٤ - فتح البارى شرح صحيح البخارى محب الدين الخطيب ط. السلفية ١٣٨٠هـ.

٣٠٥ - فتح القدير للشوكانى ط. الأولى بمصر البابى الحلبى بمصر ١٣٥٠هـ.

٣٠٦ - فنون العجائب، للنقاش ، نسخة دار الكتب المصرية.

٣٠٧ - فهرس شواهد سيبويه. أحمد راتب النفاخ ط. الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م.

٣٠٨ - الفِهرست لابن النديم. المطبعة الرحمانية بمصر.

٣٠٩ - الفُلك المشحون فى أحوال محمد بن طولون: من تأليفه. طبع فى دمشق ١٣٤٨ هـ.

٣١٠ - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية: لمحمد رمزى. ثلاثة أجزاء منه. طبع فى مصر ١٩٥٣ - ١٩٥٨.

٣١١ - القاموس: للفيروزآبادى. أربعة أجزاء. طبع بمصر ١٣٣٠ هـ.

٣١٢ - قبول الأخبار ومعرفة الرجال: لأبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود (الكعبى) البلخى. مخطوط.

٣١٣ - قصص الأنبياء، المسمى بالعرائس (أو عرائس المجالس): لأحمد بن محمد الثعلبى. طبع فى مصر ١٢٨٢ هـ.

٣١٤ - القطع والائتناف لأبى جعفر النحاس. رسالة دكتوراه تحقيق أحمد خطاب العمر نسخة الطالب.

٣١٥ - القلائد الجوهرية، فى تاريخ الصالحية: لابن طولون. جزآن. طبع فى دمشق ١٣٦٨/ ١٩٤٩.

٣١٦ - قلائد العقيان فى مفاخر دولة آل عثمان: لإبراهيم بن عامر بن على العبيدى المالكى.

٣١٧ - قلائد العقيان، للفتح بن خاقان: طبعه سليمان الحرائرى، بباريس ١٢٧٧هـ. طبع مصر ١٢٨٣ هـ).

٣١٨ - الكافى، فى تاريخ مصر القديم والحديث: لميخائيل شاروبيم. أربعة اجزاء. طبع فى مصر ١٣١٥/ ١٨٩٨.

٣١٩ - الكافية لابن الحاجب شرح رضى الدين الأستراباذي. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٣٢٠ - الكامل: لابن الأثير ١٢ جزءًا. طبع فى مصر ١٣٠٣ هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٢١ - كتاب الروضتين، فى أخبار الدولتين: لأبى شامة. جزآن. طبع بمصر ١٢٨٧ هـ.

٣٢٢ - كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى لابن قتيبة. مجلدان، متسلسلا الأرقام. طبع فى حيدر آباد ١٣٦٨/ ١٩٤٩.

٣٢٣ - كتاب المعمرين: لسهل بن محمد السجستانى. طبع بمصر ١٣٢٣ هـ.

٣٢٤ - كشاف اصطلاحات الفنون: للتهانوى. مجلدان. طبع بالهند ١٨٦٢.

٣٢٥ - الكشاف للزمخشرى ط. شركة مصطفى البابى الحلبى وشركاء الطبعة الأخيرة. ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.

٣٢٦ - الكشاف للزمخشرى ط. مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.

٣٢٧ - كشف الأستار عن رجال معانى الآثار: للطحاوى. تلخيص رشد الله شاه السندهى. طبع على الحجر فى دهلى ١٣٤٩ هـ.

٣٢٨ - كشف الحجب والأستار، عن أسماء الكتب والأسفار: لإعجاز حسين النيسابورى الكنتورى. طبع فى كلكتا ١٣٣٠ هـ.

٣٢٩ - كشف الظنون لحاجى خليفة ط. طهران الطبقة الثالثة ١٩٤٧م.

٣٣٠ - كشف الظنون، عن أسامى الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب جلبى. مجلدان طبع فى استامبول ١٣٦٠/ ١٩٤١.

٣٣١ - كشف النقاب عن وجه التلفظ بالكنى والألقاب: لمحمد بن إسماعيل الصفايحى التونسى.

٣٣٢ - كشف النقاب، عما روى الشيخان للأصحاب: للحافظ خليل العلائى الشافعى، رسالة مخطوطة فى الخزانة البديرية بالقدس.

٣٣٣ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لأبى محمد مكى طالب القيس تحقيق محيى الدين رمضان دمشق ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٣٣٤ - كلا وما جاء منها فى كتاب الله لابن فارس تحقيق عبد العزيز الراجكوتى ط. القاهرة. ١٣٨٧هـ المطبعة السلفية ومكتبتها. مقالة فى ١٥ صفحة.

٣٣٥ - الكنى والأسماء: للدولابى. جزآن. طبع في حيدر آباد ١٣٢٢ هـ.

٣٣٦ - الكواكب الدرية، فى تراجم السادة الصوفية: لعبد الرءوف المناوى. الجزء الأول. طبع فى مصر ١٣٥٧ هـ.

٣٣٧ - الكواكب السائرة، فى أعيان المائة العاشرة: لنجم الدين الغزى. مخطوط فى مجلد ضخم. كتب سنة ١١٧٣ هـ.

٣٣٨ - لب الآداب: لأسامة بن منقذ. طبع بمصر ١٣٥٤/ ١٩٣٥.

٣٣٩ - لب الألباب: لمحمد صالح السهروردى. جزآن فى مجلد واحد متسلسل الأرقام. طبع فى بغداد ١٣٥١/ ١٩٣٣.

٣٤٠ - لب اللباب، فى تحرير الأنساب: للسيوطى. طبع فى ليدن ١٨٦٠ - ١٨٦٢. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٤١ - اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير. مكتبة المقدس ١٣٨٦هـ.

٣٤٢ - لسان العرب: لابن منظور. عشرون جزءًا. طبعة بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٨هـ.

٣٤٣ - لسان الميزان: لابن حجر العسقلانى. ستة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣١ هـ.

٣٤٤ - لطائف الأشارات لفنون القراءات للقسطلانى تحقيق عامر السيد ودكتور عبد الصبور شاهين. القاهرة ١٣٩٢ ١٩٧٢.

٣٤٥ - اللطائف، فى تاريخ الطائف: لحمد بن محمد بن أحمد الحضراوى. رسالة فى خمسة كراريس، مخطوط.

٣٤٦ - لطف السمر، وقطف الثمر، من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر: لنجم الدين الغزى. ذيل على كتابه «الكواكب السائرة» مخطوط فى ١١٦ ورقة. فى معهد المخطوطات عن الأصل المحفوظ فى مكتبة أحمد عارف، بالمدينة.

٣٤٧ - لقط الفرائد: لابن القاضى. مخطوط مختصر.

٣٤٨ - المؤتلف والمختلف: للآمدى. طبع فى مصر ١٣٥٤هـ.

٣٤٩ - المؤتلف والمختلف، فى أسماء نقلة الحديث: لعبد الغنى الأزدى. طبع فى الهند ١٣٢٧هـ.

٣٥٠ - مثير الوجد، فى معرفة أنساب ملوك نجد: لراشد بن على بن جُرَيس النجدى النعامى الحنبلى. رسالة مخطوطة.

٣٥١ - مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى التميمى للدكتور محمد فؤاد سزكين ط. الأولى ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م الناشر محمد الخانجى بمصر.

٣٥٢ - مجالس ثعلب شرح وتحقيق عبد السلام هرون دار المعارف بمصر.

٣٥٣ - مختصر المنتظم، (١٩٩٠ تاريخ) نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة وكذلك (١٧٤٤ تاريخ).

٣٥٤ - المدارس النحوية د. شوقى ضيف ط. دار المعارف بمصر الطبعة الثانية.

٣٥٥ - مرآة الجنان: لليافعى. أربعة أجزاء. طبع فى حيدر آباد ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ.

٣٥٦ - مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان: لسبط ابن الجوزى. مخطوط.

٣٥٧ - المرادفات من قريش: لأبى الحسن، على بن محمد المدائنى. رسالة طبعت بمصر ١٣٧٠/ ١٩٥١ (فى نوادر المخطوطات ١: ٥٧).

٣٥٨ - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: لعبد المؤمن بن عبد الحق. ثلاثة مجلدات. طبعة بريل ١٨٥٢ - ١٨٥٤.

٣٥٩ - المزهر: لجلال الدين السيوطى. جزآن. طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ.

٣٦٠ - مسالك الممالك: للاصطخرى. طبع فى ليدن ١٩٢٧.

٣٦١ - مسامرات الظريف بحسن التعريف، تاريخ فقهاء الدولة الحسينية بتونس: لمحمد السنوسى. النصف الأول منه، مطبوع فى تونس.

٣٦٢ - المستطرف فى كل فن مستظرف: للأبشيهى. جزآن. طبع بمصر ١٢٧٢هـ. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٦٣ - مسند الإمام أحمد طبعة المكتب الإسلامى ودار صادر بيروت.

٣٦٤ - مطالع البدور فى منازل السرور: لعلاء الدين البهائى الغزولى. جزآن. طبع فى مصر ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـ.

٣٦٥ - المعارف: لابن قتيبة الدينورى. طبع فى مصر ١٣٥٣/ ١٩٣٤. ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٦٦ - معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان لعبد الرحمن بن محمد الأنصارى الدباغ

مكتبة الخانجى بمصر تصحيح. وتعليق إبراهيم شبوح ط. الثانية ١٩٦٨.

٣٦٧ - معانى القرآن تحقيق الأستاذ أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار ط. دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

٣٦٨ - معانى القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبى بيروت.

٣٦٩ - معجم الأدباء لياقوت الحموى عنى بنسخه وتصحيحه مرجليوت. طبعة مصورة عن الأولى.

٣٧٠ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى: للمستشرق زامباور. أخرجه جماعة برئاسة زكى محمد حسن. جزآن، متسلسلا الأرقام. طبع فى مصر ١٩٥١.

٣٧١ - معجم البلدان: لياقوت الحموى. ثمانية أجزاء. طبع فى مصر ١٣٢٣ - ١٣٢٥ هـ ودار الكتب العلمية. بيروت.

٣٧٢ - معجم الشعراء: للمرزبانى. طبع فى مصر ١٣٥٤ هـ، ملحقًا بكتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدى.

٣٧٣ - معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب: لعبد الحفيظ الفاسى. جزآن. طبع فى الرباط ١٣٥٠ هـ.

٣٧٤ - معرفة القراء الكبار عن الطبقات والأعصار للإمام شمس الدين أبى عبد الله الذهبى تحقيق محمد سيد جاد الحق ط الأولى.

٣٧٥ - المعزة فيما قيل فى المزة: لمحمد بن على بن طولون. رسالة طبعت فى دمشق ١٣٤٨ هـ.

٣٧٦ - المغرب فى حلى المغرب تحقيق د. شوقى ضيف ط. ثانية دار المعارف ١٩٦٤.

٣٧٧ - مغنى اللبيب لابن هشام تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط. المدنى.

٣٧٨ - المغنى، فى أسماء رجال الحديث: لمحمد طاهر الفتنى. طبع فى دلهى، على هامش «تقريب التهذيب» ١٢٩٠ هـ.

٣٧٩ - مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده تحقيق كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور. دار الكتب الحديث مطبعة الأستقلال الكبرى.

٣٨٠ - مقاتل الطالبيين: لأبى الفرج الأصفهانى. طبع فى مصر ١٣٦٨/ ١٩٤٩ (وسبق الأخذ عن طبعة النجف ١٣٥٣ هـ).

٣٨١ - المقاصد النحوية: لمحمود بن أحمد العينى. أربعة أجزاء. طبع على هامش خزانة الأدب للبغدادى، فى مصر ١٢٩٩ هـ.

٣٨٢ - المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة ١٣٨٨هـ.

٣٨٣ - المقتطف من تاريخ اليمن: لعبد الله بن عبد الكريم الجرافى. طبع فى مصر ١٣٧٠/ ١٩٥١.

٣٨٤ - المقدمة لابن خلدون. مطبعة مصطفى محمد بمصر.

٣٨٥ - المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد: لبرهان الدين إبراهيم بن محمد،

ابن مفلح الحنبلى. مخطوط فى مجلد. فى المكتبة العربية بدمشق.

٣٨٦ - المقصد لتلخيص مافى المرشد لأبى يحيى الأنصارى على هامش كتاب منار الهدى.

٣٨٧ - المقنع للدانى عن مخطوطة دار الكتب مكتبة قولة ٥٢ قراءات.

٣٨٨ - منار الهدى فى معرفة الوقف والأبتداء للأشموني. مصر ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

٣٨٩ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم: لأبى الفرج ابن الجوزى. طبع دار الكتب العلمية. بيروت. تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا.

٣٩٠ - منجد المقرئين ومرشد الطالبين لأبن الجزرى نشر مكتبة القدس ١٣٥٠هـ.

٣٩١ - المنهل الصافى، والمستوفى بعد الوافى: لابن تغرى بردى. طبع فى مصر ١٩٥٦/١٣٧٥.

٣٩٢ - المنهل العذب، فى تاريخ طرابلس الغرب: لأحمد بن حسين النائب الأوسى الأنصارى. طبع فى الآستانة ١٣١٧هـ.

٣٩٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ويعرف بخطط المقريزى: طبع فى مصر ١٣٢٧هـ.

٣٩٤ - الموضع فى الفتح والأمالة للداني. مخطوطة معهد جامعة الدول العربية ٩٦ قراءات.

٣٩٥ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: للذهبى. ثلاثة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٢٥هـ.

٣٩٦ - نثار الأفكار: حزآن، أصدرتهما جريدة الهدى فى نيويورك ١٩١٣.

٣٩٧ - النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة: لابن تغرى بردى. طبع فى دار الكتب المصرية.

٣٩٨ - النحو والقراءا لمحمد الشاطر رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.

٣٩٩ - النزاع والتخاصم، فيما بين بنى أمية وبنى هاشم: للمقريزى. رسالة. طبعت فى مصر ١٩٣٧.

٤٠٠ - نزهة الألباب، فى تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب: لمحمد حسنى العامرى. طبع بمصر ١٣١٤هـ.

٤٠١ - نزهة الأنام، فى محاسن الشام: لعبد الله بن محمد البدرى. طبع بمصر ١٣٤١هـ.

٤٠٢ - نزهة الأنظار، فى فضل علم التاريخ والأخبار، ويعرف بالرحلة والورثيلانية: للحسن بن محمد الورثيلانى. طبع فى الجزائر ١٣٢٦/١٩٠٨.

٤٠٣ - نزهة الجليس، ومنية الأديب الأنيس: للعباس بن على الموسوى. مجلدان طبع فى مصر١٢٩٣هـ.

٤٠٤ - نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر: للشريف عبد الحى بن فخر الدين الحسنى. ثلاثة أجزاء طبعت فى حيدز آباد.

٤٠٥ - نسب قريش: للمصعب بن عبد الله الزبيرى. طبع فى مصر ١٩٥٣.

٤٠٦ - نشر اللطائف فى قطر الطائف: لابن عراق. مخطوط بدار الكتب المصرية.

٤٠٧ - نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى عشر: لمحمد بن الطيب القادرى. جزآن فى مجلد. طبع بفاس ١٣١٥هـ.

٤٠٨ - النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى دمشق ١٣٤٥هـ.

٤٠٩ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقرى. أربعة مجلدات. طبع فى مصر ١٣٠٢هـ.

٤١٠ - نكت الهميان، فى نكت العميان: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى. طبع فى مصر ١٣٢٩/١٩١١.

٤١١ - نهاية الأرب، فى معرفة أنساب العرب: للقلقشندى. طبع فى بغداد.

٤١٢ - نهاية الأندلس: لمحمد عبد الله عنان. طبع فى مصر ١٣٦٨/١٩٤٩.

٤١٣ - نهاية الإيجاز، فى سيرة ساكن الحجاز: لرفاعة رافع (الطهطاوى) طبع فى مصر ١٢٩١هـ.

٤١٤ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر: لعبد القادر بن شيخ العيدروس. طبع فى بغداد ١٣٥٣/١٩٣٤.

٤١٥ - هدى السارى ، مقدمة فتح البارى: لابن حجر العسقلانى. جزآن. طبع بمصر ١٣٤٧هـ.

٤١٦ - ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٤١٧ - هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل «باشا» البغدادى. مجلدان. طبع فى استامبول ١٥٩١ - ١٩٥٥.

٤١٨ - همع الهوامع للسيوطى تصحيح محمد بدر الدين النعسانى ط دار المعرفة بيروت.

٤١٩ - الوافى بالوفيات لابن ايبك الصفدي. مخطوط مصور فى معهد الجامعة العربية.

٤٢٠ - الوسيط، فى الأدب العربى وتاريخه: لأحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى. طبع فى مصر. ١٩٢٨/١٣٤٧.

٤٢١ - الوسيط، فى تراجم أدباء شنقيط: لأحمد بن الأمين الشنقيطى. طبع فى مصر ١٩١١/١٣٢٩.

٤٢٢ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: لعلى بن عبد الله السهروردى. جزآن. طبع فى مصر ١٣٢٦هـ.

٤٢٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط الأولى ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.

٤٢٤ - الولاة والقضاة: لمحمد بن يوسف الكندى. طبع فى بيروت ١٩٠٨.

٤٢٥ - يتيمة الدهر: للثعالبى. أربعة أجزاء. طبع فى دمشق ١٣٠٣هـ.

٤٢٦ - اليواقيت الثمينة، فى أعيان مذهب عالم المدينة: لمحمد البشير ظافر الأزهرى. طبع فى مصر ١٣٢٤هـ.

* * *

كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات
والإيضاح عنها
تأليف أبي الفتح عثمان بن جني النحوي رحمه الله

صور من المخطوط

صور من المخطوط

كمل الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها تأليف
أبي الفتح عثمان بن جني النحوي رحمه الله والحمد لله شكرا على ذلك وصلواته على خير خلقه
محمد النبي وعلى آله الطيبين وسلامه كتبه محمد بن الحسن بن محمد بن سعد الدهري بالمدرسة
[illegible] يوم الأحد التاسع عشر من شهر المحرم عام ثمانية
وعشرين وخمسمائة رحم الله له ولجميع من يقرؤه ويسمعه ويقول في حقه من كتاب الشيخ
[illegible] لعبد العزيز بن أحمد بن نوح البصري [illegible] وقراءة على
[illegible] [illegible] القراءة على ظهر الكتاب [illegible] سنة [illegible]
عشرة وأربعمائة [illegible] الشيخ عثمان بن جني رحمه الله [illegible]
[illegible] [illegible] عبد العزيز بن أحمد بن نوح البصري [illegible]
[illegible] هذا الكتاب وهو المحتسب [illegible] من شيخنا أبي الفتح
عثمان بن جني رحمه الله [illegible] [illegible] سنة [illegible]
عشرة وأربعمائة حامدا لله ومصليا على النبي محمد وعلى آله ومسلما

ذكر الشيخ أبو الفتح رحمه الله [illegible] هذا الكتاب [illegible]
للقراءة [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] ثم قال [illegible] كتاب الشواذ التي عملته فإنه كان [illegible]
[illegible] [illegible] رضي الله عنه [illegible] طالب صلوات الله عليه
قال الشيخ [illegible] من هذا الكتاب [illegible]
[illegible] بلطف الله ومشيئته وحسبنا
الله ونعم المعين

[illegible] محمود عبد الجليل [illegible] [illegible]
[illegible] ١٨٦٥٦ [illegible] ٢٨ [illegible]

صور من المخطوط



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مقدمة المؤلف(*)

قال أبو الفتح عثمان بن جنى رحمه الله تعالى وعفا عنه:

اللهم إنا نحمدك أقصى مدى الحامدين، ونعترف بآلائك كما أوجبت على المطيعين من عبادك المعترفين، ونسألك أن تصلى على نبيك المرتضى محمد وآله الطاهرين، وأن تحسن عوننا وتسديدنا على ما أجمعنا فيه القربة إليك فى أملنا به لطف المسعاة فيما يدنى منك، ويحظى بالزلفة [1] لديك، وأن تجعل أعمالنا لك، واتصالاتنا بك، ومطالبنا مقصورة على مرضاتك، وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك وصلتها برأفتك بنا، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا.

فإذا انقضت علائق مددنا، واستوفى ما فى الصحف المحفوظة لديك من عدد أنفاسنا، واستؤنفت أحوال الدار الآخرة بنا، فاقلبنا إلى كنز جنتك التى لم تخلق إلا لمن وسع ظل رحمتك، واجعل أمامنا هاديا من طاعاتنا لك وزكوات ما علمتناه من وجوه حكمتك، وشرحت صدورنا لمعرفته من لطائف مودعات لغة نبيك، التى فضلتها على سائر اللغات، وفرعت بها فيه سامى الدرجات، وخصصت بأشرفها طريقًا وألطفها مسرى وعروقًا - كتابك المنزل على لسان أمينك، المرسل إلى جنان صفيك خاتم الرسل، ثم معقب الأنبياء والملل صلى الله عليه وسلم وبجل وكرم.

وجعلت عنوان تصديقه، الباعث على سلوك طريقه، ما أودعته من إعجاز كلمه

(*) هذا العنوان غير موجود بالأصول.

(١) له زُلفة، وزُلفَى واحتمل فلان الكُلفَ، حتى نال الزُلفَ، وأزلفته: قربته، وأزلفنى كذا عند الأمير، وازدلف إليه: اقترب، قيل:

كل يوم مضى أو ليلة سلفت ... فيها النفوس إلى الأجال تَزدلف

وزلفَ الشيء: قربه وقَدَّمَهُ، وزلف إليه: دنا وتقدَّم. انظر: (أساس البلاغة «زلف». المعجم الوسيط «زلف»).

الذى كد بمهله شد المجدين، واستولى بأوله على آخر غاية الناطقين، ورذيت[١] دون أدناه منن المبرِّزين، وخَطِلَت[٢] إليه أَلسنُ المفوَّهين، وخرِست لحِكمِه شقاشق الشياطين فانتظم لغاتِ العرب على مثْناتها [....][٣] واردَ القراءَات من متوجهاتها، فأتى ذلك على طهارة جميعه، وغزارة ينبوعه - ضربين:

ضربا اجتمع عليه أَكثر قُرّاء الأَمصار، وهو ما أَودعه أبو بكر أَحمد بن موسى بن مجاهد[٤] رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة[٥]؛ وهو بشهرته غان عن تحديده.

وضربا تعدّى ذلك، فسماه أَهل زماننا شاذًّا، أَى خارجا عن قراءة القرّاءِ السبعة[٦]

---

(١) رذى: ضعف، وأثقله المرض، وَرذِى الناقة: حسرها السفرُ حتى لا تستطيع بَراحًا ولا تنبعث، فهو رَذِى، جمع رُذاة، وهى رذِية جمع رَذايا. انظر: المعجم الوسيط «رذى».

(٢) خَطِلَ خطلاً استرخى واضطرب، يقال أذن خطلاء: طويلة مسترخية، وثَلّةً خُطِلَ وخَطِلَ: أخطأ وأفحش، يقال: خِطَل كلامه. انظر: (أساس البلاغة «خطل»، المعجم الوسيط «خطل»).

(٣) بياض فى الأصل.

(٤) أحمد بن موسى بن العباس التميمى، أبو بكر بن مجاهد، (٢٤٥ - ٣٢٤هـ = ٨٥٩ - ٩٣٦م). كبير العلماء بالقراءات فى عهده. من أهل بغداد، وكان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطنا جوادًا، له كتاب: القراءات الكبير، وكتاب قراءة ابن كثير، وقراءة أبى عمرو، وقراءة عاصم، وقراءة نافع، وقراءة حمزة، وقراءة الكسائى، وقراءة ابن عامر، وقراءة النبى ﷺ، وكتاب الياءات، وكتاب الثاءات. انظر: (الفهرست ١/٣١، غاية النهاية ١/١٣٩، الأعلام ١/٢٦١).

(٥) طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ الدكتور شوقى ضيف، ط دار المعارف فى جزء واحد كبير.

(٦) ظاهر كلام ابن جنى أن ما عدا السبعة فهو شاذ، وهذا مردود عليه، قال السيوطى فى الإتقان (١/٧٥): اعلم أن القاضى جلال الدين البلقينى قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ فالمتواتر القراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر ويلحق بها قراءة الصحابة والشاذ قراءة التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم، وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره، وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجزرى قال فى أول كتابه النشر: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الدانى ومكى والمهدوى وأبو شامة، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه.

المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرّائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه؛ ولعله، أو كثيرًا منه، مساوٍ فى الفصاحة للمجتمع عليه. نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنف[١] بغيره فصاحته، وتمطوه قوى أسبابه، وترسو به قَدَمُ إعرابه؛ ولذلك قرأ بكثير منه مَن جاذب ابن مجاهد عِنَان القول فيه، وماكَنه عليه، وراده إليه، كأبى الحسن أحمد بن محمد بن شَنَبوذ، وأبى بكر محمد بن الحسن بن مِقْسم[٢]، وغيرهما ممن أدى إلى رواية استقْواها، وأنحى على صناعة من الإعراب رضيها واستعلاها. ولسنا نقول ذلك فسحًا بخلاف القرّاء المجتمع فى أهل الأمصار على قراءاتهم، أو تسويغًا للعدول عما أقَرْته الثقات عنهم؛ لكن غرضنا منه أن نُرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذًا، وأنه ضارب فى صحّة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه، لئلا يُرَى مُرى أن العدول عنه إنما هو غض منه، أو تُهَمَةُ له.

ومعاذ الله! وكيف يكون هذا والرواية تَنْميه إلى رسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿**وما آتاكمُ الرسولُ فَخُذوه**﴾[٣]؟ وهذا حكم عام فى المعانى والألفاظ، وأخذه: هو الأخذ به، فكيف يسوغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه، فإن قَصُر شىء منه عن بلوغه إلى رسول الله ﷺ فلن يقصُر عن وجه من الإعراب داع إلى الفسحة والإسهاب، إلا أننا وإن لم نقرأ فى التلاوة به مخافة الانتشار فيه[٤]، ونتابعْ من يتبع فى القراءة كل جائز رواية ودراية، فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًا، وأنه مما أمَرَ الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجَبه، وأنه حبيب إليه، ومرضىٌّ من القول لديه. نعم وأكثر ما فيه أن يكون غيره من المجتمع عندهم عليه أقوى منه إعرابا وأنهضَ قياسًا؛ إذ هما جميعًا مرويان مسندان إلى السلف رضى الله عنه.

فإن كان هذا قادحًا فيه، ومانعًا من الأخذ به فليكونن ما ضعف إعرابه مما قرأ بعض

---

(١) عَنَفَ به وعَليه عنُفا وعنافة: أخذه بشدة وقوة، ولامَه وعَيَّرَهُ فهو عنيف جمع عُنُف. انظر: المعجم الوسيط «عنف».

(٢) محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطار، أبو بكر (٢٦٥ - ٣٥٤ = ٨٧٨ - ٩٦٥م): عالم بالقراءات والعربية. من أهل بغداد. من كتبه: «الأنوار» فى تفسير القرآن، و«الرد على المعتزلة»، و«اللطائف فى جمع هجاء المصاحف»، كتاب فى النحو كبير.

انظر: (بغية الوعاة ٣٦، غاية النهاية ٢/١٢٣، تاريخ بغداد ٢/٢٠٦، إرشاد الأريب ٦/٤٩٨، نزهة الألبا ٣٦٠، الأعلام ٦/٨١).

(٣) سورة الحشر: الآية (٧).

(٤) انظر: خلاف العلماء حول القراءة به فى: (النشر ١/١٤،١٥، غاية النهاية ٢/٥٤٠،١٢٤،١٢٥، الإتقان ١/٧٦،٧٧).

السبعة به هذه حاله[١]، ونحن نعلم مع ذلك ضعف قراءة ابن كثير[٢] «ضِئـاء»[٣] بهمزتين مكتنفتى الألف[٤]، وقراءة ابن عامر[٥]: «وكذلك زين لكثير من المشركين قَتْلُ أَولادَهم شركائِهِم»[٦]، وسنذكر هذا ونحوه فى مواضعه متصلاً بغيره، وهو أيضًا مع ذلك مأخوذ به.

---

(١) قال ابن الجزرى: فقولنا فى الضابط ولو بوجه نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر أنكارهم كإسكان (بارئكم) (وبأمركم) وخفض (والأرحام) ونصب (ليجرى قوما)، والفصل بين المضافين فى (قتل أولادهم شركائهم) وغير ذلك.
قال الدانى، وأئمة القراء: لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الإفشاء فى اللغة، والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها. انظر: (الإتقان ١/٧٥).

(٢) عبدالله بن كثير الدارى المكى، أبو معبد (٤٥ - ١٢٠هـ = ٦٦٥ - ٧٣٨م): أحد القراء السبعة. كان قاضى الجماعة بمكة. وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار «داريًّا» فعرف بالدارى. وهو فارسى الأصل. مولده ووفاته بمكة.
انظر: (وفيات الأعيان ١/٢٥٠، الأعلام ٤/١١٥).

(٣) وردت فى سورة يونس الآية (٥)، وسورة الأنبياء الآية (٤٨)، وسورة القصص الآية (٧١).

(٤) هى رواية قنبل عن ابن كثير. انظر: (إتحاف فضلاء البشر للبنا ٣١١، السبعة فى القراءات لابن مجاهد ٤٢٩، الكشاف للزمخشرى ٢/٥٧٥، غيث النفع للصفاقسى ٢٩٣، الحجة المنسوب لابن خالويه ٢٤٩، التيسير للدانى ١٢٠، تحبير التيسير ١٤٣).

(٥) عبدالله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبى الشامى (٨ - ١١٨هـ = ٦٣٠ - ٧٣٦م): أحد القراء السبعة. ولى قضاء دمشق فى خلافة الوليد بن عبدالملك. ولد فى البلقاء، فى قرية «رحاب» وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفى فيها، قال الذهبى: مقرئ الشاميين، صدوق فى رواية الحديث. انظر: (تهذيب التهذيب ٥/٢٧٤، غاية النهاية ١/٤٢٣، ميزان الاعتدال ٢/٥١، الأعلام ٤/٩٥).

(٦) سورة الأنعام الآية (١٣٧). وقراءته وردت فى: (السبعة فى القراءات لابن مجاهد ٢٧٠، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٦٣، إتحاف فضلاء البشر ٢١٧، البحر المحيط لأبى حيان ٤/٢٢٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٥٨٢، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٥٢، التيسير للدانى ١٠٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٧/٩١، جامع البيان للطبرى ١٢/١٣٧، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٥٠، ١٥١، التبيان فى التفسير القرآن للطوسى ٤/٣٠٩، الحجة لأبى زرعة ١٧٣، غيث النفع للصفاقسى ٢١٧، الكشف للقيسى ١/٤٥٣، الكشاف للزمخشرى ١/٤٥٣، ٤٥٤، مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٧٠، معانى القرآن للفراء ١/٣٥٧، الإتقان ١/٧٥، مغنى اللبيب لابن هشام ٢/١٦٣). =

ولعمرى إن القارئ به من شاعت قراءته، واعتيد الأخذ عنه. فأما أن نتوقف عن الأخذ به لأن غيره أقوى إعرابًا منه فلا، لما قدمنا، فإذا كانت هذه حاله عند الله جل وعلا، وعند رسوله المصطفى، وأُولى العلم بقراءة القراء، وكان مَن مضى من أَصحابنا لم يضعوا للحِجَاج كتابًا فيه، ولا أَوْلَوه طرفًا من القول عليه، وإنما ذكروه مرويا مُسَلَّما مجموعًا أو متفرقًا، وربما اعتزموا الحرف منه فقالوا القول المقنع فيه. فأَما أن يفردوا له كتابًا مقصورًا عليه، أَو يتجردوا للانتصار له، ويوضحوا أَسراره وعلله فلا نعلمه - حَسُن بل وجب التوجه إليه، والتشاغل بعمله وبسط القول على غامضه ومشكله، وما أَكثر ما يخرج فيه بإذن الله، وأَذهبَه فى طريق الصنعة الصريحة، لاسيما إذا كان مشوبًا بالألفاظ السمحة السَريحة، إِلا أَننا مع ذلك لا ننسى تقريبه على أهل القراءات ليحظَوا به، ولا ينأوا عن فهمه.

فإِن أَبا على[١] رحمه الله عمل كتاب الحجة فى القراءات[٢]، فتجاوز فيه قدر

=قال الدكتور أحمد مكى فى كتابه الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين: وهى قراءة سبعية متواترة عن رسول الله ﷺ... ولكن طائفة من النحاة الطغاة - سامحهم الله - وقفوا مواقف المعارضة من هذه الآية الكريمة فى أعلى قراءاتها وهى القراءة السبعية ... فهذا أبو زكريا الفراء يحكم عليها بالبطلان - وهذا أبو على الفارسى يحكم عليها بالقبح فيقول: «هذا قبيح قليل الاستعمال». وكذلك فعل الإمام ابن خالويه حين قال: «وهو قبيح فى القرآن، وإنما يجوز فى الشعر». إلى غير ذلك من أوصاف (الضعف) والشذوذ والرداءة، وأكثر من هذا أنهم نسبوها إلى اللحن، وأنها زلة من زلات ابن عامر، وفى هذا يقول أبو غانم النحوى: «قراءة ابن عامر لا تجوز فى العربية وهى زلة عالم، وإذا زل العالم لم يجز اتباعه، ورد قوله إلى الإجماع.. فهو أولى من الإصرار على غير الصواب.

(١) الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسى الأصل، أبو على (٢٨٨ - ٣٧٧هـ = ٩٠٠ - ٩٨٧م): أحد الأئمة فى علم العربية. ولد فى فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ، وتجول فى كثير من البلدان. وقدم حلب سنة ٣٤١، فأقام مدة عند سيف الدولة وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدم عنده، فعلمه النحو، وصنف له كتاب «الإيضاح» فى قواعد اللغة العربية، ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفى بها.

كان مهتما بالاعتزال، وله شعر قليل. من كتبه: «التذكرة» فى علوم العربية، عشرون مجلدًا، و«تعاليق سيبويه»، و«الشعر»، و«الحجة فى علل القراءات»، و«جواهر النحو»، و«الإغفال»، و«المقصور والممدود»، و«العوامل فى النحو»، و«المسائل الشيرازية»، و«المسائل العسكرية»، و«المسائل البصريات»، و«الحلبيات»، و«البغداديات». انظر: (وفيات الأعيان ١/١٣١، نزهة الألبا ٣٨٧، تاريخ بغداد ٧/٢٧٥، إنباه الرواة ١/٢٧٣، الإمتاع والمؤانسة ١/١٣١، الأعلام ٢/١٧٩، ١٨٠).

(٢) هو كتابه فى توجيه القراءات السبع المتواترة التى جمعها ابن مجاهد فى مؤلفه السبعة فى=

حاجة القراءِ إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء، ونحن با لله وله وإليه وهو حسبنا.

على أن أبا على رحمه ا لله قد كان وقتا حدّث نفسه بعمله، وهَمَّ أن يضع يده فيه، ويبدأ به، فاعترضت خوالج[١] هذا الدهر دونه، وحالت كَبَواتُه بينه وبينه؛ هذا على ما كان عليه من خلّو سِربه، وسروح فكره، وفروده بنفسه، وانبتات علائق الهموم عن قلبه، يبيت وقواصى نظره محوطةٌ عليه، وأَحناء تصوره محوزة إليه، مضجعه مقر جسمه ومجال همته، ومغداه ومراحه مقصوران على حفظ بنيته. ولعلَّ الخَطرة الواحدة تخرق بفكرى أقصى الحُجُب المتراخية عنى فى جمع الشتات من أَمرى، ودَمْل العوارض الجائحة لأَحوالى، وأَشكر ا لله ولا أَشكوه، وأَسأَله توفيقًا لما يرضيه.

وأنا بإذن ا لله بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذَّ عن السبعة، وقائلٌ فى معناه مما يَمَنّ به ا للهَ عز اسمه، وإِياه نستعين وهو كافِيَّ ونعم الوكيل.

* * *

أعلم أن جميع ما شذَّ عن قراءَة القراءِ السبعة[٢]، وشهرتهم مغنية عن تسميتهم ضربان.

=القراءات، وقد طُبِع جزءان فى مصر، ط الهيئة العامة المصرية للكتاب، كما قام بمجموعة من الباحثين بتحقيق بعض أجزائه كرسائل علمية، وأخيرًا طبع كاملاً فى بيروت.

(١) خَلَجَ الشىء خَلجًا وخُلُوجًا وخَلَجَانًا: تحرك واضطرب، ويقال: خلجت عينى، وخلج فى مشيته: تمايل وتخلع، فهو خالج، وهى خَلُوج. انظر: المعجم الوسيط «خلج».

(٢) القراء السبعة، هم:

١ – نافع بن عبدالرحمن بن أبى نعيم الليثى بالولاء المدنى (١٦٩هـ = ٧٨٥م): كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخُلق، فيه دعابة. أصله من أصبهان اشتهر فى المدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة، وتوفى بها. انظر: (غاية النهاية ٢/٣٣٠، ابن خلكان ٢/١٥١، التيسير للدانى، الأعلام ٨/٥).

٢ – عبدا لله بن كثير: سبق ترجمته.

٣ – عاصم بن أبى النجود بهدلة الكوفى الأسدى بالولاء (١٢٧هـ = ٧٤٥م): أحد القراء السبعة، تابعى، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة فى القراءات، صدوق فى الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه. انظر: (تهذيب التهذيب ٥/٣٨، الوفيات ١/٢٢٣، غاية النهاية ١/٣٤٦، العبر ١/١٦٧، الأعلام ٣/٢٤٨).

٤ – حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التميمى، الزيات (٨٠ – ١٥٦ هـ = ٧٠٠ – ٧٧٣م): أحد القراء السبعة. كان من موالى تيم فنسب إليهم. وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة. ومات بحلوان كان عالما بالقراءات، انعقد الإجماع=

ضرب شذ عن القراءة عاريا من الصنعة، ليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر مما هذه سبيله فلا وجه للتشاغل به؛ وذلك لأن كتابنا هذا ليس موضوعًا على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض منه إبانة ما لطفت صفته، وأُغْرِبَتْ[1] طريقته.

وضرب ثان وهو هذا الذى نحن على سمته، أعنى ما شذ عن السبعة، وغمض عن ظاهر الصنعة، وهو المعتمد المعوَّلُ عَلَيْهِ، المولى جهة الاشتغال به. ونحن نورد ذلك على ما رويناه ثم على ما صحّ عندنا من طريق رواية غيرنا له، لا نألو فيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته، وتحرّى الصحة فى روايته، وعلى أننا نُنْحى فيه على كتاب أبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله الذى وضعه لذكر الشواذ من القراءة[2]، إذ

=على تلقى قراءته بالقبول. قال الثورى: ما قرأ حمزة من كتاب الله إلا بأثر. انظر: (تهذيب التهذيب ٣/٢٧، وفيات الأعيان ١/١٦٧، ميزان الاعتدال ١/٢٨٤، وقيل: توفى سنة ١٥٨، الأعلام ٢/٢٧٧).

٥ - على بن حمزة بن عبدالله الأسدى بالولاء، الكوفى، أبو الحسن الكسائى (١٨٩هـ = ٨٠٥م): إمام فى اللغة والنحو والقراءات. من أهل الكوفة. ولد فى إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل فى البادية، وسكن بغداد، وتوفى بالرى، عن سبعين عامًا. انظر: (غاية النهاية ١/٢٣٠، تاريخ بغداد ١١/٤٣٠، نزهة الألبا ٨١ - ٩٤، طبقات النحويين ١٣٨، إنباه الرواة ٢/٢٥٦، الأعلام ٤/٢٨٣).

٦ - زيان بن عمار التميمى المازنى البصرى، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء (٧٠ - ١٥٤هـ = ٦٩٠ - ٧٧١): من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. قال الفرزدق:

ما زلت أغلق أبوابا وأفتحها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، وكانت عامة أخباره من أعراب أدركوا الجاهلية. له أخبار وكلمات مأثورة. وللصولى كتاب أخبار أبى عمرو بن العلاء. انظر: (غاية النهاية ١/٢٨٨، فوات الوفيات ١/١٦٤، ابن خلكان ١/٣٨٦، الذريعة ١/٣١٨، نزهة الألبا ٣١، الأعلام ٣/٤١).

٧ - ابن عامر: سبق ترجمته. انظر ترجمته: (تهذيب التهذيب ٥/٢٧٤، غاية النهاية ١/٤٢٣، ميزان الاعتدال ٢/٥١، الأعلام ٤/٩٥).

(١) أغرب: صار غريبا، يقال: أغرب المال، وأغربت الحال، والشىء: نحاه وأبعده. انظر: المعجم الوسيط «غرب».

(٢) وصنع ابن مجاهد كتابا آخر فى القراءات الشاذة، ولكنه من كتب القراءات المفقودة التى لم تصل إلينا.

كان مرسوما به مَحْنُوَّ الأرجاء عليه، وإذ هو أثبت فى النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته، ولا توفيقه ولا هدايته.

فأما ما رويناه في ذلك فكتاب أبى حاتم سهل بن محمد بن عثمان[1] السجستانى رحمه الله، أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القِرْميسينى، عن أبى بكر محمد بن هارون الرُّويانى[2] عن أبى حاتم، وروينا أيضا فى كتاب أبى على محمد بن المستنير قُطْرُب[3] من هذه الشواذ صدرا كبيرا. غير أن كتاب أبى حاتم أجمع من كتاب قطرب لذلك؛ من حيث كان مقصورا على ذكر القراءات، عاريا من الإسهاب فى التعليل والاستشهادات التى انحطَّ قطرب فيها، وتناهى إلى متباعد غاياتها.

أَخبرنا أبو الحسن محمد بن على بن وكيع عن أَبى الحسن أَحمد بن سعيد بن عبدالله الدمشقى، قال: حدثنى محمد بن صالح المصرى ورّاق على بن قطرب، قال: قرأت على أَبى محمد بن المستنير قطرب من سورة النحل إلى آخر القرآن. قال: وقرأْت على علىٍّ ابن قطرب من البقرة إلى النحل عن أبيه محمد بن المستنير بمصر فى سنة تسع وأربعين ومائتين. قال أبو الحسن الدمشقى: وحدثنى أَبو بكر العبدى بسر من رأى فى سنة سبع وخمسين ومائتين، قال: سمعت أبا على محمد بن المستنير قطربًا يمليه فى مدينة السلام، فكتبت منه من البقرة إلى سورة مريم ثم قطع الكتاب، قال: وسمع منى أبو بكر العبدى من سورة مريم إلى آخر الكتاب، وسمعت منه من فاتحة الكتاب إلى سورة مريم.

وأخبرنا أبو على الحسن بن أَحمد الفارسى سماعًا مع من قرأ عليه كثيرًا من هذا

---

(١) سهل بن محمد بن عثمان الجشمى السجستانى (٢٤٨ هـ = ٨٦٢م): من كبار العلماء باللغة والشعر، من أهل البصرة كان المبرّد يلازم القراءة عليه. له نيف وثلاثون كتابا، منها كتاب: «المعمرين – ط» و«النخلة» و«ما تلحن فيه العامة» و«الشجر والنبات» و«الطير» و«الأضداد» و«الوحوش» و«الحشرات» و«الشوق إلى الوطن» و«العشب والبقل»، وله شعر جيد. انظر: (الفهرست ١/٥٨، الوفيات ١/٢١٨، بغية الوعاة ٢٥٦، الأعلام ٣/١٤٣).

(٢) محمد بن هارون الرويانى، أبو بكر (٣٠٧هـ = ٩٢٠م): من حفاظ الحديث، له مسند وتصانيف فى الفقه. نسبته إلى رويان بنواحى طبرستان. انظر: (تذكرة الحفاظ ٢/٢٨٦، الرسالة المستطرفة ٥٤، الأعلام ٧/١٢٨).

(٣) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو على، الشهير بقطرب (٢٠٦ هـ = ٨٢١م): نحوى، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، من الموالى. كان يرى رأى المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع «المثلث» فى اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه «سيبويه» فلزمه. انظر: (وفيات الأعيان ١/٤٩٤، تاريخ بغداد ٣/٢٩٨، طبقات النحويين ١٠٦، بغية الوعاة ١٠٤، نزهة الألبا ١١٩، الأعلام ٧/٩٥).

الكتاب، وأنا حاضره، عن أبى على الحسن بن محمد بن عثمان الفارسى، عن الدمشقى أيضًا. وأخبرنا أيضًا بما فى كتاب المعانى[١] عن أبى إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج[٢] بسماعه منه، وبمعانى الفراء[٣] عن ابن مجاهد عن الفراء[٤]. وروينا غير ذلك مما سنذكر سنده وقت إحضاره المقول على مشكله إن شاءَ الله.

اللهم أخلص أعمالنا لوجهك، وأوسعنا من عافيتك وعفوك، إنك سميع الدعاءِ فعَّال لما تشاءُ.

* * *

(١) يقصد كتاب الزجاج معانى القرآن وإعرابه، وقد طبع بدار الحديث تحقيق د. عبدالفتاح شلبى وهو غير إعراب القرآن، المنسوب للزجاج.

(٢) إبراهيم بن السرى بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٢٤١ - ٣١١ = ٨٥٥ - ٩٢٣م): عالم بالنحو واللغة. ولد ومات فى بغداد. كان فى فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد.... من كتبه: «معانى القرآن وإعرابه»، «الاشتقاق»، «خلق الإنسان»، «الأمالى»، «فعلت وأفعلت»، «المثلث». انظر: (معجم الأدباء ٤٧١١، نزهة الألبا ٣٠٨، إنباه الرواة ١/١٥٩، الأعلام ١/٤٠).

(٣) وهو كتابه معانى القرآن طبع عدة طبعات، منها طبعة بالهيئة المصرية العامة للكتاب، وأخرى طبعة بيروت.

(٤) يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمى، مولى بنى أسد «أو بنى منقر» أبو زكرياء، المعروف بالفراء (١٤٤ - ٢٠٧هـ = ٧٦١ - ٨٢٢م): إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين فى النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد. وتوفى فى طريق مكة. من كتبه «المقصور والممدود»، و«معانى القرآن»، و«المذكر والمؤنث»، و«اللغات»، و«الفاخر»، و«ما تلحن به العامة»، و«الحدود»، و«مشكل اللغة». انظر: (إرشاد الأريب ٢٧٦/٧، وفيات الأعيان ٢٢٨/٢، ابن النديم ٦٦ - ٦٧، مفتاح السعادة ١/١٤٤، غاية النهاية ٢/٣٧١، نزهة الألبا ١٢٦، مراتب النحويين ٨٦، الأعلام ٨/١٤٥، ١٤٦).

سورة فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢](١)

قراءَة أَهل البادية: «الحمدُ لُلَّه»(٢) مضمومةَ الدال واللام، ورواهــا لى بعـض أَصحابنـا قراءَةً لِإبراهيم بن أَبى عبلة: «الحمدِ لِلَّه» (٣) مكسورتان(٤)، ورواها أيضًا لى قـراءة لزيـد

(١) سوف نذكر الآيات كما هى فى المصحف بقراءة حفص عن عاصم وهى القراءة التى اتفق عليها الجمهور، فى وسط السطر؛ تسهيلا على القارئ.

(٢) انظر القراءة فى: (معانى القرآن للفراء ٣/١، إعراب القـرآن للنحـاس ١٢٠/١، إعـراب القـرآن للعكبرى ٣/١، الكشاف للزمخشرى ٨/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٣٦/١، مجمع البيان للطبرسى ٢١/١، شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى ٣٥٥/٢ الخصائص ١٤٧/٢).

(٣) وهى أيضا قراءة الحارث بن أسامة بن لؤى، ورؤبة بـن العجـاج. انظـر: (معـانى القـرآن للفـراء ٣/١، إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١٢٠/١، إعراب القرآن للعكبرى ٣/١، البحـر المحيـط ١٨/١، التبيان للطوسى ٣١/١، الجامع لأحكـام القـرآن ١٣٦/١، الكشـاف للزمخشـرى ٨/١، مجمع البيان للطبرسى ٢١/١، إتحاف فضلاء البشر ١٢٢، شـرح المفصـل لابـن يعيـش ١٢٩/٧، الأشباه والنظائر للسيوطى ٨/١، ٦٧/٣، الأمالى الشجرية لابن الشجرى ١٢٠/٢، مغنى اللبيب لابن هشام ١٧٥/١، تهذيب اللغـة للأزهـرى مـادة «حمـد»، الخصـائص ١٤٧/٢، اللسـان مـادة «حمد» ١٥٥/٣).

(٤) وأجمع القرّاء السبعة وجمهور الناس على رفع الدال من «الحمدُ لله». ورُوي عن سفيان بـن عُيينـة ورؤُبة بن العَجّاج: «الحمدَ لله» بنصب الدال، وهذا على إضمار فعل. ويقال: «الحمدُ لله» بـالرفع مبتدأ وخبر، وسبيل الخبر أن يفيد، فما الفائدة فى هذا؟ فالجواب أن سيبويه قال: إذا قال الرجـل الحمدُ لله بالرفع ففيه من المعنى مثل ما فى قولك: حمدت الله حمدا، إلا أن الذى يرفع الحمد يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق لله، والذي ينصب الحمد يخبر أن الحمد منه وحده لله. وقال غـير سيبويه: إنما يتكلم بهذا تعرّضا لعفو الله ومغفرته وتعظيما له وتمجيدا، فهـو خـلاف معنـى الخبر وفيه معنى السؤال. وفي الحديـث: «مَـن شـغل بذكـرى عـن مسـألتى أعطيتـه أفضـل مـا أعطـى السائلين». وقيل: إن مدحه عزّ وجلّ لنفسه وثناءه عليها ليعلّم ذلك عباده، فـالمعنى على هـذا:=

ابن على رضى الله عنهما، والحسن البصرى[١] رحمه الله.

وكلاهما شاذ فى القياس والاستعمال؛ إلا أن من وراءِ ذلك ما أذكره لك، وهو: أن هذا اللفظ كثر فى كلامهم، وشاع استعماله، وهم لِمَا كثر فى استعمالهم أشدّ تغييرًا، كما جاءَ عنهم لذلك: لم يَكُ، ولا أَدْرِ، ولم أُبَلْ، وأَيْشٍ تقول، وجا يجى، وسا يسو، بحذف همزتيهما.

فلما اطّرد هذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزءِ الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصار «الحمدُ لُلّه» كعُنُق وطُنُب، و«الحمدِ لِلّه» كإبل وإطِل[٢]. إلا أن «الحمدُ لُلّه» بضم الحرفين أسهل من «الحمدِ لِلّه» بكسرهما من موضعين:

=قولوا الحمد لله. قال الطبري: «الحمد لله» ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمرَ عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا الحمد لله وعلى هذا يجيء قولوا إياك. وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه، كما قال الشاعر:

وأعلَمُ أنّني سأكونُ رَمْسا ... إذا سار النّواعِجُ لا يسير

المعنى: المخفور له وزير، فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه، وهذا كثير.

وروى عن ابن أبى عَبَلَة: «الحمدُ لُلّه» بضم الدال واللام على إتباع الثانى الأوّل وليتجانس اللفظ، وطلبُ التجانس فى اللفظ كثير فى كلامهم نحو: أجُوءُك، وهو منحدُرٌ من الجبل، بضم الدال والجيم. قال: «اضرب الساقينُ أُمّك هابل». بضم النون لأجل ضم الهمزة. وفى قراءةٍ لأهل مكة «مُرُدفين» بضم الراء إتباعا للميم، وعلى ذلك «مُقُتلين» بضم القاف. وقالوا: لإمّك، فكسروا الهمزة إتباعا للامّ وأنشد للنعمان بن بشير:

ويل أمّها فى هَواءِ الْجَو طالبةً ... ولا كهذا الذى فى الأرضِ مَطْلُوبُ

الأصل: ويلٌ لأمها فحذفت اللام الأولى واستثقل ضم الهمزة بعد الكسرة فنقلها للام ثم أتبع اللام الميمَ.

وروى عن الحسن بن أبى الحسن وزيد بن علىّ: «الحمدِ لِلّه» بكسر الدال على إتباع الأوّل الثانى.

(١) الحسن بن يسار البصرى، أبو سعيد (٢١ - ١١٠هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨م): تابعى، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة فى زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النسّاك. ولد بالمدينة، وشب فى كنف على بن أبى طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية وسكن البصرة، وعظمت هيبته فى القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف فى الحق لومة لائم. انظر: (ميزان الاعتدال ١/٢٥٤، حلية الأولياء ٢/١٣١، ذيل المذيل ٩٣، أمالي المرتضى ١/١٠٦، الأعلام ٢/٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) الإطِلَ الخاصرة، والجمع آطال. انظر: المعجم الوسيط «إطل».

أحدهما: أنه إذا كان إتباعا فإنَّ أقيس الإتباع أنَ يكون الثانى تابعًا للأول؛ وذلك أنه جار مجرى السبب والمسبب، وينبغى أَن يكون السبب أسبق رُتبة من المسبب، فتكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال كما نقول مُدُّ وشُدُّ، وشَمَّ وفِرِّ فتتبع الثانى الأول، فهذا أقيس من إتباعك الأول للثانى فى اقُتل، وادْخُل؛ ومع هذا فإن هذا الإتباع أعنى اقتل وبابه لا يكاد يعتد، وذلك أن الوصل هو الذى عليه عقد الكلام واستمراره، وفيه تصح وجوهه ومقاييسه، وأنت إذا وصلتَ سَقَطَت الهمزة، فقلت: فاقتل زيدا، فادخل يا هذا. وليست كذلك ضمة الدَّال فى مُدُّ، ولا فتحة الميم فى شَمَّ، ولا كسرة الراءِ فى فِرِّ لأنهنَّ ثوابتُ فى الوصل الذى عليه معقد القول، وإليه مفزع القياس والصوب، فكان أَن مُدُّ أَقْيس إتباعا من: اقتل، لما ذكرنا من الوصل المرجوع إليه المأخوذ بأَحكامه؛ ولأن السبب أيضا أسبق رتبة من المسبب، فكذلك الحمدُ للهِ أَسهلُ مأخذا من الحمدِ لِلَّه.

والآخر: أَنَّ ضمة الدال فى «الحمد» إعراب، وكسرةُ اللام فى « لله» بناء، وحرمة الإعراب أَقوى من حرمة البناء، فإذا قلت: الحمدُ لله فقريب أن يغلب الأَقوى الأَضعفَ، وإذا قلت الحمدِ لله جنى البناءُ الأضعف على الإعراب الأقوى، مضافا ذلك إلى حكم تغيير الآخر الأول، وإلى كثرة باب عُنُق وطُنُب فى قلة باب إبِل إطِل فاعرفه. ومثل هذا فى إتباع الإعراب البناءَ ما حكاه صاحب الكتاب(١) فى قول بعضهم:

وقال اضرِب الساقين إمِّك هابل(٢)

كسر الميم لكسرة الهمزة، ثم من بعد ذلك أنك تفيد من هذا الموضع ما تنتفع به فى موضع آخر. وهو أن قولك: الحمدُ لله جملة، وقد شبه جزءَاها معا بالجزء الواحد، وهو مُدُّ أَو عُنُق فيمن أسكن ثم أَتبع، أَو السُّلُطان أَو القُرُفُصاءُ أَو الْمُنُتن دلَّ ذلك على

(١) انظر: (الكتاب ١٤٦/٤).

(٢) عجز بيت لم يعرف صدره ولا قائله كما فى شرح شواهد الشافية ١٧٩/٤. انظر: (الخصائص ١٤٧/٢، ١٤٣/٣). وقال فيه: وأصله: أمك هابل، إلا أن همزة «أمك» كسرت لانكسار ما قبلها، على حد قراءة من قرأ «فلأمه الثلث» [النساء: ١١].
وهى قراءة حمزة والكسائى. انظر: (البحر المحيط ١٨٤/٣). فصار: إمِّك هابل، ثم أتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمة الإعراب، فابتزتها موضعها، فهذا شاذ لا يقاس عليه، ألا تراك لا تقول: قِدِرك واسعة، ولا عدِلِكِ ثقيل، ولا بنتِك عاقلة. (الخصائص ١٤٣/٣). ومن الناس من يرويه: اضرب الساقين أمك بضم النون فى الساقين إتباعا لهمزة أمك. وانظر: (تفسير القرطبى ١٣٦/١، الكتاب ١٤٦/٤).

شدة اتصال المبتدأ بخبره؛ لأنه لو لم يكن الأمر عندهم كذلك لما أجروا هذين الجزأين مجرى الجزءِ الواحد، وقد نَحَوا هذا الموضع الذى ذكرته لك فى نحو قولهم فى تأبط شرًّا: تأَبطى، وقولهم فى رجل اسمه زيد أخوك: زيدى، فحذفوا الجزءَ الثانى، كما يحذفون اجزءَ الثانى من المركَّب فى نحو قولهم فى حضرموت: حَضْرمىّ، وفى رامَ هُرْمُزَ: رامىّ، وكما يقولون أيضا فى طلحة طَلْحىّ، فاعرف ذلك دليلا على شدة اتصال المبتدأ بخبره، وما علمت أَحدا من أَصحابنا نحا هذا الموضع على وضوحه لك، وقوة دلالته على ما أَثبته فى نفسك.

ومثله أَيضا فى الدلالة على هذا المعنى: قراءَة ابن كثير: «فإذا هى تَّلَقَّفُ»[1] أَلا ترى إلى تسكين حرف المضارعة من «تَلَقَّف»؟ فلولا شدة اتصاله بما قبله للزم منه تصور الابتداء بالساكن، لا بل صار فى اللفظ قولك: «هِيَتّ» كالجزءِ الواحد الذى هو خِدَبّ[2]، وهِجَفّ[3]، وهِقَبّ[4]، وهذا أَقوى دلالة على قوة اتصال المبتدأ بخبره من الذى أريناه من قبله لما فيه إن لم تنعم به من وجوب تصور الابتداء بالساكن. نعم ومن ورائه أَيضا ما هو أَلطف مأْخذا، وهو أَن قوله سبحانه: «تلقف» جملة ومشفوعة أَيضا بالمفعول الموصول الذى هو «ما يأْفِكُون»، وأَصل تصور الجمل فى هذا المعنى: أَن تكون منفصلة قائمة برءُوسها، وقد قرأَها هاهنا كيف تصورت شديدة الحاجة إلى المبتدأ قبلها؟ فإذا جاز هذا الخلط له، ووكادة الصلة بينه وبين ما قبله فما ظنك بخبر المبتدأ إذا كان مفردا؟ أَلا تعلم أنه به أَشد اتصالا، وإليه أَقوى تساندا وانحيازا، فاضمم ذلك إلى ما قبله.

ونَحْوٌ مما نحن على سمته، وبسبيل الغَرَض فيه - حكاية الفَرَّاءِ عن بعضهم، وجرى

---

(١) سورة الأعراف الآية (١١٧)، وهى قراءة البزى عنه. انظر القراءة فى: (السبعة فى القراءات ٢٩٠، غيث النفع ٢٢٧، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧١، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٨، التبيان للطوسى ٤/٥٣٥ التيسير للدانى ٨٣، الحجة لأبى زرعة ٤٩٢، البحر المحيط ٤/٣٦٣ إعراب القرآن للعكبرى ١/١٦٢).

(٢) الخِدَب: العظيم الجافى، والضخم من كل شىء، يقال: رجل خِدَب، وسنام خِدَب وجَمَل خِدَب: شديد صلبٌ ضخمٌ قوى. انظر: المعجم الوسيط «خدب».

(٣) الهِجَف: الظليم المسن، والجافى الثقيل من الناس ومن النعام، والواسع الجَوْف. انظر: المعجم الوسيط «هجف».

(٤) الهِقَب: الواسع الحلق الذى يلتقم كل شىء، والضخم فى طول وجسم. انظر: المعجم الوسيط «هقب».

ذكر رجل فقيل: ها هو ذا. فقال مجيبا: نَعَم الْهَا هُوَ ذَا هُوَ، فإلحاقه لام المعرفة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر من أقوى دليل على تنزلها عندهم منزلة الجزء الواحد. نعم، وفى صدر هذه الجملة حرف التنبيه، وهو يكاد يفصلها عن لام التعريف بعض الانفصال، وهما مع ذلك كالمتلاقيتين المعتقبتين مع حَجْزِه بينهما وإعراضه على كلٍّ واحد منهما.

* * *

﴿وإيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

ومن ذلك: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قرأها الفضل الرقاشى: «وأَيَّاك» (١) بفتح الهمزة.

قال أبو الفتح: قد ذكرنا فى كتابنا الموسوم بسر صناعة الإعراب: ما تحتمله إِيّا من الْمُثُل: هل هى فِعَّل، أو فِعْيَل، أو فِعْوَل، أو إِفْعَل، أو فِعْلَل.

أَمِنْ: آءَة، أم مِنْ أَيَة، أَمْ مِنْ أَوَيْتُ، أَمْ مِنْ وَأَيْتُ، أَمْ منْ قوله:

فأَوِّ لذكراها إِذا ما ذكرتُها(٢)

فأَما فتح الهمزة فلغة فيها: إياك وأَياك وهِيَّاكِ(٣) وهَياك(٤)، والهاءُ بدل من الهمزة، كقولهم: فى أرَقت: هَرقت، وأَردت هَردت، وأَرحت الدابة: هرحت، وأَنرت الثوب: هنرت. قال:

فهِياك والأَمْر الذى إن توسَّعَتْ مواردُه ضاقت عليك مصادره(٥)

---

(١) وهى قراءة على أيضا. انظر القراءة فى: (البحر المحيط ١/٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/١٤٦، إعراب القرآن للنحاس ١/١٢٢، إعراب القرآن للعكبرى، تفسير الآلوسى ١/٨٦).

(٢) ذكره فى الخصائص ٢/٩١ أيضا غير منسوب وعجزه: «ومن بعد أرض بيننا وسماء».
ورواه أيضًا في الخصائص ٣/٤٠: «فأوه من الذكرى إذا ما ذكرتُها». وقال: ويروى: فأد لذكراها.

(٣) وقد قرأها فى الشواذ: ابن السوار الغنوى «هِيَّاك». انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٣).

(٤) وقد قرأها فى الشواذ: ابن السوار الغنوى «هَيَّاك». انظر: (البحر المحيط ١/٢٣، الجامع لأحكام القرآن ١/١٤٦).

(٥) ورد فى شرح الشافية، ونسبه البغدادى لمضرس بن ربعى، وقيل: طفيل الغنوى. انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٤٧٦).

وقرأ عمرو بن فايد(١): «إِيَاكَ نعبد وإِيَاك نستعين»(٢)، بتخفيف الياء فيهما جميعا، فوزن إِيا على هذا فِعَل كرِضًا، وحِجًا وحِمًى، ونظيره: إِيَا الشمس، قال طَرَفة(٣):

سقته إِيَاةُ الشمس إلاَّ لِثَاتِه أُسِفَّ ولم تكدِمْ عليه بإِثْمِدِ(٤)

ويقال فيه: أَيَاءُ الشمس بالفتح والمد. قال ذو الرِّمة(٥):

تَنازَعها لونان ورد وحُوَّةٌ ترى لأَيَاء الشمس فيه تحدُّرا

وإِياً فِعَل، وأَيَاءَ فَعَال، وكلاهما من لفظ الآية ومعناها، وهى: العلامة، وذلك أن ضوء الشمس إِذا ظهر عُلم أن جرمها على وجه الأَرض.

وحدثنا أَبو بكر محمد بن على قال: كان أبو إسحاق يقول فى قول الله سبحانه: ﴿إِياك نَعبد﴾ أَى حقيقتك نعبد، وكان يشتقه من الآية، وهى العلامة، وهذا يجىءُ ويسوغ على رأَى أَبى إسحاق؛ لأَنه كان يعتقد فى إِيّاك أَنه اسم مظهر خُص به المضمر، فأَما على قول الكافة فاشتقاقه فاسد؛ لأَن إِيّاك اسم مضمر، والأَسماءُ المضمرة لا اشتقاق فى شىء منها، وينبغى أَن يكون عمرو بن فايد إنما قرأَ «إِيَاك» بالتخفيف؛ لأَنه كره اجتماع التضعيف مع ثقل الياءين والهمزة والكسرة، ولا ينبغى أن يحمل إِيَاكَ بالتخفيف على أَنها لغة؛ وذلك أَنا لم نر لذلك أَثرا فى اللغة ولا رسمًا ولا مرَّ بنا فى نثر

---

(١) عمرو بن فائد، أبو على الأسوارى التميمى (بعد ٢٠٠هـ = بعد ٨١٥م): معتزلى قدرى، من القراء القُصاص، من أهل البصرة، وكان متروك الحديث، ليس بثقة ولا يكتب حديثه. انظر: (لسان الميزان ٣٧٢/٤، اللباب ٤٧/١، ٤٨، الأعلام ٨٣/٥).

(٢) وهى قراءة أبي بن كعب أيضا. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤٦/١، البحر المحيط ٢٣/١).

(٣) هذا البيت من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

لِخَولةَ أطلالٌ ببُرقَةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كبَاقى الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

انظر: (ديوانه صـ١٩).

(٤) إياة الشمس: شعاعها. اللثة: مغرز الأسنان. والجمع اللثات. الأسفاف: إفعال من سففت الشىء أسفه سفا. الإثمد: الكحل. الكدم: العض. ثم وصف ثغرها فقال: سقاه شعاع الشمس أى: كأن الشمس أعارته ضوءها. ثم قال: إلا لثاته، يستثنى اللثات لأنه لا يستحب بريقها، قال: أسف عليه الإثمد: أى: ذر الإثمد على اللثة، ولم تكدم بأسنانها على شىء يؤثر فيها، وتقدير أسف بإثمد ولم تكدم عليه بشىء، ونساء العرب تذر الإثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان. انظر: هامش الديوان صـ٢١.

(٥) غير موجود فى ديوانه المطبوع.

ولا نظم. نعم ومن لم يُخلد مع ثقته إلى نظر يُعْصم به ويتساند إليه بأمانته أُتِي من قبل نفسه من حيث يظن أنه ينظر لها، وكان ما دهاه فى ذلك من أَجْل فقاهته لا أمانته.

وإذا جاز أَن تخفف الحروف الثقال مع كونها صحاحا وخفافا، فتخفيف الضعيف الثقيل أَحرى وأَولى. فمن ذلك قولهم فى رُبَّ رَجل: رُبَ رَجل، وفى أَرَّ: أَرْ، وفى أَىِّ: أَىْ، أَنشدنا أَبو على للفرزدق(١):

تنظرت نصرًا والسماكين أَيْهُمَا(٢) عَلَىَّ من الغيثِ استهَلَّتْ مواطِرُه

ويبدلون أيضا ليختلف الحرفان فيخفا، وذلك قوله:

يا ليتما أُمُّنَا شالت نعامَتُها أَيْمَا إِلىَ جَنَّة أَيْمَا إِلىْ نار

وقالوا فى اجلوَّاذ: اجليواذ، وفى دِوّان ديوان؛ والشىءُ من هذا ونحوه، أَوسع لكن كل واحد من هذه الحروف وغيرها قد سمع وشاع، فأَما إِيَاك بالتخفيف فلم يسمع إِلا من هذه الجهة، وينبغى للقرآن أَن يُختار له، ولا يختار عليه.

* * *

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

ومن ذلك قراءَة الحسن رضى الله عنه: «اهْدِنا صراطا مستقيما»(٣).

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون أَراد - والله أَعلم - التذلل لله سبحانه، وإِظهار الطاعة له، أَىْ قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له: صراط مستقيم، ولسنا نريد المبالغة فى قول من قرأَ: الصراط المستقيم، أَى: الصراط الذى قد شاعت استقامته وتُعولمت فى ذلك حاله وطريقته، فإِنّ قليل هذا منك لنا زاكٍ عندنا وكثير من نعمتك علينا، ونحن له مطيعون، وإِلى ما تأمر به وتنهى فيه صائرون. وزاد فى حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى؛ وذلك أَن تقديره: أَدِمْ هدايتك لنا؛ فإِنك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إِلى صراط مستقيم؛ فجرى حينئذ مجرى قولك: لئن لقيتَ رسول الله ﷺ لَتلْقَينّ منه رجلا

---

(١) من قصيدة له يمدح فيها نصر بن سيار، مطلعها:

كيف نخاف الفقر يا طيب بعدما أتتينا بنصر من هراة مقادره

انظر: (ديوانه ٢٨١ ط دار صادر).

(٢) أيهما: مخفف أيّهما.

(٣) وهى قراءة: زيد بن على، والضحاك، ونصر بن على أيضا. انظر: (إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٢٣، البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ١/٢٦).

متناهيا فى الخير، ورسولا جامعا لسُبل الفضل. فقد آلت به حال إلى معنى التجريد كقول الأخطل[(١)]:

بنَزوة لص بَعد ما مر مصعب ... بأشعث لا يُفْلَى ولا هو يَقمَل[(٢)]

ومصعب نفسه هو الأشعث، وعليه قول طرفة[(٣)]:

جازت القومَ إلى أرحُلنا ... آخر الليل بيعفور خَدِر[(٤)]

وهى نفسها عنده اليعفور. أنشدنا أبو على[(٥)]:

أَفاءَت بنو مروان أمسِ دماءَنا ... وفى الله إن لم يحكموا حَكَم عدل

وهو سبحانه أعرف المعارف، وقد سماه الشاعر حكما عدلا، فأخرج اللفظ مخرج

---

(١) انظر: (الخصائص ٢/٤٧٧ بنصه، والبيت فى ديوانه ١٠).

(٢) الأشعث: الوتد، سمى بذلك لشعث رأسه، وقد وصفه بأنه لا يصيبه القمل، فلا يحتاج إلى أن يفلى، ليميزه عن الأشعث من الناس. انظر: (هامش الخصائص ٢/٤٧٧).

(٣) انظر: (الخصائص ٢/١٧٩، ٤٧٧) بنصه، وهذا البيت من قصيدته التى مطلعها:

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ... ومن الحب جنون مستعر

(٤) قوله: (القوم) يروى (البيد)، وقوله: جازت يعنى خيالها، وأنثه لأنه كأنه هى، والخبر عنه خبر عنها. وإنما قال: «آخر الليل» لأن التعريس أى النزول وقطع السير يكون آخر الليل، وعند التعريس والنوم يأتيه خيالها، واليعفور: ظبى تعلوه حمرة، والخدر: الفاتر العظام البطىء عند القيام. يقول: قطعت البيد إلينا بمثل ظبى فى ملاحته وحسنه، وإنما عناها نفسها، وهذا من باب التجريد، انظر: (شرح الشنتمرى لديوانه، وهامش الخصائص ٢/١٧٩).

(٥) ورد فى الخصائص كروايته فى المحتسب. انظر: (الخصائص ٢/٤٧٧)، وورد فى معاهد التنصيص ٣/١٦: «أباحت بنو مروان ظلما دماءنا» ولم ينسبه.

وورد فى حماسة ابن الشجرى فى أبيات لأبى الخطار الكلبى هكذا:

أفاءت بنو مروان قيسا دماءنا ... وفى الله إن لم ينصفوا حكم عدل

وبعده:

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضل

انظر: (هامش الخصائص ٢/٤٧٧).

التنكير. فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير إلى معنى التعريف، وفيه مع ذلك لفظ الرضا باليسير، فإذا جاز أن يَرضى الإنسان من مخلوق مثله بما رضى به الشاعر من محبوبه بما دل عليه قوله، أَنشده ابن الأعرابى[١]:

وإنى لأرضى منك[٢] ياليلُ بالذى ... لوَ أبصره الواشى لقرَّت بلابلُه[٣]
بلا وبأن لا أستطيعُ وبالمُنى ... وبالوعد حتى يسأَم الوعدَ آمله
وبالنظرة العَجْلى وبالحول تنقضى ... أَواخره لا نلتقى وأَوائله

وأَنشدنى بعض أَصحابنا لبعض المولدين:

عِدينا واكذبينا وامطُلينا ... فقد أومنتِ من سوءِ العقاب
فلسنا من وعيدك فى ارتياب ... ولا من صدق وعدك فى اقتراب
ولكنا لشؤم الجَدِّ منا ... نَفِرّ من العذاب إلى العذاب

وعليه قول الآخر:

عَلِّلينى بموعد ... وامطلى ما حييت به
ودعينى أعيش منـ ... ـك بنجوى تَطَلُّبه
فعسى يعثر الزما ... ن بجنبى فينتبه

ونظائره كثيرة، قديمة ومولّدة - كان العبد البرُّ والزاهد المجتهد أَحرى أَن يسأَل خالقه جل وعز، مقتصدا فى سؤاله، وضامنا من نفسه السمع والطاعة على ذلك ممن يأمره.

ويؤكد عندك مذهب ما أنشدته آنفا ما حدثنا به أَبو على قال: لما قال كُثير[٤]:

ولست براضٍ من خليلى بنائل ... قليل ولا أَرضى له بقليل

قال له ابن أَبى عتيق: هذا كلامُ مُكافِئ، هلا قلت كما قال ابن الرقيات[٥]:

---

(١) من قصيدة لجميل بثينة، قال صاحب الأغانى: سعت خادمة بثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عند بثينة الليلة فجاءاها وكل يحمل سيفه فوجداهما مجتمعين وجميل يشكو إليها وجده فقال أبوها لأخيه: قم بنا وسوف لا نمنع هذا الرجل بعد اليوم من لقائها، فانصرفا وتركاهما. انظر: (ديوان العذريين ١٥١) ط دار الجيل بيروت.

(٢) وقع فى المطبوع من الديوان «من بثينة».

(٣) قرت بلابله: سكت وامتنع عن الوشاية.

(٤) انظر البيت: فى الأغانى (١/١٥٤، ٥/١٠٥)، وهو من بحر الطويل.

(٥) وردت هذه القصة فى كتاب الأغانى (٥/١٠٥ ط دار الكتب العلمية) مع تغير فى سياقها، وهو:=

رُقَىَّ بعَمْرِكُمْ[١] لا تهجرينا ومنّينا المنى ثم امطلينا[٢]

وأَنشدنى بعض أَصحابنا:

وعلليني بوعد منك آمله إنى أُسَرُّ وإن أخلفت أَن تعدى

وعليه قول الله عز اسمه: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[٣]؛ أى: هديناهم من نعمتنا عليهم، ونَظَرِنَا لهم صراطا مستقيما. وقال كثير:

أَمير المؤمنين على صراط إِذا اعوج الموارِدُ مستقيم

وهذا كقولك: أَمير المؤمنين على الصراط المستقيم لا فرق بينهما، وذلك أن مُفاد نكرة الجنس مفاد معرفته من حيث كان فى كل جزء منه معنى ما فى جملته؛ ألا ترى إلى قوله:

وأَعلم إِنّ تسليما وتركا لَلاَ متشابهان ولا سواءَ

فهذا فى المعنى كقوله: إِن التسليم والترك لا متشابهان ولا سواء.

* * *

= أنشد كثير ابن أبى عتيق كلمته التى يقول فيها:

ولستُ براض من خليلى بنائل قليل ولا أرضى له بقليل

فقال له: هذا كلام مكافئ «ليس بعاشق»، القُرشيان أقنعُ وأصدقُ منك: ابن أبى ربيعة حيث يقول:

ليت حظى كلحظة العين منها وكثيرٌ منها القليلُ المهنا

وقوله أيضا:

فعدى نائلاً وإن لم تُنيلى إنه يُقنع المحبَّ الرجاءُ

وابن قيس الرقيات حيث يقول:

رُقَى بعيشكم لا تَهجُرينا ومنينا المنىَ ثم امطلينا

عدينا فىَ غَدٍ ما شئت إنا نحب وإن مطلت الواعدينا

فإما تنجزى عدتى وإما نعيش بما نؤمل منك حينا

قال: فذكرت ذلك لأبى السائب المخزومى ومعه ابن المولى، فقال: صدق ابن أبى عتيق وفقه الله.

(١) وفى الأغانى (٥/١٠٥): «رقى بعيشكم لا تهجرينا»، والموشح ١٤٩.

(٢) انظر: (ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ١٣٧ ط صادر، الأغانى ٥/١٠٥).

(٣) سورة النساء الآية (٦٨).

﴿أَنعمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]

ومن ذلك قوله: ﴿أَنعمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ذكر أبو بكر أحمد بن موسى: أن فيها سبعَ قراءَات: عليهُمُو[١]، وعليهُمُ[٢] بضم الميم من غير إشباع إلى الواو، وعليهُمْ[٣] بسكون الميم مع ضمة الهاء، وعليهمى[٤] وعليهِمْ بكسر الهاء وسكون الميم، وعليهِمُو[٥] بكسر الهاء وواو بعد الميم، وعليهِمُ[٦] مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير واو.

وزاد أبو الحسن سعيد بن مَسعَدة الأَخفش[٧] على ما قال أَبو بكر ثلاثة أَوجه،

---

(١) قراءة أبى عمرو، وابن كثير، وأبى جعفر، وابن أبى إسحاق، وقالون، وعيسى الثقفى، وابن محيصن، والأعرج، والخفاف، ومسلم بن جندب. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٢٤، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦، البحر المحيط ١/٢٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/١٤٨، مجمع البيان للطبرسى ١/٢٨، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٢٤، التبيان فى تفسير القرآن ١/٤٣، والتيسير للدانى ١٩).

(٢) قراءة ابن كثير، وقالون، والأعرج. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٤٨، التبيان فى تفسير القرآن للطوسى ١/٣٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦، مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ١/٢٨).

(٣) قراءة حمزة، وأبى الحسن الأخفش، ويعقوب، والمطوعى، والشنبوذى. انظر: (إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١/١٢٤، الجامع لأحكام القرآن ١/١٤٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٥، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٦ إتحاف فضلاء البشر ١٢٣، التبيان فى تفسر القرآن للطوسى ١/٤٣١، الحجة المنسوب لابن خالويه ٦٣، الحجة لأبى زرعة ٨٠، السبعة فى القراءات لابن مجاهد ١٠٨، غيث النفع للصفاقسى ٦٣، مجمع البيان للطبرسى ١/٢٨).

(٤) قراءة الحسن البصرى، وعمرو بن فائد. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٢٤، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٥، مجمع البيان للطبرسى ١/٢٨).

(٥) قراءة ابن كثير، والأعرج، وقالون. انظر: (السبعة فى القراءات لابن مجاهد ١٠٨، غيث النفع للصفاقسى ٦٣، البحر المحيط ١/٢٦، الحجة لأبى زرعة ٨٠، شرح الكافية للرضى ٢/١٢).

(٦) قراءة الأعرج. انظر: (مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ١/٢٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/١٤٩).

(٧) سعيد بن مسعدة المجاشعى بالولاء، البلخى ثم البصرى، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ = ٨٣٠م): نحوى، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. ومن مصنفاته: «تفسير معانى القرآن»، «شرح أبيات المعانى»، «الاشتقاق»، «معانى الشعر»، «كتاب الملوك»، «القوافى». انظر: (وفيات الأعيان ١/٢٠٨، إنباه الرواة ٢/٣٦، بغية الوعاة ٢٥٨، مرآة الجنان ٢/٦١، نزهة الألبا ١٨٤، الأعلام ٣/١٠٢).

فصار الجميع عشرة أوجه. والثلاثة: عليهُمِي[1] بضم الهاء، وميم مكسورة بعدها ياء. وعليهُمِ بضمة الهاء وكسرة الميم من غير إشباع إلى الياء، وعليهِمِ[2] بكسر الهاء وكسرة الميم أيضا من غير بلوغ ياء. فتلك عشرة أوجه: خمسة مع ضم الهاء، وخمسة مع كسرها.

قرأ: «عَليهُمُو» ابن أبى إسحاق[3] ومسلم بن جندب والأعرج وعيسى الثقفى وعبدالله بن يزيد[4]. وقرأ: «عليهِمِي» الحسن، وعمرو بن فايد، وروى عن الأعرج: «عليهِمُ»، مكسورة الهاء، مضمومة الميم من غير بلوغ واو.

وقرأ: «عليهُمُ»، مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو. رويت عن الأعرج أيضا.

قال أبو الفتح: أما «عليهُمُو» فهى الأصل؛ لأنها رَسِيلة عليهُما فى التثنية: أعنى: ثبات الواو كثبات الألف، وينبغى أن تعلم: أن أصل هذا الاسم المضمر الهاءُ، ثم زيدت عليها الميم، علامة لتجاوز الواحد من غير اختصاص بالجمع، ألا ترى الميم موجودة فى التثنية: «عليهُما»؟، وأما الواو فلإخلاص الجمعية.

وأما «عليهِمِي» فطريقه: أنه كسرت الهاءُ لوقوع الياءِ قبلها ساكنة، وضَعفِ الهاء، فأشبهت لذلك الألف، لاسيما وهى تجاورها فى المخرج. لا بل أبو الحسن يَدعى أَن مَخْرج الألف هو مخرج الهاءِ البتة. فكما أن الياء الساكنة إذا وقعت قبل الألف قَلَبَتْها ياء؛ نحو قولك فى تحقير كتاب: كُتَيِّب. كذلك كسرت الهاء، فكان انكسار الهاءِ للياء قبلها تغييرًا لَحقها لهما، كما أن انقلاب الألف ياء لمكانها تغيير لحقها من أجلها، فصار

---

(١) قراءة أبى الحسن الأخفش. انظر: (البحر المحيط ٢٧/١).

(٢) قراءة الحسن البصرى، وعمرو بن فائد. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤٩/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٥١/١، البحر المحيط لأبى حيان ٢٦/١).

(٣) عبدالله بن أبى إسحاق الزيادى الحضرمى (٢٩ - ١١٧هـ = ٦٥٠ - ٧٣٥م): نحوى، من الموالى، من أهل البصرة. أخذ عنه كبار من النحاة كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفى والأخفش. فرَّع النحو، وقاسه، وكان أعلم البصريين به. انظر: (خزانة الأدب ١١٥/١، طبقات النحويين، الأعلام ٧١/٤).

(٤) عبدالله بن يزيد، أبو عبدالرحمن العدوى العمرى (١٢٠ - ١٢٣هـ = ٧٣٨ - ٨٢٨م): مقرئ. كان شيخ مكة وقارئها ومحدثها. درس علم القراءات فى البصرة ثلاثين عاما، وفى مكة خمسة وثلاثين عاما. وبقى من آثاره خمس عشرة ورقة فى الحديث، بعنوان: «أحاديث أبى عبدالرحمن مما وافق الإمام أحمد - خ» فى الظاهرية.
انظر: (العبر ٣٦٤/١، الأعلام ١٤٦/٤).

اللفظ بها من بعد عليهمو، فكرهوا الخروج من كسر الهاءِ إلى ضم الميم ثم الواو من بعدها، فكسروا الميم لذلك فصارت عليهِمِوْ، فانقلبت الواو ياءًا لسكونها وانكسار ما قبلها فصارت عليهِمِى.

ومن كسر الهاء وضم الميم وحذف الواو فقال: «عليهِمُ» فإنه لما انتهت به الصنعة إلى كسر الهاء احتمل الضمة بعد الكسرة؛ لأنها ليست بلازمة؛ إذ كانت ألف التثنية تفتحها، لكنه حذف الواو تفاديًا من ثقلها مع ثقل الضمة التى تَجَشَّمها.

ومن قرأ: «عليهُمُ» بضم الهاء والميم، فإنه حذف الواو استخفافا، واحتمل الضمة قبلها دليلا عليها.

لكن من قال: «عليهُمِى» بهاءٍ مضمومة، وياء بعد الميم ففيه نظر، وذلك أَنه كُرِه ضمة الهاء وضمة الميم ووقوع الواو من ذلك كما كُرِه فى الاسم المظهر وقوع الواو طرفا بعد ضمة، وذلك نحو قولهم فى دَلو وحَقْو: أَدْل وَأَحْق، وأَصلُها أَفْعُل أَدْلُوٌ وأَحْقُوٌ، ككَلْب وأَكْلُبٍ؛ فأبدلوا من الضمة كسرة تطرقا إلى قلب الواو، فصارت فى التقدير: أَدْلِوٌ وأَحِقوٌ، فقلَبت الواو ياء بعذر قاطعٍ وهو: وقوع الكسرة قبلها، فصارت أَدْلى، وأَحْقِى، وكذلك أبدلت ضمة الميم من «عليهُمُو» كسرةً فصارت عليهُمِوْ، فأُبدلت الواو ياءً للكسرة قبلها فصارت عليهُمِى.

وأما «عليهُمِ»، بكسرة الميم من غير ياء فإنه لما كانت الصنعة فيه إنما طريقها الاستخفاف - اكتفى بالكسرة من الياء.

وكذلك من قال: «عليهِمُ»، بكسر الهاء مع ضم الميم اكتفى بالضمة من الواو، وقد ذكرناه، ومن قال: «عليهِمِ»، بكسر الهاء والميم من غير ياءٍ فإنه اكتفى بالكسرة أيضا من الياء استخفافا فأَما قولُ الشاعر - ورويناه عن قطرب -:

فهمو بِطانتهم وهم وزراؤهم وهُمِ القضاةُ، ومنهم الحكام(١)

---

(١) رواه فى الخصائص (١٣٤/٣) عن محمد بن محمد عن أحمد بن موسى عن محمد بن الجهم عن يحيى بن زياد.

قال بعده: فإن وقفت على «هم» من قوله: وهم القضاء، قلت: هُمِى، وكذلك الوقوف على منهم الحكام: منهمى. فإن وقفت على «هم» من قوله: وهم وزراؤهم، قلت: همو؛ لأنك كذا رأيته فعل الشاعر لما قال فى أول البيت: فهمو، ففصلت بين حركة التقاء الساكنين وغيرها كما فصل، وإن شئت قلت: وهمى، تريد: وهم وزراؤهم وقلت: وهمو تريد: وهم القضاة، حملاً=

وروينا عنه أيضا[١]:

ألا إن أَصحـاب الكنيف وجدتهم ... هم الناسَ لما أخصبوا وتموّلـوا[٢]

فقوله: وهمِ القضاة، ومنهمِ الحكام فيحتمل كسر الميم وجهين:

أَحدهما: أَن يكون حركه لالتقاء الساكنين.

والآخر: أَن يكون على لغة من قـال عليهُمِـى، فحـذف اليـاء لالتقـاء السـاكنين مـن اللفظ، وهو ينويها فى الوقف.

ووجه ثالث: أَن يكون على لغة من قال عليهُمِ بكسر الميم من غير ياءٍ.

وقوله: «همِ الناس». يحتمل أَيضا هذه الأوجه الثلاثة.

وروينا عن قطرب أيضا: عافاكمِ الله، ففيه أَيضـا مـا فيمـا قبلـه، واللغـات فـى هـذا ونحوه كثير.

* * *

=على قوله: فهم بطـانتهم؛ لأنـك إذا فعلت ذلـك لم تَعْدُ أن حملـت علـى نظـير. وكلمـا جـاز شـيء مـن ذلـك عنـد وقفـة التذكـر جـاز فـي القافيـة البتـة علـى مـا تقـدم. انظـر: (الخصـائص ١٣٤/٣، ١٣٥).

(١) هو لعروة بن الورد، وقد كان عروة بن الورد، إذا أصابت الناس سنة شديدة وتركوا فـي دارهـم الكبير والمريض والضعيف، يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته، في الشـدة ويحفـر لهـم الأسراب، ويكنف عليهم الكنف، ويكسوهم، ومن قوى منهـم إمـا مريـض يـبرأ مـن مرضـه، أو ضعيف تثوب قوته، خرج به معه، فأغار وجعل لأصحابـه البـاقين فـي ذلـك نصيبـا. وذات يـوم قيض له، وهو في ماوان، رجل صاحب ستة من الإبل قد فر بها من حقوق قومه، فقتلـه، وأخـذ إبله وامرأته، وكانت من أحسن النسـاء، فـأتى بـالإبل أصحـاب الكنيـف، فحلبهـا لهـم وحملهـم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسـمها بينهـم وأخـذ مثـل نصيـب أحدهـم. فقـالوا: لا واللات والعزى لا نرضى حتى نجعل المرأة نصيبا، فمن شاء أخذها. فجعل يَهُم بأن يحمل عليهـم فيقتلهم، وينزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع، فـأنكر طويلا ثم أجابهم إلى أن يُردّ عليهم الإبل، إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتـى يلحق بأهلـه، فـأبوا ذلك عليه حتى انتدب رجل منهم فجعـل لـه راحلـة مـن نصيبـه، فقـال عـروة فـى ذلـك، تلـك القصيدة التى مطلعها البيت المذكور. انظر: (ديوان عروة بن الورد ص ٥٩ ط دار صادر).

(٢) الكنيف: الحظيرة من الشجر، تحظر على الناس كما تحظر على الإبل، فتقيهم مـن الريـح والـبرد، يريد: وجدتهم كالناس، وما زائدة. انظر: (هامش الديوان ص ٥٦).

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

ومن ذلك: قراءَة أيوب السختياني[(١)]: «ولا الضَّأَلِّين» بالهمز[(٢)].

قال أبو الفتح: ذكر بعض أَصحابنا: أن أَيوب سئل عن هذه الهمزة، فقال: هـي بـدل من المدة لالتقاء الساكنين. واعلم أَن أَصل هذه ونحوه: الضاللين، وهـو «الفـاعلون» مـن ضلَّ يضل، فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة فـي ذلك، فأسكنت اللام الأولِى وأُدغمت فى الآخرة، فالتقى ساكنان: الألف والـلام الأُولى المدغمة فزيد فى مدة الألف، واعتُمدت وطأة المد، فكان ذلك نحوا من تحريـك الألـف؛ وذلك أن الحرف يزيد صوتا بحركاته كما يزيد صوت الأَلف بإشباع مدته.

وحكى أَبو العباس محمد بن يزيد[(٣)] عن أَبى عثمان[(٤)] عن أَبى زيـد[(٥)] قـال: سمعـت

---

(١) أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى، أبو بكـر (٦٦ - ١٣١هـ = ٦٨٥ - ٧٤٨م): سيد فقهاء عصره، تابعى، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كـان ثبتـا ثقـة رُوى عنه نحو ٨٠٠ حديث. انظر: (تهذيب التهذيب ١/٢٩٧، حلية الأولياء ٣/٣، اللباب ١/٥٣٦، الأعـلام ٢/٣٨).

(٢) انظر: (الكشاف للزمخشـرى ١/١٢، الجـامع لأحكـام القـرآن للقرطبـى ١/١٥١، البحر المحيط ١/٣٠، شرح المفصـل لابـن يعيـش ٩/١٣٠، شـرح الأشمونـى على ألفيـة بـن مـالك للأشمونـى ١/٦٥، مغنى اللبيب عن كتـب الأعـاريب لابـن هشـام ١/٢١٨، لسـان العـرب مـادة «ضلـل» ١١/٣٩٠، الخصائص ٣/١٤٩).

(٣) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر التمانى الأزدى، أبو العباس، المعروف بالمـبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ = ٨٢٦ - ٨٩٩م): إمام العربية ببغداد فـى زمنه، وأحـد أئمـة الأدب والأخبـار. مولـده بـالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه: «الكامل»، «المذكر والمؤنث»، «المقتضـب»، «التعـازى والمدائـى». انظـر: (بغية الوعاة ١١٦، وفيات الأعيـان ١/٤٩٥، سمـط الـلآلى ٣٤٠، السـيرافى ٩٦، تـاريخ بغـداد ٣/٣٨٠، آداب اللغة ٢/١٨٦، لسان الميزان ٥/٤٣٠، طبقات النحويين ١٠٨ - ١٢٠، الأعلام ٧/١٤٤).

(٤) بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازنى (٢٤٩هـ = ٨٦٣م)، من مازن شيبان، أحـد الأئمة فى النحو، من أهل البصرة، ووفاته فيهـا. لـه تصـانيف. انظـر: (وفيـات الأعيـان ١/٩٢، معجم الأدباء ٢/٢٨٠، السيرافى ٧٤، إنباه الرواة ١/٢٤٦، الأعلام ٢/٦٩).

(٥) سعيد بن أوس بن ثـابت الأنصـارى (١١٩ - ٢١٥هـ = ٧٣٧ - ٨٣٠م): أحـد أئمـة الأدب واللغة. من أهل البصرة. ووفاته بها. كان يرى رأى القدرية. وهو من ثقات اللغويـين، قـال ابـن الأنبارى: كان سيبويه إذا قال: «سمعت الثقة، عَنَى أبا زيد». من تصانيفه كتاب: «النـوادر» فـى=

عمرو بن عبيد[١] يقرأ: «فَيومَئذ لا يُسْأَلُ عن ذَنْبه إنـس ولا جَـأَنٌّ» [٢]. قـال أبـو زيـد: فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول: شَأَبَّة ومأَدَّة ودأَبَّة، وعليه قول كثير[٣].

إذا مـا الْعَـوَالى بالعَبِيـط احْمَـأَرَّتِ

وقال[٤]:

ولِـلأرض أَمـا سُـودُهـا فـتجلَّـلتْ بياضا وأَمـا بِيـضُها فادْهَأَمَّـت[٥]

وقد ذكرنا من هذا الضرب فى كتابنا الموسوم بالخصائص[٦] ما فيه كفاية عن غيره.

ومن طريف حديث إبدال الألف همزة ما حكاه اللِّحيانى من قول بعضهم فى البـاز: البأز بالهمز. ووجه ذلك: أن الألف ساكنة وهى مجاورة لفتحة الباءِ قبلها وقد أرينـا فـى كتاب الخصائص وغـيره مـن كتبنـا: أن الحـرف السـاكن إذا جـاور الحركـة فقـد تُنْزِلـه

=اللغة، «الهمز»، «المطر»، «اللبا واللبن»، «الميـاه»، «خلـق الإنسـان»، «لغـات القـرآن»، «الشـجر». انظر: (وفيات الأعيان ٢٠٧/١، جمهـرة الأنسـاب ٣٥٢، السـيرافى ٥٢، تـاريخ بغـداد ٧٧/٩، نزهة الألبا ١٧٣، إنباه الرواة ٣٠/٢ - ٣٥، الأعلام ٩٢/٣).

(١) عمرو بن عبيد التيمى بالولاء، أبو عثمـان البصـرى (٨٠ - ١٤٤هـ = ٦٩٩ - ٧٦١م): شـيخ المعتزلة فى عهـده، ومفتيهـا. انظر: (وفيـات الأعيـان ٣٨٤/١، أخبـار أصبهـان ٣٣/٢، البداية والنهاية ٧٨/١٠، ميزان الاعتدال ٢٩٤/٢، الأعلام ٨١/٥).

(٢) سورة الرحمن الآية (٧٤).

(٣) ورد البيت فى الديوان ٩٧/٢:

وأنـت ابن ليلى خير قـومـك مـشهـدًا إذا مـا احـمأرت بـالعـبيط الـعوامـل

وهكذا ورد البيت فى اللسان «حنن»، وهو من قصيدة فى مدح عبدالعزيز بن مروان وهذه هـى الرواية المذكورة فى الخصائص انظر: (الخصائص ١٢٨/٣ وهامشه).

(٤) أى كثير، من قصيدة فى مرثية عبدالعزيز بن مروان، وقبله - وإن لم يكن على ترتيب الديوان -:

عجبـت لأن النائحـات وقـد علـت مصيبتــه فهــذا فعمــت وصمــت
نعـين ولـو أسـمعـن أعـلام صنــدد وأعـلام رضـوى ما يقلن ادرهـمـت

(٥) وهو يريد بتجلل الأرض بياضا واسوداد بياضها اضطرابها أو يريد أن قبورها أصبحت بيضا بـه، وظهرها أصبح أسود بزواله عنه. وفى الديوان المطبوع بتحقيـق د. إحْسان عبـاس عـام ١٩٧١م ص ٣٢٣ «ادهامتت»، بدلا من «اسوأدَّت». انظر: (هامش الخصائص ١٢٥/٣).

(٦) انظر: (الخصائص ١٤٧/٣ وما بعدها).

العرب منزلة المتحرك بها؛ من ذلك قولهم فى الوقف على بكر: هذا بَكُر ومررتُ ببكِر ألا ترى حركتى الإِعراب لما جاورتا الراءَ صارتا كأَنهما فيها. ومنه قول جرير(١):

لَحَبَّ المِؤقدان إلَىَّ مُؤْسى(٢)

فهمَز الواو فى الموضعين جميعا، لأَنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما، فصارت الضمة كأَنها فيهما؛ والواو إِذا انضمت ضمًّا لازمًا فهمزها جائز، نحو: «أُقِّتت» فى «وُقِّتت»، وأَجوه فى «وجوه»، ونظائر ذلك كثيرة(٣).

وكذلك الفتحة قبل الأَلف فى باز لما جاورتها صارت على ما ذكرنا كأَنها فيها، والأَلف إِذا حركت هُمزت على ما ذكرنا فى «الضأَلِّين» و«جأَنٌّ» فهذا وجهه.

فإن قلت: فقد حكى أَيضا جمعه بئزان بالهمز، فصارت لذلك كَرَأْل ورِئلان، فما أَنكرت أَن يكون ذلك لغة فى الباز لا على البدل الذى رُمته؟.

قيل هذا وجه يُذهب إلى مثله، لكنا لم نسمع الهمز فى هذا الحرف أَصلا إِلا فى هذه الحكاية، والواو فيه هى الشائعة المستفيضة.

حدثنا أَبو على قال: قال أَبو سعيد الحسن بن الحسين(٤) يقال: بأز، وثلاثة أَبواز

---

(١) من قصيدة يمدح بها هشام بن عبدالملك، ومطلعها:

عفا النسران بعدك والوحيد ... ولا يبقى لجدته جديد

انظر: (ديوان جرير ١١٥).

(٢) وفى المطبوع من الديوان: «لحب الوَافدِان إلى مُوسَى». انظر: (ديوانه ١١٦) وعجزه: «وجعدة إذا أضاءها الوقود». وقبل البيت:

نظرنا نار جعدة هل نراها! ... أبعد غال ضوءك أم همود

وجعدة ابنته، وموسى ابنه. انظر: (الديوان ١٤٧، شواهد المغنى السيوطى ٣٢٥، خزانة الأدب ١٠٥٢/٢، الخصائص ١٧٧/٢، ١٤٨/٣، ١٧١، ٢٢٢، شرح شواهد الشافية ٤٢٩/٤)، وأثر الجوار فى البيت إبدال الواو فى (الموقدان) و(موسى) همزة لمجاورتها للضمة قبلها، فكأنها مضمومة، والهمزة يجوز فى الواو المضمومة؛ نحو أجوه فى وجوه، وأقتت فى وقتت. وانظر المغنى، فى القاعدة الثانية من الباب الثامن انظر: (هامش الخصائص ١٧٧/٢، والخصائص ٢٢٢/١٥١/٣).

(٣) انظر: (الخصائص ١٥١/٣).

(٤) الحسن بن الحسين بن عبيدالله العتكى السكرى، أبو سعيد (٢١٢ - ٢٧٥هـ = ٨٢٧ - ٨٨٨م): عالم بالأدب، راوية، من أهل البصرة جمع أشعار كثير من الشعراء، كامرئ القيس،=

فإذا كَثُرت فهى البيزان.

وقالوا: باز وبَوازٍ وبُزاة؛ فباز وبزاة كغازٍ وغزاة، وهو مقلوب الأصل الأول، وأنشدنا لذى الرمة:

كأن على أنيابه كل سُدْفَة[١] صياحَ البوازى من صريف اللوائك[٢]

وقالوا فى تصريفه: بزا فلان يبزو إذا غلب، فكأن البازى اسم الفاعل فى الأصل، ثم خص به هذا الجارح على وجه التسمية به له، كما أن الصاحب فى أصله اسم الفاعل من صحب، ثم خص بالتسمية به، ونُسى أَصل وصفيته.

وكما أن الوالد كذلك، فقد ترى إلى سعة تصرف هذا الأصل على الواو. ولم نسمع فى تصرفه شيئًا من الهمز غير هذه الحكاية من هذه الجهة، على ما يقال فى صاحبها.

وحدثنى أبو على قال: قال أبو بكر[٣] فى نوادر اللِّحيانى: إنه لا يَترَقَّى بهما السماعُ إليه. وعلى أنه قد يمكن فى الباز ما ذكرناه فلما سُمع فيه بأْز بالهمز أشبه فى اللفظ رأْلا، فقيل فى تكسيره: بئزان، كما قيل رئلان. وإذا جاز استمرار البدل فى نحو عيد وأعياد، وإجراؤه مجرى قَيْل وأَقْيَال مع أن البدل فى حرف المد الذى لا يكاد يُعْتَدُّ

=والنابغة، وزهير، والحطيئة. وجمع أخبار بعض القبائل وأشعارها من تصانيفه: «شرح ديوان بحران – خ»، «أخبار اللصوص – ط»، «شرح ديوان الشعراء الهذليين – ط»، «شرح ديوان كعب بن زهير – ط»، «شرح ديوان الفرزدق – خ». انظر: (إرشاد الأريب ٢/٦٢ – ٦٤، آداب اللغة ٢/١٦٩، تاريخ بغداد ٧/٢٩٦، إنباه الرواة ١:٢٩١، الأعلام ٢/١٨٨).

(١) ورد فى الخصائص ١/٧: «كأن على أنيابها سُدفة».
وهو فى أسرار البلاغة ٧٢ وفيه: «سحرة» مكان «سدفة»، وهو أيضا فى الكامل ٧/١٦ طبعة المجمع: ويقول المجمع: إن الصواب «أنيابه» إذ هو فى وصف بعير، وكذلك هو فى الديوان طبعة أوريه ٤١٨ انظر: (هامش الخصائص ١/٧).

(٢) السدفة: الظلمة، اللوائك: يريد المواضع من الأسنان، وهو فى وصف إبل.

(٣) محمد بن السرى بن سهل، أبو بكر (٣١٦هـ = ٩٢٩م): أحد أئمة الأدب والعربية. من أهل بغداد. كان يلثغ بالراء فيجعلها غينا. ويقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله مات شابا. من كتبه: «الأصول» فى النحو، و«شرح كتاب سيبويه» و«الشعر والشعراء» و«الخط والهجاء» و«المواصلات والمذكرات» فى الأخبار، و«الموجز فى النحو والعروض». انظر: (بغية الوعاة ٤٤، الوفيات ١/٥٠٣، طبقات النحويين واللغويين ١٢٢، الوافى ٣/٨٦، نزهة الألبا ٣١٣، الأعلام ٦/١٣٦).

البدل فيه للضعف - فأن يجوز استمرار هذا فى الهمزة لأنها أقوى، فالأمر لذلك فيها أثبت وأحرى وأجدر؛ ألا ترى أنهم قالوا فى تحقير قائم: قوَيْئِم، فأثبتوا همزه كما أثبتوا همزة سائل من سأل؟ وقالوا فى تحقير أدؤر: أُديئر، فأجروها مجرى همزة أرؤس. ولو كان مكان هذه الهمزة واو مبدلة من ياء لما ثبتت، وذلك قولك فى تحقير عُوطَط: عُيَيْطط، ولا تقرُّ الواو وإن كانت عينا.

وكذلك لو كسّرت الطوبى والكوسى على فُعَل، لقلت: الطُّيَب والكُيَس.

ولو كسّرتهما على مثيل حُبلى وحبالى لقلت: طَيَابى وكَيَاسى.

وعلى هذا قالوا فى تكسير ريح : أَرواح، فلم يحفلوا بانقلاب العين من ريح؛ لأن العمل إنما هو فى الواو ليست لها عصمة الهمزة.

فأَمَّا ما حُكى عن عُمارة من قوله فى تكسير ريح أَرياح، وعلى أن اللحيانى أيضا قد حكى هذا - فمردود عندنا، ومنعى عليه فى آرائنا.

قال أبو حاتم[1]- وقد أَغلظ فى ذلك - أَنكرتها على عمارة، قال: فقال لى: قد قال الله تعالى: ﴿وأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَوَاقِح﴾[2] قال: ولم يعلم عمارة أن الياءَ فى الرياح بعد كسرة فهذا أمر قاد إِليه همزُ أَيوب «الضالين».

وفيه أكثر من هذا، ولولا تنكُّب الإطالة كراهية الإِملال والسآمة لأتينا به، وعلى أنه مثبت فى أَماكَن من تأليفنا وإِملائنا.

* * *

---

(١) انظر: (الخصائص ٣/٢٩٧).

(٢) سورة الحجر الآية (٢٢).

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

ومن ذلك قراءة «أَنذَرْتَهم»، بهمزة واحدة من غير مدّ(١).

قال أبو الفتح: هذا مما لابد فيه أن يكون تقديره: «أأنذرتهم» ، ثم حذف همزة الاستفهام تخفيفا لكراهة الهمزتين؛ ولأن قوله: «سَواءٌ عليهم» لابد أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولمجيء أم من بعد ذلك أيضا، وقد حُذفت هذه الهمزة فى غير موضع من هذا الضرب. قال(٢):

فأَصبحتُ فيهم آمنًا لا كمعشر أَتوْنى فقالوا: مِن ربيعةَ أم مضر(٣)؟

فيمن قال: أَم؛ أى: أَمن ربيعة أَم مضر؟.

ومن أبيات الكتاب(٤):

لعمرك ما أَدرى وإن كنت داريا شيعثُ بنُ سهم أَم شُعيثُ بن مِنْقَر

وقال الكميت(٥):

طربتُ وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لَعِبا منى وذو الشيب يلعبُ

---

(١) قراءة ابن كثير، والزهرى، وابن محيصن. انظر: (الكشاف ١/٢٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، تفسير الفخر الرازى ١/١٧٨، الحجة لأبى زرعة ٨٦، الأشباه والنظائر ١/٤١، حاشية الخضرى ٢/٦٣).

(٢) أى عمران بن حطان، وهو من شعر يقوله فى قوم من الأزد نزل بهم متنكرًا ويشكر صنيعهم معه. انظر: (الكامل ٧/٨٧، الخصائص لابن جنى ٢/٢٨٣).

(٣) انظر النص فى: (الخصائص ٢/٢٨٣).

(٤) نسبه فى الكتاب (٢/١٧٥) للأسود بن يعفر. انظر: (الكامل ٣٨٠، ٥٣٧، الخزانة ٤/٤٥٠، العينى ٤/١٣٨، شرح شواهد المغنى ٥١، همع الهوامع ٢/١٣٢، شرح التصريح ٢/١٤٣، شرح الأشمونى ٣/١٠١، ١٠٢).

(٥) هذا مطلع إحدى هاشمياته انظر البيت فى: (الخصائص ٢/٢٨٣، العينى ٣/١١١، هامش الخصائص ٢/٢٨٣).

قيل: أراد: أَوَذو الشيب يلعب؟ [١].

وقالوا في قول الله سبحانه: ﴿**وتلكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها علىّ أنْ عَبَّدتَ بنى إسْرائيل**﴾[٢]؛ أراد: أوَ تلك نعمة؟. وقال[٣]:

لعمركَ ما أدرى وإن كنتُ داريا   بسبع رَمين الجمر أم بثمان[٤]؟

يريد: أبسبع؟.

وعلى كل حال فأخبرنا أبو علىّ. قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس؛ وذلك أن الحرف نائب عن الفعل وفاعله. ألا ترى أنك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت «ما» عن «أنفى»، كما نابت «إلا» عن «أستثنى»، وكما نابت الهمزة وهل عن أستفهم، وكما نابت حروف العطف عن أعطف، ونحو ذلك. فلو ذهبتَ تحذف الحرف لكان ذلك اختصارا، واختصار المختصر إجحاف به، إلا أنه إذا صح التوجه إليه جاز فى بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه.

فإن قيل: فلعله حَذَف همْزة «أنذرتهم» لمجيء همزة الاستفهام، فكان الحكم الطارئ على ما يشبه هذا من تعاقب ما لا يجمع بينه.

قيل: قد ثبت جواز حذف همزة الاستفهام على ما أرينا فى غير هذا، فيجب أن يحمل هذا عليه أيضا.

وأما همْزة أفعَل فى الماضى فما أبعد حذفها!، فليكن العمل على ما تقدم بإذن الله.

* * *

وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

ومن ذلك قراءة: أبى طالوت عبد السلام بن شدّاد، والجارُود بن أبى سَبْرة «وما

---

(١) انظر: (الخصائص ٢/٢٨٣).

(٢) سورة الشعراء الآية (٢٢).

(٣) أى عمر بن أبى ربيعة من قصيدة قالها فى عائشة بنت طلحة، مطلعها:

لقد عرضت لى بالمحصب من مِنى   مع الحجِّ شمسٌ سترتْ بيمان

انظر: (ديوانه ٣٩٩، خزانة الأدب ٤/٤٤٧، الكتاب ٣/١٧٥، أمالى ابن الشجرى ١/٢٦٦، ٢/٣٣٥، شرح ابن يعيش ٨/١٥٤، العينى ٤/١٤٢، همع الهوامع ٢/١٣٢).

(٤) وقع فى المطبوع من الديوان:

فوالله ما أدرى وإنى لحاسب   بسبع رميت الجمر أم بثمان

يُخْدَعُوَن إلا أَنْفُسَهُمْ»(١)، بضم الياءِ وفتح الدال.

قال أَبو الفتح: هذا على قولك: خدعتُ زيدًا نفسَه؛ ومعناه عن نفسه، فإن شئت قلت على هذا: حُذف حرفُ الجر، فوصَل الفعل. كقوله عز اسمه: ﴿واختارَ مُوسَى قومَه سَبْعين رجلا﴾(٢) أى: من قومه، وقوله: (٣)

أَمــرتــك الخيــــر(٤)

أَى: بالخير. وإِن شئت قلت: حمله على المعنى؛ فأَضمر له ما ينصبه، وذلك أَن قولك: خدعتُ زيدا عن نفسه يدخله معنى: انتقصته نفسَه، وملكتُ عليه نفسَه، وهذا من أَسدِّ وأَدمث مذاهب العربية، وذلك أَنه موضع يملك فيه المعنى عنانَ الكلام فيأخذه إليه، ويصرِّفه بحسب ما يؤثره عليه. وجملته: أَنه متى كان فعل من الأَفعال فى معنى فعل آخر فكثيرا ما يُجْرَى أَحدُهما مُجرَى صاحبه، فيُعْدَلُ فى الاستعمال به إِليهِ، ويحتذى فى تصرفه حذو صاحبه، وإِن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه. أَلَا ترى إِلى قول الله جل اسمه: ﴿هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى﴾(٥)؟ وأَنْت إِنما تقول: هل لك فى كذا؟ لكنه لما دخله معنى: أَجْذبك إِلى كذا وأَدعوك إِليه. قال: ﴿هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى﴾؟ وعليه قول الفرزدق:

كيف تراني قاليا مِجَنِّى ... قد قتل الله زيادا عنِّى(٦)

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٠، البحر المحيط لأبى حيان ١/٥٧، الكشاف للزمخشرى ١/٣٢، الإنصاف (بحاشية الكشاف) لابن المنير الإسكندرى ١/٣٢، الجامع لأحكام القرآن ١/١٩٦، تفسير الفخر الرازى ١/١٩٢).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٥).

(٣) عمرو بن معد يكرب الزبيدى.

(٤) تمامه:

أمرتك الخير فافْعَلْ ما أُمِرْت به ... فقد تركتك ذا مالٍ وذا نَشَب

انظر: (الكتاب ١/٣٧، خزانة الأدب ١/١٦٤،١٦٦).

(٥) سورة النازعات الآية (١٨).

(٦) ورد فى الخصائص (٢/٢١٣):

كيف تراني قاليا مجني ... أضربُ أمرى ظهره للبطن

قد قتل الله زيادا عنى

قال بعده:

لما كان معنى قد قتله ... قد صرفه، عداه بعن

انظر: (الخصائص ٢/٢١٣).

فاستعمل «عن» هاهنا لِما دخله من معنى قد صرفه الله عنى؛ لأنه إذا قتله فقد صُرِف عنه.

وعليه قوله تعالى: ﴿أُحل لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَام الرَّفَثُ إلى نسائكم﴾[١] وأنت لا تقول: رفثتُ إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها ومعها. لمّا كان الرفث بمعنى الإفضاء عُدى بإلى كما يعدَّى أَفضيت بإلى، نحو قولك: أَفضيت إلى المرأة. وهو باب واسع ومنقاد، وقد تقصيناه فى كتابنا «الخصائص» [٢]. فكذلك قوله عز وجل: «**وَمَا يُخْدَعُون إلا أنفسَهم**»، جاءَ على خَدعْتُه نفسَه لما كان معناه معنى انتقصتُه نفسَه، أَو تَخوَّنتُه نفسَه. ورأَيت أَبا على رحمه الله يذهب إِلى استحسان مذهب الكسائى فى قوله[٣]:

إذا رَضِيَتْ علىّ بنو قُشَيْر لعمر الله أَعجبنى رضاها

لأنه قال: عدى رضيت بعلى، كما يعدّى نقيضها وهى سخِطت به، وكان قياسه: رضيتْ عنى، وإِذا جاز أَن يجرى الشىء مجرى نقيضه فإِجراؤه مجرى نظيره أَسوغ. فهذا مذهب الكسائى وما أَحسنه! وفيه غيره على سمت ما كنا بصدده، وذلك أَنه إِذا رضى عنه فقد أقبل عليه؛ فكأنه قال: إِذا أَقبَلتْ على بنو قشير. وهو غور من أَنحاءِ العربية طريف ولطيف ومصون وبَطين.

* * *

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴿١٠﴾

ومن ذلك قال ابن دريد[٤] عن أَبى حاتم، عن الأَصمعى، عن أَبى عمرو: «فى قُلوبِهم مَرْض» [٥] ساكنة.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٧).

(٢) انظر: (الخصائص ٢/ ٣١٠، ٣١٣).

(٣) أى: القحيف العقيلى، يمدح حكيم بن المسيب القشيرى. انظر: (النوادر ١٧٦، خزانة الأدب ٢٤٧/٤، الخصائص ٣١٣/٢ وهامشه).

(٤) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالى بنى شيبان، أبو عبدالله (١٣١ - ١٨٩هـ = ٧٢٨ - ٨٠٤م): إمام بالفقه والأصول، وهو الذى نشر علم أبى حنيفة. أصله من قرية حرستة، فى غوطة دمشق، وولد بواسط. ونشأ بالكوفة، له كتب كثيرة فى الفقه والأصول. انظر: (الفهرست ٢٠٣/١، الفوائد البهية ١٦٣، الوفيات ٤٥٣/١، البداية والنهاية ٢٠٢/١٠، الجواهر المضية ٤٢/٢، ذيل المذيل ١٠٧، لسان الميزان ١٢١/٥، النجوم الزاهرة ١٣٠/٢، لغة العرب ٢٢٧/٩، تاريخ بغداد ١٧٢/٢ - ١٨٢، الأعلام ٨٠/٦).

(٥) انظر: (الكشاف للزمخشرى ٣٢/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٩٧/١، البحر المحيط لأبى حيان ٥٨/١، اللسان مادة «مرض»، جمهرة اللغة لابن دريد مادة «رضم»).

قال أَبو الفتح: لا يجوز أَن يكون «مَرْض» مخففا من مَرَض؛ لأَن المفتوح لا يخفف، وإنما ذلك فى المكسور والمضموم كإِبِل وفَخِذ، وطُنُب وعَضُد، وما جاءَ عنهم من ذلك فى المفتوح فشاذ لا يقاس عليه، نحو قوله:

وما كل مبتاع ولو سلف صفقُه   يراجع ما قد فاته برِداد[١]

يريد: سَلَف، فأَسكن مضطرا. وعلى أَننا قد ذكرنا هذا فى كتابنا الموسوم «بالمنصف»[٢]، وهو شرح تصريف أَبى عثمان، وهذا ونحوه قد جاءَ فى الضرورة، والقرآن يتُخير له ولا يتخير عليه.

وينبغى أَن يكون «مَرْض» هذا الساكن لغة فى مرَض المتحرك، كالحلْب والحلَب، والطرْد والطرَد، والشل والشلل، والعيب والعاب، والذِّيم والذَّام. وقد دللنا فى كتابنا الخصائص على تقاود الفتح والسكون، ولأَنهما يكادان يجريان مجرى واحدًا فى عدة أَماكن.

منها أَن كل واحد منهما قد يُفْزَع ويُسْتَروح إِليه من الضمة والكسرة؛ أَلا تراهم قالوا فى غُرُفات ونحوها: تارة غُرَفات بالفتح وأخرى غُرْفات بالسكون، كما قالوا فى

---

(١) انظر: (المنصف ١/٢١) ويروى صدره: «وما كل مغبون ولو سلف صفقه»، والمغبون الذى يخدع وينقص منه فى الثمن أو غيره، وسلف بسكون اللام أصله سلف بفتحها فسكنها حين اضطره الوزن إلى ذلك، ومعناه مضى ووجب، وصفقه مصدر مضاف إلى ضمير المبتاع أو المغبون، والصفق إيجاب البيع، وأصله أن البائع والمشترى كان أحدهما يضرب على يد الآخر، والباء فى براجع زائدة، ويروى يراجع «وهى رواية المحتسب» «فعلا مضارعًا» فاعله ضمير المبتاع أو المغبون، والرداد بكسر الراء وفتحها فسخ البيع. انظر: (شرح شواهد الشافية على هامش شرح الشافية ١/٤٤).

(٢) قال ابن جنى: قالوا: أراد سَلَفَ ولكنه اضطر فخفف المفتوح، وهذا عندهم من الشاذ، فهذا ما قال أصحابنا فيه، ويحتمل عندى وجها آخر، وهو أن يكون مخففا من فَعِل المكسور العين، ولكنه فِعْل غير مستعمل إلا أنه تقدير الاستعمال وإن لم ينطق به، كما أن قولهم: «تفرقوا عباديد وشماطيط» كأنهم قد نطقوا فيه بالواحد من هذين الجمعين وإن لم يكن مستعملا فى اللفظ، فكأنهم استغنوا بسلف هذا المفتوح عن ذلك المكسور أن ينطقوا به غير مسكن وإذا كانوا قد جاءوا بجموع لم ينطقوا لها بآحاد، مع أن الجمع لا يكون إلا عن واحد، فإن يستغنى بفعل عن فعل من لفظه ومعناه - وليس بينهما إلا فتحة عين هذا وكسرة عين ذاك - أجدر وأرى أنهم استغنوا بالمفتوح عن المكسور لخفة الفتحة فهذا ما يحتمله القياس وهو أحسن من أن تحمل الكلمة على الشذوذ ما وجدت لها ضربا من القياس. انظر: (المنصف ١/١٢، ٢٢).

سِدِرات تارة: سِدَرات بالفتح، وأُخرى: سِدْرات بالسكون.

وأَجرَوا أَيضا الياءَ المفتوحة فى اقتضائها الإمالـة مجرى اليـاءِ السـاكنة، فأَمـالوا نحـو: السَّيَال والصَّياح[(١)]، كمـا أَمـالوا نحـو: شَيْبان وقيـس عَيْـلان، وقـالوا: ضـرب يدهـا، فأمالوا فتحة الدال للياءِ المفتوحة، وقالوا أَيضا فـى تكسـير جـواد: جيـاد، فـأَعلُّوا العـين كما أَعلوها فى ثوب وثياب، فـأجروا «واو» جـواد مجرى «واو» ثـوب. وقـالوا: مـرِض مرْضا فهو مارض، كما قالوا: حَـرِد حَـرْدا فهـو حـارد، والفَعْـلُ كـالأَصل فـى مصـادر الثلاثية لاسيما فى المتعدى منها، والمتعدى أكثر من غير المتعدى؛ فلذلك ساغ فيها فَعْل.

وإنما كان المتعدى أَكثر من غيره من قِبَل أَن الفعل قد يكون حديثـا عـن المفعـول بـه نحو ضُرب زيدٌ، كما يكون حديثا عـن الفـاعل نحـو قـام زيـد، فكمـا لابـد للفعـل مـن الفاعل فكذلك كثر المتعدى؛ لأن فى ذلك تَسبُّبا إلى أَن يكون الفعل حديثا عن المفعول.

* * *

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴿١٦﴾

ومـن ذلـك قـراءَة يحيـى بـن يَعْمَـر[(٢)] وابـن أَبـى إِسـحاق، وأَبـى السَّـمال: «اشـتروِا الضَّلالة»[(٣)].

(١) انظر: (الكتاب ١٢٢/٤) وفيها السَّيَال والضياح.

(٢) يحيى بن يعمر الوشقى العدوانى، أبو سليمان (١٢٩هـ = ٧٤٦م): أول من نقط المصاحف. ولد بالأهواز. وسكن البصرة. وكان من علماء التابعين، عارفا بالحديث والفقه ولغـات العـرب، مـن كتاب الرسائل الديوانية، وفى لغته إغراب وتقعر. أدرك بعض الصحابـة. وأخـذ اللغـة مـن أبيـه، والنحو عن أبى الأسود الدؤلى، وكان فصيحا، ينطق بالعربية المحضة، طبيعـة فيـه، غـير متكلـف، وتشيع لأهل البيت من غير انتقاص لفضل غيرهم. انظر: (الإرشـاد ٢٩٦/٧، الجهشـارى ٤١ - ٤٢، وفيات الأعيان ٢٢٦/٢، تهذيب التهذيب ٣٠٥/١١، نزهة الألبـا ١٩، طبقـات النحويين ٢٢، بغية الوعاة ٤١٧، مرآة الجنان ٢٧١/١، رغبة الآمـل ٢٣٤/١، ١٤٢/٣، النجـوم الزاهـرة ٢١٧/١، الأعلام ١٧٧/٨).

(٣) انظر: (الخصائص لابن جنى ٣٣٧/٢، ١٣٢/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢١٠/١، مجمع البيان للطبرسى ٥٢/١، معانى القرآن للأخفش ٤٥/١ التبيان فى تفسير القرآن للطوسى ٨٢/١، إعراب القرآن للنحـاس ١٤٢/١، البحـر المحيـط لأبـى حيـان ٧١/١، إعـراب القـرآن للعكـبرى ١٢/١، الأشباه والنظائر للسيوطى ١٧٠/١، جمع الجوامع للسيوطى ١٨٢/١).

قال أبو الفتح، فى هذه الواو ثلاث لغات: الضم، والكسر، وحكى أبو الحسن فيها الفتح: «اشتروَا الضلالة» (١) ، ورويناه أيضا عن قُطْربُ، والحركة فى جميعها لسكون الواو وما بعدها، والضم أفشى، ثم الكسر، ثم الفتح.

وإنما كان الضم أَقوى لأنها واو جمع، فأَرادوا الفرق بينها وبين واو «أَو»، و«لو»؛ لأَن تلك مكسورة، نحو قول الله سبحانه: ﴿لَوِ اطلعْتَ عليهم﴾(٢)، ومنهم من يضمها(٣)، فيقول: «لوُ اطلعت» كما كسَر أبو السَّمَّال وغيره من العرب واو الجمع تشبيها لها بواو «لو».

وأَما الفتح فأَقلها، والعذر فيه خفة الفتحة مع ثقل الواو، وأَيضا فإِن الغرض فى ذلك إِنما هو التبلغ بالحركة لاضطرار الساكنين إِليها، فإِذا وقعت من أى أَجناسها كانت - أَقنعتْ فى ذلك كما روينا عن قُطْرُب من قراءَة بعضهم: «قُمَ اللَّيل»(٤) بالفتح(٥)، و«قُل الحقُّ من ربكم»(٦) وبِعَ الثوب.

قال: وقيس تقول: «اشترءوا الضلالة» (٧). قال: وقال بعض العرب: عصئوا الله مهموزة.

قال أبو الفتح: ينبغى أَن يكون ذلك على إِجراء غير اللازم مجرى اللازم، وقد كتبنا فى هذا بابا كاملا فى الخصائص(٨)، وذلك أَنه شبّه حركة التقاء الساكنين - وليست بلازمة - بالضمة اللازمة فى «أُقتت» وأَدؤر وأُجُوه، إِلا أَن همز نحو «اشتروا الضلالة» من ضعيف ذلك.

---

(١) قراءة أبى السمال قعنب العدوى، وقع فى البحر المحيط ٧١/١: أبو السماك وهو تصحيف، وأبى الحسن، وأبى زيد الأنصارى. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢١٠/١، البحر المحيط لأبى حيان ٧١/١، إعراب القرآن للنحاس ١٤٢/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٢/١، الخصائص لابن جنى ٣٣٧/٢، ١٣٤/٣، همع الهوامع للسيوطى ١٨٢/١ الأشباه والنظائر للسيوطى ١٧٠/١).

(٢) سورة الكهف الآية (١٧).

(٣) قراءة المطوعى. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٧٥).

(٤) سورة المزمل الآية (٢).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٣٦٠/٨).

(٦) سورة الكهف الآية (٢٩)، وهى قراءة أبى السمال. انظر: (البحر المحيط ١٢٠/٦).

(٧) قراءة الكسائى. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١٤٢/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٢/١).

(٨) انظر: الخصائص (٨٩/٣: ٩٥) «باب فى إجراء اللازم مجرى غير اللازم وإجراء غير اللازم مجرى اللازم».

ولو وقفتَ مستذكرا وقد ضممت الواو - لقلت: اشتروُوْا، ففصلت ضمة الواو فأنشأت بعدها واوا؛ كأنك تستذكر «الضلالة» أو نحوها فتمدّ الصوت إلى أن تذكر الحرف. ولو استذكرت وقد كسرت لقلت: اشتروى، فأنشأت بعد الكسرة ياء. ولو استذكرت وقد فتحت الواو لقلت: اشتروَا، كما أنك لو استذكرت بعدَ مِن، وأنت تريد الرجل ونحوه لقلت: مِنا؛ لأنك أشبعت فتحة من الغلام، وفى منذ: منذو، وفى هؤلاءِ، هؤلائى.

وحكى صاحب الكتاب: أن بعضهم قال فى الوقف: قالا، وهو يريد قال.

وحَكى أيضا: هذا سَيْفُنِى كأنه استذكر بعد التنوين، فاضطر إلى حركته فكسره، فأحدث بعده ياء. ولو استذكرت مع الهمز لقلت: اشترءوا، فالواو بعد الهمزة واو مَطْل الضمة، وليست كواو قولك: اجترءُوا، وأنت تريد افتعلوا من الجرأة.

* * *

ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وأبى السَّمَّال: «وتَركَهُم فى ظُلْمات»، ساكنة اللام.

قال أبو الفتح: لك فى ظُلُمات وكِسِرات: ثلاث لغات: إتباع الضم الضم، والكسر الكسر، ومن استثقل اجتماع الثقيلين فتارة يعدل إلى الفتح فى الثانى يقول: ظُلَمَات وكِسَرات، وأُخرى يسكن فيقول: ظُلْمَات وكِسْرات، وكل ذلك جائز حسن.

فأما فَعْلة بالفتح فلابد فيه من التثقيل إتباعا، فتقول: ثَمَرَةَ وثَمَرَات، قال[1]:

ولما رأونا باديًا رُكَبَاتُنا ... على موطن لا نخلط الجِدَّ بالهَزْل[2]

وقال النابغة[3]:

(١) انظر: (الكتاب ٥٧٩/٣، المقتضب ٨٩/٢، شرح المفصل لابن يعيش ٢٩/٥).

(٢) كذا ضبط فى الطبعة السابقة من المحتسب ٥٦/١، وضبط فى الكتاب ٥٧٩/٣ «بالهَزَلْ» قال الشيخ عبدالسلام هارون: والهزل بالتحريك: لغة فى الهزل.

بدو الركبة: كناية عن التأهب للحرب، والكشف عن السوق فيها، على موطن من مواطن الحرب يجد من يحضره ولا يهزل.

(٣) من قصيدة نظمها يعتذر إلى النعمان أبى قابوس ويبرر اتصاله بالغساسنة، وينفى الخيانة عن نفسه، مطلعها:

أرسما جديدًا من سعاد تجنب ... عفت روضة الأجداد منها فينقب

انظر: (ديوانه ٣٩ ط دار الهلال بيروت).

وَمَـقْـعَدُ أَيسار عـلى رُكَـبَاتــهم ومـربــطُ أَفــراس ونـاد ومـلعب

وعليه قراءَة أَبى جعفر: «من وراءِ الْحُجَرات»[١].

وقال بشر:

حتـى سقـيناهــم بـكـأس مرة مـكـروهـة حُسَوَاتـها كـالـعلـقم

وقد أسكنوا المفتوح، وهو ضرورة، قال لبيد[٢]:

رُحلـن لـشقـة ونُصبــن نــصبا لــوغْـرات الـهواجرِ والسَّمُومِ[٣]

وقال ذو الرمة[٤]:

أَبـت ذكــرٌ عَـوَّدْنَ أَحـشاءَ قـلـبه خُفُوفًا ورفْضَاتُ الهوى فى المفاصلِ

روينا ذلك كله، وروينا أيضا أن بعض قَيــس قــال: ثـلاثُ ظَبْيـات، فأَسكن موضـع العين. وروينا عن أَبى زيد أَيضا عنهم: شَرْيَة وشَرْيات وهو الحنظـل، والتسكين عنـدى فى هذا أَسوغ منه فى نحو رفْضات ووغْرات، من قِبَلِ أَن قبل الأَلف ياء محركة مفتوحـا ما قبلها، وهذا شرط اعتلالها بانقلابها ألفا، وتحتاج أَن تعتذر مـن ذلـك بـأن تقـول: لـو قلبت أَلفا لوجب حذفها لسكونها وسكون الأَلف بعدها، وليس فـى نحـو رفضـات مـا يوجب الاعتذار من الحركة، وكان رفضات أَقرب مأخذا من ثمرات مـن قِبَـل أَن رفضـة حدث ومصدر، والمصدر قوى الشبه باسم الفاعل الذى هو صفة، والصفة لا تحـرّك فـى نحو هذا، نحو: صعْبة وصعْبات، وخَدْلة وخَدْلات.

ويدلك على قوة شبه المصدر بالصفة وقوع كل واحد منهما موقـع صاحبـه، وذلـك نحو قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤكم غَوْرًا** ﴾[٥] أَى: غـائرا، وقولهـم: قـم قائما؛ أَى قياما، وعليه قول الفرزدق[٦]:

---

(١) سورة الحجرات الآية (٤).

(٢) من قصيدة للبيد يفتخر بمآثره ويذكر مبلغ سخائه وسخاء قومه، مطلعها:

رأتـنـى قـد شحبت وسَلَّ جـسـمـى هلاب الـنـازحــات مِــنَ الـهـمــوم

انظر: (ديوانه: ١٨٤).

(٣) يروى: نصصن نصا، الشقة: الأرض البعيدة. نصبن: رفعن، الوغرات: جمع وغرة، وهى شدة حر النهار. السموم: الريح الحارة. نصصن: أعملن السير. انظر: (هامش الديوان ١٨٥).

(٤) انظر: (ديوانه ٤٠٤).

(٥) سورة الملك الآية (٣٠).

(٦) انظـر: (ديـوان الفـرزدق ٧٦٩، خزانـة الأدب ١/١٠٨، ٢/٢٧٠، الكـامل ٦٩، الكتـاب ١/٣٤٦).

أَلم ترنى عاهدت ربى وإننى لَبَيْنَ رِتاج قائما ومقام[1]
على حَلْفَة لا أَشتُمُ الدهرِ مسلما ولا خارجا من فىَّ زُورُ كلام

أى ولا يخرج خروجا. وعليه أيضا كسَّروا المصدر، وهو فَعْلٌ على ما يكسر عليه فاعل فى الوصف وهو فواعل. أنشدنا أبو علىّ:

وإنك يَا عام بنَ فارس قُرْزُل معيدٌ على قيل الخنا والهواجر[2]

يريد جمع هُجْر، فكأنّه كَسَّر هاجرًا على هواجر.

وأنشدنا أيضا:

فليتكَ حالَ البحرُ دونكَ كلُّه وكنتَ لَقًى تجرى عليه السوائل[3]

يريد السيول جمع سيل، وهو كثير جدًا، فكذلك سَهُل شيئًا إِسكانُ نحوِ رفْضة ووغْرة، لكونهما حدثين ومصدرين لشبههما بالصفة.

ويزيد فى أُنْسك تَسكينَ عين ما لامه حرف علة لما تُعقبُ من الاعتذار من تحريك عينه - امتناعُهم من تحريك العين فى فَعْلَة إِذا كانت حرف علة، وذلك نحو جَوْزَات ولَوْزَات وبَيْضَات.

أَلا ترى أنه لو حرَّك فقال: جَوَزَات وَبَيَضَات لوجب أن يَعتذر من صحة العين مع حركتها وانفتاح ما قبلها بأَن يقول: لو أعللتُ لوجب القلب، فأَقول: جازات وباضات؛ فيلتبس ذلك بما عينه فى الواحد أَلف منقلبة نحو قارة وقارات، وجارة وجارات.

وإِذا جاز إِسكان العين الصحيحة، نحو: تمْرات وشعْرات صار المعتل أَحرى بالضمّة. نعم، وربما جاءَ الفتح فى العين إِذا كانت واوا أَو ياءً كما قال الهُذَلى[4]:

---

(١) الرتاج: الباب العظيم، أو الباب المغلق، والمراد رتاج الكعبة، وقد استشهد فى اللسان «رتج» بهذا البيت دون نسبة.

(٢) نسبه فى اللسان لسلمة بن الخرشب الأغارى، وهو من قصيدة يخاطب عامر بن الطفيل. انظر: لسان العرب «قرزل»، «هجر».

(٣) انظر: اللسان مادة «لقى».

(٤) انظر: (الخصائص ٣/١٨٨، قال فى الخزانة ٣/٤٢٩): والبيت مع كثرة وجوده فى كتب النحو والصرف لم أطلع على قائله ولا على تيتمه «وهو فى وصف ذكر النعام». وانظر: المنصف ١/٣٤٣).

أَبــو بَيَضَــات رائــحٌ مــتأَوِّبٌ   رفيــقٌ بمــسع المَـنْكِبَيْنِ سَبُوحُ

وعذرُه فى ذلك: أن هذه الحركة إنما وجبت فى الجمع، وقد سبق العلم بكونهـا فـى الواحد ساكنة، فصارت الحركة فـى الجمـع عارضـة فلـم تُحفـل. وفـى هـذا بَعـد هـذا ضعف؛ ألا ترى أن هذه الألف والتاءَ تبنى الكلمة عليهما، وليستا فى حكـم المنفصـل؟ يدلك على ذلك صحة الواو فى خُطُوات وكُسُوات، ولو كانت الألف والتاءُ فى ذلـك فى حكم المنفصل لوجب إعلال الواو؛ لأنها لام وقبلها ضمة، كما أنك لو بنيت فُعُلَة على التذكير من غزوت لأَعللت الـلام فقلـت: غُزُيـة، حتـى كـأنك نطقـت بِفُعِـل منـه فقلت: غُزٍ.

ولو بنيتها على التـأنيث لصحـت الـلام فقلـت: غُـزُوَة. فعليـه قلـت: خُطُـوات لأنـه مبنىٌّ على التأنيث، ولو كان على التذكير قلت: خُطيات كما قلـت: غُـز فـى فُعُـل مـن الغزو.

قال أَبو على: يدلك على أَن الكلمة مبنيـة علـى الأَلـف والتـاءِ اطـرادُ إِتبـاع الكسـر للكسر فى سِدِرات وكِسِرات مع عزة فِعِل فى الواحد، وإِنما حكى سيبويه منـه: إِبـل لا غير، وهـم كما ذَكر، إِلا أَن مما يؤنس بكون حركة العيـن غيـر ملازمـة مـا رويناه عـن قُطْرُب فيما حكاه عن يونس: من قوله فى جِروْة: إِذا قلت جروات فصحة الـواو وهـى لام بعد الكسرة تدلك على قلة الاعتداد بها، وعلى ذلك أَن يَقَال : إِن هذا شاذ ، يـدل على شذوذه امتناعهم أَن يحركوا عـين كُلْيـة ومُدْيـة ، وأَن يقولـوا : كُلُيـات ومُدُيـات؛ لِما كان يعقب ذلك من وجوب قلب الياءِ إِلى الواو ، فدلنا ذلك على أَن نحـو جِـرِوات شاذٌّ.

وبإِزاءِ هذا أَن يقال: هلا قلبوا، فقالوا: كُلُوات ومُـدُوَات، كمـا أَنهـم لـو بنـوا مثـل فُعُلة من قَضيت ورميت على التأنيث قلبـوا فقـالوا: رُمُـوَة وقُضُـوَة، فهـذه أَشـياءُ تراهـا متكافئة أَو كذلك، وعلى كل حال فالاختيار خُطْـوات بالإِسْكان؛ أَلا تـرى أَن الأَلـف والتاءَ وإِن بنى الاسم عليهما فإِن الجمع على كل حـال خـارج مـن الواحـد الـذى هـو الأَصل، فمعنى الفرعية موجود فى الجمع بتلفُّته إِلى الواحد، وليست فُعُلَة إِذا بنيت علـى التأْنيث مما خرج عن تذكيره فيراعى فيه حكمه، كمـا روعـى فـى الأَلـف والتـاء حكـم الواحد، فاعرفه فصلا.

* * *

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ (٢٠)

ومن ذلك ما حكاه الفراء عن بعض القراءِ فيما ذكر ابن مجاهد «يَخَطِّف»[١] بنصب الياءِ والخاءِ والتشديد.

قال ابن مجاهد: و لم يُرْوَ لنا عن أَحد.

قال أَبو الفتح: أَصله يْختطف، فآثر إِدغام التاء فى الطاء؛ لأَنهما من مخرج واحد؛ ولأَن التاءَ مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أَقوى صوتا من المهموس، ومتى كان الإِدغام يُقوِّى الحرفَ المُدْغَم حسن ذلك. وعلته أَن الحرف إِذا أَدغم خفى فضعف، فإِذا أَدغم فى حرف أَقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه فقوى لقوته، فكان فى ذلك تدارك وتلاف لما جنى على الحرف المدغم فأَسكن التاءَ لإِدغامها والخاءُ قبلها ساكنة، فنقلت الحركة إِليها، وقلبت التاءُ طاءً وأُدغمت فى الطاءِ، فصارت «يَخَطِّف».

ومنهم من إِذا أَسكن التاءَ ليدغمها كسر الخاء لالتقاءِ الساكنين، فاستغنى بحركتها عن نقل الحركة إِليها، فيقول: يَخِطِّف.

ومنهم من يكسر حرف المضارعة إِتباعا لكسرة فاءِ الفعل ما بعده فيقول: يِخِطِّف، وأَنا إِخطِّف، وأَنشدوا لأَبى النجم:

تدافُعَ الشِّيبِ و لم تِقِتِّل[٢]

أَراد تقتتل فأَسكن التاءَ الأُولى للإِدغام، وحرك القاف لالتقاءِ الساكنين بالكسر، فصار تَقِتِّل، ثم أَتبعَ أَول الحرف ثانيهَ فصار تِقِتِّل.

وعلى هذا قالوا فى ماضيه: خِطَّف، وأَصلها اختطف، فأَسكن التاءَ للإِدغام فانكسرت الخاءُ لسكونها وسكون التاءِ فحذف همزة الوصل لتحرك الخاء بعدها، وأُدغمت التاءُ فى الطاءِ فصار «خِطَّف».

---

(١) قراءة الحسن البصرى، وأبى رجاء، ويونس، ومجاهد. انظر: (معانى القرآن للأخفش ١/٥٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٣، البحر المحيط لأبى حيان ١/٩٠، إعراب القرآن للنحاس ١/١٤٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٢٢٣، الكشاف للزمخشرى ١/٤٢، لسان العرب مادة «خطف» ٩/٧٥).

(٢) قال فى المنصف (٢/٢٢٥): ثم إنه كسر حرف المضارعة إتباعا لكسرة التاء بعدها، أو لأن ماضيه «افتعل» كما تقول: تقتطع ونحوه، فصار تقتل.

ومنهم من يتبع الطاء كسرة الخاءِ فيقول : خِطِّف. وأَنشدونا[(١)].

لا حِطِّب القومَ ولا القوم سقى[(٢)]

أَراد: احتطب على ما مضى.

وحكى أَبو الحسن عنهم: فِتّحوا الأَبواب؛ أَى: افْتَتَحوا، على ما تقدم.

وكذلك الكلام فى قوله: يَهَدِّى ويهِدِّى ويَهِدِّى[(٣)]، وجاء المعَذِّرون والمُعِذِّرُون والمُعُذِّرون[(٤)] ومُرَدِّفين ومُرِدِّفين ومُرُدِّفين، تَتْبع الضم الضم، كما أُتبعت الكسر الكسر. وأَصله كله: المعتذرون ومرتدفون، وهو باب منقاد، وهذه طريقه. ومن بعد فيسأل فيقال: ما مثال «يَخَطِّف»؟.

قيل: إِن أَردت الأَصل فيفتعِل أَى: يختطِف، وإِن أَردت اللفظ ففيه الصنعة وعليه المسأَلة، فوزنه: يَفَطْعِل، وذلك أَن التاءَ فى يفتعل زائدة، فكما أَنها لو ظهرت لكانت زائدة، فكذلك إِذا أَبدلت فالبدل منها زائد؛ لأَن البدل من الزائد زائد، أَلا ترى أَن الطاءَ من اصطبر بدل من التاءِ فى اصتبر الذى هو افتعل؟ فكما أَن التاءَ زائدة فكذلك ما هو بدل مِنها - وهو الطاءُ - زائد. فوزن اصطبر على أَصله افتعل، وعلى لفظه افطعل، فكذلك وزن يَخَطِّف من الفعل على لفظه يفَطْعِل. فإِذا ثبت ذلك - وقد ثبت بحمد الله - فوزن خِطِّف: فِطْعِل، ووزن خِطَّف: فِطْعَل، ووزن تِقِتِّل تِفِعْتل، ووزن مُرُدِّفين مُفُدْعِلِين؛ لأَن الدال فيه بدل من التاءِ الزائدة، فهى زائدة من هذا الوجه، كما كانت الطاءُ فى خِطِّف زائدة من هذا الوجه.

وكذلك لو قال قائل: ما مثال «ازَّيَّنَتْ»[(٥)] على أَصله؟.

قلت: تفعلت، أَى تزينت، وعلى لفظه ازْفَعَّلَت.

وكذلك قالوا: «اطَّيَّرْنَا»[(٦)] ووزنه اطفَعَّلْنا، وكذلك قول العجلى:

---

(١) نسبه فى لسان العرب مادة «حطب» للشماخ بن ضرار.

(٢) صدره. «خب جروز إذا جاع بكى».

(٣) يشير إلى الآية من سورة يونس (٣٥).

(٤) يشير إلى الآية من سورة التوبة (٩٠).

(٥) سورة يونس الآية (٢٤).

(٦) سورة النمل الآية (٤٧).

مِنْ عَبَسِ الصيف قُرونَ الإِجَّل[١]

يريد الإِيَّل فإن اعتقدت أنه فِعْوَل أو فِعْيَل فى الأصل فوزنه بعد البدل: فِعْجَل؛ لأن الجيم على هذا بدل من واو فِعْوَل أو ياءَ فِعْيَل، وهما زائدتان فهى زائدة فاعرف ذلك وقسه.

قال ابن مجاهد: وحكى الفراءُ أن بعض أهل المدينة يسكن الخاءَ والطاءَ ويشدد[٢] فيجمع بين ساكنين.

قال ابن مجاهد: ولا نعلم أن هذه القراءَة رُويت عن أهل المدينة.

قال أبو الفتح هذا: الذى يجيزه الفراءُ من اجتماع ساكنين فى نحو هذا لا يثبته أصحابنا، وإنما هو اختلاس وإخفاء فيلطف عليهم فيرون أنه إدغام، وإنما هو إخفاء للحركة وإضعاف للصوت، وهذا كما يُروى فى قوله:

ومَسحِه مرُّ عُقاب كاسِرِ[٣]

أن الحاءَ مدغمةٌ فى الهاء، وياليت شعرى كيف يجوز لِذى نظر أو من يُخْلِد إلى أدنى تفكير أن يدّعى أن هنا إدغاما، أو أن تجمع بين ساكنين وقد قابل به جزءَ التفعيل، وإذا وقع التحاكم إلى بديهة الحس فقد سقطت كلفة إتعاب النفس؛ ألا ترى أن وزن

---

(١) صدره: «كأن فى أذنابهن الشُّوّل». والضمير فى أذنابهن للإبل، والشول، جمع شائل بلا هاء، وهى الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها أصلا. والعبس، بفتحتين: ما يتعلق فى أذناب الإبل من أبعارها وأبوالها فيجف عليها، يقال منه: أعبست، وعبس الوسخ فى يد فلان: أى يبس وخص العبس بالصيف لأنه يكون أقوى وأصلب، فشبهه بقرون الأيل لأنها أصلب من قرون غيرها، والأيل بضم الهمزة وكسرها: الذكر من الأوعال. وأنشد أبو بكر عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى قبلهما: «حتى إذا ما ثلن مثل الخرول». انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٤٨٥).

(٢) قراءة مجاهد. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/١٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٤٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٤، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٢٢).

(٣) من قول رؤبة بن العجاج كما فى أحد نسخ سر صناعة الإعراب، وصدره: «كأنها بعد كلال الزاجر».

وهو بغير نسب فى: الكتاب ٤/٤٥٠، سر صناعة الإعراب ١/٥٨، المخصص ٨/١٣٩، اللسان «كسر» ٦/٥٦، كأنها أى: الناقة، عقاب. كاسر: كسرت جناحيها وقبضتهما عند انقضائها. المسح: أن تتعب الإبل وتدبرها وتهزلها، وقد رسمت فى الكتاب هكذا: ومسحِى. وبعده: يريدون ومَسْحه. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١/٥٨).

قوله: «ومسجِهى» مفاعلن، فالحاءُ مقابَل بهـا عـين «علن»، والعين، أول الوتـد، وهـى كما ترى وتعلم محركة. أفيقـابَلُ فـى الـوزن السـاكنُ بـالمتحرك؟ وإذا أفضـى الأمـر فـى السفور إلى هاهنـا حَسَر شبهة اللبس والعناء، وقـد قلنـا فـى كتابنـا الموسـوم «بسـر الصناعة»[١] فى هذا ما فيه كفاية وغناء.

قال ابن مجاهد: وقد روى عن مجاهد والحسن: «يَخْطِف»[٢] ولم يبلغنـا أن أحـدًا قـرأ خَطَف بفتح الطاءِ فَيُقْرَأ هذا الحرف يخطِف، وأحسب أن هذا غلط ممن رواه.

قال أبو الفتح: قد قلنا فى كتابنا الموسوم «بالمنصف» وهو شرح تصريف عثمـان فـى نحو هذا من قوله:

وما كل مبتاع ولو سَلْفَ صَفْقُه ... يـراجع مـا قـد فـاته بـرداد[٣]

فإذا تأملته أغنى عن إعادته إن شاءَ الله، وجملته أن يكون استُغْنى بخَطِف عن خَطَـف فى الماضى، وجاءَ المضارع عليه كما أن قوله: «سَلْف» يكون مُسَكّنًا مـن «سَلِف» وإن

---

(١) قال فى سر صناعة الإعراب (٥٨/١): فقال سيبويه كلاما يظن به فى ظاهره أنه أدغم الحـاء فـى الهاء بعد أن قلب الهاء حاء فصار فى ظاهر قوله: ومَسْحُ. واستدرك أبو الحسن ذلك عليه، وقال: إن هذا لا يجوز إدغامه لأن السين ساكنة، ولا يجمع بين ساكنين. فهذا - لعمرى - تعلق بظـاهر لفظه، فأما حقيقة معناه فلم يرد محض الإدغام، وإنما أراد الإخفاء، فتجوز بذكر الإدغـام، وليـس ينبغى لمن قد نظر فى هذا العلـم أدنـى نظر أن يظـن بسـيبويه أنـه ممـن يتوجـه عليـه هـذا الغلـط الفاحش، حتى يخرج فيه من خطأ الإعراب إلى كسر الوزن؛ لأن هذا الشعر من مشطور الرجـز، وتقطيع الجزء الذى فيه السين والحاء «وَمَسَ حِهى» مفاعلن، فالحاء بإزاء عين مفاعلن، فهل يليـق بسيبويه أن يكسر شعرا وهو من ينبوع العروض وبحبوحة وزن التفعيل، وفى كتابه أماكن كثـيرة تشهد بمعرفته بهذا العلم واشتماله عليه، فكيف يجوز عليه الخطأ فيما يظهر ويبدو لمن يتسـاند إلى طبعه، فضلا عن سيبويه فى جلالة قدره! ولعل أبا الحسن أراد بذلك التشنيع عليه، وإلا فهو كان أعرف الناس بحاله. وقد تلا أبا الحسن فى تعقب ما أورده سيبويه فى كتابه جِلّةُ أصحابنا، كـأبى عمر، وأبى عثمان، وأبى العباس، وغيرهم، فقلما ضره الله بذلك، إلا فى الشىء النـدر القليل من قوله. انظر: (سر صناعة الإعراب ٥٨/١، ٥٩).

(٢) قراءة يحيى بن وثاب، وعلى بن الحسين، ويونس، وأبى رجاء (قال ابن عطية: نسبتها إلى الحسـن وأبى رجاء وَهْم، انظر: (البحر المحيط ٩٠/١ إعراب القـرآن للنحـاس ١٤٥/١، إعـراب القـرآن للعكبرى ١٣/١، البحر المحيط ٨٩/١، الجامع لأحكـام القـرآن ٢٢٢/١، الكشـاف للزمخشـرى ٤٢/١، مجمع البيان للطبرسى ٥٨/١، معانى القـرآن للأخفـش ٥٠/١، اللسـان، الجمهـرة مـادة «خطف»، تفسير الفخر الرازى ٢٠٢/١).

(٣) سبق الاستشهاد به.

لم يستعمل، استغناءً بسلَف عنه، وقد شرحناه هناك فتركناه هنا.

* * *

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن بخلاف ومجاهد وطلحة بن مصرِّف[1] وعيسى الهَمدانى: «وُقودُها الناس»[2].

قال أَبو الفتح: هذا عندنا على حذف المضاف أَى: ذو وُقودِها، أَو أَصحابُ وقودها الناس؛ وذلك أَن الوُقود بالضم هو المصدر، والمصدر ليس بالناس. لكن قد جاءَ عنهم الوَقود بالفتح في المصدر، لقولهم: وَقَدَت النارُ وَقودًا، ومثله: أُولِعْتُ به وَلُوعا، وهو حسنُ القَبُول منك، كله شاذ، والباب هو الضم.

وكان أَبو بكر يقول فى قولهم: توضأْت وَضوءًا: إِن هذا المفتوح ليس مصدرًا، وإِنما هو صفة مصدر محذوف.

قال: وتقديره: توضأْت وُضوءًا وَضُوءًا؛ لقولك: توضأْت وُضوءًا حسنا؛ لأَن الوَضوءَ عنده صفة من الوضاءَة.

وقرأت على أَبى علىّ فى نوادر أَبى زيد: رجل ساكوت بَيِّن الساكوتة. فقال: قياس مذهب أَبى بكر فى الوَضوءِ أَن يكون هذا على أَنه أَراد رجل ساكوت بينُ السكتة الساكوتة.

وعليه قولهم فيما حكاه الأَصمعى: رجل بَيِّنُ الضارورة؛ أَى بين الضَّرة، أَو المضرة الضارورة.

---

(١) طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو الهمدانى اليامىّ الكوفى، أبو محمد (١١٢هـ = ٧٣٠م): أقرأ أهل الكوفة فى عصره. كان يسمى «سيد القراء» وهو من رجال الحديث الثقات، ومن أهل الورع والنسك. شهد وقعة الجماجم وقال: رميت فيها بأسهم، ولوددت أن يدى قطعت ولم أشهدها. انظر: (تهذيب التهذيب ٢٥/٥، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٣٠، حلية الأولياء ١٤/٥، الأعلام ٢٣٠/٣).

(٢) قراءة الحسن البصرى، وأبى حيوة. انظر: (الكشاف للزمخشرى ٥٠/١، البحر المحيط ١٠٧/١، إعراب القرآن للنحاس ١٥١/١، إعراب القرآن ١٥/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٦/١، تفسير الفخر الرازى ٢٢٩/١).

وأَما قولهم: لص بين اللَّصوصية، وحُرٌّ بيِّن الحَرورية، وخصصته بالشىء خَصوصِيَّة، فإن شئت قلت: هو على مذهب أبى بكر لص بيِّن اللَّصة اللَّصوصية، والخَصَّة الخَصوصية، والحُرِّية الحَرورية.

وإِن شئت قلت غير هذا، وذلك أن ما لا يجىء من الأَمثلة بنفسه قد يجىء إِذا اتصلت ياءُ الإِضافة به، وذلك كقول الأَعشى(١):

وما أَيْبُلِىٌّ(٢)على هيكل ... بناه وصلَّب فيه وصارا

فأَيبلى كما ترى فَيْعُلِىّ، ولولا ياءُ الإِضافة لم يجز ذلك؛ أَلا ترى أَنه لم يأْت عنهم فَيْعُل؟ وكذلك قولهم فى الإِضافة إِلى تحية: تَحَوِىّ، ومثاله: تَفَلِىّ. وليس فى كلامهم اسم على تفل، فكذلك جاز خَصوصية وأُختاها، هذا مع ما حُكِى عنهم من القَبول والوَضوء والوَلُوع والوَقود، فإِذا جاءَ هذا المثال فى المصدر من غير أَن تصحبه ياءُ الإِضافة فهو بأَن يأْتى معهما أَجدر.

* * *

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴿٢٦﴾

ومن ذلك قراءة رُؤبة: «مَثَلا ما بَعُوضَةٌ»(٣)، بالرفع.

قال ابن مجاهد: حكاه أَبو حاتم عن أَبى عبيدة عن رؤبة.

وقال أَبو الفتح: وجه ذلك: أَن «ما» هاهنا اسم بمنزلة الذى؛ أَى: لا يستحي أَن يضرب الذى هو بعوضةٌ مثلا، فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ.

ومثلِه قراءَة بعضهم: «تَماما علَى الذى أَحْسَنُ»(٤)، أَى: على الذى هو أَحسن.

---

(١) انظر: (ديوانه صـ ٨٤) وهى من قصيدة يمدح قيس بن معد يكرب مطلعها:

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا ... وشَطَتْ على ذى هوى أن تُزَارَ

(٢) الأيبلى: الراهب الذى يحمل الأيبل وهى العصا التى يضرب بها الناقوس.

(٣) قراءة الضحاك، وإبراهيم بن أبى عبلة، وقطرب، ومالك بن دينار، وابن السماك. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٤٣/١، البحر المحيط لأبى حيان ١٢٣/١، إعراب القرآن للنحاس ١٥٣/١، إعراب القرآن للعكبرى ١٦/١، تفسير الفخر الرازى ٢٣٨/١، شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك للأشمونى ١٦٨/١ حاشية الخضرى ٨٠/١).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٥٤)، وهى قراءة الحسن، والأعمش، ويحيى بن يعمر، وابن أبى إسحاق. انظر: (معانى القرآن للفراء ٣٦٥/١، مجمع البيان للطبرسى ٣٨٥/٢، الكشاف للزمخشرى=

وحكى صاحب الكتاب عن الخليل: ما أنا بالذى قائل لك شيئًا. أى الذى هو قائل لك شيئًا. وعليه قوله(١):

لم أر مثل الفتيان فى غِيَر الـ أَيام ينسَوْن ما عواقُبها(٢)

أى يَنسْون الذى هو عواقبها، وحَذْفُ الضمير من هنا ضعيف؛ لأنه ليس فضلة كالهاءِ فى نحو قولك: ضربت الذى كلمت؛ أى: كلمته.

وإن شئت كان تقديره: ينسون أى شيء عواقبها، فتكون ما استفهاما، وعواقبها خبرا عنها، والجملة فى موضع نصب بينْسَون، وجاز فيها التعليق؛ لأنها ضد يذكرون ويعلمون، فيجرى مجرى قولك: لا تنس أَيُّنا أحق بكذا. وأتذكُرُ أَزيدٌ أفضلُ أَم عمرو.

* * *

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾

ومن ذلك قراءَة يزيد البربرى: «وعُلِّمَ آدمُ الأسماءَ كُلُّها (٣).

قال أبو الفتح: ينبغى أن يُعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبَعد الفاعل، كضرب زيد عمرًا، فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل، فقالوا: ضرب عمرًا زيد. فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه، فقالوا: عمرًا ضرب زيد. فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رَبُّ الجملة، وتجاوزوا به حد كونه فضلة، فقالوا: عمرو ضربه زيد، فجاءُوا به مجيئا ينافى كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضُرِب زيد فحذفوا ضميره ونَوَوه و لم ينصبوه على ظاهر أَمره؛ رغبة به عن صورة الفضلة وتحاميا لنصبه الدالِّ على كون غيره صاحبَ الجملة، ثم إنهم

=٤٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤٢/٧، البحر المحيط ٢٥٥/٤، إعراب القرآن العكبرى ١٥٤/١، أمالى ابن الشجرى ٢٣٥/٢، شرح المفصل لابن يعيش ٨٥/٢، مغنى اللبيب ١٥٤/١، شرح الكافية ٢٤٩/١، شرح الأشمونى ١٦٨/١، إتحاف فضلاء البشر ٢٢٠، حاشية الخضرى ٨٠/١ همع الهوامع ٣١٢/١).

(١) هو لعدى بن زيد، وقد رواه صاحب الأغانى (١٣٩/٢):

لم أر مثل العفتيان فى غبن الـ أيام ينسون ما عواقبها

(٢) يقول: الأيام تغبنُ الناس فتخدعهم وتختلهم مثلَ الغبن فى البيع.

(٣) قراءة الحسن البصرى، واليمانى. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١٤٥/١، الكشاف للزمخشرى ٦٢/١، إعراب القرآن للعكبرى، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٣٢).

لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مُظهَرا أو مضمرا فقالوا: ضُرب عمرو فاطَّرح ذكر الفاعل البتة. نعم، وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل البتة، وهو قولهم: أُولعت بالشيء، ولا يقولون: أَولعني به كذا. وقالوا: ثُلِجَ فؤاد الرجل و لم يقولوا: ثَلَجَهُ كذا، وامتُقع لونُه و لم يقولوا: امتقعه كذا. ولهذا نظائر، فرفضُ الفاعل هنا البتة واعتماد المفعول به البتة دليل على ما قلناه فاعرفه.

وأَظنني سمعت: أَولعني به كذا، فإن كان كذلك فما أَقله أَيضا!.

وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة. وإنما كانت كذلك لأنها تحلو الجملة، وتجعلها تابعة المعنى لها. ألا ترى أنك إذا قلت: رغبت فى زيد أُفيد منه إيثارك له، وعنايتك به، وإذا قلت: رغبت عن زيد، أُفيد منه إطراحك له وإعراضك عنه، ورغبت فى الموضعين بلفظ واحد، والمعنى ما تراه من استحالة معنى رغبت إلى معنى زهدت، وهذا الذى دعاهم إلى تقديم الفضلات فى نحو قول ا لله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَـه كُفُـوًا أَحَدٌ﴾(١). وإنما موضع اللام التأْخير؛ ولذلك قال سيبويه: إن الجفاة ممن لا يعلم كيف هى فى المصحف يقرؤها: «ولَمْ يَكُنْ كُفُوًا لَه أَحد»(٢).

فإن قلت: فقد قالوا: زيدا ضربته فنصبوه، وإن كانوا قد أَعادوا عليه ضميرا يشغل الفعل بعده عنه حتى أَضمروا له فعلا ينصبه، ومع هذا فالرفع فيه أَقوى وأَعرب، وهذا ضد ما ذكرتَه من جعلهم إياه رَبَّ الجملة ومبتدأها فى قولهم: زيد ضربته.

قيل: هذا وإن كان على ما ذكرتَه فإنه فيه غرضا من موضع آخر، وذلك أَنه إذا نصب على ما ذكرت فإنه لا يعدم دليل العناية به، وهو تقديمه فى اللفظ منصوبا، وهذه صورة انتصاب الفضلة مقدَّمةً لتدل على قوة العناية به، لاسيما والفعل الناصب له لا يظهر أَبدا مع تفسيره، فصار كأَن هذا الفعل الظاهر هو الذى نصبه، وكذلك يقول الكوفيون أَيضا.

فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتى أَلغَوا حديث الفاعل معها، وبنَوا الفعل

---

(١) سورة الأخلاص الآية (٤).

(٢) نص سيبويه فى الكتاب (١/٥٦): وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربى جيد كثير، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿و لم يكن له كفوا أحد﴾ وأهل الجفاء من العرب يقولون: و لم يكنْ هُو له أحدٌ، كأنهم أخروها حيث كانت غير مستقرة، وقال الشاعر:

لتقربن قربا جلذيا ... مادام فيهن فصيل حيا

فقد دجا الليل فهيا هيا

لمفعوله فقالوا: ضُرب زيد - حَسُنَ. قولُه تعالى: «وعُلّم آدمُ الأسماءَ كلَّها»؛ ولما كان الغرض فيه أنه قد عرَفَها وعَلِمها، وآنس أيضا عِلم المخاطبين بأن الله سبحانه هو الذى عَلَّمه إياها بقراءَة من قرأ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسماءَ كلَّها﴾(١). ونحوه قوله تعالى: ﴿إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعا﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿وخُلق الإنسانُ ضعيفا﴾(٣)، هذا مع قوله: ﴿خَلَق الإنْسَانَ مِنْ عَلَق﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿خلَقَ الإنسانَ علَّمه البيان﴾(٥)، وقال تبارك اسمه: ﴿خَلَق الإنسانَ مِن صَلْصَال كالفَخَّار﴾(٦).

فقد عُلم أن الغرض بذلك فى جميعه أن الإنسان مخلوق ومضعوف، وكذلك قولهم: ضُرب زيد إنما الغرض منه أن يُعلم أنه منضرب وليس الغرض أن يُعلم مَن الذى ضربه. فإن أريد ذلك و لم يدل دليل عليه فلابد أن يذْكر الفاعل فيقال: ضَرب فلان زيدا، فإن لم يفعل ذلك كَلّف علم الغيب.

* * *

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ ٣٣

ومن ذلك قراءَة الحسن رحمه الله: «أَنْبِهِمْ»(٧) بوزن أَعطهم، وروى عنه: «أنبيهُمُ»(٨) بلا همز، وروى عن ابن عامر «أَنبِئْهِم»(٩) بهمز وكسر الهاءِ. قال ابن مجاهد: وهذا لا يجوز.

قال أَبو الفتح: أَما قراءَة الحسن: «أَنْبِهِمْ»، كأَعطهم فعلى إبدال الهمزة ياء على أنه يقول: أَنْبَيْتُ كأَعْطَيْتُ، وهذا ضعيف فى اللغةِ؛ لأَنه بدل لا تخفيف، والبدل عندنا لا يجوز إِلا فى ضرورة الشعر.

---

(١) سورة البقرة الآية (٣١).

(٢) سورة المعارج الآية (١٩).

(٣) سورة النساء الآية (٢٨).

(٤) سورة العلق الآية (٢).

(٥) سورة الرحمن الآية (٣).

(٦) سورة الرحمن الآية (١٥).

(٧) قراءة ابن كثير، والأعرج، والقواس. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٦٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/١٤٩، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٨).

(٨) قراءة حمزة، والحسن. انظر: (غيث النفع للصفاقسى ١٠٦، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٣٣).

(٩) قراءة ابن عباس. انظر: (مجمع البيان للطبرسى ١/٧٨، السبعة فى القراءات لابن مجاهد ١٥٣، البحر المحيط لأبى حيان ١/١٤٩).

وحدثنا أبو على: قال: لقى أبو زيد سيبويه فقال: سمعت العرب تقول: قَرَيْت وتوضيت فقال له سيبويه: فكيف تقول فى المضارع؟ قال: أقرأُ. هذا آخر الحكاية عن أبى علىّ.

وزاد أبو العباس محمد بن يزيد فيها فقال له سيبويه: فقد تركت إذًا مذهبك.

ونحوه قراءة: «أن تَبَوَّيَا»(١).

ويجوز على هذه القراءة «أَنْبِهُم» على أصل حركة الهاءِ وهو الضم، كقراءة من قرأ: «فَخَسَفْنَا بِهُو وبِدَارِهُو الأَرْضَ»(٢).

وأما قراءته على الرواية الأخرى: «أنبيهُم» فهو على قياس التخفيف الصريح، ولك فى هذه الهاء على هذه القراءة الضم والكسر.

أما الضم فمن وجهين:

أحدهما: وهو الأظهر إخراجها على الأصل فيه.

والآخر: وفيه الصنعة، وهو أن هذه الياءَ ليست بلازمة، وإنما اجتلبها تخفيف الهمزة، وذلك أن الهمزة إذا سَكَنَتْ مكسورا ما قبلها فتخفيفها القياسى أن تخلصها فى اللفظ ياء، وذلك قولك فى ذئب: ذيب، وفى بئر: بير، فقوله: «أَنْبِيهم» بياء ساكنة ينبغى أن يكون على التخفيف القياسى، لا على أنه أبدل الهمزة ياءً إبدالا مستكرها على حد قولهم فى البدل: قريت كأعطيت، فإنما كان ذلك كذلك من قِبَل أنه لو أبدل لكان قد أخرج الهمزة على أصلها إلى ذوات الياء، ولو كان فعل ذلك لوجب حذفه كما تحذف لام أعطيت وأغزيت للوقف والجزم، كما حذفها فى القراءَة الأُخرى لما أبدل فقال: «أَنْبِهِمْ»، ولو اعتقد أنه قد أبدل البتة لما جاز إثباتُ الياءِ فى موضع الوقف، كما لا يجوز أعطيهم ولا أَغْزِيهم إلا أن يحمل ذلك على الضرورة، وإثبات الياءِ فى موضع الجزم والوقف، كقوله(٣):

أَلم يأْتيك والأَنباءُ تنمى ... بما لاقت لَبونُ بنى زياد

---

(١) سورة يونس الآية (٧٨)، وهى قراءة حفص فى رواية هبيرة. انظر: (البحر المحيط ١٨٦/٥).

(٢) سورة القصص الآية (٨١)، لم أعثر عليها فيما بين يدى من مصادر.

(٣) هو لقيس بن زهير وقد رواه صاحب الأغانى (٢٠١/١٧):

ألم يبلغك والأنباء تنمى ... بما لاقت لبون بنى زياد

وبعده:

ومحبسها على القرش نشرى ... بأدراع وأسياف حداد

فإن فعل ذلك ففيه على هذا ضرورتان:

إحداهما: الإبدال، ولا ضرورة إليه.

والآخر: إثبات حرف العلة فى موضع الوقف، وذلك ضروروة أفحش من الأولى، لكثرة الإبدال على قبحه، وقلة إثبات حرف اللين فى موضع الوقف. لكن إذا اعتقد أنه خُفف لم يكن فى هذه القراءَة ضرورة البتة، وفى هذا كاف.

وإذا كان «أنبيهِم» إنما هو على التخفيف القياسى، فكأن الهمزة حاضرة لأنها هى الأصل؛ إذ كان التخفيف له أحكام التحقيق. ألا ترى إلى صحة الواو والياءِ فى تخفيف ضوء وفىء، وذلك قولك: هذا ضَوٌ وفَىٌ ونَوٌ وشَىٌ، بضمة الواو والياء مع تحركهما وانفتاح ما قبلهما، وتَرْك قبلهما ألفين لذلك يدل على أن الواو والياءَ لما تحركتا بحركة الهمزة المحذوفة للتخفيف كانتا لذلك فى حكم الساكنين، فكما تصحان هنا ساكنتين فى ضوء ونوء وفىء وشىء كذلك صحتا متحركتين فى ضَو ونَو وشَى، وعلى ذلك صحت الواو والياء أيضا فى تخفيف نحو جيئل وحَوْءَب[1] إذا خَفَّفت فقلت: جيل وحَوَب، فكما تكون الياء مضمومة مع التحقيق فى قوله: «أنبئهُم» فكذلك تكون مضمومةً مع التخفيف فى قولك: «أنبيهُم» لِمَا بيناه من أن حكم الهمزة المخففة حكم المحققة.

وسألت أبا على رحمه الله فقلت: من أجرى غير اللازم مجرى اللازم؟ فقال: فى تخفيف الأحمر: لَحْمر، أيجوز له على هذا أن يقلب الواو والياءَ فى حَوَب وجَيَل ألفا، فيقول: حاب وجال؟ فقال: لا، وأومأ إلى أن حكم القلب أقوى من حكم الاعتداد بالحركة فى لَحمَر؛ أى: فلا يبلغ فى الجواز ذلك لشناعته، وهو كما ذكر.

وقد يجوز عندى فى قراءَة الحسن رحمه الله هذه أن يكون أراد «أنبهم»، كقراءَته فى الأخرى إلا أنه أشبع الكسرة فأنشأ عنها ياء، فقال: «أنْبيهم»، كما قد يجوز ذلك فى قوله: «أَلَمْ يأْتيك» فإنه أشبع الكسرة فمطها. فبلغت ياءَ، وعليه الرواية الأخرى التى ذكرها أبو الحسن وهى قوله: ألم يأْتك، وعليه أيضا ما وجّه بعضهم[2] قوله[3]:

---

(١) انظر: (الخصائص ٣/٩٥).

(٢) أبو على فى المسائل الحلبيات ق ١٩/أ، ١٨/ب، ونسب أبو على هذا القول فى المسائل العكبريات إلى بعض البغداديين ص ٥١، ٥٢، وانظر: (سر صناعة الإعراب ١/٧٦).

(٣) هو من قول عبد يغوث وصدره: «وتضحك منى شيخة عبشمية».

كـأن لم تـرا قَبلـى أَسيرا يمانيـا[١]

قال: أَراد لم تَرَ، ثم أَشبع الفتحة فأَنشأَ عنها أَلفا[٢].

فإِذا جاز ذلك ساغ الضم فى الهاءِ أَيضا على أَصل ضمتها.

فإِن قلت: فهل يجوز أَن تقول: إنه لم يعتدد بالياء لما كانت زائدة مجتلبة للإِشباع، فجرت لذلك مجرى ما ليس موجودًا، كما أَن من مد «أَوائل» إتباعا كما ترى، على حد قوله[٣]:

نفى الدنانير تنقـادُ الصياريـف[٤]

قال على هذا: أَوائيل، أَقر الهمزة بحالها بدلا من واو أَواول لبعدها من الطرف بالياء الحاجزة؛ لأَن هذه الياء لَحَقٌ ونَيِّفٌ مجتلبة للإِشباع، وليست لها عصمة ولا مُسكة، فجرت مجرى المنفردة البتة. كما يهمز فيقول: أَوائل فكذلك يهمز فيقول: أَوائيل، ولا يحفِل بالياءِ حاجزا لما ذكرنا، ولا يجرى عندى مجرى ياء طواويس ونواويس إِذ كانت الياءُ هناك ثابتة القدم؛ لكونها بدلا من واو ناووس وطاووس الثانية؟.

---

(١) انظر: (شرح اختيارات المفضل ص ٧٧١ [المفضلية ٣٠]، وفى ذيل الأمالى ص ١٣٤ - ١٣٥ «قال الأخفش: رواية أهل الكوفة: كأن لم ترن قبلى. وهذا خطأ عندنا. والصواب: ترى بحذف النون علامة للجزم» وفى الخزانة ٢/٢٠١ [الشاهد ١١٥] تحقيق هارون: قال القالى فى ذيل الأمالى: قال الأخفش: رواية أهل الكوفة: كأن لم ترا، بالألف، وهذا عندنا خطأ، والصواب ترى، بحذف النون علامة للجزم. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ٧٦/١).

(٢) قال ابن جنى فى سر صناعة الإعراب قال: (أى أبو على الفارسى): جاء به على أن تقديره محققا «كأن لم ترا»، ثم إن الراء لما جاورت - وهى ساكنة - الهمزة متحركة، صارت الحركة كأنها فى التقدير قبل الهمزة، واللفظ بها: كأن لم تَرْأَ، ثم أُبدل الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها: فصارت «ترا» فالألف على هذا التقدير بدل من الهمزة عين الفعل، واللام محذوفة للجزم، على مذهب التحقيق وقول من قال: رَأَى يَرْأَىَ. انظر: (سر صناعة الإعراب ٧٦/١).

(٣) أى الفرزدق، وهو بيت مفرد فى ديوانه ٥٧٠، وهو من شواهد الكتاب ٢٨/١، والخزانة ٢٥٥/١، الخصائص ٣١٧/٢.

وصدره: «تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة».

(٤) يصف سرعة الناقة فى سير الهواجر، والهاجرة: وقت اشتداد الحر فى الظهر فيراها لشدة وقعها فى الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كالدنانير إذا انتقدها الصيرفى لينفى رديئها عن جيدها.

فالجواب: أنه إن ذهبَ إلى هذا على ما رمتَه كسرَ الهاء أيضـا؛ وذلـك أن أقصى مـا فى هذا: أن تكون الياءَ فى «أنبيهم» مدة إشباعا لا حكم لها فكأنها ليست هنـاك وإذا لم تكن هناك كسرة الياء - وهى تدعو إلى كسر الهاءِ - فعلى أى الوجهـين حملته فكسرُ الهاءِ هو الكلام.

وأما حديث كسرها من القسمة الأُولى - وأنت تنوى بأنبيهم التخفيـف القياسى - فهُو على معاملة اللفظ؛ وذلك أن الملفوظ به الآن وإن كـان تخفيفا إنما هـو اليـاءُ البتـة فعومل لفظها معاملة نحوه ونظيره، فكُسِرَت الهـاء مع هـذه اليـاء كمـا تكسـر فـى نحو عليهم وإليهم، كما أن قول الله عز وجل: ﴿لكِنَّا هُوَ الله﴾[1] أصله لكنْ أنَا، فخففـت الهمزة وألقيت حركتها على النون فانفتحت، فصارت فى التقدير: «لكنَنَـا»، فلمـا التقـى الحرفان المثلان متحركين كُرِه ذلـك، وإن كـانت حركـة النون الأُولى غير لازمـة مـن حيث كانت من أعراض التخفيف، وأُجريت مجرى اللازمة، فأُسـكنت الأُولى وأدغمـت فى الثانية، حملا على حاضر الحال وإجراء غير اللازم مجرى اللازم[2].

وقد كتبنا فى الخصـائص بابـا مفـردا فـى إجـراء العرب غـير الـلازم مجرى الـلازم، وإجراء اللازم مجرى غيراللازم، فاكتفينا به عن إعادته لئلا يطول هذا الكتاب[3].

نعم، وإذا كانت العرب قد أجرت الحرف الصحيح في نحو هذا مجرى ما لا يعتـد بـه حتى لم يحفلوا بلفظ نحو قولهم: منهِم واضربهِـم فـأن يجـروا اليـاءَ السـاكنة مجـرى ذلـك لخفائها؛ ولأن لفظها نفسها داعٍ إلى الكسر - أجدر.

وأما الرواية عن ابـن عـامر: «أنبئهِـم»، بـالهمز وكسـر الهـاءِ فطريقـه أن هـذه الهمـزة ساكنة، والساكن ليس بحاجز حصين عندهم، فكأنه لا همزة هناك أصلا، وكأن كسـرة الباءِ على هذا مجاورة للهاء؛ فلذلك كسرت، فكأنه على هذا قال: «أنْبِهِم».

ويدل على ما ذكرناه من ضعف الساكن أن يكون حاجزا حصينا قولهُم: قِنْيَـة وهـى وهى من قَنَوْت، وصِبية وهى من صبوت، وعِلْية وهـى مـن عَلَـوت، وعِـذْى وهـو مـن قولهم: أَرَضُون عَذَوات، وبِلْىُ سفر لقولهم فى معناه: بِلْوُ، وهو مـن بلـوت. ومنـه ناقـة عِلْيَان وهى من علوت، وَدبَّة مهيار وهو من تهور، وفلان قِدْيَة فى هذا الأمر وهـو مـن

---

(١) سورة الكهف الآية (٣٨).

(٢) انظر: (الخصائص ٣/ ٩٤).

(٣) انظر: (الخصائص ٣/ ٨٩، ٩٥).

القِدْوة. وأصله كله قِنْوٌ، وصِبْوة، وعلوة، وعِذْوٌ، وبِلْو سفر، وناقة عِلْوان، ودَبة مِهْوَار؛ فقلبت الواو فى ذلك كله للكسرة قبلها، ولم يعتدد الساكن بينهما حاجزا لضعفه، فكأن الكسرة تباشر الواو فتقلبها لذلك ياءً، كما تقلبها لو لم تجد بينهما حاجزا. فكذلك الهمزة فى «أَنبِئهِم» لا تحجز على هذا النحو الذى ذكرناه.

وروينا عن أبى زيد فيما أخذناه عن أبى علىّ، وعن غير أبى زيد: منهم ومنهِ ومنكِمْ وبكِم، أجرى كاف المضمر مجرى هائه، وسترى هذا فيما بعد إن شاءَ الله.

فقد علمت بذلك أن قول ابن مجاهد: هذا لا يجوز لا وجه له، لما شرحناه من حاله. ورحم الله أبا بكر، فإنه لم يأْلُ فيما علمه نصحا، ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يُره الله تعالى إياه. وسبحان قاسم الأرزاق بين عباده، وإياه نسأل عصمة وتوفيقا وسدادا بفضله.

* * *

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ (٣٤)

ومن ذلك قراءَة أَبى جعفر يزيد «لِلْملائكةُ اسْجُدُوا»(١).

قال أَبو الفتح: هذا ضعيف عندنا جدا؛ وذلك أن «الملائكة» فى موضع جر، فالتاء إذًا مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من «اسجدوا»، لسقوط الهمزة أصلا إذا كانت وصلا. وهذا إنما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرف ساكن صحيح، نحو قوله عز وجل: ﴿وقالَتُ اخرج﴾(٢)، وادخلُ ادخُل، فضُم لالتقاء الساكنين لتخرج من ضمة إلى ضمة، كما كنت تخرج منها إليها فى قولك: اخرج. فأما ما قبل همزته هذه متحرك - ولاسيما حركة إعراب - فلا وجه لأن تحذف حركته ويحرك بالضم. أَلا تراك لا تقول: قل للرجلُ ادخُل، ولا: قل للمرأَةُ ادخُلى؛ لأن حركة الإعراب لا تُستهلك لحركة الإتباع إلا على لغية ضعيفة، وهى قراءَة بعض البادية: «الحمدِ لِلّه» بكسر الدال. ونحو منه ما حكاه لى أبو علىّ: أن أبا عبيدة حكاه من قول بعضهم: دعه فى حِرِمِّه فحذف

---

(١) قراءة الشنبوذى، وسليمان بن مهران، وابن جماز، وعيسى بن وردان. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٣٤، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٨، إعراب القرآن للنحاس ١/١٦١، البحر المحيط لأبى حيان ١/١٥٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٢٩١، التبيان فى تفسير القرآن للطوسى ١/١٤٧، مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ١/٨٠، النشر فى القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢١٠).

(٢) سورة يوسف الآية (٣١).

كسرة راءِ «حِرِ»، وألقى عليها ضمة همزة أمه، وهذا عندنا على شذوذه أعذر من قوله: «لِلْملائكةُ اسجدُوا»، وذلك أنه خفف همزة تثبت فى الوصل وهو قولك: فى هنِ أمه، فإذا كانت تثبت فى الوصل جاز تخفيفها فيه، بل لا يكون التخفيف بإلقاءِ الهمزة ونقل الحركة إلا فى الوصل، وليس فيه إلا شىء واحد، وهو حذفه حركة الإعراب لحركة غير ملازمة، وإنما هى للهمزة.

وأما قوله: «لِلْملائِكةُ اسْجُدوا» فإن همزة اسجدوا يحذفها فى الوصل البتة، وإذا كانت محذوفة البتة لم يكن إلى تخفيفها سبيل؛ لأن الوصل يستهلكها أصلا. فحركة ماذا - ياليت شعرى! - تنقل وقد حُذف المتحرِّك بحركته أصلا فلم يبق إلا الإتباع، وحركة الإتباع لا تبلغ مبلغ حركة تخفيف الهمز، من حيث كانت حركة الهمزة موجودة فيها فى الابتداءِ والوصل جميعا، فعلمت بذلك قوتها، وحركة الإتباع تجرى مجرى الصدى الذى لا اعتداد به، ولا هو عندهم مما يعقدُ على مثله، فإذا ضعفت الحركة القوية فما ظنك بالحركة الضعيفة؟.

ونحو من هذه الحكاية عن أبى عبيدة: ما رواه أحمد بن يحيى: قال: كنا عند سعيد ابن سَلْم أنا وابن الأعرابى فخرجا لصلاة العصر، وتأخَّرت لتجديد الطُّهر بعدهما، فلما خرجتُ قال لى ابن الأعرابى: أين أنت؟ ألا تسمع لهذا؟ قلت: ما هو؟ وإذا أبو سَرَّار الغنو يتحدث، قال: كنت أحضر العراق فإذا أردت أهلى وقد اشتريت منها وتبتّتُ أجتاز بامرأةَ عجوز لها بنيّاتُ، فإذا نزلتُ عليها بَهَشْن إلى وأطَفْنَ بى، فأفرز لهن مما اشتريت شيئًا أدفعه إليهن، فغَبْرت زمانا، ثم جئت العجوز فوجدتها غائبة عن بيتها، وإذا أولئك الجوارى قد صِرن نساءً، فبهشن إلى على عادتهن، وجاءت العجوز فوجدَتنى خاليا معهن، فقالت: ما هذا؟ أفى السَّوَتَنتنه؟، أفى السَّوَتَنتنه؟، فقلت: وما فى هذا؟ أرادت: أفى السوءَة أنتنه، فحذفت الهمزة من السوءة تخفيفا، وألقت حركتها على الواو فانفتحت الواو، وألقت حركة الهمزة فى أنتنه على كسرة التاءِ من السوءَة فانفتحت، وحذفت همزة أنتنه فصارت: أفى السَّوَتَنتنه.

هكذا قال أحمد بن يحيى على كسرة التاءِ، وله وجه إلا أنه مع هذا ضعيف؛ وذلك أن هذه الهمزة إذا خففت فحذفت، وأُلقيت حركتها على ما قبلها - لم يكن ذلك الذى قبلها إلا ساكنا نحو قوله تعالى: فى قراءَة ورش عن نافع - «قدَ افلح المؤمنون»[1] «والاَرْض». وحكى أبو زيد فى خبأة: أنه سمع بعضهم يقرأ «ويُمْسِكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ

---

(١) سورة المؤمنون الآية (١). وهى قراءة ابن ذكوان، وحفص، وإدريس. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ٣١٧).

عَلَّرضِ»[(١)] يريد على الأرض، فحُذفت همزة أَرض تخفيفا، وأُلْقِي حركتُها على اللام وهى ساكنة كما ترى، فصارت عَلَلَرض، فكره اجتماع اللامين متحركتين، فأسكن اللام الأُولى وأَدغمها فى الثانية فصارت «علّرض»، كما أَسكن أَبو عمرو: «لَكِنَ نَا» حتى صار لذلك «لكنّا». فهذا التخفيف مع النقل إنما يكون إذا كان الأَول الملقى عليه ساكنا، فأَما إذا كان متحركا فقد حَمَتْهُ حركته أَن يَقبل حركة أُخرى غيرها.

والتّاءُ من السوءَة محركة، فكيف يمكن إِلقاءُ الحركة عليها مع وجود حركتها فيها؟ وعليه قراءَة الكسائى فيما حدثنا به أبو على سنة إِحدى وأَربعين: «بِمَا أُنزلَّيك»[(٢)] قياسا - فيما قال أَبو علىّ - عَلَى لَكِنّا.

قال أَبو على، ما نحن عليه ونَعَى هذه القراءَة، وقال لحركة لام أُنزل: فإذا قبح ذلك مع أَن حركة اللام بناء فما الظن بما حركته إِعراب، وحرمة الإِعراب أَقوى من حرمة البناء، فالجناية إِذاً عليها فوقها عليها.

وقول أَحمد بن يحيى إِنه أَلقى فتحة أَنْتنه على كسرة الهاءِ - طريقُه: أَنه لما نقل فتحة همزة أَنتن إِلى ما قبلها صادفت كسرةَ السوءَة على شناعة النقل مع ذلك، فهجمت الفتحة على الكسرة فابتزَّتها موضعَها، وكلا القولين خبيث وضعيف. وعلى أَننا قد أَفردنا فى كتاب الخصائص بابا لهجوم الحركات على الحركات، مختلفاتٍ كن أَو متفقات[(٣)]، لكنه ليس على هذا الذى كرهناه واستضعفناه.

فهذا كله يشهد بضعف قوله: «قُلْنا لِلْملائِكةُ اسْجُدُوا». وفيه أَكثر من هذا، ولولا تحامى الإِملال لجئنا به، وفيما أوردناه كاف مما حذفناه.

* * *

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥﴾

ومن ذلك قال عباس: سأَلت أَبا عمرو عن «الشِّجَرة» [(٤)] فكرهها، وقال: يقرأُ بها برابر مكة وسودانها.

---

(١) سورة الحج الآية (٦٥).

(٢) البقرة الآية (٤). انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٣٢، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨ البحر المحيط ١/٤١).

(٣) انظر: (الخصائص ٣/١٣٨ باب فى هجوم الحركات على الحركات).

(٤) قراءة هارون الأعور. انظر: (البحر المحيط ١/١٥٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٣٠٤، الكشاف للزمخشرى ١/٦٣).

وقال هارون الأعور عن بعض العرب: تقول الشِّجرة. وقال ابن أبى إسحاق: لغة بنى سُليم الشِّجرة.

قال أبو الفتح: حكى أبو الفضل الرياشي: قال: كنا عند أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له: إنه يقول الشِّيَرَة[١]، فسأله فقالها، فقلت له: سله عن تصغيرها فسأله فقال: شُيَيْرَة.

وأنشد الأصمعى لبعض الرجاز فى أرجوزة طويلة[٢]:

تحسبه بين الإِكام شِيَرَة

وإذا كانت الياءُ فاشية فى هذا الحرف كما ترى فيجب أن تجعل أصلا يساوق الجيم، ولا تُجعل بدلا من الجيم كما تجعل الجيم بدلا من الياءِ فى قولهم: رجل فُقَيْمِج أى فُقَيْمِى، وعَرَبَانِجْ أى عَرَبَانِي، وقوله[٣]:

حتى إذا ما أمسجت وأمسجا

يريد أمست وأمسى[٤]. قال أبو على: هذا يدلك على أن ما حذف لالتقاء الساكنين فى حكم الحاضر الملفوظ به. قال: ألا ترى أنه أبدل من لام أمسيت بعد أن قدرها ملفوظا بها، ولو كان الحذف ثابتا هنا لما جاز أن يبدَل من اللام شىء؛ لأن البدل إنما هو من ملفوظ به كما أن البدل ملفوظ به.

قال: وليست كذلك لام عَشِيَّة إذا حقرتها فقلت: عُشيَّة؛ لأن الياءَ الثانية من عُشَيية لم تحذف لالتقاءِ الساكنين لأنه لا ساكنين هناك، وإنما حذفت حذفا للتخفيف، فلذلك سقط قول أبى العباس فى تحقير العرب عَشِيَّة على عُشَيْشِيَة؛ لأن الياءَ لم تثبت هنا فتبدل منها.

وقال أبو الحسن: إن قوما يقولون فى تحقير نحو فَعيلة من الياءِ: إن المحذوف منها الياء الثانية، فعلى هذا قال أبو على ما قال.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ١/١٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٣٠٤، الكشاف للزمخشرى ١/٦٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٨).

(٢) انظر: (البحر المحيط ١/١٥٨، اللسان «شجر»).

(٣) البيت فى: (التكملة ص ٥٦٦، الصحاح ص ٢٩٧، ضرائر الشعر ص ٢٣٢، والممتع ص ٣٥٥، سر صناعة الإعراب ١/١٧٧، شرح المفصل ١٠/٥٠، شرح الملوكى ص ٣٢٩، ٣٣١، اللسان «مس» ٢٠/١٤٩، شرح شواهد الشافية ص ٤٨٦) وفيه: وقال أحد شراح أبيات الإيضاح للفارس قيل: إن هذا الشطر للعجاج: هو لقيس كما فى حاشية التكملة، وليس فى ديوانه. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١/١٧٧).

(٤) انظر: (سر صناعة الإعراب ١/١٧٧).

ومما أَبدلت فيه الجيم من الياءِ قوله، ورويناه من غير وجه:

خــالى عُوَيــف وأَبــو عَلِــجٍّ   المطعمــان اللحــمَ بالعَشــجٍّ
وبــالغــداة فِــلقَ الْـبَـرْنِــجّ   يُقْلَع بـالـودّ وبـالصِّيصِـجّ[١]

وروينا أَيضا قوله:

يا ربِّ إن كنتَ قبلت حشجَّتِــجْ   فلا يزالُ شاحج يأْتيك بِــج[٢]

وقال أبو النجم:

كــأَن فـــى أَذنـابـهن الشُّــوَّلِ   مـن عبسِ الصيفِ قرونَ الإِجَّل

يريد: الإِيّل.

فقد يجوز أَن تكون الجيم فى شِجَرة بدلا من الياءَ فى شِيرة لفشو شيرة، وقلة شِجرة.

* * *

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴿٣٨﴾

ومن ذلك قراءة النبى ﷺ وأَبى الطفيل، وعبد الله بن أَبى إِسحاق، وعاصم الجحدرى، وعيسى بن عمر الثقفى: «هُدَىّ» [٣].

---

(١) وفى المصنف (١/١٧٨): «والذى عندى فيه أنه لما اضطر قلب الياء إلى جيم مشددة عدل به إلى لفظ النسب وإن لم يكن منسوبا فى المعنى كما تقول: أحمر وأحمرى .. فلم تحدث ياء الاضافة هنا معنى زائدا .. فإذا كان الأمر كذلك جاز أن يراد بالصحيح لفظ النسب كما تقدم. فلما اعتزمت على ذلك حذفت تاء التأنيث، لأنها لا تجتمع مع يائى الإضافة فلما حذفت الهاء بقيت الكلمة فى التقدير: صيصى بمنزلة قاضى، فلما ألحقتها ياءى الإضافة حذفت الياء ليائى الإضافة، كما تقول فى الإضافة إلى قاض: فصارت فى التقدير صيصى، ثم إنه أبدلت من الياء المشددة الجيم كما فعلت فى القوافى التى قبلها فصارت صيصجى كما ترى.

(٢) وفى شرح شواهد الشافية: «ولم يخطر ببال أبى على ولا على بال ابن جنى رواية هذه الأبيات عن أبى زيد فى نوادره، ولهذا نسبها إلى الفراء وقالا: أنشدها الفراء. وقالا: أنشدها الفراء. ولو خطرت ببالهما لم يعدلا عنه الفراء البتة. لأن لهما غراما بالنقل عن نوادره.
روى: «لاهم مكان «يارب». الحجة، بالكسرة: المرة من الحجج. والشاحج: البغل والحمار، من شحج بالفتح يشحج بالفتح والكسر، أى صوت. انظر: (شرح شواهد الشافية: ٢١٥/٤ وما بعدها).

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٢٨/١، البحر المحيط ١٦٩/١، مجمع البيان للطبرسى ٩٠/١).

قال أَبو الفتح: هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم؛ أَن يقلبوا الأَلف من آخر المقصور إِذا أُضيف إِلى ياءِ المتكلم ياءً. قال الهذلى[١]:

سبقوا هَوَىّ وأَعنقوا لهواهم فَتُخِرِّمُوا ولكل جنب مَصْرَعُ[٢]

وروينا عن قطرب قول الشاعر[٣]:

يطوف بى عِكَب فى مَعَدٍّ ويَطْعن بالصُمُلَّةِ فى قَفَيَّا
فإِن لَمْ تَثْأَرَا لِىَ من عِكَبٍّ فلا أَرويتما أَبدا صَدَيَّا

قال لى أَبو على: وجه قلب هذه الأَلف لوقوع ياء ضمير المتكلم بعدها – أَنه موضع يَنكسِر فيه الصحيح، نحو: هذا غلامى، ورأَيت صاحبى؛ فلما لم يتمكنوا من كسر الأَلف قلبوها ياء، فقالوا: هذه عَصَىَّ، وهذا فتىَّ، أَى: عصاى وفتاى، وشبهوا ذلك بقولك: مررت بالزَّيدَين، لما لم يتمكنوا من كسر الأَلف للجر قلبوها ياء، ولا يجوز على هذا أن تقلب أَلف التثنية لهذه الياء، فتقول هذان غلامىّ؛ لما فيه من زوال علم الرفع، ولو كانت أَلف عصًا ونحوها علما للرفع لم يجز فيها عصَىّ.

ومنهم من يبدل هذه الأَلفات فى الوقف ياءَات، فيقول: هذه عصىْ، ورأيت حُبلى، وهذه رَجَىْ، أَى الناحية؛ يريد رجًا.

ومنهم من يبدلها فى الوقف أَيضا واوا فيقول: هذه عَصَو وأَفعو وحُبَلَو. ومنهم من يبدلها فى الوصل واوا أيضا، فيقول: هذه حُبْلَو يا فتى.

ومن البدل فى الوقف ياء ما أَنشده بعض أَصحابنا، وهو محمد بن حبيب:

---

(١) هو من قصيدة لأبى ذؤيب، قالها وقد هلك له خمسة بنين فى عام واحد، أصابهم الطاعون، وفى رواية: وكان له سبعة بنين شربوا من لبن شربت منه حية ثم ماتت فيه، فهلكوا فى يوم واحد، ومطلع القصيدة:

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

انظر: (ديوان الهذليين ١/١ وما بعدها).

(٢) هَوَىْ أى: هواى، وهى رواية واردة فى الأصل – أيضا – وهى لغة هذيل فى كل اسم مقصور مضاف إلى ياء المتكلم، فيقولون: فتى وعصى، أى فتاى وعصاى، وأعنقوا: أسرعوا، ويروى: «وأعنقوا لسبيلهم ففقدتهم». «فتخرموا» أى أخذوا واحدًا واحدًا. انظر: (هامش الديوان ٢/١).

(٣) نسب فى اللسان «عكب» للمنخل اليشكرى، وكان يتهم بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، ووقف النعمان على ذلك فدفعه إلى عكب، وهذا قيده وعذبه. انظر: (الحماسة للتبريزى ٤٨/٢، الإصلاح ٤٤، الخصائص ١٧٨/١. وهامشه).

إن لِطِىَّ نسوة تحت الفَضَىْ ... يمنعهن الله ممن قد طغَىْ
بالمشرفيَّاتِ وطعنٍ بالقَنىْ ... يا حبذا جفانُكَ ابن قَحْطَبىْ
وحبذا قدورك الْمُنَصَّبىْ ... كأن صوت غليها إذا غلَىْ
صوتُ جمَال هَدَرَىْ فَقبْقَبىْ(١)

أَراد: ابن قحطبة، فإما أن يكون حذف الهاء للترخيم فى غير النداء فبقيت الباءُ مفتوحة فأشبع الفتحة للقافية فصارت قحطبا، ثم أَبدل الأَلف ياءً على ما مضى؛ وإما أَن يكون أَبدل الهاءَ أَلفا، فصارت قحطبة إلى قحطبا ثم أبدل الأَلف ياء على ما مضى. وعلى ذلك يجوز أَيضا أن يكون قوله(٢).

كفعل الهِرِّ يحترش العظايا(٣)

أراد: العظاَية، ثم أَبدل الهاء أَلفا، فصار العظايا(٤).

وإن شئت قلت: شبه ألف النصب بهاءِ التأْنيث فقال: العظايا، كما تقول العظاية، وهذا قول أبى عثمان.

وفيه قول لى ثالث، وهو أَن يكون العَظايا جمع عَظَاية على التكسير، كما تقول فى حمامة حمائم؛ فعظايا على هذا كمطايا وحوايا جمع حَوِيّة.

وأما قوله: الْمُنَصَّبىْ فأَراد المنصَّبة، فأَبدل الهاء ألفا، ثم أَبدل الأَلف ياءً على ما مضى،

---

(١) المنصف ١٦٠/١ قال: فى كله بالياء، ويقولون فى الوصل: روى يا فتى، وغضى، وقنى.

(٢) هو للمستوغر بن ربيعة كما فى طبقات فحول الشعراء ص ٣٥،٣٤، وأمالى المرتضى ٢٣٥/١، ونسب فى اللسان «حما» ٢١٨/١٨ إلى أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وهو بغير نسبة فى المنصف ١٥٥/٢، سر صناعة الإعراب ١٦٥/٢، واللسان «ثمن» ٢٣٠/١٦، وضرائر الشعر ص ٢٣٠، والخصائص ٢٩٢/١، ٣٧٦/٢ ويحترش: يصيد. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١٦٥/١).

(٣) وصدره: «ولاعب بالعشىِّ بنى بنيهِ».

(٤) قال ابن جنى فى سر صناعة الإعراب: وأخذه علىَّ أبو على وقت قراءتى تصريف أبى عثمان عليه، فقال: ولا يُشْفَى: إنه شبه ألف النصب فى العظايا والشفايا بهاء التأنيث فى نحو عظاية وصلاية. (انظر: المنصف ١٥٥/٢) يريد أبو عثمان أنه صحح الياء وإن كانت طرفا؛ لأنه شبه الألف التى تحدث عن فتحة النصب بهاء التأنيث فى نحو عَظاية وعَباية، فكما أن الهاء فيهما صححت الياء قبلها، فكذلك صححت ألف النصب فى الشفايا والعظايا الياء التى قبلها، وهذا ونحوه مما قال سيبويه فيه، انظر: (الكتاب ١٣/١) وليس شىء مما يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وَجْهًا». انظر: (سر صناعة الإعراب ١٦٥/١).

ولا يجوز أن يكون أراد هنا الترخيم؛ لأن فيه لام التعريف، وما فيه هذه اللام فلا يجوز نداؤه أصلا، فهو من الترخيم أبعد. وهذا يُفْسِد قول من قال فى قول العجاج[1]:

أَوَالِفًا مكةَ من وُرْقِ الحَمِى [2]

إنه أراد الحمام ثم رخم؛ لأن ما فيه لام التعريف لا ينادى أصلا فكيف يرخم؟ وأما قوله: هَدَرَىْ فإنه أراد هدر ثم أشبع الفتحة على حد قوله[3]:

ينباع من ذِفرى غضوب جسْرَةٍ [4]

فصار هَدَرا ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فقال: هَدَرىْ.

---

(١) انظر: (ديوان العجاج ٥٩، اللسان «حمم»، الخصائص ٣/٣٧، الكتاب ١/٢٦)، وقد ورد فيه قواطنا مكة من ورق الحَمِى.

(٢) وفيه أوجه: أن يكون حذف الألف والميم وجر باقى الكلمة بالإضافة وألحقها الياء لوصل القافية أو أن يكون حذف الألف فقط فصار الحمم ثم أبدل من الميم الثانية ياء استثقالا للتضعيف، كما قالوا تظنيت فى تظننت، ثم كسر ما قبل الياء، لئلا تقلب ألفا فصار الحمى، أو أن يكون حذف الميم للترخيم فى غير نداء وأبدل من الألف يا عن الشنتمرى (اللسان).

(٣) هو لعنترة من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

عجزه: «زيافة مثل الفنيق المُكْدَم».

انظر: (شرح القصائد السبع الطوال للأنبارى ٣٣٢).

(٤) قال أكثر أهل اللغة: ينباع معناه ينبع على مثال يفعل، من نبع الماء ينبع فزاد الألف على الإتباع لفتحة الباء، لأنهم ربما وصلوا الفتحة بالألف، والضمة بالواو، والكسرة بالياء. قال الراجز:

لا عهد لى بنيضال ... أصبحتُ كالشن البالْ

أراد: بنضال، من المنضالة والذفرى والذفريان: الحيدان المشرفان وراء الأذنين، وهما عن يمين الفقرة وشمالها وأول شىء يعرق من البعير الذفريان، وأول ما يبدو فيه السمن لبانه وكرشه، وآخر ما يبقى فيه السمن عينه وسلاميتاه وعظام أخفافه...

و«الغضوب» والغضبى واحد، وهى المتزغمة و«الجسرة» الطويلة ويقال: رجل جَسْرٌ، أى طويل قال الشاعر: «ديار خود جسرة المخدم».

وقال أبو جعفر: فى ينباع: هو ينفل من باع يبوع إذا مره مر لينا فيه تلو، كقول الآخر: «ثُمت ينباع البياع الشجاع».

وأنكر أن يكون الأصل فيه يَنْبَع، وقال: ينبع يخرج، كما يخرج الماء من الأرض، ولم يُردْ هذا، إنما أراد السيلان وتلويه على رقبتها كتلوى الحية. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال ٣٣٢: ٣٣٤).

وكذلك قوله: قَبْقَبِىْ أراد قبقب، ثم أشبع فصار قبقبا، وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس فى قوله محتجا عليه بقول الشاعر:

دعوت لِمَا نابنى مِسْوَرًا فَلَبَّى فَلَبَّىْ يَدَىْ مِسْوَرِ

قال سيبويه: لو كان لبيك اسمًا واحدًا كما يقول يونس، وإنما قُلِبَ فى لبيك لاتصاله بالمضمر كما يُقلب فى إليك وعليك - لما قال فَلَبَّىْ يَدَىْ مِسْوَرِ، ولَقال فلَبَّى يدَىْ مِسْوَرِ على حد قولك: على يَدَىْ فُلاَن، وإلى يَدَىْ جعفر، فثبات الياء مع المظهر يدلك على أنه لم يقلب فى لبيك على حد ما قلب فى إليك وعليك، وفى ذلك رد لقول يونس: إن لبيك مفرد كإليك وعليك.

قال أبو علىّ: يمكن يونس أن يقول: إنه أجرى الوصل مجرى الوقف، فكما تقول فى الوقف: عَصىْ وفَتىْ كذلك قال: فَلَبَّىْ، ثم وصل على ذلك، هذا ما قاله أبو على.

وعليه أن يقال: كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه؟.

وجوابه: أن ذلك قد جاءَ؛ ألا ترى إلى ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

ضَخْمٌ نجارى طَيِّبٌ عُنْصُرِّى (١)

أراد عنصرى فثقّل الراء لنية الوقف، ثم أطلق بالإضافة من بعد.

نعم، وإذا جاز هذا التوهم مع أن المضاف إليه مضمر، والمضمر المجرور لا يجوز تصور انفصاله فأن يجوز ذلك مع المظهر الذى هو «يَدى» أولى وأجدر، من حيث كان المظهر أقوى من المضمر.

ومثله قوله:

يا ليتها قد خرجت من فَمِّه (٢)

أراد من فمه، ثم نوى الوقف على الميم فثقلها على حد قوله فى الوقف: هذا خالدّ، وهو يجعلّ، ثم أضاف على ذلك فهذا كقولهم: عنصرى.

---

(١) انظر: (الخصائص ٣/٢١٤).

(٢) انظر: (الخصائص ٣/٢١٤، اللسان «فوه») عجزه: «حتى يعود الملك فى أسطمه». أسطم الشىء: معظمه.

ويروى من فُمِّه: بضم الفاءِ أيضا، وفيه أكثر من هذا.

* * *

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴿٤٠﴾

ومن ذلك قراءة الحسن والزهرى وابن أبى إسحاق، وعيسى الثقفى والأعمش «إِسْرايِيل» [١] بلا همز.

قال أبو الفتح: إن لم يكن ذلك همزا مخففا فَخَفِى بتخفيفه فَعُبِّر عنه بترك الهمز، فذلك من تخليط العرب فى الاسم الأعجمى.

قال أبو على: العرب إذا نطقت بالأعجمى خلَّطت فيه، أنشدنا[٢]:

هل تعرف الدارَ لأم الخزرج ... منها فظَلْتَ اليوم كالْمُزَرَّج[٣]

قال: وقياسه كالمزرجَن؛ لأنه من الزَّرَجون وهو الخمر، والنون فى زرجون ينبغى أن يكون أصلا بمنزلة السين من قَرَبُوس.

وأنشدنا لرؤبة[٤]:

فى خِدْرِ ميَّاسِ الدُّمى الْمُعَرجن

فهذا من العُرجون، وكذا كان قياسه أن يقول: المزرجن. وإذا جاز للعرب أن تخلِّط فى العربى وهو من لغتها، فكيف يكون - ليت شعرى - فيما ليس من لغتها؟.

ومما خلطت فيه من لغتها قول لبيد[٥]

دَرس المنا بمتالع فأَبان [٦]

---

(١) قراءة حمزة، والأزرق، وأبى جعفر، والمطوعى عيسى بن عمر. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١/١٧١، الجامع لأحكام القرآن ١/٣٣١، إتحاف فضلاء البشر ١٣٥).

(٢) انظر: (الخصائص ١/٣٦٠).

(٣) قال: أى: الذى شرب الزرجون، وهو الخمر، فاشتق المزرج من الزرجون، وكان قياسه، كالمزرجن.

(٤) انظر: (الخصائص ١/٣٦٠، ديوانه ٥٦).

(٥) عجزه: «وتقادمت بالحبس فالسوبان». انظر: (ديوانه ٢٠٦). ويروى: «بالحبس بين البيد فالسوبان» ويروى: فتقادمت.

(٦) المنا: منزل، وقيل: المنى: الحذاء، يقال دارى بمنى دار فلان، فكأنه قال: درس المحاذى لمتالع=

يريد المنازل. وقال علقمة(١):

مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكَتَّانِ مَلْثُومُ

أَراد بسبائب. وهو كثير، ونَكْره الاستكثار من الشواهد والنظائر؛ تحاميا لطول الكتاب.

* * *

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴿٤٠﴾

ومن ذلك قراءَة الزهرى: «وأَوفوا بِعَهْدِى أُوَفِّ بِعَهْدِكُمْ» مشددة.

قال أَبو الفتح: ينبغى - والله أَعلم - أَن يكون قرأَ بذلك لأَن فَعَّلت أَبلغ من أَفعلت؛ فيكون على أوفوا بعهدى أُبالغ فى توفيتكم؛ كأَنه ضمان منه سبحانه أَن يعطى الكثير عن القليل، فيكون ذلك كقوله سبحانه: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عشْرُ أَمثالِها﴾(٢)، وهو كثير.

* * *

يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿٤٩﴾

ومن ذلك قراءَة ابن محيصن: «يذْبَحُونَ أَبناءَكم» (٣).

قال أَبو الفتح: وجه ذلك أَن فَعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير؛ وذلك لدلالة الفعل على مصدره، والمصدر اسمُ الجنس، وحسبك بالجنس سَعة وعموما؛ أَلا ترى إِلى قولَ عبد الرحمن بن حسان(٤):

=ومتالع: جبل بمنى. وأبان والحبس: جبلان بالبادية والسوبان: واد لبنى تميم وقال بعض الشراح: المنا: المنازل، وحذف الشاعر منها الزاى واللام. تقادمت: قدمت. انظر: (هامش الديوان ٢٠٦).

(١) انظر: الخصائص ١/٨١، ٢/٤٣٩، المفضليات ٤٠٢. صدره: «كأن إبريقهم ظبى على شرف».

(٢) سورة الأنعام الآية (١٦٠).

(٣) قراءة الزهرى. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٦٨، مجمع البيان للطبرسى ١/١٠٤ وإعراب القرآن للنحاس ١/١٧٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/٢١، البحر المحيط لأبى حيان ١/١٩٣، إتحاف فضلاء البشر ١٣٥).

(٤) انظر: (الكتاب ٣/٥٥٥، المقتضب ١/١٦٦، الخصائص ٣/١٥٤، المنصف ١/٧٦، شرح المفصل ٩/١١١،١١٤، شرح شواهد الشافية ٤/٢٤١).

وكنتَ أذلَّ من وتِد بقاعٍ ... يشجِّجُ رأسه بالفِهْرِواجِى

ولم يقل مُوجِّىء، فكأنه قال: يشجِّج رأْسه بالفهر شاج؛ لأَن واجىء فاعل كشاج. وأنشد أبو الحسن:

أنتَ الفِداءُ لِقِبلة هدَّمْتَها ... ونَقرْتَها بيديك كلَّ مُنَقَّر

كأنه قال: ونقرتها: لأن قوله: كل منقَّر عليه جاء. وبعده قوله:

فطار كُلَّ مُطَيَّر

فهذا على أنه كأنه قال: فَطَيَّر كُلَّ مُطَيَّر، ولِما فى الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس مالم يجز تثنيته ولا جمعه؛ لاستحالة كل واحد من التثنية والجمع فى الجنس.

فأما التثنية والجمع فى نحو قولك: قمت قيامين، وانطلقت انطلاقين، وعند القوم أفهام، وعليهم أشغال. فلم يُثَن شىء من ذلك، ولا يُجْمَع ولم يُرَدْ وهو مُرَادٌ به الجنس؛ لكن المراد به النوع. وقد شرحنا ذلك فى غير موضع من كتبنا، وما خرج من التعليق عنا.

* * *

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ (٥٠)

ومن ذلك قراءَة الزهرى أيضا: «وإِذ فَرَّقنا بِكُمْ البَحْر» [١]، مشدَّدة.

قال أَبو الفتح: معنى فرّقنا أى جعلناه فِرَقا، ومعنى فرَقنا: شققنا بكم البحر، وفرّقنا أَشد تبعيضا من فرَقنا، وقوله تعالى: ﴿فكانَ كُلُّ فِرْق كالطَّوْدِ العَظِيم﴾[٢]. يحتمل أَن يكون فِرقين، ويحتمل أَن يكون أَفراقا؛ أَلا ترى أنك تقول: قسمت الثوب قسمين، فكان كل قسم واحد منهما عشرين ذراعا، كما تقول ذلك وهو جماعة أَقسام.

ومن ذلك فَرَقْتُ شَعَره أَى: جعلته فِرْقين، وفرّقت شَعْرَه أَى: جعلته فِرَقًا. وجاز هنا لفظ الجمع؛ لأَن كل رجل منهم قد خرق من البحر وفَرَق خرْقًا وفِرْقًا.

---

(١) قراءة الأخفش. انظر: (الكشاف للزمخشرى ٦٨/١، مجمع البيان للطبرسى ١٠٦/١، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/١، تفسير الفخر الرازى ٣٤٨/١، البحر المحيط لأبى حيان ١٩٧/١).

(٢) سورة الشعراء الآية (٦٣).

وقد يكون أيضا فى فَرَقْنَا مخففة معنى فَرَّقنا مشددة على ما مضى آنفا فى: «يَذْبحُون أَبناءَكم».

* * *

فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴿٥٤﴾

ومن ذلك قال ابن مجاهد: حدثنى عبد الله بن محمد قال: حدثنا خالد بن مِرْداس قال: حدثنا الحكم بن عمر الرعَيْنى قال: أَرسلنى خالد بن عبد الله القسرى إلى قتادة أَسأَله عن حروف من القرآن، منها قوله: «فاقتُلوا أَنفُسَكم»، فقال قتادة: «فاقتالوا أَنفسكم» (١) من الاستقالة.

قال أَبو الفتح: اقتال هذه افتعل، ويصلح أَن يكون عينها واوا كاقتاد، وأَن يكون ياء كاقتاس. وقول قتادة: إنها من الاستقالة - يقتضى أَن يكون عينها ياء؛ لما حكاه أَصحابنا عموما: من قِلت الرجل فى البيع بمعنى أَقلته، وليس فى قِلت دليل على أَنه من الياء، لقولهم: خِفت ونِمت وهما من الخوف والنوم، لكنه فى قولهم فى مضارعه: أَقيله. وليس يحسن أَن يحملَه على مذهب الخليل فى طِحت أَطيح وتهت أَتيه: أَنهما فَعِلت أَفْعِل من الواو؛ لقلة ذلك. وعلى أَن أَبا زيد قد حكى: ماهت الركِيَّةُ تميهُ، ودامت السماءُ تديم؛ لقلة ماهت تميه؛ ولأَن أَبا زيد قد حكى فى دامت تديم المصدر وهو دَيْمًا - فقد يكون هذا على أَن أَصل عينه ياء.

وحدثنى أَبو علىّ بحلب سنة ست وأَربعين قال: قال بعضهم : إنَّ قِلت الرجل فى البيع ونحوه إنما هو من : قُلْتُ له افسخ هذا العقد، وقال لى: قد فعلتُ، فهى عند من ذهب إلى ذلك من الواو.

قال أَبو على: ويفسد هذا ما حكوه فى مضارعه من قولهم: أَقيله؛ فهذا دليل الياءِ.

قال: ولا ينبغى أَن يحمل على أَنه فَعِلَ يَفْعِلُ من الواو - يريد مذهب الخليل - لقلة ذلك(٢).

قال: لكنه من قولهم: تَقَيَّلَ فلان أَباه: إذا رَجَعَتْ إليه أَشباه منه. فمعنى أَقلته على هذا: أَنى رجعت له عما كنت عقدته معه، ورجع هو أَيضًا؛ فقد ثبت بذلك أَن عين

---

(١) انظر: (البحر المحيط ١/٢٠٨).

(٢) انظر: (المنصف ١/٢٦١).

استقال من الياء. ولا يعرف فى اللغة افتعلت من هذا اللفظ فى هذا المعنى ولا غيره، وإنما هو استفعلت استقلت.

وقد يجوز أن يكون: قتادة عرف هذا الحرف على هذا المثال، وعلى أنه لو كان بمعنى استقلت لوجب أن يُسْتعمل باللام، فيقال: استقلت لنفسى أو على نفسى، كما يقال: استعطفت فلانا لنفسى وعلى نفسى، وليس معناه أن يسأل نفسه أن تُقِيلَه. وإنما يريد: أنه يسأل ربه عز وجل أن يعفو عن نفسه. وكان له حرًى - لو كان على ذاك - أن يقال: فاقتالوا لأنفسكم؛ أى: استقيلوا لها، واستصفحوا عنها.

فأما اقتال متعديا فإنما هو فى معنى ما يجتره الإنسان لنفسه من خير أو شر ويقترحه، وهو من القول. قال:

بما اقتال من حُكْمٍ عَلَىَّ طبيبُ (١)

أى: بما أراده واقترحه واستامه، وليس معنى هذا معنى الآية، بل هو بضده؛ لأنه بمعنى استَلِينوا واستعطفوا. هذا ما يُحْضِرهُ طريقُ اللغة، ومذهب التصريف والصنعةَ. إلا أن قتادة ينبغى أن يُحسَن الظنُّ به؛ فيقال: إنه لم يورد ذلك إلا بحجة عنده فيه من رواية أو دراية.

* * *

لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴿٥٥﴾

ومن ذلك قراءَة سهل بن شعيب النَّهمى: «جَهَرةً» «وزَهَرةٌ»(٢)، كل شىء فى القرآن محرّكا.

قال أبو الفتح: مذهب أصحابنا فى كل شىء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح: أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه، كالزَّهْرة والزهَرَة، والنَّهْر والنهَر، والشَّعْر والشعَر، فهذه لغات عندهم كالنشْز والنشَز، والحَلْب والحلَب، والطَّرد والطرَد.

---

(١) ذكره ابن جنى فى المنصف ٣/٩٢ قال: مقتال: مفتعل من القول، يقال: امتثال الرجل على صاحبه: إذا احتكم عليه، قال:

ومنزلة فى دار صدق وغبطة   وما اقتال من حكم على طبيب

(٢) سورة طه الآية (١٣١).

ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوه؛ كالبَحْر والبحَر والصَّخْر والصخَر.

وما أرى القول مِن بَعدُ إلا معهم، والحقَّ فيه إلا فى أيديهم. وذلك أننى سمعت عامة عُقَيْل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره، حتى لسمعت الشجرى يقول: أنا مَحموم بفتح الحاء، وليس أحد يدعى أن فى الكلام مَفَعول بفتح الفاء.

وسمعته مرة أُخرى يقول: وقد قال له الطبيب : مَصَّ التفاح وارمِ بثُفله - وا لله لقد كنت أبغى مصه وعِلْيَتُه تَغَذُو بفتح الغين، ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفعَل، بفتح الفاءِ.

وسمعت جماعة منهم - وقد قيل لهم: قد أُقيمت لكم أنزالكم من الخبز - قالوا: فاللحَم، يريدون اللحْم، بفتح الحاء.

وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه: ساروا نَحَوْه بفتح الحاء، ولو كانت الحاء مبنية على الفتح أصلا لما صحت اللام لتحركها وانفتاح ما قبلها؛ ألا تراك لا تقول: هذه عصَوٌ ولا فَتَو؟ ولعمرى إنه هو الأصل لكنْ أصلٌ مرفوض؛ للعلة التى ذكرنا، فعلى هذا يكون جَهَرة وزهرَة - إن شئت - مبنيا فى الأصل على فعَلة، وإن شئت كان إتباعا على ما شرحنا الآن.

* * *

﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ ٦٠

ومن ذلك قراءَة الأعمش: «اثْنَتَا عَشَرة»[1]، بفتح الشين.

قال أبو الفتح: القراءَة فى ذلك «عَشْرة »و «عَشِرة»، فأَما «عَشَرة» فشاذ، وهى قراءة الأعمش. وعلى الجملة فينبغى أن يعلم أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات والتخليطات، ونُقِضَتْ فى كثير منها العادات، وذلك أن لغة أَهل الحجاز فى غير العدد نظيرُ عشْرة: عشِرة، وأَهل الحجاز يكسرون الثانى، وبنو تميم يسكنونه. فيقول الحجازيون: نَبِقة وفَخِذ، وبنو تميم تقول: نبْقه وفخْذ، فلما ركب الاسمان استحال

---

(١) قراءة ابن الفضل الأنصارى. انظر: (الكشاف للزمخشرى ٣٦٣/١، تفسير الفخر الرازى ٣٦٣/١، إعراب القرآن للعكبرى ٢٣/١، البحر المحيط لأبى حيان ٢٢٩/١، شرح المفصل لابن يعيش ٢٧/٦، شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى ٢٧٤/٢، اللسان مادة «عشر»).

الوضع فقال بنو تميم: إِحدى عشِرة وثنتا عشِرة إِلى تسع عشِرة، بكسر الشين وقال أَهل الحجاز: عشْرة بسكونها. ومنه قولهم فى الواحد: واحد وأَحد، فلما صاروا إِلى العدد قالوا: إِحدى عَشرة، فبنوه على فِعْلَى، ومنه قولهم: عشْرِ وعَشرةٌ، فلما صاغوا منه اسما للعدد بمنزلة ثلاثون وأَربعون قالوا: عشرون، فكسروا أوله. ومنه قولهم: ثلاثون وأَربعون إلى التسعون، فجمعوا فيه بين لفظين ضدين، أَحدهما يختص بالتذكير والآخر بالتأْنيث، أَما المختص بالتذكير فهو الواو والنون، وأَما المختص بالتأْنيث فهو قولهم: ثلاث وأَربع وتسع فى صدر ثلاثون وأربعون وتسعون. وكل واحد من ثلاث وأَربع وخمس وست إِلى تسع هكذا بغير هاء مختص بالتأنيث. ولما جمعوا فى هذه الأَعداد - من عشرين إِلى تسعِين- بين لفظى التذكير والتأْنيث صلحت لهما جميعا، فقيل: ثلاثون رجلا، وثلاثون امرأَة، وخمسون جارية وخمسون غلاما، وكذلك إِلى التسعين.

ومنه: أَيضا اختصارهم من ثلاثمائة إِلى تسعمائة على أَن أَضافوه إِلى الواحد، ولم يقولوا: ثلاث مئين، ولا أَربع مئات إِلا مستكرها وشاذا. فكما ساغ هذا وغيره فى أَسماءِ العدد قالوا أَيضا: «اثنتا عَشَرَة» فى قراءَة الأَعمش هذه، وينبغى أَن يكون قد روى ذلكَ رواية، ولم يره رأْيا لنفسه.

وعلى ذلك ما يُروى: من أَن أَبا عمرو حضر عند الأَعمش فروى الأَعمش: أَن النبى ﷺ كان يتخولنا بالموعظة. فقال أبو عمرو: إِنما هو يتخوننا بالنون، فأَقام الأَعمش على اللام، فقال له أَبو عمرو: إِن شئت أَعلمتك أَن الله لم يعلمك من هذا الشأْن حرفا فعلت، فسأَل عنه الأَعمش، فلما عرف أَبا عمرو كبُر عنده وأَصغى إِليه، وعلى أَن هذا الذى أَنكره أَبو عمرو صحيح عندنا؛ وذلك أَن معنى يتخولنا: يتعهدنا، فهو من قوله(١):

يساقِطُ عنه روُقه ضارياتِها ... سِقاط حديد القَين أَخول أَخولا

أَى شيئا بعد شىء، ومنه قولهم: فلان يَخُولُ على أَهله: أى يتفقَّدهم، ويتعهَّد أَحوالهم. ومنه قولهم: خالُ مال، وخائل مال: إِذا كان حسن الرِّعْيَة والتفقد للمال. والتركيب مما تُغير فيه أَوضاع الكلم عن حالها فى موضع الإِفراد، من ذلك حكاية أَبى عمرو الشيبانى من قول بعضهم فى حضرمَوْت: حضْرَمُوت بضم الميم، ليصير على وزن المفردات نحو عَضْرَفُوط ويَسْتُعُور.

---

(١) نسبه فى اللسان مادة «سقط» إِلى ضابئ بن الحارث البرجمى، وذكره فى الخصائص ١٣٢/٣، ٢٩٢/٣ دون نسبة.

ومن تحريف ألفاظ العدد ما أنشده أبو زيد فى نوادره[١]:

علام قتل مسلم تعمُّدا   مذ سنةٌ وخَمِسُون عددا

بكسر الميم من خمسون، وعذره وعلته عندى أنه احتاج إلى حركة الميم لإقامة الوزن، فلم ير أن يفتحها فيقول: خمَسون؛ لأنه كان يكون بين أمرين: إما أن يُظَنَّ أنه كان الأصل فتحها ثم أُسْكِنت، وهذا غير مألوف؛ لأن المفتوح لا يسكن لخفة الفتحة. وإما أن يقال: إن الأصل السكون فاضطر ففتحها، وهذا ضرورة إنما جاءَ فى الشعر، نحو قوله: [٢]

مُشْتَبِهِ الأعلامِ لَمَّاع الخَفَق[٣]

أى الخَفْق. ومنه قول زهير[٤]:

ثم استمروا وقالوا إن مشرَبكم   ماءٌ بشرقىّ سَلمى فَيْدُ أَوْ رَكَكُ[٥]

قال أبو عثمان: قال الأصمعى: سألت أعرابيا - ونحن فى الموضع الذى ذكره زهير - يعنى هذا البيت ؛ فقلت له: هل تعرف رككا؟ فقال: قد كان هاهنا ماءٌ يسمى رَكّا[٦].

---

(١) انظر: (النوادر ١٦٥، الخصائص ٧٩/٢ اللسان «خمسة»).

(٢) هو من قول رؤبة، وصدره: «وقاتم الأعماق خاوى المخترق». انظر: (المنصف ٣٠٨/٢).

(٣) قال ابن جنى: فحرك الخَفَقَ، وهو يريد: الخَفْق - للضرورة. انظر: (المنصف ٣٠٨/٢).

(٤) من قصيدة قال الأصمعى عنها: ليس للعرب قصيدة كافية أجود من هذه وكان الحارث بن ورقاء الصيداوى من بنى أسد أغار على بنى عبدالله بن غطفان فغيم واستاق إبل زهير وراعيه يسارا، فقالها ومطلعها:

بأن الخليط ولم يأدوا لمن تركوا   وزودوك اشتياق أية سلكوا

انظر: (شرح ديوانه لثعلب ١٦٤).

(٥) رواية الديوان، والمنصف ٣٠٩/١:

ثم استمروا وقالوا إن موعدكم.

وقال ثعلب: ويروى «إن مشربكم»، وقال الأصمعى: قلت لأعرابى أين ركك؟ فقال: لا أعرفه، ولكن هاهنا ماء يقال له «رك» فاحتاج فأظهر الإدغام. استمروا استقاموا واستقام أمرهم فمروا. انظر: (شرح الديوان ١٦٧).

(٦) قال ابن جنى: يجوز أن تكون مسألة الأصمعى عن ذلك ليعلم أى موضع رَك. ويجوز أن يكون أيضا أراد أن يعلم هل «رَكك» لغة فى «رَك» إن كان قد سمع رَكًا قبل ذلك؛ أو أن يعلم هل هذه ضرورة من زهير أو لا أو أى ذلك أراد، فقد استبان أنه إنما حركه ضرورة. انظر: (المنصف ٣٠٩/٢، ٣١٠).

قال الأصمعى: فعلمت أن زهيرا احتاج إليه فحركه، فعدل عن الفتح؛ لئلا يُعْرَفَ بأثر الضرورة فعدله إلى موضع آخر فكسر الميم، فكأنه راجَع بذلك أصلا حتى كأنه كان خَمِسون ثم أُسْكِن تخفيفا، فلما اضطر إلى الحركة كسر، فكان بذلك كمُراجع أصلا لا مستكرَها على أن يُرى مضطرا.

وأَنَّسه أيضا بذلك: ما جاءَ عنهم من قولهم: إحدى عشْرة وعشِرة، فصار خَمِس من خَمِسون بمنزلة عَشِرة، وصار خَمْسون بمنزلة عَشْر.

* * *

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾ (٦١)

ومن ذلك قراءَة يحيى بن وثاب والأشهب: «وقُثّائها» (١).

قال أبو الفتح: الضم فى القُثّاء حَسن الطريقة، وذلك أنه من النوابت، وقد كثر عنهم فى هذه النوابت الفُعَّال كالزُّبَّاد والقُلاَّم والعُلاَّم والثُّفاءُ. ومن هاهنا كان أبو الحسن يقول فى رمان: إنه فُعَّال؛ لأنه من النبات وقد كثر فيه الفعال على ما مضى. وأما قياس مذهب سيبويه: فأن يكون فُعلان، بزيادة النون؛ لغلبة زيادة النون فى هذه المواضع بعد الألف.

وله أيضا وجه من القياس: أنه من معنى رَمْمتُ الشىء: إذا جمعت أجزاءَه، وهذه حال الرمان، وقد جاءَ بهذا الموضع نفسه بعض المولدين فقال:

ما يُحْسِنُ الرُّمانُ يجمع نفسه ... فى قِشْره إلاَّ كما نحن

ويدل على أنه من معنى الاجتماع والتضام: تسميتهم لرمَّان البرِّ: الْمَظّ، وذلك لقوة اجتماعه، واتصال أجزائه، فهو من معنى المماظَّة المعازَّة، وهو إلى الشدة. ويدل على صحة مذهب سيبويه فى أن الألف والنون إذا جاءَتا بعد المضاعف كانتا بحالهما وهما بَعْدَ غير المضاعف - ما ورد فى الخبر عن النبى ﷺ: أن قوما وردوا عليه فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: بنو غَيَّان، فقال عليه السلام: «بل أنتم بنو رَشْدان». أفلا تراه كيف اشتق الاسم من الغىِّ والغَوَاية حتى حكم بزيادة النون؛ لأنه قابله بضده وهو قوله: «رشدان»،

---

(١) وقراءة طلحة بن مصرف. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٨١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٢٣، الكشاف للزمخشرى ١/٧٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٣٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٤٢٤).

وترك أن يشتقه من الغَيْن، وهو إلباس الغيم؟ ألا ترى إلى قوله(١):

كأنى بَيْنَ خافِيتى عُقاب أصاب حَمامة فى يوم غَيْن(٢)

فصار «غَيّان» عنده مع التضعيف الذى فيه بمنزلة ما لا تضعيف فيه من نحو مرجان وسعدان، فكما يحكم بزيادة النون فى مثل هذا من غير التضعيف، كذلك حكم بزيادتها مع التضعيف.

* * *

وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا ﴿٦١﴾

ومن ذلك قراءة ابن مسعود وابن عباس: «وثُوْمِها» (٣)، بالثاء.

قال أبو الفتح: يقال: الثُّومُ والفُومُ بمعنى واحد؛ كقولهم: جدث وجدف، وقام زيد ثم عمرو، ويقال أيضا فمَّ عمرو. فالفاءُ بدل فيهما جميعا، ألا ترى إلى سعة تصرف الثاء فى جدث؛ لقولهم أجداث و لم يقولوا أجداف، وإلى كثرة ثُمَّ وقلة فَمَّ؟ ويقال: الفومُ: الحنطة قال(٤):

قد كنت أحسبنى كأغنى واجد وَرَدَ المدينة عن زراعة فُوم

أى حنطة.

* * *

(١) قال ابن جنى فى المنصف: (٤٨/٣). قرأت على أبى على بن أبى بكر عن ابن رستم، عن ابن السكيت:

فداء خالتى وفدى صديقى وأهلى كلهم لبنى قعين
فأنت حبوتنى بعنان طرف جموم الشدذى بذل وصون
كأنى بين خافتيى عقابٍ تريد حماسة فى يوم غين

(٢) قال ابن جنى فى المنصف (٤٨/٣): يقال: الغيم، والغين واحد، ومنهم من يفصل بينهم فيقول: الغين: إلباس الغيم السماء، كأنه عنده من غُينَ على قلبه أى غُطى عليه. قال رؤبة: «أمطر فى أكناف غيم مُغينِ».

(٣) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤١/١، الكشاف للزمخشرى ٧٢/١، حامع البيان للطبرى ١٢٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٤٢٥/١، البحر المحيط لأبى حيان ٢٣٣/١، تفسير الفخر الرازى ٣٦٦/١، اللسان مادة «فوم»).

(٤) ينسب لأبى محجن الثقفى.

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (٦١)

ومن ذلك قراءَة زهير الفُرقُبى[١]: «الذى هو أَدْنأ»، بالهمز.

قال أبو الفتح: أَخبرنا أَبو على عن أَبى الحسن علىّ بن سليمان عن أَبى العباس محمد ابن يزيد عن الرياشى عن أَبى زيدٍ قال: تقول: دَنُؤ الرجُلُ يَدْنُؤ دناءَة، وقد دَنأَ يدنَأ إذا: كان دنيئا لا خير فيه، غير أن القراءَة بترك الهمز: «أَدنى». وينبغى أن يكون من دنا يدنو، أَى: قريب.

ومنه قولهم فى المعنى: هذا شىء مقارب، للشىء ليس بفاخر ولا موصوف فى معناه. ومن هذه المادة قولهم: هذا شىء دونٌ؛ أَى: ليس بذاك، وقولهم: هذا دونك، فينتصب هذا على الظرف، أَى هو فى المحل الأَقرب. وينبغى أَن يكون «دون» من قولك: هذا رجل دون – وصفا على فُعْل كحُلْو ومُر، ورجل جُدٌّ، أَى: ذى جَدٍّ.

وقد يجوز أَن يكون فى الأَصل ظرفا ثم وصف به، ويُؤنِّسُ هذا المذهب الثانى أَنَّا لا نعرف فِعلا تصرف من هذا اللفظ كدان يدون ولا نحوه، ولو كان فى الأَصل وصفا لكان حرًى أَن يستعملوا منه فِعلا، كقولهم: قد حلا يحلو، ومر يَمَرُّ وأَمرَّ يُمِرُّ، وقد جَدِدْتَ يا رجل. قال الكميت:

وجدت الناس غير ابنى نزار ... ولم أَذممهمُ شَرَطًا ودُونَا

* * *

﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ (٦١)

ومن ذلك قراءَة يحيى وإبراهيم[٢]: «ماسِأَلْتمُ» [٣]، بكسر السين.

قال أَبو الفتح: فيه نظر، وذلك أَن هذه الكسرة إنما تكون فى أَول ما عينه معتلة كبعت وخفت، أو فى أَول فُعِل إذا كانت عينه معتلة أَيضًا كِقيل وبِيع وحِلَّ وبِلَّ؛ أَى: حُلَّ وبُلَّ، وصِعْق الرجل نحوه. إلا أَنه لا تكسر الفاء فى هذا الباب إلا والعين ساكنة أَو مكسورة كِنْعَم وبِئْس وصِعْق، فأَما أَن تكسر الفاء والعين مفتوحة فى الفعل فلا.

---

(١) هو زهير بن ميمون الفُرقُبى النحوى له اختيار فى القراءة يروى عنه، وكان فى زمن عاصم. روى عنه الحروف نعيم بن ميسرة النحوى. انظر: (طبقات القراء ١/٢٩٥).

(٢) يقصد إبراهيم النخعى، ويحيى بن وثاب.

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٤٣٠، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٣٥).

فإذا كان كذلك فقراءَتهما «سِأْلتم» مكسورة السين مهموزة غريب. والصنعة فى ذلك: أَن فى سأَل لغتين: سِلْتَ تَسَال كخفتَ تَخَاف، وسأَلْتَ تَسْأَلُ كسبحت تسبَح. فإِذا أَسندت الفعل إِلى نفسك قلت على لغة الواو: سِلْتُ كخِفْتُ، وهى من الواو؛ لما حكاه أَصحابنا من قولهم: هما يتساولان.

ومَنْ همز قال: سأَلت. فأَما قراءَته: «سِأَلتم» فعلى أَنه كسر الفاء على قول من قال: «سِلْتم» كخِفْتمْ، ثم تنبه بعد ذلك للهمزة، فهمز العين بعدما سبق الكسر فى الفاءِ فقال «سِأَلتم»، فصار ذلك من تركيب اللغة.

ومثله ما رويناه عن أَبى بكر محمد بن الحسن عن أَبى العباس أَحمد بن يحيى من قول بلال بن جرير(١):

إِذا جئْتَم أَو سَآيلْتهمُ ... وجدتَ بِهِمْ عِلّة حاضِرَه

وذلك أَنه أَراد فاعلتهم ساءَلتهم.

ومن العادة أَيضا أَن تُقلب الهمزة فى هذا الثانى، فيقال: سايلت زيدا، ثم إِنه أَراد الجمع بين العوض والمعوض منه فلم يمكنه أَن يجمع بينهما فى موضع واحد كالعرف فى ذلك؛ لأَنه لا يكون حرفان واقعين فى موضع واحد عينين كانا أَو غيرهما، فأَجاءَه الوزن إِلى تقديم الهمزة التى هى العين قبل أَلف فاعلت، ثم جاءَ بالياءِ التى هى بدل منها بعدها فصار: سآيلتهم.

فإِن قيل فما مثال: سآيلتهم؟.

قلت: هو فعاعلتهم؛ وذلك لأَن الياءَ بدل من الهمزة التى هى عينٌ والبدل من الشىء يوزن بميزانِه، أَلاَ ترى أَن من اعتقد فى ياء أَيْنُق أَنها عينٌ أَبدلت قال هى أَعْفُل؛ لأَن الياءَ بدل من الواو التى هى عين نُوق، فالياءُ إِذا عينٌ فى موضع العين، كما كانت الواو لو ظهرت فى موضع العين. كما أَن ياءَ ريح وعيد فى المثال عين فِعْل، كما كانت الواو التى الياء بدل منها عين فعل فى رِوْح وعِوْد، وهذا واضح.

وكذلك قوله أَيضا: «سِأَلْتُم» بكسر الفاءِ على حد كسرها فى سِلتم، ثم استذكر الهمزة فى اللغة الأُخرى فقال: سِأَلْتم. ويجوز أَيضا أَن يكون أَراد سَأَلتِم فأَبدل العين ياء كما أَبدلها الآخر فى قوله(٢):

(١) انظر: (الخصائص ٣/١٤٨).

(٢) أى حسان بن ثابت رضى الله عنه.

سـالَتْ هـذيلٌ رسولُ الله فاحشةً   ضلّتْ هُذيلٌ بما قالت ولم تُصِـبِ(١)

فصار تقديره على هذا إلى سِلْتم من هذا الوجه، أى مـن طريـق البـدل، لا علـى لغـة من قال: هما يتساولان، فلما كسر السين استذكر الهمزة فراجعه هنا، كما راجعـه فـى القول الأول.

وقد أفردنا فى كتاب الخصائص بابا فى أن صاحب اللغة قد يعتبر لغة غيره ويراعيهـا فأغنى عن إعادته هنا.

* * *

وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿٦٢﴾

ومن ذلك قراءَة أبى السَّمّال، رواها أبو زيد فيما رواه ابـن مجـاهد: «والذيـن هَـادَوْا» بفتح الدال.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون فاعَلوا من الهدايـة؛ أى رامُـوا أن يكونـوا أهـدى مـن غيرهم، كقولك رامَوْا من رميت، وقاضَوْا من قضيتُ وساعَوا مـن سـعيت. فيقـول فـى مصدر هادَوا: مهاداة، كقاضَوا مقاضاة، وساعَوا مساعاة. وقـد هـودِى الرجـلُ يُهَـادى مهاداة، إذا كان حوله من يمسكه ويهديه الطريق. ومنه قولهم فى الحديث: مر بنا يُهادى بين اثنين، ومنه قوله:

مــن أن يـــرى تـهـديــه فـتــ   ـيــان الـمــقَــامــة بــالعشيه

* * *

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ [البقرة: ٧٤]

ومن ذلك قراءَة قتـادة: «وإِنْ مِـن الحِجـارة» (٢)، وكذلـك قراءَتـه: «وإِنْ مِنهـا» (٣)، مخففة.

(١) ورد فى الديوان ٦١: «ضلت هذيل بما جاءت ولم تُصبِ».
يعير هذيلاً بأنها طلبت إلى النبى ﷺ، حين أرادت الإسلام، أن يحل لها الزنا، فلم تصب مرادها.

(٢) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٧٧، الجامع لأحكام القرآن ١/٤٦٥، البحـر المحيـط لأبـى حيـان ١/٢٦٤، تفسير الفخر الرازى ١/٣٨٤).

(٣) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٧٧، الجامع لأحكام القرآن ١/٤٦٥، البحـر المحيـط لأبـى حيـان ١/٢٦٤، تفسير الفخر الرازى ١/٣٨٤).

قال ابن مجاهد : أَحسبه أَراد بقوله مخففةً - الميـم ؛ لأنـى لا أَعـرف لتخفيـف النـون معنى.

قال أَبو الفتح: هـذا الـذى أَنكره ابـن مجاهد صحيـح؛ وذلـك أَن التخفيـف فـى إِن المكسورة شائع عنهم؛ أَلا ترى إِلى قول الله تعالى: ﴿**إِن كَـاد لَيُضِلُّنـا عـن آلهتِنـا**﴾[١]، ﴿**وإِنْ يكادُ الذين كَفُروا لَيُزلِقُونَك بأَبصارهم**﴾[٢]، أَى: إِنهم على هذه الحال. وهـذه اللام لازمة مع تخفيف النون فرقا بين إِنْ مخففة مـن الثقيلـة، وبـين إِن التـى للنفـى بمنزلـه «ما» فى قوله سبحانه: ﴿**إِن الكافِرُونَ إِلاَّ فى غُرور**﴾[٣] وقوله:

فمـا إِنْ طبُّـنا جُبْـنٌ ولـــكن   مـنـايـانـا ودَولـــةُ آخـريـنــا[٤]

وهذا واضح.

* * *

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴿٧٤﴾

ومن ذلك قراءَة الأَعمش: «لَمَا يهبُطُ»، بضم الباء.

قال أَبو الفتح: قد بينا فى كتابنا «المنصف» [٥] وهو تفســير تصريـف أَبـى عثمـان أَن باب فَعل المتعدى أَن يجىء على يفعِل مكسور العين، كضـرب يضـرب وحبس يحبس. وباب فَعَل غير المتعدى: أَن يكون على يفعُل مضموم العين، كقعد يقعُد وخـرَج يخـرُج، وأَنهما قد يتداخلان فيجىء هذا فى هذا، وهذا فى هذا، كقَتَـل يقتُـل، وجلَس يجلِس، إِلا أَن الباب ومجرى القياس على ما قدمناه، هبط يهبُط على هذا بضم العين أَقوى قياسـا من يهبِط ، فهو كسقط يسقُط؛ لأَن هبط غير متعدٍ فى غالب الأَمر كسقط.

وقد ذُهِبَ فى هذا الموضع إِلى أَن هبط هنا متعد؛ قالوا ومعنـاه: لَمـا يهبُـطُ غـيره مـن طاعِـة الله عـز وجـل ، أَى إِذا رآه الإِنسـان خشـع لطاعـة خالقـه، إِلا أَنـه حُـذِفَ هنـا المفعولُ تخفيفا، ولدلالة المكان عليه، ونسب الفعـل إِلى الحَجـر؛ لأَن طاعـة رائيـه لخالقـه إِنما كانت مسببة عن النظر إِليه، أَى منها ما يهبُـط النـاظَر إِليـه؛ أَى يُخضِعُـه ويُخشِعه،

---

(١) سورة الفرقان الآية (٤٢).

(٢) سورة القلم الآية (٥١).

(٣) سورة الملك الآية (٢٠).

(٤) وقع فى الخصائص (٣/١١٠): «وما إن طبنا جُبْنٌ ولكن».

(٥) انظر: (المنصف ١/١٨٦).

وقد جاءَ هبطته متعديا كما ترى، قال(١):

مـا راعـنـى إِلا جـنـاح هـابـطا عـلـى البـيوتِ قَـوطَـهُ العُلاَبِطَـا

وأعمله فى القَوط، فعلى هذا تقول: هبط الشىء وهبطته، وهلك الشىء وهلكته. قالوا فى قول العجاج(٢):

ومهمـــه هـــالك مـــن تَعرَّجـــا

قولين: أَحدهما أَنه كأَنه قال: هالك المتعرجين، والآخر هالك مَن تعرجا، أَى مهلك من تعرَّج فتقول على هذا: أَصبحت ذا مالٍ مهلوك، وهلكه ا لله يهلِكه هُلكا. وإذا كانت كذلك، وكانت هبط هنا قد تكون متعدية، فقراءَة الجماعة: ﴿لَمَا يَهْبِطُ﴾(٣) بكسر الباءِ أَقوى قياسا من يهبُط؛ لأن معناه لَما يهبِط مبصره ويحطُّه من خشية ا لله.

ومن ذهب فيه إلى أَن يهبط هنا غير متعد فكأَنه قال: وإن منها لما لو هبط شىء غير ناطق من خشية ا لله لهبط هو، لا أَنّ غير الناطق تصح منه الخشية، أَلا ترى أَن قوله:

لـهـا حـافِـرٌ مثلُ قَعبِ الولـيـ ـد تـتـخذُ الْفـارُ فـيه مَـغَارا

أَى: لو اتخذت فيه مغارا لغوره وتقعبه لوسعها وصلح لها، لا أَنها هى تتخِذ البتة.

ومثله مسأَلة الكتاب: أَخذَتْنا بالجَودِ وفوقَه، أَى: لو كان فوق الجوْدِ شىءٌ من المطر لكانت قد أَخذَتْنا به.

وكلام العرب لمن عرفه، ومن الذى يعرفه؟ أَلطفُ من السحر، وأَنقى ساحة من مشوف الفِكْر، وأَشدّ تساقطا بعضا على بعض، وأَمسّ تساندا نفْلا إِلى فرض.

* * *

يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴿٧٥﴾

ومن ذلك قراءَة الأَعمش: «يسمعُونَ كَلِمَ ا لله»(٤).

---

(١) انظر: (النوادر ١٧٣، الخصائص ٢/٣١٣، اللسان «قوط»).

(٢) هو من أرجوزته التى أولها: «ما هاج أحزانا وشجرا قد شجا». انظر: (الخصائص ٢/٢١٢، ديوانه ٩).

(٣) سورة البقرة الآية (٧٤).

(٤) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٧٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/١، البحر المحيط لأبى

الكلام كل ما استقل برأسه؛ أعنى: الجمل المركبة، نحو قام محمد، وأبوك منطلق. وقد فصلْنا فى أول باب من الخصائص بين الكلام والقول[١]، وأن كل كلام قول، وليس كل قول كلاما.

فأما الكلم فلا يكون أقل من ثلاث، وذلك أنه جمع كلمة، كتَفِنَة وتَفِن، ونَبِقَة ونَبِق، وسَلِمة وسَلِم، ولذلك ما اختاره صاحب الكتاب على الكلام، فقال: هذا باب علم ما الكلم من العربية، و لم يقل: ما الكلام؛ وذلك لأن الكلام كما قد يكون فوق الاثنين فكذلك أيضا قد يكون اثنين. وسيبويه إنما أراد هنا ثلاثة أشياء:

الاسم والفعل والحرف، فترك اللفظ الذى قد يكون أقل من الجماعة إلى اللفظ الذى لا يكون إلا جماعة.

* * *

إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ ﴿٧٨﴾

ومن ذلك قراءَة أبى جعفر وشيبة[٢] والحسن بخلاف، والحَكَم بن الأعرج[٣]: «إلاَّ أمانِيْ وإنْ هُم»، و«**لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ ولا أمانِيْ أهلِ الكِتَابِ**»[٤]، الياء فيه كله خفيفة ساكنة.

قال أبو الفتح: أصل هذا كله التثقيل - أمانِيُّ جمع أُمنِيَّة - والتخفيف فى هذا النحو كثير وفاش عندهم. قال أبو الحسن فى قولهم أثاف: لم يسمع من العرب بالتثقيل البتة.

حيان ١/٢٧٢).

(١) انظر: (الخصائص ١/٦ وما بعدها).

(٢) شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومى المدنى (١٣٠هـ = ٧٤٧م): قاضى المدينة، وإمام أهلها فى القراءات. وكان من ثقات رجال الحديث.
انظر: (تهذيب التهذيب ٤/٣٧٧، خلاصة تهذيب الكمال ١٤٢، الأعلام ٣/١٨١).

(٣) وقراءة نافع، وأبى عمرو، وابن جماز، والأعرج (فى المحتسب ابن الأعرج). انظر: (جامع البيان للطبرى ٢/٢٦٤، معانى القرآن للفراء ١/٤٩، إعراب القرآن للنحاس ١/١٩٠، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٧٦، التبيان للطوسى ١/٣١٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/٥، مجمع البيان للطبرسى ١/١٤٣، إتحاف فضلاء البشر ١٣٩، النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢/٢١٧، شرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٠٣، شرح القصائد العشر الطوال ٢٤٢).

(٤) سورة النساء الآية (١٢٣).

وقال الكسائى: قد سمع فيها التثقيل، وأنشد(١):

أَثافِيَّ سُفْعًا فى مُعَرَّسِ مِرجل (٢)

والمحذوف من نحو هذا هو الياءُ الأُولى التى هى نظيرة ياء المد مع غير الإدغام، نحو ياءِ قراطيس، وجراميق وأَراجيح، وأعاجيب، جمع أرجوحة وأعجوبة، أَلَا تراها قد حذفت فى قوله(٣):

والبكراتِ الفُسَّج العطامسا (٤)

وقوله(٥):

---

(١) زهير من معلقته المشهورة التى مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

عجزه: «ونُؤْيًا كَجِذْم الحَوْضِ لم يتثلَمِ».

(٢) يقال أثافى وأثاف بالتثقيل والتخفيف، واحدتها أثفية مشددة، وقال هشام: إذا كانت الواحدة مشددة ففى الجمع التثقيل والتخفيف، كقولك أمنية وأمانى وأمان وأوقية وأواقى وأواق، وأثفية وأثافى وأثاف، وأوارى وأوار فى جمع آرى قال النابغة:

إلا أوارىَّ لأيا ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

ويروى إلا أوارى خفيف... وكذلك الأضاحى والأضاحى بالتشديد والتخفيف فى جمع الأضحية. والأثافى: الأحجار التى ينصب عليها القدر. وقال يعقوب: واحدتها أثفية وإثفية. قال هشام: يقال سرية وسرية، وأضحيَّة إضحيَّة، وذُرية وذِرِّية، وأوقِيَّة ولا يجوز كسر أولها؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لوجب أن تصير الواو ياء لانكسار ما قبلها، فيزول الحرف عن مجراه.

والسفعة: سواد إلى حمرة، ومُعرس المرحل: موضعه على الأثافى، قال الأصمعى. والمرحل: كل قدر يطبخ فيها من حجارة أو حديد أو خزف أو نحاس، وأصل التعريس نزول القوم ليستريحوا، وأكثره من آخر الليل، وقد يكون من أوله، هذا قول يعقوب، وقال أبو جعفر: النزول من أول الليل التهويم، وفى آخره التعريس، وفى القائلة التغوير. انظر: (شرح المعلقات السبع الطوال ٢٤١/ ٢٤٤٣).

(٣) نسب البيت فى الكتاب (٢/ ١١٩) إلى غيلان، وهو غيلان بن حريث، وأما ذو الرمة فاسمه غيلان بن عقبة، والبيت ليس فى ديوانه، وهو بغير نسب فى سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٧٠، والخصائص ٢/ ٦٤، والمخصص ٤/ ٤٧، ٧/ ٦١ وقبله: «قد قربت ساداتهُا الروائسا». انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٧٠).

(٤) الفسج: جمع فاسج وفاسجة، وهى التى ضربها الفحل قبل أن تستحق الضراب. العطامس: جمع عيطموس، وهى الناقة الفتية الحسنة الخلق. انظر: هامش سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٧١.

(٥) هو لغيلان بن حُريث كما فى الكتاب ٤/ ٤٣٩، وهو بغير نسب فى: سر صناعة الإعراب ١/ ٥٨، ٢/ ٥٨، واللسان «حمم» ١٥/ ٤٧.

وغـــــيرُ سُفْعٍ مُثَّل يحامِـم (١)

يريد: يحاميم وعطاميس.

وروينا لعُبيد الله بنِ الحُرِّ قوله:

وبُدِّلْتُ بعـد الزَّعْفَـرانِ وطيبـــه   صَدا الدِّرع من مستحكِماتِ المسَامِرِ

وعلى أن حذف الياءِ مع الإِدغام أَسهل شيئا مـن حذفـه ولا إِدغـام معـه، وذلـك أن هذه الياء لما أدغمت خفيت وكادت تستهلك، فإِذا أنـت حذفتهـا فكـأنك إنمـا حذفـت شيئا هو فى حال وجوده فى حكـم المحـذوف. نعـم، وقـد يحـذف هـذا الحـرف ويؤتـى بالعوض منه حرفا فى حال وجوده فى حكم ما ليس موجودا، وهو تاء التأْنيث فى نحـو قولهم: فرازنة وزنادقة وجحاجحة. فالتاءُ عوض مـن يـاءِ فرازيـن وجحـاجيح وزنـاديق، وكذلك قالوا مع الإِدغام. وذلك قولهم فى أَثانى وأَناسِى: أَثانيـة، وأَناسـية. رواهـا أَبـو زيد. وإِذا كانوا قد رضوا بالكسرة قبلها دليـلا عليهـا، وعوضـا منهـا فهـم بـأَن يقنعـوا بالتاءِ عوضا منها أَجدر.

* * *

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴿٨٧﴾

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أَبى عمرو «وآيدناه» (٢). قال ابن مجاهد – على مـا علمناه – ممدودة الأَلف خفيفة الياءِ. وقد روى عن مجاهد فـى قولـه: ﴿إِذ أَيَّدتُـك﴾(٣) آيدتك. قال ابن مجاهد: على فاعلتك.

قال أَبو الفتح: هذا الذى توهمه ابن مجاهد، أَن آيدتك فاعلتك – لا وجـه لـه، وإنمـا آيدتك أَفعلتك، من الأَيْد، وهو القوة.

---

(١) السفع أثافى القدر، جمع سفعاء، وهى السوداء، المثل: جمع ماثلة، وهى المنتصبـة. اليحـامم: جمـع يحموم، وهو الأسود، والأصل: يحاميم، وحذف الياء ضرورة، ورويت فى بعض نسخ سر صناعـة الإعراب «وغير» بكسر الراء. انظر: (هـامش سـر صناعـة الإعـراب ٥٨/١. يريـد: يَحَاميم جمـع يَحْمُوم، وهو الأسود. سر صناعة الإعراب ٧٧١/٢).

(٢) وقراءة ابن محيصن، والأعرج، وحميد انظـر: (إعـراب القـرآن للعكـبرى ٢٩/١، إعـراب القـرآن للنحاس ١٩٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٤/٢، البحـر المحيـط لأبـى حيـان ٢٩٩/١، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٤١).

(٣) سورة المائدة: الآية (١١٠).

وقال أَبو على: إنما كثر فيه أَيَّديك فعَّلتك، لِما يعرض فى آيدتُك من تصحيح العين مخافة توالى إعلالين فى آيدتك. وأَنشدنا قوله:

يُنْبى تجاليدى وأَقتادَها   ناوٍ كرأْس الفدَنَ الْمُويَد(١)

فهذا من آيدته، أَى: قويته؛ لأَنه مُفعل كمُكْرَم ومُقتَل ومؤدَم - ولو كان آيدتك - كما ظن ابن مجاهد فاعلتك - لكان اسم المفعول منه مُؤايَد كمقاتَل ومضارَب، ولكن قراءَة من قرأَ: «آتينا بها» فاعلنا، ولو كان أَفعلنا لما احتاج إلى حرف الجر؛ لأَنه إنما يقال: أَتيت زيدا بكذا وآتيته، كقولك: أَعطيته كذا، فكذاك لو كان آتينا أَفعلنا لكان آتيناها كقولك: أَعطيناها، وأَنت لا تقول: آتيته بكذا، كما لا تقول أَعطيته بكذا. فقوله فى تلك القراءَة «آتيناها» كقولك حاضرنا بها، وشاهدنا بها، وهذا واضح.

ومعنى قول أَبى على: لو جاءَ آيدتك على ما يجب فى مثله من إعلال عين أَفعلت إذا كانت حرف علة كأَقمت زيدا وأَشرته وأَبعته أَى: عَرضته للبيع - لَتَتَابع فيه إعلالان؛ لأَن أَصل آيدت: أَأْيدت، كما أَن أَصل آمن: أَأْمن، فانقلبت الهمزة الثانية أَلفا لاجتماع الهمزتين فى كلمة واحدة، والأُولى منهما مفتوحة والثانية ساكنة، فهى كآمن وآلف، وفى الأَسماء نحو آدم وآدر. فكان يجب أَيضا أَن تلقى حركة العين على الفاء وتحذف العين، فكان يجب على هذا أَن تقلب الفاء هنا واو؛ لأَنها قد تحركت وانفتح ما قبلها ولابد من بدلها لوقوع الهمزة الأُولى قبلها، كما قلبت فى تكسير آدم أَو ادم، فكان يلزم على هذا أَن تقول: أَوَدتُه كأَقمتُه وأَدرتُه، فتحذف العين كما ترى، وتقلب الفاء التى هى فى الأَصل همزة واوا فتعتل الفاء والعين جميعا، وإذا أَدى القياس إلى هذا رُفض. وكثر فيه فعَّلْتُ أَيَّدتُ ليؤمَنَ ذانِك الاعتلالان، فلما استُعمل شىء منه جاءَ قليلا شاذا، أَعنى: آيدت. وإذا كانوا قد أَخرجوا عين أَفعلت وهى حرف علة على الصحة نحو قوله:

صددت فأطولت الصدود(٢)

وقولهم: أَغيلت المرأَة، وأَغيمت السماءُ، وأَخوصَ الرِّمثُ وأَعوز القوم، وأَليث الشجر، وأَسوأَ الرجل. ولو خرج على منهج إعلال مثله لم يُخَفْ فيه توالى إعلالين كان خروج آيدت على الصحة لِما كان يعقب إعلال عينه من اجتماع إعلالها مع إعلال الفاءِ

(١) ذكره فى المنصف ٢٦٩/١ أيضا دون نسب.

(٢) قال فى المنصف: فقوله: أطولت يدل على أن أصل أخافَ: أخوف، وقد قالوا: أطال. وقالوا: أحوجت زيدًا إلى كذا وكذا، وأغسلت المرأة وغير ذلك. انظر: (المنصف ١٩١/١).

قبلها - أولى وأجدر. فقد ثبت أن قراءَة مجاهد «إِذ آيدتك» إِنما هو أفعلتك لا فاعلتك، كما ظن ابن مجاهد.

* * *

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴿٩٧﴾

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴿٩٨﴾

ومن ذلك قراءَة يحيى بن يعمر: «جَبرَئِلّ»[١]، مشددة اللام، بوزن جبرَعِل. وعنه أيضا، وعن فياض بن غزْوان: «جَبْرَائيل»[٢] بوزن جبراعيل، بهمزة بعد الألف، وبهذا الوزن من غير همز بياءَين عن الأعمش، «ومِيكاييل» [٣] من غير همز أيضا ممدود، وقرأ: «مِيكَئِلَ» [٤] بوزن ميكعل، ابن هرمز الأعرج وابن محيصن.

قال أبو الفتح: أما على الجملة فقد ذكرنا فى كتابنا هذا، وفى غيره من كتبنا: أن العرب إِذا نطقت بالأعجمى خلَّطت فيه، وأنشدنا فى ذلك ما أنشدَناه أبو على من قول الراجز:

هل تعرف الدار لأُم الخزرج ... منها فظَلْت اليومَ كالمُزرَّج

يريد الذى شرب الزَّرجُون وهى الخمر، وأنه كان قياسه المزرجن؛ من حيث كانت النون فى الزَّرَجون أَصلية. نعم، وذكرنا أنهم قد يحرِّفون ما هو من كلامهم، فكيف ما هو من كلام غيرهم؟ إلا أن جبرَئِل قد قيل فيه: إن معناه عبدا لله، وذلك أَن الجَبْر بمنزلة الرجل، والرجل عبدا لله، ولم يسمع الجبر بمعنى الرجل إِلا فى شعر ابن أَحمر، وهو قوله:

اشرب براووق حُبيت به ... وانعَم صباحا أيها الجَبْرُ[٥]

---

(١) وقراءة عاصم، وأبان، وابن محيصن. انظر: (جامع البيان للطبرى ٣٨٩/٢، مجمع البيان للطبرسى ١٦٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٧/٢، البحر المحيط لأبى حيان ٣١٨/١، الحجة المنسوب لابن خالويه ٨٥، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٤٤).

(٢) وقراءة ابن عباس، وعكرمة. انظر: (الكشاف للزمخشرى ٤٨/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٧/٢، البحر المحيط لأبى حيان ٣١٨/١، تفسير الفخر الرازى ٤٢٣/١).

(٣) وقراءة نافع أيضا. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٨/٢، البحر المحيط لأبى حيان ٣١٨/١).

(٤) وقراءة نافع. انظر: (الكشاف للزمخشرى ٨٤/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣١٨/١، التيسير للدانى ٧٥، الحجة المنسوب لابن خالويه ٨٦).

(٥) وقع فى الخصائص ٢٣/٢: «اسلم براووق حبيت به». وهو فى التكملة للصاغانى «اشرب»، وانظر كذلك: اللسان «حبر».

قالوا: وإلّ بالنبطية: اسم الله تعالى: ومن ألفاظهم فى ذلك أن يقولوا: كوريال، الكاف بين القاف والكاف. فغالب هذا أن تكون هذه اللغات كلها فى هذا الاسم إنما يراد بها جبريال الذى هو كوريال ، ثم لحقها من التحريف على طول الاستعمال ما أصارها إلى هذا التفاوت ، وإن كانت على كل أحوالها متجاذبة يتشبث بعضها ببعض.

واستدل أبو الحسن على زيادة الهمزة فى «جَبْرَئيل» بقراءة من قرأ «جبْريلَ» ونحوه. وهذا كالتعسف من أبى الحسن لما قدمناه من التخليط فى الأعجمى. ويلزم فيه زيادة النون فى زرجون؛ لقوله: كالمزرج. والقول ما قدمناه.

وأما «جَبْرايِيل ومِيكايِيل»، بياءَين بعد الألف والمد فيقْوى فى نفسِى أنها همزة مخففة وهى مكسورة، فخفيت وقربت من الياء فعبر القراء عنها بالياء، كما ترى فى قوله عز وجل: ﴿آلاء﴾(١) عند تخفيف الهمز «آلاى» بالياء، وسبب ذلك ما ذكرناه من خفاء الهمزة المكسورة وقربها بذلك من لفظ الياء، كما قالوا فى ﴿شهر رمضان﴾(٢) فى إدغام أبى عمرو: إن الراءَ من شهر مدغمة فى راء رمضان. وهيهات ذلك مذهبا، وعزّ مطلبا، حتى كأنا لم نعلم أن الهاءَ فى شهر ساكنة، وإذا أُدغمت الراء فى راء رمضان التقى ساكنان ليس الأول منهما حرف مد كشابّة ودابّة، ولا يكون ذلك إلا أن تنقل حركة الراءِ الأولى إلى الهاءِ قبلها، ولو فُعِل ذلك لوجب أن يقال: شَهُرّ رمضان، بضم الهاءِ، وليس أحد من القراءِ يدَّعى هذا فيه: من أدغم ومن لم يدغم.

وأيضا فإنه إذا كان هذا النقل فإنما يكون فى المتصل، نحو يستعدّ ويردّ ويفرّ، فأما فى المنفصل فإن ذلك لَن يجيء فى شيء منه إلا فى حرف واحد شاذ اجتمع فيه شيئان، كل واحد منهما يحتمل التغيير له:

أَحدهما: كونه علما، والأعلام فيما يكثر فيه ما لا يكون فى غيره، نحو معد يكرب ومَوْهَب وتَهْلَل وحَيْوة.

والآخر: كثرة استعماله، وهم لما كثر استعماله أشد تغييرا. وذلك الحرف قولهم فى عبد شمس: هذه عبُشَمسَ بفتح السين، وأنت لا تقول فى نحو: هذا قوم موسى: هذا قَوْمُّوسى؛ لما ذكرناه من أن المنفصل فى هذا النحو لم تنقله العرب كما نقلت المتصل. فعلى هذا ينبغى أن نوجه قولهم فى «جَبْرايِيل ومِيكايِيل» بياءَين والمد؛ وذلك لأن المد إنما

---

(١) سورة النجم الآية (٥٥)، سورة الرحمن (فى عدة مواضع).

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٥).

كان فيه لبقاءَ نيةَ الهمزة المخففة ولفظهِ فيه. هذا هو القول، كقولهم بالمد وإن كانت الألف والياء بعدها أتمَّ صوتا وأبعد نَدى منها وبَعدها غيرها من الحروف الصحاح، نحو غرابيل وسرابيل وسراحين وميادين. وقد يجوز من بعدِ هذا أن تكون ياءً صريحة من حيث كان الأعجمي يُتلَعَّبُ فيه بالحروف تَلَعُّبًا، فاعرف ذلك.

* * *

أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ (١٠٠)

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن رَوح عن أبي السَّمّال: أنه قرأ «أَوْ كلَّما عَهِدُوا»[1] ساكنة الواو.

قال أبو الفتح: لا يجوز أن يكون سكون الواو في «أو» هذه على أنَّها في الأصل حرف عطف كقراءَة الكافة: ﴿أَوَ كلما﴾؛ من قِبل أن واو العطف لم تُسكن في موضع علمناه، وإنما يسكن بعدها مما يُخلَط معها فيكونان كالحرف الواحد، نحو قول الله: تعالى ﴿وَهْو الله﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَهْوَ وليُّهُم﴾ بسكون الهاءِ، فأَما واو العطف فلا تسكن من موضعين:

أَحدهما: أَنها في أَول الكلمة والساكن لا يبتدأُ به.

والآخر: أَنها هنا وإِن اعتَمدت على همزة الاستفهام قبلها فإِنها مفتوحة، والمفتوح لا يسكن استخفافا، وإِنما ذلك في المضموم والمكسور نحو: كَرْم زيد وعلْم الله وقد مضى ذكر ذلك. فإِذا كان كذلك كانت «أَو» هذه حرفا واحدًا، إلا أن معناها معنى بل للترك والتحول، بمنزلة أم المنقطعة، نحو قول العرب: إِنها لأَبلٌ أَم شاء؛ فكأَنه قال: بل أَهي شاءَ؟ فكذلك معنى «أَو» هاهنا، حتى كأَنه قال: «ومَا يَكْفُرُ بها إِلا الفاسقون بل كلما عاهدوا عهدا نَبَذه فَرِيقٌ منهم».

يؤكد ذلك قوله تعالى من بعده: ﴿بل أَكْثَرُهُمْ لا يُؤمِنُونَ﴾، فكأَنه قال: بل كلما عاهدوا عهدا، بل أَكثرهم لا يُؤْمنون.

---

(١) وقراءة العدوى. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٨٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٣٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/٣٩، تفسير الفخر الرازى ١/٤٢٦، مغنى اللبيب لابن هشام ١/٦٢، شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك للأشمونى ٣/١٠٦، حاشية الخضرى ٢/٦٥، إتحاف فضلاء البشر ١٤٤).

و«أو» هذه التى بمعنى أم المنقطعة - وكلتاهما بمعنى بل - موجودة فى الكلام كثيرا، يقول الرجل لمن يتهدده: والله لأفعلن بك كذا، فيقول له صاحبه: أَوْ يُحسِنُ الله رأْيك، أَو يغير الله ما فى نفسك. معناه: بل يحسن الله رأيك، بل يغير الله ما فى نفسك. وإلى نحو هذا ذهب الفراءُ فى قول ذى الرمة.

بدت مثلَ قرن الشمسِ فى رَونق الضُّحى وصورتِها أَو أَنتِ فى العين أَملحُ[1]

قال: معناه بل أَنت فى العين أَملح، وكذلك قال فى قول الله تعالى: ﴿**وأَرسلْناه إلى مائة أَلفٍ أَو يزيدُونَ**﴾[2]. قال: معناه بل يزيدون. وإن كان مذهبنا نحن فى هذا غير هذا، فإن هذا طريق مذهوب فيه على هذا الوجه.

وقراءَته هنا: «عَهِدوا عهدًا كأَنه أَشبهُ بجريان المصدر على فعله؛ لأن عهدت عهدا أَشبه فى العادة من عاهدت عهدًا». ومن ذلك الحديث المأْثور: «مَن وعد وَعدا فكأَنما عهِد عهدا». وقراءَة الكافة: ﴿**عَاهَدُوا عهدًا**﴾ على معنى أَعطَوا عهدا، فعهدا على مذهب الجماعة كأَنه مفعول به. وعلى قراءَة أبى السَّمال هو منصوب نصب المصدر. وقد يجوز أَن ينتصب على قراءَة الكافة على المصدر، إلا أَنه مصدر محذوف الزيادة؛ أَى عاهدوا معاهدة أو عهادا، كقاتلت مقاتلة وقتالا، إلا أَنه جاءَ على حذف الزيادة كقوله:

عمرَكِ الله ساعةً حدِّثينَا ودَعِينَا من قولِ مَن يؤذينا[3]

إنما هو: عمَّرتُكِ الله تعميرا - دعاء لها - فحذفت زيادة التاء والياء. وعليه: جاءَ زيد وحده؛ أَى: أُوحِدَ بهذه الحال إيحادا. ومررت به وحده، أَى: أَوحدته بمرورى إيحادا. وقد يمكن أَن يكون وحده مصدرَ هو يَحِد وحدا فهو واحد، والمصدر على حذف زيادته كثير جدا، إلا أَنه ليس منه قولهم: سلّمت عليه سلاما وإن كان فى معنى تسليما؛ من قِبَل أَنه لو أُريد مجيئه على حذف الزيادة لما أُقِرَّ عليه شىء من الزيادة، وفيه أَلف سلام زائدة. ومثله: كلمته كلاما والسلام والكلام ليسا على حذف الزيادة، لكنهما اسمان على فَعال بمعنى المصدر، فاعرف ذلك.

* * *

---

(١) انظر: (الخصائص ٢/٤٥٩،٤٦٠، الخزانة ٤/٤٢٤)، وقال: البيت نسبه ابن جنى إلى ذى الرمة، ولم أجده فى ديوانه. وانظر: (معانى القرآن للفراء ١/٧٢، الإنصاف ١٩٨).

(٢) سورة الصافات الآية (١٤٧)

(٣) انظر: لسان العرب «عمر».

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ (١٠٢)

ومن ذلك قراءَة الحسن وابن عباس، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن أَبزَى: «وما أُنْزلَ عَلَى الملِكين»[١]، بكسر اللام. قيل: أَراد «بالملِكين» داود وسليمان عليهما السلام.

قال أَبو الفتح: إِن قيل: كيف أَطلق الله سبحانه على داود وسليمان اسم الملِك، وإِنما هما عبدان له تعالى كسائر عبيده من الأَنبياءِ وغيرهم؟.

قيل: جاز ذلك؛ لأَنه أَطلق عليهما اللفظ الذى يُعتاد حينئذ فيهما، ويطلقه الناس عليهما، فخوطب الإِنسان على ذلك باللفظ الذى يعتاده أَهل الوقت إِذ ذاك، ونظيره قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العزيزُ الكَرِيم﴾[٢] وإِنما هو فى النار الذليل المهان، لكنه خوطب بما كان يخاطب به فى الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبكيت له، والإِذكار بسوءِ أَفعاله، وقد مضى نحو هذا.

* * *

﴿بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ (١٠٢)

ومن ذلك قراءَة الحسن وقَتَادة: «بَين المَرِ وَزَوجِهِ»[٣]، بفتح الميم وكسر الراءِ خفيفة من غير همز.

وقراءَة الزهرى «المَرِّ»[٤] بفتح الميم وتشديد الراء.

وقراءَة ابن أَبى إِسحاق: «المُرْء»[٥] بضم الميم وسكون الراء والهمز.

وقراءَة الأَشهب: «المِرْء»[٦] بكسر الميم والهمز.

---

(١) وقراءة وأبى الأسود الدؤلى، والحسن البصرى. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٨٥، مجمع البيان للطبرسى ١/١٧٠، معانى القرآن للفراء ١/٦٤، إعراب القرآن للعكبرى ١/٣٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٢٩، التبيان للطوسى ١/٣٧٠،٣٧٣، جامع البيان للطبرى ٢/٤٣٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/٥٢).

(٢) سورة الدخان الآية (٤٩).

(٣) وقراءة الزهرى. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٣٢).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٣٣، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٣٢، الكشاف للزمخشرى ١/٨٦).

(٥) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٨٦، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٣٢).

(٦) وقراءة الحسن. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٨٦، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٣٢).

قال أبو الفتح: أما قراءَة الحسن وقتادة : «بينَ المَرِ»، بفتح الميم وخفة الراءِ من غير همز فواضح الطريق؛ وذلك أَنه على التخفيف القياسى، كقولك فى الخبء: هذا الخَبُ، ورأَيت الخَبَ ومررت بالخَبِ ، تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الباء قبلها. وتقول فى الجزءِ: هذا الجُزُ، ورأَيتَ الجُزَ، ومررت بالجُزِ. وعليه القراءَة: «الَّذِى يُخْرِجُ الخَبَ فى السمواتِ والأَرض»(١).

وأَما قراءَة الزهرى «المَرّ» بتشديد الراءَ فقياسه: أَن يكون أَراد تخفيف المَرءِ على قراءَة الحسن وقتادة، إلا أَنه نوى الوقف بعد التخفيف ، فصار «المَر» ثم ثقَّل للوقف على قول من قال: هذا خالدّ، وهو يجعلّ، ومررت بفَرجّ، ثم أَجرى الوصل مجرى الوقف فأقر التثقيل بحاله كما جاءَ عنهم قوله:

ببازلٍ وجناء أَو عَيْهَلِّ ... كأَن مهواها على الكَلْكَلّ(٢)

يريد: العيهَلَ، والكلكلَ، وكبيت الكتاب(٣):

ضخما يُحِبُّ الخُلق الأَضْخَمَّا(٤)

فيمن فتح الهمزة، يريد الأَضخم فثقل ثم أَطلق.

وفى هذا شذوذان: أَحدهما التثقيل فى الوقت، والآخر إِجراءُ الوصل مجرى الوقف؛ لأَنه من باب ضرورة الشعر.

وأَما قراءَة ابن أَبى إِسحاق: المُرْءِ بضم الميم والهمز فلغة فيه، وكذلك من قرأَ: المِرءِ، بكسر الميم. ومنهم من يضم الميم فى الرفع ويفتحها فى النصب، ويكسرها فى الجر فيقول: هذا المُرْءِ، ورأَيت المَرْءِ، ومررت بالمِرءِ. وسبب صنعة هذه اللغة: أَنه قد أُلِف الإِتباع فى هذا الاسم فى نحو قولك: هذا امرؤ، ورأَيت امَرأ ومررت بامرئ، فيتبُع

---

(١) سورة النمل الآية (٢٥)، وهى قراءة أبى بن كعب، وعيسى.

(٢) نسبه البغدادى فى شرح شواهد الشافية ٢٤٦/٤ لمنظور بن مرثد الأسدى. قال فى المنصف بعده: «وهذا أكثر من أن أضبطه لك لسعته وكثرته، والذى أذكر منه ومن أشباهه فوق ما يحتاج إليه استظهارا وتأنيسا بالأمثال والنظائر، فإن سيبويه كثيرًا ما كان يعتمد فى كتابه على إيراد النظائر ليؤنس بها». انظر: (المنصف ١١/١؛ سر صناعة الإعراب ١٦٢/١، ٤١٧، ٥١٥/٢، الخصائص ٣٦٠/٢، شرح شواهد الشافية ٢٤٦/٤).

(٣) نسب البيت إلى رؤبة فى الكتاب ١١/١، ٢٨٣/٢، وهو فى ملحقات ديوانه ص ١٨٣، ولم ينسب فى المنصف ١٠/١، سر صناعة الإعراب ١٦٢/١،٤١٦،٥١٥/٢.

(٤) وقبله: «ثُمت حئت حية أسما». وروى فى الموضع الثانى فى الكتاب «بَدْء» والبدء: السيد.

حركة الراء حركة الهمزة، فلما أن تحركت الميم وسكنت الراء لم يمكن الإتباع فى الساكن فنُقِل الإتباع من الراء إلى الميم؛ لأنها متحركة، فجرى على الميم لمجاورتها الراء ما كان يجرى على الراء، كما يقول ناس فى الوقف: هذا بكُر، ومررت ببَكِر؛ لَمّا جفا عليهم اجتماع الساكنين فى الوقف وشحُّوا على حركة الإعراب أن يستهلكها الوقوف عليها نقلوها إلى الكاف. وكما قال من قال فى صُوَّم: صُيَّم، وفى قُوَّم: قُيَّم، لما جاورَت العين اللام أجراها فى الاعتلال مجرى عات وعُتى، وجاثٍ وجُثى، وقد ذكرنا فى تفسير ديوان المتنبى ما فى هذا الحرف أعنى: المرءَ والمرأةَ من اللغات.

* * *

وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ ﴿١٠٢﴾

ومن ذلك قراءَة الأعمش: «وَمَا هُم بِضَارِّى بِهِ مِن أَحد»(١).

قال أبو الفتح: هذا من أبعد الشاذ، أعنى حذف النون هاهنا. وأمثل ما يقال فيه: أن يكون أراد: وما هم بضارِّى أحدٍ، ثم فصَل بين المضاف والمضاف إليه بحرف الجر.

وفيه شىء آخر وهو أن هناك أيضا «مِن» فى مِن أحد، غير أنه أجرى الجارّ مجرى جزء من المجرور، فكأنه قال: وما هم بضارى بهِ أحد. وفيه ما ذكرنا(٢).

* * *

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴿١٠٣﴾

ومن ذلك قراءَة قتادة وابن بُرَيدةَ وأبى السَّمَّال: «لَمثْوَبَةٌ»(٣).

قال أبو الفتح: قد ذكرنا شذوذ صحتها عن القياس فيما مضى.

* * *

---

(١) انظر: (الكشاف ١/٨٦، البحر المحيط، ١/٣٣٢، حاشية الأسير على مغنى اللبيب ١/١٥٤).

(٢) قال الزمخشرى: بطرح النون والإضافة إلى أحد، والفصل بينهما بالظروف، وقال أبو حيان: وخرج ذلك على وجهين: أحدهما: أنها حذفت تخفيفا، والثانى: أن حذفها لأجل الإضافة إلى أحد، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور الذى هو «به» وكذلك بحرف الجر «من».

(٣) انظر: (الخصائص لابن جنى ١/٣٢٩، إعراب القرآن للعكبرى ١/٣٣، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٣٥، التبيان للطوسى ١/٣٨٦، الكشاف للزمخشرى ١/٨٦ شرح المفصل لابن يعيش ١٠/٧٦، لسان العرب مادة «ثوب»).

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴿١٠٦﴾

ومن ذلك قراءَة أَبى رجاء(١): «ما نَنْسَخْ مِن آية أَو نُنَسِّها» مشددة السين. وقرأَ سعد بن أَبى وقاص والحسن ويحيى بن يعمر: «أَو تَنْسَها»(٢) بتاء مفتوحة.

وقراءَة سعيد بن المسيب والضحاك «تُنْسَها» (٣) مضمومة التاء مفتوحة السين.

وفى حرف ابن مسعود: «ما نُنْسِكَ(٤) من آية أَو نَنْسَخْها»(٥).

قال أَبو الفتح: أَما «نُنَسِّها» فنفعّلها من النسيان، فيكون فَعَّلْت فى هذا كأَفعلت فى قراءَة أَكثر القراء: «نُنْسِها». وهو فى الموضعين على حذف المفعول الأول؛ أَى: أَو ننس أَحدا إِياها، كقولك: ما نَهبُ من قرية أَو نُقْطِعُها أَى: أَو نُقطع أَحدًا إِياها.

ومن قرأَ «تَنْسَها» أَراد أَو تَنْسها أَنت يا محمد.

ومن قرأَ تُنْسَها مرَّ أَيضا على تَنْسَها أَنت، إِلا أَن الفاعل فى المعنى هنا يحتمل أَمرين:

أَحدهما أَن يكون المُنْسِى لها هو الله تعالى.

والآخر أَن يكون المُنسى لها ما يعتاد بنى آدم من أَعراض الدنيا غمًّا أَو همًّا، أَو عداوة من إِنسان، أَو وسوسةً من شيطان.

فأَما قوله عز اسمه: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَى إلا ما شاءَ الله**﴾(٦): فقد يمكن أَن يكون ما يحدثه من النسيان أَعراض الدنيا مما شاءَ الله زيادة فى التكليف، وتعريضًا بمقاساته ومقاومته للثواب.

ويدل على جواز كون المُنْسى هو الله تعالى - وإِن كانت التلاوة أَو تُنْسَها - قوله

(١) وقراءة الضحاك أيضا. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٨٧، التبيان للطوسى ١/٣٩٩، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٤٣، تفسير الفخر الرازى ١/٤٤٢).

(٢) انظر: (جامع البيان للطبرى ٢/٤٧٤، معانى القرآن للأخفش ١/١٤٣، تفسير الفخر الرازى ١/٤٤٢).

(٣) انظر: (الكشف للقيس ١/٢٥٣،٢٥٩، الكشاف للزمخشرى ١/٨٧، تفسير الفخر الزارى ١/٤٤٢).

(٤) وقراءة الأعمش. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٦٩، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٤٣، تفسير الفخر الرازى ١/٤٤٢).

(٥) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٦٩، جامع البيان للطبرسى ٢/٤٧٤، الكشف ١/٢٥٩، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٤٣، الكشاف للزمخشرى ١/٨٧، تفسير الفخر الرازى ١/٤٤٢).

(٦) سورة الأعلى الآية (٦).

تعالى: ﴿وخُلِق الإنْسانُ ضَعيفًا﴾[١]، وقوله: ﴿خُلِقَ الإنْسَانُ مِن عجَل﴾[٢] مع قوله: ﴿اقْرَأْ باسْم رَبِّكَ الذى خَلَق خَلق الإنْسَانَ﴾[٣]، وقال: ﴿خلَق الإنْسَانَ علَّمَهُ الْبَيَان﴾[٤]. ويؤكد هذا قراءَة ابن مسعود: «ما نُنْسِكَ مِن آية». وفيه بيان، وقد يقول الإنسان: ضُرب زيد وإن كان القائل لذلك هو الضارب، وهذا يدل على أن الغرض هنا: أن يُعلم أنه مضروب، وليس: الغرض أن يُعلم مَن ضربه؛ ولذلك بُنى هذا الفعل للمفعول، وأُلغى معه حديث الفاعل، فقام فى ذلك مقامه ورُفع رفعه، فهذه طريق ما لم يسم فاعله.

* * *

﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ (١٢٦)

ومن ذلك قراءَة ابن عباس فيما رواه سليمان بن أرقم عن أبى يزيد المدنى عن ابن عباس «فأَمتِعْهُ قليلا ثم اضْطَرَّه»[٥]، على الدعاءِ من إبراهيم ﷺ.

قال أبو الفتح: أما على قراءَة الجماعة ﴿فأُمَتِّعهُ ثم أَضْطَرُّه﴾ فإن الفاعلِ فى «قال» هو اسم الله تعالى أى: لّما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجعلْ هذا بَلَدًا آمنًا وارزُق أهلَه من الثَّمراتِ منْ آمَنَ مِنهم با للهِ واليومِ الآخر﴾ قال الله: ﴿ومَنْ كفَر فأُمَتِّعه قليلا ثم أَضْطَرُّه إلى عذاب النارِ﴾.

وأما على قراءَة ابن عباس: «فأَمتِعْه قَليلا ثم اضْطَرَّه إلى عَذابِ النارِ».

فيحتمل أمرين:

أَحدهما - وهو الظاهر - أَن يكون الفاعل في «قال» ضمير إبراهيم عليه السلام أى: قال إبراهيم أيضًا: ومن كفر فأَمتِعه ثم اضْطَرَّه يا رب.

---

(١) سورة النساء الآية (٢٨).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٣٧).

(٣) سورة العلق الآيتان (١، ٢).

(٤) سورة الرحمن الآية (٣).

(٥) وقراءة مجاهد، وقتادة، والحارث بن أبى ربيعة. انظر: (الكشاف ١/٩٣، الجامع لأحكام القرآن ٢/١١٩، التبيان ١/٤٥٠،٤٥٢، البحر المحيط ١/٣٨٤، إعراب القرآن للعكبرى ١/٣٧، إعراب القرآن للنحاس ١/٢١٢، مجمع البيان ١/٢٠٥).

وحسن على هذا إعادة «قال» لأمرين:

أحدهما طول الكلام، فلما تباعد آخره من أوله أُعيدت «قال» لِبُعدها كما قد يجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره.

والآخر: أنه انتقل من الدعاءِ لقوم إلى الدعاء على آخرين، فكأن ذلك أخْذ فى كلام آخر، فاستؤنف معه لفظ القول، فجرى ذلك مجرى استئناف التصريع فى القصيدة إذا خرج من معنى إلى معنى. ولهذا ما يقول الشاعر فى نحو ذلك[(١)]:

فدع ذا ولكن هَلْ تَرى ضوءَ بارِق [(٢)]

ويقول[(٣)]:

دع ذا وبهج حَسَبا مُبهَّجا

فإذا جاز أن يصرِّعَ وهو فى أثناء المعنى الواحد نحو قوله:

أَلا نادِ فى آثارِهن الغَوانيا سُقِينَ سِمَامًا ما لهن وماليا؟!

كان التصريع مع الانتقال من حال إلى حال أخرى بالجواز. فهذا أحد الوجهين.

وأما الآخر فهو أن يكون الفاعل فى «قال» ضمير اسم الله تعالى؛ أى: فأَمتِعه يا خالق، أو فأَمتعه يا قادِر أو يا مالك أو يا إله، يخاطب بذلك نفسه عز وجل، فجرى هذا على ما تعتاده العرب من أمر الإنسان لنفسه، كقراءَة من قرأ: قَالَ أَعلَمْ أَنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير[(٤)] أى: أعلم يا إنسان وكقول الأعشى[(٥)]:

---

(١) لخفاف بن ندبة.

(٢) عجزه: «يضيءُ حبيسا فى ذرى متألق». انظر: (الأصمعيات ١٤).

(٣) للعجاج انظر: (ديوانه ١٠).

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٩)، وهى قراءة ابن عباس، وحمزة، والكسائى، وأبى رجاء، وأبى عبد الرحمن. انظر: (البحر المحيط ٢/٢٩٦، التبيان ٢/٣٢٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٤، التيسير ٨٢، الطبرى ٥/٤٨١، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩٦، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٠٠، السبعة ١٨٩، الحجة لأبى زرعة ١٤٤، غيث النفع ١٦٩، الكشف ١/٣١٢، الكشاف ١/١٥٨، مجمع البيان ٢/٣٦٨، معانى القرآن للفراء ١/١٧٣، النشر ٢/٢٣١، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٣١، الخصائص ٢/٣٧٤، العنوان ٥٩ خ).

(٥) هو مطلع قصيدة له، وصدر البيت: «ودع هريرة إن الركب مرتحل». انظر: (ديوانه ١٤٤ ط دار صادر، والخصائص ٢/٤٧٥). وهريرة: قنية كانت لبشر بن عمرو بن مرثد وتكنى بأم الخليد.

وهل تُطيق وداعا أيها الرجل

وهذا يتصل بباب من العربية غريب لطيف وهو باب التجريد، كأنه يجرّد نفسه منه ثم يخاطبها، وقد ذكرنا هذا الباب فى كتابنا الخصائص(١).

وهذا وإن كان مما لا ينبغى أن يُجرى فى الحقيقة مثله على الله سبحانه؛ لأنه لا تجزؤ هناك فإنه يُجرى على عادة القوم ومذهب خطابهم، وقد نطقوا بهذا نفسِه معه «تقدست أسماؤه» أنشدنا أبو علىّ:

أفاءَت بنو مروان ظلما دماءَنا وفى الله إن لم يَعدلوا حكَمٌ عدل(٢)

فجرى اللفظ على أنه جُرد منه شىء يسمى حكَما عدلا، وهو مع التحصيل على حذف المضاف، أى: وفى عدل الله حَكَمٌ عدل. فَتَفَهَّم هذه المواضع، فإنَّ قَدرَ الإعراب يضيع إلى معناها، وإن كان هو أول الطريق ونهجه إليها.

ويجوز فى العربية «ثُمّ اضْطَرِّ هِى»، بكسر الراءِ لالتقاءِ الساكنين ثم تُبيّنُ الهاءُ بياء بعدها.

ويجوز أيضا: «ثُمّ اضْطَرِّهِ»، تكسِرُ الهاء ولا تُتِمُّ الياءَ.

ويجوز «اضْطَرِّهْ»، بكسر الراءِ وفتحها والهاء الساكنة.

ويجوز «ثُمّ اضْطَرُّهُو»، بضم الراءِ كما روينا عن قطرب أن بعضهم يقول: شَمُّ يا رجل. ويجوز الضم بلا واو.

ويجوز مع ضم الراء وفتحها تسكينُ الهاءِ. وقد ذكرت ذلك كله فى أماكنه.

* * *

ثُمَّ أَضْطَرُّهُ (١٢٦)

ومن ذلك قراءَة ابن محيصن: ثم «أَطَّرُّه» (٣) يدغم الضاد فى الطاءِ.

قال أَبو الفتح: هذه لغة مرذولة، أَعنى: إِدغام الضاد فى الطاءِ؛ وذلك لما فيها من

(١) انظر: (الخصائص ٢/٤٧٥، ٤٧٨).

(٢) سبق الاستشهاد به.

(٣) وقراءة المطوعى. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٩٣، إعراب القرآن للنحاس ١/٢١٢، مجمع البيان للطبرسى ١/٢٠٥، البحر المحيط ١/٣٨٤، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٤٨).

الامتداد والفُشُوّ، فإنها من الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هى فيما يجاورها.

وهى الشين والضاد والراءُ والفاءُ والميم، ويجمعها فى اللفظ قولهم: ضُـمَّ شَـفْر، وقد أَخرج بعضهم الضاد من ذلك وجمعها فى قولهم : مشفر.

قال: لأنه قد حُكِى إِدغام الضاد فى الطاءِ فى قولهم فى «اضطجع»: اطَّجع. وأَنشدوا قوله[1]:

يـا رُبَّ أَبَّـاز مـن العُفْرصَـدعْ تقبَّـض الظـلُّ إِليـه واجتمـع[2]
لـمـا رأى أَن لا دعـهْ ولا شِبـع مال إِلى أَرطاةِ حِقْـف فـاطجع[3]

ويروى: «فاضطجع» وهو الأَكثر والأَقيس.

ويروى أَيضا: «فالْطَجع» يبدل أَيضا اللام من الضاد.

فإِن قيل: فقد أَحطْنا علما بأَن أَصل هذا الحرف اضتجع افتعل من الضجعة، فلما جاءَت الضاد قبل تاءِ افتعل أُبدلت لها التاء طاء. فهلا لما زالت الضاد فصارت بإِبدالها إِلى اللام رُدت التاءُ فقيل: التجع، كما تقول: التجم والتجأَ؟.

قيل هذا إِبدالٌ عَرَضَ للضاد فى بعض اللغات. فلما كان أَمرا عارضا، وظِلاًّ فى أَكثر اللغات خالصا - أَقَرُّوا الطاءَ بحالها إِيذانا بقلة الحَفْل بما عرَض من البدل، ودلالة على الأَصل المنحو المعتمد، وله غير نظير.

أَلا ترى إِلى قوله:

---

(١) ورد البيت الثانى فى شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين ٢/٣٢٤، ٣/٢٢٦ وهذا البيت من الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى، وقد استشهد به كثير من النحاة منهم الزمخشرى وابن جنى فى الخصائص ١/٦٤،٢٦٤، ٣/١٦٥، وابن هشام والمرادى.

(٢) الأباز: العداء، وفعله أبز من باب ضرب، تقول أبز الظبى يأبز، إذا عدا. والعفر: جمع أعفر، وهو الأبيض الذى ليس بشديد البياض. والصدع: الخفيف اللحم. وتقبض: انزوى وانضم.

(٣) والدعة: خفض العيش، والتاء فيه بدل من الفاء الذاهبة فى أوله. والأرطاة: واحدة الأرطى، وهو شجر من شجر الرمل. والحقف - بكسر الحاء وسكون القاف - التل المعوج. والضجع: أصله اضطجع، فأبدل الضاد لاما، ويروى «فاطجع» بإبدال الضاد طاء، ويروى «فاضجع» بإبدال الطاء ضادا، ويروى «فاضطجع» على الأصل والاستشهاد بالبيت فى قوله «ألا دعه» حيث أبدل التاء هاء فى الوصل إجراء له مجرى الوقف. انظر: (شرح شواهد الشافية للبغدادى على هامش شرح الشافية ٢/٣٢٥).

وكَحَلَ العينين بالعَوَاوِرِ(١)

وكيف صحح الواو الثانية وإن كان قبلها الواو الأولى بينهما أَلف وقد جاوزت الثانية الطرف، ولم يقلبها كما قلبها فى أَوائل، وأَصلها أَواول لِما ذكرنا، إذ كان الأَصل هاهنا العواوير وإنما حذفت الياء تخفيفا وهى مرادة، فجعل تصحيح الواو فى العواور دليلا على إرادة الياءِ فى عواوير، وكما جعل حذف النون من قوله:

ارهن بنِيكَ عنهمُ أرهن بنى(٢)

أَراد بنى، فحذف الياءَ الثانية لتخفيف القافية، وترك أَن يرد النون من «بنين» لأنه لم يَبْن الأمر على حذف الياء الثانية البتَّة، وإنما حذفها للوقف على الحرف المشدد فى الروى المقيد. وكما أَنشدنا أَبو علىّ للفرزدق من قوله:

تنظرتُ نصرا والسِّماكين أَيْهُما عَلى مِن الغيثِ استهَلَّت مواطرُهْ(٣)

(١) قال أبو عثمان المازنى، عنه: وأما قول الشاعر: «وكحل العينين بالعواور» فإنما ترك الهمز؛ لأنه أراد «العواوير»، ولكنه احتاج فحذف الياءَ، وترك الواو على حالها.

قال أبو الفتح ابن جنى فى المنصف ٤٩/٢، ٥٠: اعلم أنه قد كان القياس أن يهمز العَوَاوِر فى كل قول؛ لأن الألف قد اكتنفها واوان، ولكنه لما أراد «العواوير»، واضطر إلى قصر الممدود، ترك الواو بحالها لتكونَ صحتُها دلالة على إرادةِ ذلك المعنى وأمارة للمد، وصارت نية الياء تمنعُ القلب؛ لأنها فى تقدير الملفوظ به، كما كانت نية الهمزة كأنها فى تقدير الملفوظ به فى «رُؤْيا، ونُوْى» تمنع القلبَ.

وكما تقول فى تخفيف جَيْئَلٍ، وموْءَلَةٍ: جيلٌ، ومُوَلَةٌ فلا تُقلَبُ الياءُ، والواو وإن تحركتا، وانفتح ما قبلهما؛ لأن الهمزة فى تقدير الملفوظ به فكما تصحَّان فى«حيئل، وموءلة»، كذلك تصحَّان فى «جيل وَمَوَلَةٍ».

ولو اضطُر شاعر إلى مد مثل أوائل لقال: أوائيل فترك الهمزة بحالها، وإن كانت الياء، المزيدةُ قد حجزت بين العين، واللام؛ لأنه إنما أراد «أوائل» ومد مضطرًا فترك الهمزة بحالها؛ لأن الأصل القصرُ، كما ترك الواو صحيحة فى عواور؛ لأنه أراد «عواوير» هذا هنا كذاك ثمة.

و«العواوير» جَمْعُ «عُوَّارٍ»: وهو الرمَدُ. المنصف ٤٢/١، ٥٠. وانظر الشاهد كذلك فى: (الكتاب ٣٧٠/٤، الخصائص ١٩٧/١، ١٦٥/٣، ٣٢٨، الإنصاف ٧٨٥، شرح المفصل ٧٠/٥، ٩١/١٠، ٩٢، شرح التصريح ٣٧٤، شرح الأشمونى ٢٩/٤، اللسان «عور»، شرح شواهد الشافية ٣٧٤/٤).

(٢) انظر: لسان العرب مادة «رهن».

(٣) سبق الاستشهاد به.

أراد: أَيُّهما، فاضطر إلى تخفيف الحروف فحذف الياءَ الثانية، وكان ينبغى أن يرد الياء الأُولى إلى الواو، لأَنَ أصلها الواو، وأن يكون قياسا واشتقاقا جميعا أَولى. ولم يقل: أَو هما فيرد الواو الأَصلية؛ لأنه لم يبن الكلمة على حذف الياء البتة، فيرد الواو، فيقول: أَوهما؛ لأَنه إنما اضطر إلى التخفيف هناك وهو ينوى الحرف المَحذوف كما ينوِى الملفوظ به، ويأتى نظيره فى سورة القصص. وقد ذكرنا أَخوات لهذا أَكثر من عشر فى كتاب الخصائص(١) فلذلك قال: فَالطَحجع، فترك الطاءَ بحالها كما قدمنا ذكره.

* * *

وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا ﴿١٢٧﴾

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن ابن عباس فى مصحف ابن مسعود: «وإِذْ يَرفَعُ إبرَاهيمُ القواعِدَ مِنَ الْبيتِ وإِسماعِيلُ ويقولان ربَّنا»(٢)، وفيه: «والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِياءَ قالوا ما نعبدهم»(٣)، وفيه : «والملائكةُ باسِطو أَيديهم يقولونَ أَخرجوا»(٤).

قال أَبو الفتح: فى هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أَصحابنا من أَن القول مراد مقدر فى نحو هذه الأَشياء، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أَن الكلام محمول على معناه، دون أَن يكونَ القول مقدرا معه. وذلك كقول الشاعر(٥):

رَجْلانِ من ضَبةَ أَخبرانا ... إِنَّا رأَينا رجلا عريانا

فهو عندنا نحن - على قالا: إنا رأينا، وعلى قولهم لا إضمار قول هناك، لكنه لما كان أَخبرانا فى معنى قالا لنا، صار كأَنه: قالا لنا، فأَما على إِضمار قالا فى الحقيقة فلا. وقد رأيتَ إِلى قراءَة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما نقدره من القول، فصار قاطعا على أَنه مِراد فيما يجرى مجراه.

---

(١) باب فى بقاء الحكم مع زوال العلة. انظر: (الخصائص ٣/١٥٩: ١٦٦).

(٢) وقراءة أبى. انظر: (الجامع لأحكام القرآن ٢/١٢٦، معانى القرآن للفراء ١/٧٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٢١٣، البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٨٨، جامع البيان للطبرى ٣/٦٤، الأمالى الشجرية لابن الشجرى ١/٥٦، وقد وقع فيها: «يقولان ربنا تقبل»).

(٣) سورة الزمر الآية (٣).

(٤) سورة الأنعام الآية (٩٣).

(٥) قال فى الخصائص (٢/٣٤٠)، وأنشد البغداديون، فذكره بنحوه. وانظر: (شرح شواهد المغنى البغدادى ٢/٦٥٩).

وكذلك قوله[١]:

يدعون عنترُ والرماح كأنها[٢]

فيمن ضم الراء من عنتر؛ أى: يقولون: يا عنتر. وكذلك من فتح الراءِ، وهو يريد يا عنترة.

وكذلك ﴿**والملائكةُ يدخُلُون عَلَيهِم من كُلِّ باب سَلامٌ عَلَيكُم**﴾[٣] أى يقولون. وقد كثر حذف القول من الكلام جدا.

ومن ذلك قال ابن مجاهد: قال عباس: سألت أَبا عمرو عن ﴿**يُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ**﴾[٤] فقال: أَهل الحجاز يقولون: «يعلِّمُهم ويَلْعنُهُمُ»[٥] مثقلة، ولغة تميم يُعَلِمْهم[٦] ويلْعنْهم[٧].

قال أَبو الفتح: أَما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه؛ لأَنه استيفاءُ واجب الإِعراب، لكن من حذف فعنه السؤال، وعلته توالى الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإِسكان حركة الإِعراب. وعليه قراءَة أَبى عمرو. «فَتوبُوا إلى بَارِئْكم»[٨]، فيمن رواه بسكون الهمزة. وحكى أَبو زيد «بَلَى وَرُسُلْنا لَدَيهِم يَكْتبون»[٩]، بسكون

---

(١) هو من معلقة عنترة الشهيرة التى مطلعها:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعجزه: أَشطانُ بئر فى لبان الأدهم. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣٥٩).

(٢) معناه: كأن الرماحَ حين أشرعت إليه فى طولها حبال. و«اللبان»: مجرى اللَّبَبَ. والرماح رفع بما عاد من الهاء، والهاء والألف اسم كأن، وخبرها أشطان، والواو فى الرماح أو الحال. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال ٣٥٩).

(٣) سورة الرعد الآية (٢٣).

(٤) سورة البقرة الآية (١٢٩).

(٥) سورة البقرة الآية (١٥٩).

(٦) وهى قراءة السوسى، وابن محيصن. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٣٦).

(٧) وقراءة ابن محيصن. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٥٠).

(٨) سورة البقرة الآية (٥٤) وهى قراءة حمزة واليزيدى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢٢/١، وإعراب القرآن للنحاس ٧٦/١، البحر المحيط ٢٠٦/١، السبعة ١٥٤، غيث النفع ١١٤، النشر ٢١٢/٢، التبيان ٢٤٣/١، الجامع لأحكام القرآن ٤٠٢/١، الحجة المنسوب لابن خالويه ٧٧، الخصائص ٣٤١/١).

(٩) سورة الزخرف الآية (٨٠).

اللام. وأنشدنا أبو على لجرير[1]:

سيـرُوا بـنى العمِّ فالأهوازُ منزلُكم ونهر تِيرى فلا تعرفْكم العـربُ[2]

يريد تعرفُكم. ومن أبيات الكتاب[3]:

فالـيوم أشربْ غَيرَ مُستَحقِـب[4] إِثـمًا مـن اللهِ ولا واغِـــلِ[5]

أَى: أَشربُ.

وأما اعتراض أبى العباس هنا على الكتـاب فإنما هـو على العـرب لا علـى صـاحب الكتاب؛ لأنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن فى الوزن أيضا غيره.

وقول أبِى العباس: إنما الروايـة فـاليوم فاشـرب فكأنـه قـال لسيبويه: كذبـتَ علـى العرب، ولم تسمع ما حكيته عنهم. وإذا بلغ الأمر هذا الحدّ مـن السرَف فقـد سقطت كلفة القول معه.

وكذلك إِنكاره عليه أيضا قول الشاعر[6]:

---

(١) من قصيدة يهجو بنى العم، لما أعانوا عليه الفرزدق ومطلعها:

مـا للـفـرزدق مـن عـز يـلـوذ بـــه إلا بنى الـعـم فـى أيـديـهـم الخشب

انظر: (ديوانه ٤٥، الخصائص ١/٧٦، ٢/٣١٩،٣٤٢).

(٢) الأهواز: تسع كور بين البصرة وفارس. تيرى: نهر بالأهواز. انظر: (آثـار البـلاد ١٥٢، لطـائف المعارف ١٧٥، فتوح البلدان ٤٦٤، الـروض المعطـار ٦١، ٦٢، معجـم البلـدان «أهـواز» «نهـر تيرى»).

(٣) من قصيدة لامرئ القيس خبرها أنه لما أنجد قرمل بـن الحميـم الحمـيرى امـرأ القيـس وبعـث معـه الجيوش للأخذ بثأر أبيه حجر، سار بهم امرؤ القيـس حتـى أنـاخ علـى بنـى أسـد، وظفـر بهـم، وقتلهم بأبيه، وأنكى فيهم، وألبسهم الدروع البيض محماة، وكحلهم بالنار، قال فـى ذلـك هـذه القصيدة. قال ياقوت: إن مطلعها هو: يا دار سلمى دارسا نؤيها. وقال غيره: بل قال:

يـــا دار مـــاوِيـــة بـــالــحـــائـــل فـالسهب فـالخبتين مـن عـــاقـــل

انظر: (شرح ديوانه ١٩٣ ط دار إحياء العلوم).

(٤) غير مستحقب: غير حامل.

(٥) انظر: (البيت فى الكتاب ٤/٢٠٤، الخصائص ١/٧٥، ٢/٣١٩، ٣٤٢، ٣/٩٨، المقرب ٢٣١، شرح المفصل ١/٤٨، همع الهوامع ١/٥٤، شرح التصريح ١/٨٨).

(٦) انظر: (الكتاب ٤/٢٠٣ الخصائص ١/٧٤، ٣/٩٥، الأمالى لابن الشجرى ٢/٣٨، شرح المفصل ١/٤٨، همع الهوامع ١/٥٤، العمدة ٢/٢١١).

صدره: «رحت وفى رجليك ما فيهما». انظر: (الكتاب ٤/٢٠٣).

وقـد بـدا هَنْـكِ مـن المئـزر[١]

فقال: إنما الرواية:

وقـد بـدا ذاك مـن المئـزر

وما أطيب العرُس لولا النفقة!.

وكذلك الاعتراض عليه فى إنشاده قوله[٢]:

لا بـارك الله فـى الغـوانـيِ هـل ... يُصبحْن إلاّ لـهن مُـطَّلَـبُ[٣]

وقول الأصمعى: «فى الغوانى ما» يريد: فى الغوانى أما، ويخفف الهمزة. وقول غيره: «فى الغوان أما». ولو كان إلى الناس تخير ما يحتمله الموضع والتسبب إليه لكان الرجل أقوم من الجماعة به وأوصل إلى المراد منه، وأنفى لشَغب الزيغ والاضطراب عنه.

فأما قول لبيد[٤]:

تـراكُ أَمكـنة إذا لـم أَرضـها ... أَو يرتبطْ بعضَ النفوسِ حِمامُها[٥]

---

(١) والهن: كناية عن كل ما يقبح ذكره أو ما لا يعرف اسمه، وهو هنا كناية عن الفرج، والبيت من أبيات قالها لامرأته وقد ضحكت منه حين سكر فسقط وبدت عوزته، وأقبلت عليه تلومه فرفع رأسه إليها وقال:

تقـول يـا شـيخ أمـا تسـتحى ... مـن شـربك الخمـر علـى المكـبر

فقلـت لـو بـاكرت مشـمولة ... صهبـاء كلـون الفـرس الأشـقر

رحـتِ وفـى رجليك عُـقـالـة ... وقـد بـدا هـنـك مـن المـئـزر

(٢) من قصيدة لعبيد الله بن قيس الرقيات من المنسرح، مطلعها:

عـادَ لَـهُ مـن كثيـرة الطـربُ ... فعينـه بالـدمـوع تنسكـب

انظر: (ديوانه صـ ١).

(٣) روى الخليل: فى الغوانى هل يُصبحن، جعل الغوانى مثل «الضوارب»، أخرج ذوات الياء مخرج التمام فأعربه. انظر: (ديوانه ص ٣، الكامل ٧٣٥، الكتاب ٥٤/٢، كتاب الصناعتين ١٥٠، المفصل للزمخشرى ١٨٤، مغنى اللبيب ١٨٢/١، شرح شواهد المغنى ٢١١، الصحاح ولسان العرب وتاج العروس مادة «غنى» وفيها جميعا: فى الغوانى هل. والمنصف ٦٧/٢ رواه كما فى الديوان والمحتسب، الخصائص ٢٦٣/١، ٣٤٩/٢).

(٤) من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

عـفـت الديار محلـها فمقـامُها ... بمـنى تأبَّدَ غـولها فـرجـامُها

(٥) فى المعلقة بشرح الأنبارى:

تـراك أمكـنـة إذا لم أرضـهـا ... أو يـتعلق بعض النفوس حمامها=

فحملوه على هذا، أى: أَو يرتبطَ بعضَ النفوس حمامُها، معناه: إلا أَن يرتبطَ، فأَسكن المفتوح لإقامة الوزن واتصال الحركات.

وقد يمكن عندى أَن يكون يرتبط عطفا على أرضَها، أى: أَنا تراك أَمكنة إذا لم أرضها و لم يرتبط نفسى حمامها، أى: ما دمت حيا فأَنا متقلقل فى الأَرض من هذه إلى هذه، أَلا ترى إلى قوله: (١)

قَوَّالِ مُحكَمَة جوَّابِ آفاق (٢)

وهو كثير فى الشعر، فكذلك قول بنى تميم: يُعلْمُهم ويلْعنْهم على ما ذكرنا.

* * *

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءة الزهرى: «إلا لِيُعلَم مَن يتَّبعُ الرسولَ» (٣) بياءٍ مضمومة وفتح اللام.

قال أبو الفتح: ينبغى أَن يكون يُعلم هنا بمعنى يُعرف، كقوله: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُم فِي السَّبْتِ**﴾(٤) أَى: عرفتم، وتكون «مَن» بمعنى الذى، أَى: لِيُعرف الذى يتبع الرسول. ولا تكون «مَن» هاهنا استفهاما، لئلا يكون الكلام جملة، والجُمَل لا تقوم مقام الفاعل؛ ولذلك لم يجيزوا أَن يكون قوله: «هذا باب عِلم ما الكلم» أَى:

=قال الأنبارى: ويروى «أو يرتبط» ويروى «أو يعتقى»، ومعنى يعتقى يحتبس، وكذلك يرتبط. يقال: اعتقيته عن حاجته، أى حبسته. وقوله: «بعض النفوس حمامُها» أراد نفسه؛ لأن نفسه بعضُ أنفس الناس. وقال أبو عبيدة: معناه كل النفوس؛ لأن الموت لا ينزل ببعض النفوس ولكنه ينزل بالنفوس كلها. وتراك يرتفع بوصال وجذام. انظر: شرح المعلقات السبع الطوال ٥٧٣.

(١) البيت من قصيدة لتأبط شرا من البسيط، مطلعها:

يا عيدُ مالَكَ من شوقٍ وإبراق ... ومَرِّ طيف على الأَموالِ طراق

انظر: (ديوان الصعاليك ١٤٢ وما بعدها، المفضليات ٢٩).

(٢) صدره: «حَمَّال ألوية شَهَادِ أندية».

حمال ألوية: كناية عن مكانته المرموقة، وأنه فى الطليعة والمقدمة. شهاد أندية: أى يشارك فى المجالس العالية. قَوَّال محكمة: صاحب القول المحكم والرأى الفاصل . جواب آفاق: صاحب أسفار ومغامرات. انظر: هامش الديوان ١٤٦.

(٣) انظر: (البحر المحيط ٤٢٤/١، الجامع لأحكام القرآن ١٥٧/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٢٠/١).

(٤) سورة البقرة الآية (٦٥).

أَى شىء الكلم، وعِلم فى معنى: أَن يُعلَم. وقد ذكرنا ذاك هناك.

* * *

﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ ﴿١٣٣﴾

ومن ذلك قراءَة ابن عباس والحسن ويحيى بن يعمرَ وعاصم الجحدرى وأَبى رجاء بخلاف: «وإِلَه أَبِيك»[١] بالتوحيد.

قال أَبو الفتح: قول ابن مجاهد بالتوحيد لا وجه له، وذلك أَنِ أَكثر القراءَة «وإِلَه آبائكِ» جمعا كما ترى، فإِذا كان أَبيك واحدًا كان مخالفا لقراءَة الجماعة؛ فتحتاج حينئذ إِلى أَن يكون أَبيك هنا واحدا فى معنى الجماعة، فإِذا أَمكن أَن يكون جمعا كان كقراءة الجماعة و لم يحتج فيه إِلى التأَول لوقوع الواحد موقع الجماعة. وطريق ذلك أَن يكون «أَبيك» جمع أَب على الصحة، على قولك للجماعة: هؤلاءِ أَبون أَحرارٌ، أَى: آباء أَحرار، وقد اتسع ذلك عنهم. ومن أَبيات الكتاب[٢]:

فلما تبينّ أَصواتَنا ... بكين وفدَّيْنَنَا بالأَبينا

وقال أبو طالب[٣]:

أَلم ترَ أَنى بعدَ همٍّ هَممته ... لفرقة حُرٍّ من أَبين كرامِ

وقال الآخر[٤]:

فَهْو يُفَدى بالأَبِينَ والخالْ

وقد أَشبعنا هذا الموضع فى شرح ديوان المتنبى.

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٨٢، جامع البيان للطبرى ٣/٩٩، الكشاف للزمخشرى ١/٩٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٣٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٢١٦، الجامع لأحكام القرآن ٢/١٣٨، إتحاف فضلاء البشر ١٤٨ البحر المحيط لأبى حيان ١/٤٠٢، لسان العرب مادة «أبى» ١٤/٦).

(٢) لزياد بن واصل السلمى، وهو شاعر جاهلى. انظر: (الكتاب ٣/٤٠٥، المقتضب ٢/١٧٤، الخصائص ١/٣٤٧، الأمالى لابن الشجرى ٢/٣٧، شرح المفصل ٣/٣٧، الخزانة ٢/٢٧٥، اللسان «أبى»).

(٣) انظر: (خزانة الأدب ٢/٢٧٥).

(٤) انظر: لسان العرب مادة «أبى»، وصدره: «أقبل يهوى من دوين الطربال».

ويؤكد أن المراد به الجماعة ما جاءَ بعده من قوله: ﴿إبراهِيمَ وإِسماعِيلَ وإِسحاقَ﴾[١]، فأبدل الجماعة من أبيك، فهو جماعة لا محالة؛ لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل. فيصير قوله تعالى: «وإله أبيك» كقوله: وإله ذويك. هذا هو الوجه، وعليه فليكن العمل.

ومنَ ذلك ما حكاه ابن مجاهد عن ابن عباس: أنه قال: لا تَقْرأْ «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُم به»[٢] فإن الله ليس له مثل، ولكن اقرأ: «بما آمَنْتُم به»[٣].

قال: وروى عنه أيضا أنه كان يقرأ: «بِالَّذِى آمنتم به».

قال: وقال عباس فى مصحف أَنس وأَبى صالح وابن مسعود: «فإِنْ آمَنوا بِما آمنْتُم به».

قال أَبو الفتح: هذا الذى ذهب إليه ابن عباس حسن؛ لكن ليس لأَن القراءة المشهورة مردودة. وصحة ذلك أَنه إنما يراد فإن آمنوا بما آمنتم به كما أَراده ابن عباس وغيره. غير أَن العرب قد تأْتى بمثل فى نحو هذا توكيدا وتسديدا. يقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح: مثلى لا يفعل هذا، أَى: أَنا لا أَفعله، ومثلك إذا سئل أَعطى، أَى: أَنت كذاك. قال[٤]:

مثلىَ لا يُحْسِنُ قولاً فَعْ فَعِ[٥]

أَى أَنا لا أحسنه. وفى حديث سيف بن ذى يزن «أَيها الملك مثلك من سَرَّ وبَر» أَى: أَنت كذاك. وهو كثير فى الشعر القديم والمولد جميعا.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٣٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٣٧).

(٣) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٩٧، مغنى اللبيب ١/١٥٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/٣٩، البحر المحيط ١/٤٠٩).

(٤) انظر: (الخصائص ٣/٣٢، الجمهرة ١/١١١، تاج العروس «فع»).

(٥) جاء فى هامش الخصائص ٣/٣٢: قبله: «لا تأمرينى بينات أسفع». وبعده: «والشاة لا تمشى على الهملع».

وفعفع: زجر الغنم ودعاؤها. ورسم فى التاج: فع فع، وبنات أسفع: الغنم، أضيفت إلى أسفع، وهو فحل لها. والشاة هنا فى معنى الجمع. ويمشى: تنمو وتكثر. الهملع: الذئب، كأنه يخاطب زوجه وقد أمرته باقتناء الغنم ورعيتها، فقال: لا أحسن ذلك.

وسبب توكيد هذه المواضع «بمثل»، أنه يراد أن يُجعَل من جماعة هذه أوصافهم تثبيتا للأمر وتمكينا له. ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه، ولم تَرسُ فيه قدمه، ولم يؤمن عليه انتقاله إلى ضده.

ومثل ذلك أيضا قولهم فى مدح الإنسان: أنت من القوم الكرام، ومنْزِعُك إلى السادة، أى لك فى هذا الفعل سابقة وأول، فأنت مقيم عليه ومحقوق به، ولست دخيلا فيه عن غير أول ولا أصل، فيخشى عليك نُبوك عنه.

ولّما أُريد مثل هذا فى الثناء على الله تعالى، ولم يجز أن يكون تابعا لسلف، ولا موجودًا له فيه نظير - عدلوا به إلى وجه ثالث غير الاثنين المذكورين، وهو أن جُعل قديما فيه، راسخا عليه، فكان أثبت له من أن يكون عز وجهه مبتدئه أو مرتجله، وذلك قوله تعالى: ﴿**وكَانَ اللهُ سميعًا بَصِيرا**﴾[1]، و﴿**كَانَ اللهُ غفُورًا رَحِيما**﴾[2] ونحو ذلك من الآى، فاعرف ذلك أولا ومبتكرا. فكذلك قوله عز وجل: ﴿**فإن آمنوا بِمِثْلِ ما آمنتم به**﴾[3]، أى: كانوا ممن يؤمن بالحق هذا الجنس على سعته وانتشار جهاته فقد اهتدَوا.

ورحم الله ابن عباس! فإن هذا القول وإن كان اعتراضا عليه فعنه أيضا أُخِذَ وإليه رُدَّ. وغير ملوم من نصر الجماعة، وبالله الحول والاستطاعة.

* * *

لَرَءُوفٌ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءَة الزهرى: «لَروُوف»، بلا همز، ويُثقّل.

قال أبو الفتح: ينبغى أن تكون الهمزة فيه مخففة، فلما أخفاها التخفيف ظُنت واوا للطف هذا الموضع أن تضبطه القراء؛ وذلك أنّا لا نعرف فى غير هذه اللفظة إلا الهمز. يقال: رؤفَ به، ورأَف به، ورئِف، ولم نسمع فيه راف ولا رُفْتُ. والهمزة إذا خففت فى نحو هذا لم تبدل، وإنما تُخْفَى، كقولك فى سئول، فَعول من سأَلت: سَوُول، فاعرف ذلك.

* * *

(١) سورة النساء الآية (١٣٤).

(٢) سورة النساء الآية (٩٦).

(٣) سورة البقرة الآية (١٣٧).

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (١٥٠)

ومن ذلك قراءة زيد بن على - رضى الله عنه - «ألاَ الَّذين ظلموا»(١)، بفتح الهمزة خفيفة اللام، تنبيه.

قال أبو الفتح: وجهه أن الوقوف فى هذه القراءة على قوله تعالى: **﴿لِئلاَّ يَكُونَ لِلناس عليكم حُجةٌ﴾** ثم استأنف مُنبِّهًا فقال: **﴿إلاَ الَّذين ظَلَمَوا مِنْهُم فَلاَ تَخْشَوهُم واخشونى﴾**، كقولك مبتدئا: إلا زيد فأَعرض عنه وأَقبل علىَّ، وكأنه عليه السلام إنما رأى لقول الله تعالى: **﴿لِئلاَّ يكونَ لِلناسِ عليكم حُجَّة﴾**(٢)؛ فلو قال: **﴿إلاَّ الَّذِين ظَلموا﴾** لم يقو معناه عنده؛ لأنه لا حجة للظالمين على المطيعين، والذى يقوّى قراءة الجماعة قوله تعالى: **﴿لأُتِمَّ نِعمتى عليكُم﴾** فهو معطوف على قوله تعالى: **﴿لِئلاَّ يكونَ لِلناسِ عَليكُم حُجَّةٌ﴾**، **﴿ولأُتِمّ نِعمتى عَلَيكم﴾**. وإذا كان عطفا عليه فأَن يكون فى عَقْد واحد معه أَولى من أن يتراخى عنه، ويكون قوله على هذا: **﴿إلاَّ الَّذِين ظَلَمُوا مِنْهُم﴾** استثناء منقطعا أى: لكن الذين ظلموا منهم يعتقدون أن لهم حجة عليكم، فأما فى الحقيقة وعند الله تعالى فلا.

فإن قلت: فقد فَصَل بقوله: **﴿فَلا تَخْشَوهُم واخْشَونى﴾**، ثم عطف بقوله: **﴿ولأُتِمَّ نِعمتى عَلَيكُم﴾**(٣) وقد كرهتَ الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه.

قيل: لما كان الأمر للمسلمين بترك خشية الظالمين إنما هو مسبّب عن ظلمهم اتصل به اتصال المسبَّب بسببه، فجرى مجرى الجزء من جملته، وليس كذلك استئناف التنبيه بأَلا ألا تراها إنما تقع أبدا فى أول الكلام ومرتجلة؟ فاعرف ذلك فرقا.

* * *

﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (١٥٨)

ومن ذلك قراءة علىّ وابن عباس كرم الله وجوههما بخلاف وسعيد بن جُبير، وأنس ابن مالك ومحمد بن سِيرين وأُبىّ بن كعب وابن مسعود وميمون بن مهران: «ألاَّ يَطَّوف بهما»(٤).

---

(١) وقراءة ابن عامر، وابن عباس، وابن زيد. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/١٠٣، الجامع لأحكام للقرطبى ٢/١٧٠، البحر المحيط لأبى حيان ١/٤٤١).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥٠).

(٣) سورة البقرة الآية (١٥٠).

(٤) وقراءة شهر، وعطاء. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٩٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى=

قال أبو الفتح: أما قراءة الجماعة: ﴿فَلاَ جُناح عَلَيه أنْ يَطَّوفَ بهِمَا﴾[1] تقرُّبا بذاك، أى فلا جناح عليه أن يطوف بهما تقربا بذاك إلى الله تعالى؛ لأنهما من شعائر الحج والعمرة، ولو لم يكونا من شعائرهما لكان التطوف بهما بدعة؛ لأنه إيجاب أمر لم يتقدم إيجابه، وهذا بدعة، كما لو تطوف بالبصرة أو بالكوفة أو بغيرهما من الأماكن على وجه القربة والطاعة كما تَطَوّف بالحرم، لكان بذلك مبتدعا.

وأما قراءة من قرأ: «فَلاَ جُناح عليه ألاَّ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» فظاهره أنه مفسوح له فى ترك ذلك، كما قد يُفْسح للإنسان فى بعض المنصوص عليه المأمور به؛ تخفيفا، كالقصر بالسفر، وترك الصوم، ونحو ذلك من الرُّخَص المسموح فيها.

وقد يمكن أيضا أن تكون «لا» على هذه القراءة زائدة. فيصير تأويله وتأويل قراءة الكافّة واحدا. حتى كأنه قال: فلا جناح عليه أن يطّوف بهما، وزاد «لا»، كما زيدت فى قوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعلمَ أَهلُ الكِتَابِ أَنْ لا يَقْدِرُونَ عَلَى شىءٍ مِن فَضْلِ اللهِ﴾[2] أى: ليعلم.

وكقوله[3]:

مِن غير لا عَصْف ولا اصطرافِ

أى: من غير عصف، وهو كثير.

* * *

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «أُولئكَ عليهم لَعنَةُ اللهِ والمَلائكةُ والناسُ أَجمَعُون»[4].

=٢/١٨٢ الكشاف للزمخشرى ١/١٠٤، البحر المحيط لأبى حيان ١/٤٥٦، تفسير الفخر الرازى ٢/٤٥).

(١) سورة البقرة الآية (١٥٨).

(٢) سورة الحديد الآية (٢٩).

(٣) أى العجاج. انظر: (ديوانه ٤٠) وفيه: «بغير لا عصف ولا اصطراف».

(٤) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٩٦، الكشاف للزمخشرى ١/١٠٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/١٩٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٢٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٤٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/٤٦٠، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٥١، التبيان للطوسى ٢/٥٠، جامع البيان ٣/٢٦٣، غيث النفع للصفاقسى ١٤٦، الكشاف للزمخشرى ١/١٠٥).

قال أبو الفتح: هذا عندنا مرفوع بفعل مضمر يدل عليه قوله سبحانه: ﴿لَعنَةُ اللهِ﴾ أى: وتلعنهم الملائكة والناس أجمعون؛ لأنه إذا قال: عليهم لعنة الله، فكأنه قال: يلعنهم الله، كما أنه لما قال(١):

تَـذَكَّـرتْ أرضًا بـها أهلُـها أخوالَهَـا فيهـا وأعمامَهـا

فقد عُلم أنها إذا تذكرت الأرضَ التى فيها أخوالُها وأعمامها فقد دخلوا فى جميع ما وقع الذكر عليه، فقال بعُد: تذكَّرت أخوالَها وأعمامها.

وكأنه لما قال (٢):

أَسقَـى الإلـه عُدُوات الـوادى وجوفَـه كلُّ مُلِـثٌ غـادِى(٣)
كلُّ أجشَّ حالِك السواد(٤)

فقد سقى الأجش فرفعه بفعل مضمر، أى: سقاها كل أجش. وهو كثير جدا.

* * *

خُطُوَاتِ (١٦٨)

ومن ذلك قراءَة على عليه السلام والأعرج ورُوِيتْ عن عمرو بن عُبيد: «خُطُـؤات»(٥) بضمتين وهمزة، وهى مرفوضة، وغلط.

---

(١) لعمرو بن قميئة. انظر: (ديوانه ٦٢، الكتاب ٢٨٥/١، شرح المفصل ١٢٦/١، الخزانة ٢٤٨/٢، الخصائص ٤٢٩/٢)، وقبله:

قـد سـألتنى بنـت عمـرو عـن الـ أرض التـى تنكـر أعلامهـا
لمـا رأت سـاتيـد مـا اسـتعبـدت لله در اليـوم مـن لامهـا

(٢) انظر: (الكتاب ٢٨٩/١، العينى ٤٧٥/٢، ونسبه لرؤبة بن العجاج، وليس فى ديوانه، وأنشده فى الخصائص ٤٢٥/٢ بدون نسبة.

(٣) العدوات: شواطئ الوادى، جمع عدوة بتثليت العين. وجوفه، يروى أيضا «جوزه» أى وسطه والملث: السحاب يدوم أياما فلا يقلع؛ من الإلثاث. والغادى: الذى يكون فى الغداة.

(٤) الأجش الشديد صوت الرعد الجهير. والحالك: الشديد السواد.

(٥) وقراء: قتادة، والأعمش، وعمرو بن ميمون، وسلام. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٤٤/١، البحر المحيط لأبى حيان ٤٧٩/١، الكشاف للزمخشرى ١٠٧/١، مجمع البيان للطبرسى ٢٥١/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٢، لسان العرب مادة «خطأ»).

وقرأ أَبو السَّمّال «خَطَوات» (١) بفتح الخاءِ والطاءِ.

قال أَبو الفتح: أَما الهمز فى هذا الموضع فمردود؛ لأَنه من خطوات لا من أَخطأْت. والذى يُصرفُ هذا إليه أَنِ يكون كما تهمزه العرب ولا حظٌ له فى الهمز، نحو حَلأت السويق، وَرَثَأْتُ زُوجى بأَبيات، والذئب يستنشئ ريح الغنم. والحمل على هذا فيه ضعيف، إلا أَن الذى فيه من طريق العذر أَنه لما كان من فعل الشيطان غلب عليه معنى الخطأ، فلما تصوّر ذلك المعنى أَطلعت الهمزة رأْسها، وقيل: «خُطُؤات».

وأَما خَطَوات فجمع خَطوة، وهى الفَعلة، والخُطوة ما بين القدمين. والخُطُوات كقولك: طرائق الشيطان، والخَطَوات كقولك: أَفعال الشيطان.

* * *

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴿١٧٧﴾

ومن ذلك قراءَة أُبى وابن مسعود: «لَيسَ البِرَّ بِأَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم»(٢). قال ابن مجاهد فإذا كان هكذا لم يجز أَن يُنْصب البر.

قال أَبو الفتح: الذى قاله ابن مجاهد هو الظاهر فى هذا، لكن قد يجوز أَن يُنْصب مع الباء، وهو أَن تجعل الباءَ زائدة، كقولهم: كفى با لله، أَى كفى ا لله، وكقوله تعالى: ﴿كَفى بِنَا حاسِبين﴾(٣) أَى كَفينَا، فكذلك ليس البر بأَن تولوا بنصب البر كما فى قراءَة السبعة.

فإن قلت: فإن «كفى» با لله شاذ قليل، فكيف قِست عليه «ليس»، ولم نعلم الباءَ زيدت فى اسم ليس، إنما زيدت فى خبرها، نحو قوله: ﴿ليس بأَمانيِّكم﴾(٤)؟ قيل: لو

---

(١) وقراءة السجاوندى، وعبيد بن عمير. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/١٠٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/٢٠٨، البحر المحيط لأبى حيان ١/٤٧٩، إعراب القرآن للعكبرى ١/٤٤، مجمع البيان للطبرسى ١/٢٥١).

(٢) انظر: (مجمع البيان للطبرسى ١/٢٦١، تفسير الفخر الرازى ٢/٩٦، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٣٠، البحر المحيط ٢/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/٢٣٨، الكشاف للزمخشرى ١/١٠٩، الكشف للقيسى ١/٢٨١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٢٣٠، التبيان للطوسى ٢/٩٩، شرح التصريح ١/٢٠٠).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٤٧).

(٤) سورة النساء الآية (١٢٣).

لم يكن شاذا لما جوزنا قياسا عليه ما جوزناه، ولكنا نوجب فيه البتة واجبا، فاعرفه.

* * *

يُطِيقُونَهُ (١٨٤)

ومن ذلك قراءَة ابن عباس بخلاف، وعائشة رحمهما الله، وسعيد بن المسيَّب، وطاوس بخلاف، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد بخلاف، وعكرمة، وأيوب السختياني، وعطاء: «يُطَوَّقونَه» (١).

وقرأَ «يَطَّوَّقُونَه» (٢) على معنى: يتطوقونه مجاهد.

ورُويت عن ابن عباس، وعن عكرمة.

وقرأَ «يَطَّيَّقُونَه» (٣) ابن عباس بخلاف، وكذلك مجاهد وعكرمة.

وقرأَ «يُطَيِّقُونَه» (٤) ابن عباس بخلاف.

قال أبو الفتح: أَما عين الطاقة فواو؛ لقولهم: لا طاقة لى به ولا طوق لى به. وعليه مَن قرأَ يُطَوَّقونَه، فهو يُفَعَّلُونَه منه. فهو كقوله: يَجَشَّمونَه ويكلفونه، ويُجعل لهم كالطوق فى أَعناقهم.

وأَما يطَّوَّقُونه فيتَفعَّلونه منه، كقولك: يتكلفونه ويتجشمونه، وأَصله: يتطوقونه فأُبدلت، التاءُ طاءً، وأُدغمت فى الطاءِ بعدها كقولهم: اطَّير يطَّير؛ أَى: يتطير.

وتجيز الصنعة أَن يكون يتفوعلونه ويتفعولونه جميعا، إِلا أَن يتفعَّلونه الوجه؛ لأَنه الأَكثر والأَظهر.

---

(١) انظر: (جامع البيان للطبرى ٤١٨/٣، ٤٣٠، إعراب القرآن للنحاس ٤٣٦/١، إعراب القرآن للعكبرى ٤٦/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٥/٢، التبيان فى تفسير القرآن للطوسى ١١٩/٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/٢، الكشاف للزمخشرى ١١٣/١، مجمع البيان للطبرسى ٢٧٢/٢، تفسير الفخر الرازى ١٢٠/٢، لسان العرب مادة «طوق» ٢٣١٨٠).

(٢) وقراءة عائشة، وطاوس، وعمرو بن دينار. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١١٣/١ إعراب القرآن للنحاس ٢٣٦/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٥/٢).

(٣) وقراءة ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد . انظر: (الجامع لأحكام القرآن ٢٨٧/٢، اللسان مادة «طوق»).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٣٥/٢).

وأما يَتطَيَّقُونَه فظاهره لفظا أن يكون يتفيعلونه كتحيّز أى تفيعل.

أَنشدنا أَبو على للهذلى (١):

فلما جلاها بالإيام تحيزت ثُباتٍ عليها ذلُّها واكتئابها(٢)

فهذا تفيعلت من حاز يحوز، ومثله تفيهق.

وقد يمكن أن يكون أيضا يَتطَيَّقُونه يتفعَّلُون، إلا أن العينين أبدلتا ياءَين، كما قالوا فى تهوّر الجُرفُ: تهيَّر، وعلى أن أبا الحسن قد حكى هار يهَير.

وقد يمكن أيضا أن يكون هار يهير من الواو، فِعل يفعِل، كرأْى الخليل فى طاح يطيح، وتاه يتيه.

وليس يقْوى أَن يكون يتطوّقونه يتفوعلونه ولا يتفعولونه، وإن كان اللفظ هنا كاللفظ بيتَفعَّل، لقلتهما وكثرته.

ويُؤنِّس بكون يتطيقونه يتفعلونه قراءَة من قرأَ: «يَتطَوَّقونَه»، وكذلك يُؤنِّس بكون يُطَيَّقُونَه يُفعَّلونه قراءَةُ من قرأَ «يُطَوَّقُونه»، والظاهر من بعد هذا أن يكون يُفَيعلُونه.

* * *

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ (١٩٩)

ومن ذلك قراءَة سعيد بن جُبير: «ثُم أَفِيضُوا مِن حيثُ أَفَاضَ الناسِى»(٣)، يعنى آدم عليه السلام؛ لقوله تعالى: **﴿فَنَسِيَ ولَمْ نَجِد له عزْما﴾**(٤).

---

(١) من قصيدة لأبى ذؤيب الهذلى مطلعها:

أبا لصرم من أسماء حدثك الذى جرَى بيننا يوم استقلت رِكابُها

انظر: (ديوان الهذليين ١/٧٩ وما بعدها. وانظر البيت فى الخصائص ٣/٣٠٧).

(٢) وقع فى الديوان: «فلما اجتلاها بالأيام تَحيَّزت». وفى رواية: تحيرت بالراء بالمهملة مكان: تحيزت. وتحيرت أى بقيت لا تدرى أين تذهب. ومعنى البيت على رواية «تحيزت» بالزاى المعجمة أنه لما أخرج النحل من بيوتها بالدخان الذى دخن به عليها لئلا تلسعه، تضامت جماعات يبدو عليها الذل. انظر: (هامش الديوان ١/٧٩).

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/٤٢٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٥١، البحر المحيط ٢/١٠٠، ١٠١، تفسير الفخر الرازى ٢/١٧٩).

(٤) سورة طه الآية (١١٥).

قال أبو الفتح: في هذه القراءَة دلالة على فساد قول من قال: إن لام التعريف إنما تدخل الأعلام للمدح والتعظيم، وذلك نحو: العباس، والمظفّر، وما جرى مجراهما. ووجه الدلالة من ذلك: أن قوله «الناسي» إنما يُعنى به آدم عليه السلام، فصارت صفة غالبة كالنابغة والصَّعِق، وكذلك الحارث والعباس والحسن والحسين، وهي وإن كانت أعلاما فإنها تجرى مجرى الصفات، ولذلك قال الخليل: إنهم جعلوه الشيء بعينه، أي الذى حرَث وعَبَس، فمحمولُ هذا أنّ في هذه الأسماء الأعلام التي أصلها الصفات معاني الأفعال، ولذلك لحقتها لام المعرفة كما تعرف الصفات، وإذا كان فيها معاني الأفعال، وكانت الأفعال كما تكون مدحا فكذلك ما تكون ذما، فهي تحقّق في العِلْم معنى الصفة، مدحا كانت الصفة أو ذما.

فالمدح ما ذكرناه من نحو الحارث والمظفّر والحسين والحسن، والذم ما جاءَ من نحو قولهم: فلان بن الصَّعِق؛ لأن ذلك داءٌ ناله، فهي بلوى، وأن يكون ذما أولى من أن يكون مدحا، ألا ترى أن المدح ليس من مَقَاوِم ذكر الأمراض والبلاوى، وإنما يقال فيه: إنه كالأسد، وإنه كالسيف؟ ومنه عمرو بن الحمِق فهذا ذم له لا مدح، وعلى أنهم قد قالوا في الحمِق: إنه الصغير اللحية. والمعنى الآخر أَشبعُ فيه. ألا ترى إلى قوله[1]:

فَأَمَّا كَيِّسٌ فَنَجَا ولكِن عسى يَغْتَر بى حَمِقٌ لئيم[2]

ومنه قولهم: فلان بن الثعلب فدخلته اللام، وهو علم لما فيه من معنى الخِبِّ والخُبث، وذلك عيب فيه لا ثناء عليه. والباب فيه فاش واسع. فقد صح إذًا أن ما جاءَ من الأعلام وفيه لام التعريف فإنما ذلك لما فيه من معنى الفعل والوصفية، ثناءً عليه كان ذلك أو ذمّا له. وإنما دعا الكُتّاب ونحوهم إلى أن قالوا: إن دخول اللام هنا إنما هو لمعنى المدح أنْ كان أكثره كذلك؛ لأنه إنما العرفُ فيه أن يسمى من الأسماء الحاملة لمعانى الأفعال مِمَّا كان فيه معنى المدح، لا أن هذا مقصور على المدح دون الذمّ عندنا لما ذكرنا.

* * *

فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴿٢٠٣﴾

ومن ذلك ما روى ابن مجاهد عن الزِّمْل بن جَروْل قال: سألت سالم بن عبد الله بن عمر عن النَّفْر فقرأ: «فَمَن تَعَجَّلَ في يومَين فَلَثْمَ عليه ومن تأخَّرَ فَلَثْمَ عليه»[3].

---

(١) انظر: (الكتاب ١٥٩/٣، خزانة الأدب ٨٢/٤).

(٢) الكيس: العقل والدهاء، والوصف «كيِّس». والحمق: الأحمق.

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/٣، البحر المحيط لأبى حيان ١١١/٢).

قال أَبو الفتح: أَصله قراءَة الجماعة ﴿فلا إِثْم عليه﴾[١]، إلا أنه حذف الهمزة البتة، فالتقت أَلف «لا» وثاء «الاثم» ساكنين، فحذف الأَلف من اللفظ لالتقاءِ الساكنين؛ فصارت: «فَلَثْمَ عليه».

وقد مرّ بنا مِن حذفِ الهمزةِ اعتباطا وتعجرفا من نحو هذا أَشياء كثيرة، من ذلك قراءَة ابن كثير: «إِنّها لَحْدَى الكُبَر»[٢].

فهذا فى الحذف كقوله: «فَلَثْم علَيه» إلا أن بينهما من حيث أَذكر فرقا، وذلك أن قوله: «لَحْدَى الكُبر» إنما فيه حذف الهمزة لا غير. وقوله: «فَلَثم عليه» أصله فلا إِثم، فلما حذف الهمزة تخفيفا - وإِن لم يكن قياسا - التقت الأَلف مع ثاء إِثم وهى ساكنة، فحذفت الألف من «لا» لالتقاء الساكنين، فصار «فَلَثْم عَلَيه». ومثل ذلك سواءً مذهب الخليل فى «لَن». أَلا ترى أن أَصلها عنده لا أَن، فلما حذفت الهمزة التقت أَلف «لا» مع نون «أَن» فحذفت الأَلف مِن «لا»؛ لالتقاء الساكنين. وقد جاءَ نظيرا لهذا من حذف الهمزة شىء صالح الكيرة، منه قوله[٣]:

إِن لم أُقاتل فالْبِسونى برقعا

أَراد فألبسونى، ثم حذف الهمزة.

وأَنشد أَبو الحسن:

تَضِبُّ لِثَاتُ الخيل فى حَجَراتها   وتسمعُ من تحت العجاج لَهَزْمَلا[٤]

أَراد: لها أَزملا فحذف الهمزة. نعم، ثم حذف أَلف «ها» لفظا لسكونها وسكون الزاى من بعدها، وعليه القراءَة: «أَريتَكَ هَذا الَّذِى كرَّمتَ عَلَىَّ»[٥]. يريد: أَرأَيتك.

وأَنشد أَحمد بن يحيى:

أَريتك إِن شطَّت بك العامَ نِيَّةٌ   وغالك مُصطَافُ الحِمى ومرابعُه

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٠٣).
(٢) سورة المدثر الآية (٣٥)، وهى قراءة نصر بن عاصم، وابن محيصن، ووهب بن جرير عن ابن كثير. انظر: (البحر المحيط ٨/٣٧٨).
(٣) فى الخصائص: وأنشدنا أبو على، فذكره الخصائص ٣/١٥٣. انظر: الخصائص (٣/١٥٣).
(٤) فى الخصائص: «وتسمع من تحت العجاج لها ازمِلاَ».
(٥) سورة الإسراء الآية (٦٢)، بتسهيل الهمزة الثانية قراءة نافع وأبى جعفر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٧٣).

وجاءَ عنهم: سا يسو، وجا يجى، بحذف الهمزة فيهما. وقد أثبتنا من هذا حروفا جماعة فى كتابنا الخصائص[١]. وعلى كل حال فحذف الهمزة هكذا اعتباطا ساذجا ضعيف فى القياس، وإن فشا فى بعضه الاستعمال.

* * *

وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ ﴿٢٠٥﴾

ومن ذلك ما رواه هارون عن الحسن وابن أبى إسحاق وابن محيصن «ويَهلَكُ» بفتح الياءِ واللام ورفع الكاف - «الحرثُ والنَّسلُ» رَفْع فيهما[٢].

قال ابن مجاهد: وهو غلط.

قال أبو الفتح: لعمرى إن ذلك تَرْك لما عليه اللغة، ولكن قد جاءَ له نظير، أعنى قولنا: هلَكَ يهلَك، فعَلَ يفعَل، وهو ما حكاه صاحب الكتاب من قولنا: أبى يأبى[٣]. وحكى غيره قَنَط يقنَط، وسلا يسلَى، وجبا الماءَ يجباه[٤]، وركن يركن، وقلا يَقلَى، وغسا الليل يَغسَى. وكان أبو بكر يذهب فى هذا إلى أنها لغات تداخلت؛ وذلك أنه قد يقال: قَنَط وقنِط، وركَن وركِنَ، وسلا وسَلِىَ، فتداخلت مضارعاتها. وأيضا فإن فى آخرها ألفا، وهى ألَف سلا وقلا وغسا وأبى؛ فضارعت الهمزة نحو قرأ وهدأ.

وبعد، فإذا كان الحسَن وابن أبى إسحاق إمامين فى الثقة وفى اللغة فلا وجه لدفع ما قرأ به، لاسيما وله نظير فى السماع.

وقد يجوز أن يكون يَهلَك جاءَ على هلِك بمنزلة عطِبَ، غير أنه استغنى عن ماضيه بهلَك، وقد ذكرنا نحو هذا فى كتابنا المنصف[٥].

---

(١) انظر: (الخصائص ٣/١٥١ باب فى حذف الهمزة وإبدالها).

(٢) وقراءة أبى عمرو، وأبى بن كعب، وأبى حيوة، وعبدالوارث. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/١٢٤، الكشاف للزمخشرى ١/١٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/١٧، جامع البيان للطبرى ٤/٢٤٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/٥٢، البحر المحيط لأبى حيان ٢/١١٦، تفسير الفخر الرازى ٢/١٩٠، لسان العرب مادة «هلك» ١٠/٥٠٣).

(٣) انظر: (الكتاب ٤/١٠٥، ١٠٦).

(٤) جَبَا الخراج والمالَ جَبْوًا وجِباوَةً جَمَعَهُ، والماء: جمعه فى الحَوْض. انظر: المعجم الوسيط «حبا».

(٥) انظر: (المنصف ١/١٨٦).

ومن ذلك قراءَة أبى السَّمَّال: «فإِنْ زَلِلْتم»(١)، بكسر اللام.

قال أَبو الفتح: هما لغتان: زَلَلْت وزلِلْت، بمنزلة ضَلَلْت وضلِلْت، إلا أَن الفتح فيهما أَعلى اللغتين، واسم الفاعل منهما ضالٌّ، ولو جاءَ ضَليل لكان قياسا على ما جاء عنهم من فَعيل فى فَعَل من المضاعف، نحو خَفَّ فهو خفيف، وعزَّ فهو عزيز، وقَلَّ فهو قليل، وجَدَّ فهو جديد. وذلك أَنه قد جاءَ فَعيل فى فعل من غير المضاعف، وذلك كَسد البيعُ فهو كسيد، وفسَد فهو فسيد. فلما جاءَ ذلك فى غير المضاعف كان المضاعف أَولى به؛ لثقل الإِدغام فى ضالّ وفارّ. وقد ذكرنا ذلك مشروحا فى غير هذا الموضع من كلامنا.

* * *

فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴿٢١٠﴾

ومن ذلك ما روى عن قتادة فى قول الله سبحانه: «فى ظِلَالٍ مِنَ الغَمَامِ»(٢).

قال ابن مجاهد: هو جمع ظلٍ.

قال أَبو الفتح: الوجه أَن يكون جمع ظُلة، كجُلَّة وجلال، وقُلَّة وقِلال؛ وذلك أَن الظل ليس بالغيم، وإِنما الظُّلة الغيم، فأَما الظِّل فهو عدم الشمس فى أَول النهار، وهو عَرض والغيم جسم.

* * *

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴿٢٢٠﴾

ومن ذلك ما رواه ابن طاوس عن أَبيه أنه قرأَ: «ويَسأَلُونَكَ عَنِ اليتامىَ قُلْ أَصلِح إِليهم خَير»(٣).

قال أَبو الفتح: خير مرفوع؛ لأَنه خبر مبتدأ محذوف؛ أَى أَصلح إِليهم فذلك خير.

---

(١) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/١٢٧، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٤، البحر المحيط لأبى حيان ٢/١٢٣، تفسير الفخر الرازى ٢/١٩٥).

(٢) وقراءة عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب، والضحاك، وعاصم، وأبى جعفر، ويزيد بن القعقاع. انظر: (جامع البيان للطبرى ٤/٢٦١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٢٥، الكشاف للزمخشرى ١/١٢٧، البحر المحيط لأبى حيان ٢/١٢٥، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٥١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٥٣، تفسير الفخر الرازى ٢/١٩٩).

(٣) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/١٦١، الكشاف للزمخشرى ١/١٣٣).

وإذا جاز حذف هذه الفاء مع مبتدئها فى الشرط الصحيح نحو قوله[١]:

بنَـىِ ثُعَـل لا تنكَعـوا العنـز شِرْبهَا ـــ بنـى ثعـل مـن ينكع العْنزَ ظالم[٢]

أَى: فهو ظالم - كان حذف الفاءِ هنا، وإنما الكلام بمعنى الشرط لا بصريح لفظه، أجدرَ وأَحرى بالجواز.

وقال «إليهم» لَمَّا دخله معنى الإِحسان إليهم. وقد ذكرنا نحو ذلك كثيرا مما هو محمول على المعنى.

* * *

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴿٢٢٨﴾

ومن ذلك قراءَة مسلمة بن محارب[٣]: «وبُعُولتْهُن أَحَقُّ»[٤]، ساكنة التاءِ.

قال أَبو الفتح: قد سبق نحو هذا فى قراءة أبى عمرو: «يأمُرْكم»، وأَنشدنا فيه الأَبيات التى أَحدها قول جرير:

سيـروا بنـى العم فالأَهواز منزلكم ـــ ونهر تِيرى ولا تَعرفْكم العرب[٥]

أَراد: لا تعرفُكم، فأَسكن الفاءَ استخفافا لثقل الضمة معَ كثرة الحركات.

* * *

لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ ﴿٢٣٣﴾

ومن ذلك ما رواه هارون عن أَسِيد عن الأَعرج: أنه قرأ: «لا تُضارْ والـدةٌ» [٦]جـزم، كذا قال، جزم.

---

(١) نسبه فى الكتاب لرجل من بنى أسد، الكتاب ٦٥/٣، وانظر: (العينى ٤٤٨/٤، شرح الأشمونى ٢١/٤، اللسان «نكع»).

(٢) بنى ثعل نداء، وهم بنو ثعل بن عمرو بن الغوث بـن طيئ. والنكـع: المنـع. والشرب بالكسر: الحظ من الماء.

(٣) فى شرح الكافية ٢٣٠/٢ مسلم بن محارب.

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٥٦/١، البحر المحيط ١٨٨/٢، شرح الكافية ٢٣٠/٢).

(٥) سبق الاستشهاد به.

(٦) وقراءة ابن مهران، وأبى جعفر الصفار. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١٤١/١، البحر المحيط لأبى حيان ٢١٥/٢، التبيان للطوسى ٢٥٥/٢، مجمع البيان للطبرسى، إعراب القرآن للعكبرى ٥٧/١، النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢٢٧/٢، ٢٢٨، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٥٨).

قال أبو الفتح: إذا صح سكون الراءِ فى «تُضَار» فينبغى أن يكون أراد: لا تضارِر، كقراءَة أَبى عمرو، إلا أَنه حذف إحدى الراءين تخفيفا. وينبغى أن تكون المحذوفة الثانية؛ لأَنها أَضعف، وبتكريرها وقع الاستثقال. فأَما قول الله تعالى: ﴿ظَلْتَ عليه عاكِفًا﴾[١] فإن المحذوف هى الأُولى، وذلك أنهم شبهوا المضعف بالمعتل العين، فكما قالوا: لستَ، قالوا: ظَلت. ومثله مَستُ فى مِسستُ[٢]، وأَحسْتُ فى أَحسستُ. قال أَبو زُبيد:

خلا أَن العِتاق من المطايا أَحَسْنَ به فَهُنَّ إليهِ شُوسُ[٣]

فإن قلت: فهلا كانت الأُولى هى المحذوفة من تضارِر كما حُذِفت الأُولى من ظَلِلت[٤] ومسِست وأَحسست؟.

قيل: هذه الأَحرف إنما حُذفن لأَنهن شُبهن بحروف اللين، وحروف اللين تصح بعد هذه الأَلف نحو عاوَدَ وطَاوَلَ وبايع وساير، والثانية فى موضع اللام المحذوفة، نحو لا تُرامِ.

فإن قيل: فكان يجب على هذا «لا تضارِ» لأَن الأُولى مكسورة فى الأَصل فيجب أن تُقر على كسرها.

قيل: لا، بل لما حذفت الثانية وقد كانت الأُولى ساكنة؛ لأَنها كانت مدغمة فى الثانية أُقِرَّتْ على سكونها ليكون ذلك دليلا على أَنها قد كانت مدغمةً قبل الحذف، ولذلك نظائر منها قوله:

وكحَل العينين بالعواوِر[٥]

صحح الواو الثانية وإن كانت تلى الطرف، وقبل الأَلف التى قبلها واو؛ لأَنه جعل

---

(١) سورة طه الآية (٩٧).

(٢) انظر: (المنصف ٣/٨٤).

(٣) قال فى المنصف ٣/٨٤: ويروى: حَسَسْنَ به، يقال: حَسَسْتُ بالشىء، وأَحسْتُهُ وأَحْسَسْتُ به وحسِيتُ به فى معنى واحد، وانظر: (الخصائص ٢/٤٤٠).

(٤) يقال: ظِلتُ وظَلْتُ بمعنى: ظَلِلْت، قال الله تعالى: ﴿الذى ظَلْت عليه عاكفا﴾ [طه: ٩٧] وظِلتَ، وقال الشاعر:

فَظِلْتَ لَدَى البيت العتيقِ أُخيلُهُ ومِطْوَاىَ مشتاقان لــه أرقان

انظر: (المنصف ٣/٨٤).

(٥) سبق الاستشهاد به.

الصِّحة فى الواو دليلا على أنه أَراد العواوير، ولو لم يُرد لذلك لوجب أَن يهْمِزَ فيقول: العوائر، كما همزوا فى أَوائل وأَصلها أَواول، وكما جعلوا صحة العين فى حَوِلَ وعَوِر دليلا على كون المثال فى معنى ما لابد من صحته، وهو احولَّ واعورَّ، وكما جعلوا ترك رد النون فى قوله:

ارهن بنيك عنهم أَرهن بنى(١)

دليلا على أَنه أَراد بنيّ، فلما حذف الياءَ الثانية التى هى ضمير المتكلم لم يرجع النون من بنين؛ لأنه جعله دليلاً على إِرادة الياءِ فى بَنىّ، وأَنه إِنما حذفها للقافية، وهى فى نفسه مرادة. وكما قال:

مال إِلى أَرطاةِ حِقف فاضطجع(٢)

ثم أَبدل الضاد لاما فقال: الطجع، وقد كان يجب إذا زالت الضاد أَن ترجع تاءُ افتعل إِلى اللفظ، وذلك أن أصله اضتجع افتعل من الضجعة، فيظهر التاء كما يقال: التجأ إِليه والتفت والتقم، لكنه تَرَكَ الطاءَ بحالها تنبيها على أنه يريد الضاد، وأنه لما أَبدلها لا ما اعتدها مع ذلك اعتداد الثابت.

ولذلك نظائر كثيرة، فكذلك تَرَكَ الراءَ من «تُضَارْ» ساكنة كما كانت تكون ساكنة لو خرجت على الإدغام المراد فيها. نعم، وإذا كان نافع قد قرأَ: «ومَحْيايْ ومماتى» (٣) ساكن الياء من «محياى»، ولا تقدير إدغام هناك كان سكون الراء من لا تضار - وهو يريد تضارّ - أَجدر.

وبعدَ هذا كله ففيه ضعف، أَلا ترى أَنك لو رخمت قاصا - اسم رجل - على قولك: يا حارِ لقلت: يا قاصِ، فرددت عين الفعل إِلى الكسر لأَنه فاعل، وأَصله قاصِص، فمن هنا ضعفت هذه القراءَة وإِن كان فيها من الاعتذار والاعتلال ما قدمنا ذكره.

---

(١) سبق الاستشهاد به.

(٢) سبق الاستشهاد به.

(٣) سورة الأنعام الآية (١٦٢)، وهى قراءة نافع، وورش، وقالون، وأبى جعفر. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١٥٤/١، إعراب القرآن للنحاس ٥٩٦/١، البحر المحيط ٢٦٢/٤، التبيان ٣٦١/٤، التيسير ١٠٨، الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/٧، السبعة ٢٧٤، غيث النفع ٢٢٠، الكشف ٤٥٩/١، مجمع البيان ٣٩٠/٢، التفسير الفخر الرازى ١٧٤/٤، النشر ٢٦٧/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٢١، الخصائص ٩٤/١، شرح الكافية ٢٩٥/١، العنوان ٧٩، شرح التصريح ٨٨/١، ٦٠/٢، ٢٠٧).

وقد روى فيها تشديد الراءِ مع السكون[١]، ويجب أن يكون هذا على نية الوقف عليها، روى ذلك عن أبى جعفر يزيد بن القعقاع[٢].

* * *

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴿٢٣٤﴾

ومن ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السُّلَمى عن على بن أبى طالب عليه السلام: «والَّذِين يَتَوَفَّونَ مِنْكُم» [٣] بفتح الياءِ.

قال ابن مجاهد: ولا يُقرأُ بها.

قال أبو الفتح: هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى مستقيم جائز؛ وذلك أنه على حذف المفعول ، أى: والذين يَتَوفون أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم، كما قال سبحانه: ﴿فلَمَّا توفَّيتَنى كُنْتَ﴾[٤]و ﴿الذين تَتوفَّاهُمُ الملائِكَةُ﴾[٥].

وحذف المفعول كثيرٌ فى القرآن وفصيح الكلام، وذلك إِذا كان هناك دليل عليه. قال الله تعالى: ﴿وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شىْء﴾[٦] أى: شيئا.

وأَنشدنا أَبو علىّ للحطيئة[٧]:

---

(١) قراءة أبى جعفر الصفار، وأبى جعفر بن القعقاع. انظر: (الكشاف ١/١٤١، البحر المحيط ٢/٢١٥، الجامع لأحكام القرآن ٣/١٦٨).

(٢) يزيد بن القعقاع المخزومى بالولاء، المدنى، أبو جعفر (١٣٢ هـ = ٧٥٠م): أحد القراء العشرة، من التابعين. كان إمام أهل المدينة فى القراءة وعُرف بالقارئ. وكان من المفتين المجتهدين. توفى فى المدينة. انظر: (وفيات الأعيان ٢/٢٧٨، غاية النهاية ٢/٣٨٢، تاريخ الإسلام ٥/١٨٨، الأعلام ٨/١٨٦).

(٣) وقراءة عاصم، والفضل. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٥٨، مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٣٦، الكشاف للزمخشرى ١/١٤٣، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٢٠).

(٤) سورة المائدة الآية (١١٧).

(٥) سورة النحل الآية (٢٨).

(٦) سورة النمل الآية (٢٣).

(٧) من قصيدة يمدح عدى بن فزارة، وعيينة بن حفص، وحذيفة بن بدر، مطلعها:

عَرَفتَ منازلا من آل هندٍ ... عفت بعد الموْبل والشوى

انظر: (ديوانه برواية وشرح ابن السكيت ١٧٦، وديوانه ص ١٧٧، والخصائص ٢/٣٧٤).

مُنَعَمَّةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ منها كَصَوْنِك مِنْ رِداءٍ شَرعَبِيِّ(١)

أى: تصون الكلام منها، وهو كثير جدا.

* * *

أَوْ يَعْفُوَا الَّذِى ﴿٢٣٧﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «أَو يعفُو الَّذِى» (٢)، ساكنة الواو.

قال أَبو الفتح: سكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل، وسكون الياء فيه أَكثر. وأَصل السكون فى هذا إنما هو للأَلف؛ لأَنها لا تحرَّك أَبدا، وذلك كقولك: أُريد أَن تحيا، وأُحبُّ أَن تسعى، ثم شُبهت الياءُ بالأَلف لقربها، فجاءَ عنهم مجيئا كالمستمر، نحو قوله(٣):

كَأَن أَيدِيهِن بالمَومَاة أَيدى جَوارٍ بِتْنَ ناعمات

وقال الآخر(٤):

كأَن أَيديهِن بالقاع القَرِق أَيدى جوار يتعاطين الوِرق(٥)

---

(١) أراد أنها فى خصِب ونعمة. قوله: «تصون إليك»: معنى إليك: عندك، أى تحفظ عندك سرَّها وحديثها، لا تبوح به، كما تصون رداءً شرعبيا، والشرعبية: (انظر قول الأعمش فى ديوانه: والشرعبيَّ ذا الأذيال) بُرُود فيها خطوط طوال، ومنه قوله: «ذات خَلْقَ مُشَرْعَب (من بيت لطفيل فى اللسان: شرعب، وتمامه):

أسيلة مجرى الدمع خمصانة المشى بَرُودُ الثنايا ذاتُ خلقٍ مشرعب)

أى: طويل. انظر: (شرح ابن السكيت لديوانه ١٧٨).

وروى تَصُورُ كَصَوْرك، بالراء جميعا، قال: أى تميل إليك منها عند العناق كإمالتك الرداء عند التحافك به، وقول الله تعالى: ﴿فصُرْهُنَ إليك﴾ [البقرة: ٢٦١] وهو قول الكلابى، ولعله «تَصون» بالنون. انظر: (شرح ابن السكيت لديوانه ١٧٨).

(٢) وقراءة أبى نهيك، والشعبى. انظر: (البحر المحيط ٢/٢٣٦، ٢٣٧، مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٤١، الكشاف للزمخشرى ١/١٤٦، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٠٨، شرح التصريح ٢/١٥).

(٣) ذكره دون نسبة فى سمط اللآلى ٧٥٥.

(٤) هو مما نسب إلى رؤبة فى الديوان ١٧٩، وانظر: (خزانة الأدب ٣/٥٢٩، أمالى ابن الشجرى ١/١٠٥، الخصائص ١/٣٠٧، اللسان «قرق»).

(٥) وهو فى وصف إبل بسرعة السير. والقرق: المكان المستوى لا حجارة فيه. والورق: الدراهم.

وقال الأعشى(١):

إذا كان هادى الفتى فى البلا ... د صَدرُ القناة أطاع الأميرا

فيمن رواه برفع الصدر.

وقال الآخر:

حُدْبًا حَدابيرِ من الْوَخْشَنِّ ... تَركْنَ راعيهن مِثْلَ الشَّنِّ

وقال الآخر(٢):

يا دار هند عفَتْ إلا أثَافِيها(٣)

وقال رؤبة(٤):

سوَّى مساحيهنَّ تقطيطَ الحُقَقْ ... تَفْليلُ ما قارعْن من سُمر الطُّرَق(٥)

وكان أبو العباس يذهب إلى أن إسكان هذه الياء فى موضع النصب من أحسن الضرورات؛ وذلك لأن الألف ساكنة فى الأحوال كلها، فكذلك جعلت هذه، ثم شبِّهت الواوُ فى ذلك بالياءِ، فقال الأخطل:

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها ... رَفَعن وأنزلن القَطِينَ المولَّدا(٦)

---

(١) انظر: (ديوانه ص ١٣٣ ط دار الجيل). من قصيدة فى مدح هوذا بن على الحنفى من المتقارب، التى مطلعها:

غَشيتَ لليلى بليلٍ خُدُورَا ... وطالبتها ونذرتَ النُّذُورا

(٢) نسبه فى الكتاب لبعض السعديين، الكتاب ٣٠٦/٣، وهو للحطيئة. انظر: (ديوانه ١١١، الخصائص ٣٠٨/١، ٢٩٣/٢، ٣٤٣/٢، المنصف ١٨٥/٢، ٨٢/٣، أمالى ابن الشجرى ٢٩٦/١، شرح شواهد الشافية ٤١٠، شرح المفصل ١٠٠/١٠).

(٣) عفت: درست. والأثافى: جمع أثفية، وهى الحجارة تنصب عليها القدور. وهذا صدره. وعجزه: «بين الطوى فصارات فواديها».

(٤) انظر: (ديوانه ١٠٦، الكتاب ٣٠٦/٣، المقتضب ٢٢/٤، المنصف ١١٤/٢، شرح ابن يعيش ١٠٣/١٠، أمالى ابن الشجرى ١٠٤/١، اللسان «سحا»، «قطط»، «حقق»).

(٥) أراد بالمساحى حوافر الأتن لأنها تسحو الأرض، أى تقشرها وتؤثر فيها لشدة وطئها. والتقطيط: قطع الشيء وتسويته. والحقق: جمع حقة، بالضم، وهى وعاء من الخشب أو العاج ونحوه، ينحت ليوضع فيه الطيب. أى إن الصخر سوى حوافر هذه الأتن، كأنما قطعت تقطيط الحقق. فتقطيط منصوب على المصدر المشبه به. والشاهد فيه: إسكان ياء «مساحى» لضرورة الشعر.

(٦) رواه فى الخصائص ٣٤٤/٢: «نزلن وأنزل القطين المولدا».

وقال الآخر(١):

فمـا سوَّدتْنـى عامر عن وِراثة(٢) أَبـى الله أن أَسمو بـأُمٍّ ولا أَب(٣)

فعلى ذلك ينبغى أَن تحمل قراءَة الحسن: «أَو يَعفُوْ الَّذِى»، فقال ابن مجاهد: وهذا إِنمـا يكون فى الوقف، فأَما فى الوصل فلا يكون، وقد ذكرنا ما فيه. وعلى كل حال فالفتح أَعرب: «أَو يَعفُوَ الذى».

* * *

وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴿٢٣٧﴾

ومن ذلك قراءَة على عليه السلام وأَبى رجاءَ وجُؤيَّة بن عـائِذ: «ولا تَناسَـوُا الفَضْـلَ بينكُمْ»(٤).

قال أَبو الفتح: الفرق بين تنسوا وتَناسَوا أَن تَنْسَوا نَهْى عن النسيان على الإِطلاق: أُنْسُوه، أَو تَنَاسَوه.

فأَما تناسَوا فإِنه نَهىٌ عن فعلهم الذى اختاروه، كقولك: قد تغافل وتصـامَّ وتناسـى: إِذا أَظهره من فعله وتعاطاه وتظاهر به، وأَما تَفَعّل فإِنه تَعَمُّلُ الأَمر وتكلُّفه، كقوله:

ولن تستطيع الحلم حتى تحلما (٥)

أَى: حتى تَكَلَّفه.

=وفى رواية الديوان ٩١، وخزانة الأدب ٥٢٩/٣: رفعن أى رفعن فى السير وعجلـن، أو رفعـن السجف. وهذا فى الحديث عن نسوة يشبب بهن. والقطين: الخـدم والأتبـاع، يقـول: إذا أردت الاستمتاع بحديثهن وهن سائرات فى هوادجهنَ نزلن، ونزل معهن الخدم.

(١) هو عامر بن الطفيل من قصيدة مطلعها (طويل):

إنى وإن كنـت ابـن سيـد عـامـر وفارسها المندوب فى كل موكـب

انظر: (ديوانه ١٣ ط دار صادر).

(٢) وقع فى الديوان: «فما سودتنى عامر عن قرابة».

(٣) أسمو: أرتفع فى الشرف، يقال: سما بصر فلان وسما فكرُهُ يسمو سُـمُوا والسـامى، قـال الحطيئـة: «يَسْمُو بها أشعرىٌ طرفه سامى»،

(٤) وهى قراءة مجاهد، وأبى حيوة، وابن أبى عبلـة انظـر: (مجمـع البيـان ٣٤١/٢، الجامع لأحكـام القرآن ٢٠٨/٣، البحر المحيط ٢٣٨/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٥٩/١).

(٥) صدره: «تَحَلَّم عن الأدنين واستبق ودَّهُمْ». انظر: لسان العرب مادة «حلم».

ومثل الأول قوله:

إذا تخازَرتُ وما بى من خَزَر

فإن قيل: ومن ذا الذى يتظاهر بنسيان الفضل؟.

قيل: معناه - والله أعلم - إنكم إذا استكثرتم من هجر الفضل وتثاقلتم عنه صرتم كأنكم متعاطُون لتركه، متظاهِرون بنسيانه. وهذا كقولك للرجل يكثر خطؤه: أنت تتحايد الصواب تَوقِّىَ عارف به، وأنت معتمِلٌ لما لا يحسن، وإن لم يقصد هو لذلك.

ويحسّن هذه القراءَة: أنَك إنما تنهى الإنسان عن فعله هو، والتناسى من فعله، فأما النسيان فظاهره أنه من فعل غيره به، فكأنه أُنْسِىَ فَنَسى. قال الله سبحانه: **﴿وما أَنْسَانِيه إلاَّ الشيطانُ﴾**(١).

وزاد فى حسنه شىء آخر، وهو أن المأمور هنا جماعة، وتفاعَلَ لائق بالجماعة، كتقاطعوا وتواصلوا وتقاربوا وتباعدوا. فأما قوله تعالى: **﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبكَ مِنَ الدُّنْيا﴾**(٢) فلاقَ به فِعْل «نَسِى»؛ لأن المأمور هنا واحد؛ ولأن العرف والعادة أن الإنسان لا يكاد يُحضّ على ما هو حلال له، بل الغالب المعتاد أن يُكفَّ عما ليس له تناوله، وعليه وَضْع التكليف لما يُستحق عن الطاعة فيه من الثواب. قال تعالى: **﴿ولا تَمُدنّ عَيْنَيكَ إلى مَا مَتَّعنا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُم زهرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيا﴾**(٣)، وقال: **﴿خُذِ الْعَفْو وأمُر بالعرف﴾**(٤). والآى فى ذلك كثيرة. فقوله إذا: **﴿ولا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾** أى: لك فيها حظ وحلال فتناوله، فلا بأس بتناول الحلال.

ولو قيل: ولا تناس نصيبك لكان فائدته: لا تُظهرْ سهوك عنه، وتتظاهر بنسيانك إياه، وذلك إذا ترَك الحلال وهو فى صورة الساهى عنه لم تكن له فى النفوس منزلة الذى يتركه وهو عالم بحلّه له، وإباحته إياه، هذا هو العادة والعرف فيما يتعاطاه أهل الدنيا بينهم.

* * *

(١) سورة الكهف الآية (٦٣).
(٢) سورة القصص الآية (٧٧).
(٣) سورة طه الآية (١٣١).
(٤) سورة الأعراف الآية (١٩٩).

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ﴿٢٤٦﴾

ومن ذلك قراءَة أَبى عبد الرحمن السُّلَمى: «أَلم تر إلى المْلإِ» (١) ساكنة الراءِ.

قال أَبو الفتح: هذا لعمرى هو أَصل الحرف: رأى يَرْأَى كرعَى يرعى، إِلا أَن أَكثر لغات العرب فيه تخفيف همزته: بحذفها وإِلقاء حركتها على الراءِ قبلها على عبرة التخفيف فى نحو ذلك، وصار حرف المضارعة كأَنه بدل من الهمزة، وهو قولهم: أَنت تَرى وهو يَرى ونحن نرَى، وكذلك أَفعلَ منه، كقول الله سبحانه: ﴿**لِتحكُمَ بَينَ الناسِ بِمَا أَرَاكَ الله**﴾(٢) وأَصله أَرْآك الله. وحكاها صاحب الكتاب عن أَبى الخطاب. ثم إِنه قد جامع هذا تحقيقُ هذه الهمزة وإِخراجُها على أَصلها، وذلك كقول سراقة البارقى(٣):

أُرِى عَينَىّ ما لم تَرْأَياه ... كلانا عالم بالتُّرَّهَات

فخفف أُرى، وحقق تَرْأَياه كقولك تَرعَيَاه، ورواه أَبو الحسن ترياه على زحاف الوافر، وأَصله «ترْأَياه» على أَن مفاعلتَن لحقها العصب بسكون لامها؛ فنقلت إِلى مفاعى لن، ورواية أَبى الحسن: «بما لم تَـ» مفاعيلُ، فصار الجُزء بعد العصب إِلى النقص.

وقرأْت على أَبى علىّ فى نوادر أَبى زيد(٤):

أَلم تَرءَ ما لاقيتُ والدهرُ أَعصُرٌ ... ومن يَتَملَّ العيشَ يرءَ ويسمع

فأَخرجه على أَصله. وقرأت عليه عنه أَيضا(٥):

هل ترجعَنَّ ليالٍ قد مضَين لنا ... والعيشَ منقلب إِذ ذاك أَفنانا

إِذ نحن فى غِرَّة الدنيا وبهجتها ... والدارُ جامعة أَزمانَ أَزمانا

ثم استمرَّ بها شَيْحانُ مبتجحٌ ... بالبينِ عنك بما يَرْآك شَنْآنا

وقال آخر، وقرأته على أَبى بكر محمد بن الحسن عن أَحمد بن يحيى فيما أَظن(٦):

أَلا تلك جارتنا بالغَضا ... تقول أَتَرأَينَه لن يضيعا

وله نظائر مما خرج من هذا الأَصل على أَولية حالِه.

---

(١) انظر: (شرح التصريح ١/٨٨).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٥).

(٣) انظر: (لسان العرب مادة «رأى»، وديوانه ٧٨).

(٤) انظر: (النوادر فى اللغة ١٨٥،١٨٦).

(٥) انظر: (النوادر فى اللغة ١٨٤، والخصائص ٢/٣٦٦).

(٦) انظر: لسان العرب مادة «رأى».

أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴿٢٤٨﴾

ومن ذلك قال أبو بكر بن مجاهد: ﴿التابوت﴾ بالتاءِ قراءَة الناس جميعا، ولغة للأنصار «التابوه» بالهاءِ[1].

قال أَبو الفتح: أَما ظاهر الأمر فأن يكون هذان الحرفان من أَصلين: أَحدهما «تَ بَ ت»، والآخر «ت ب ه»، ثم من بَعدِ هذا فالقول أَن الهاءَ فى «التابوه» بدل من التاءِ فى «التابوت».

وجاز ذلك لِمَا أذكره: وهو أَن كلَّ واحد من التاءِ والهاءِ حرف مهموس، ومن حروف الزيادة فى غير هذا الموضع. وأَيضا فقد أَبدلوا الهاءَ من التاءِ التى للتأْنيث فى الوقف، فقالوا: حمزهْ، وطلحه، وقائمهْ، وجالسهْ. وذلك منقادٌ مطرد فى هذه التاءِ عند الوقف، ويؤكد هذا أَن عامة عُقَيل فيما لا نزال نتلقاه من أَفواهها تقول فى الفرات: الفراه، بالهاءِ فى الوصل والوقف.

وزاد فى الأُنس بذلك أَنك ترى التاءَ فى الفرات تشبه فى اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة، فلما وَقَف وقد أَشبه الآخِر الآخر أَبدل التاءَ هاء، ثم جرى على ذلك فى الوصل، لأَنه لم يكن البدل عن استحكام العلَّةِ عِلَّةً فيُراعَى حالُ الوقف من حال الوصل ويفْصلُ بينهما، فأَشبه ذلك قولهم فى صِبيان وصِبية: صُبيان وصُبية؛ وذلك أَن الأَصل صِبوان وصِبوة، ثم قلب الواو ياء؛ استخفافا للكسرة قبلها، ولم يعتد بالساكن بينهما حاجزا لضعفه، ثم لما ضموا وزال الكسر أَقروا الياءَ بحالها؛ جنوحا إِليها لخفَّتها، ولعِلْمهمْ أَيضا أَن البدل من الواو لم يكن عن استحكام علة فيعاوِدوا الأَصل لزوالها، فلما تصوروا ضعف سبب القلب قنَّعوا أَنفسَهم بالعدول إِلى جهة الياء، فقالوا: صُبيان وصُبية، حتى كأَن قائلا قال لهم: هلا لما زالت الكسرة راجعتم الواو فقالوا: أَوَ كان القلب إِنما كان عن وجوب أَحدثته الكسرة حتى إِذا فارقناها عاودنا الواو؟ إِنما كان استحسانا، وكذلك فليكن مع الضمة أَيضا استحسانا.

* * *

---

(١) وقراءة أبى كعب، وزيد بن ثابت. انظر: (البحر المحيط ٢/٢٦١، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٧٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦١، تفسير الفخر الرازى ٢/٢٩٥).

وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴿٢٥٥﴾

ومن ذلك ما رُوِى عن الزُّهرى والأعرج وأَبى جعفر بخلاف عنهم: «ولا يَوُودُه حِفْظَهُمَا» بلا همز، و لم يقلْ: كيف قالوا؟.

قال ابن مجاهد: من لم يهمز قال: «يَوُودُه» فخلف الهمزة بواو ساكنة، فجمع بينها وبين الواو، فيجتمع ساكنان، فإن شاءَ ضمها فقال: «يوُودُه». ومن ترك الهمز أَصلا قال: «يَوْدُه»(١).

قال أَبو الفتح: خَلَّط ابن مجاهد فى هذا التفسير تخليطا ظاهرا غير لائق بمن يُعتد إماما فى روايته، وإن كان مضعوفا فى فَقَاهتِه؛ وذلك أن قوله تعالى: يئوده، لك فيه التحقيق والتخفيف، فمن حقَّق أَخلصها همزة، قال: «يئوده» كيعوده، ومن خفَّف جعل الهمزة بين بين؛ أى بين الهمزة والواو؛ لأنها مضمومة، فجرى مجرى قولك فى تخفيف لؤم: لَوُم، وفى مئونة: موُونة، ولا يخلصها واوا لأنها مضمومة، فقوله: بلا همز، أَى يخففها، كذا أُحسِن الظن بهؤلاءِ المشيخة.

فأَما تَرْك الهمز أَصلا فشاذ، وينبغى لمن هو دونهم أَن يصان عن أَن يُظن ذلك به. فقول ابن مجاهد: إنه يخلُف من الهمزة واو ساكنة فيجتمع ساكنان شديد الاضطراب، وذلك أَنه قد سبق أَن سبيل هذا أَن يُخفِّف ولا يبدل، وإذا كان مخفِّفا، فالواو متحركة لا ساكنة؛ فلا ساكنين هناك أَصلا. نعم، ثم لما قال: إنه يجتمع ساكنان لم يذْكُر ماذا يُعْمَل فيهما؟ قال: وإن شاءَ ضمها فقال: «يَوُودُه». وهذا هو الذى ينبغى أن يعمل عليه، ولكن ينبغى أَن يعلم أنه لا يُضَم الواو، بل الضمة على الهمزة، إلا أَنها مخففة فقربت بذلك من الواو لضعفها مع ضمها.

وقوله فيما بعد: ومَن ترك الهمز أَصلاً قال: «يَوْدُه» يؤكد ما كنا قدمناه من أن قوله: لا يهمز إنما يريد به التخفيف لا البدل والحذف، ولولا ذلك لم يَقل: ومن ترك الهمز أَصلا، فقوله: «أَصلا» يدل على أنه لا يريد التخفيف الذى كان قدّمه.

وبعد، فمَن ترك الهمزة أَصلا؛ أَى: حذفها البتة كما يحذفها من قولهم: لاب لك، أَى: لا أَب لك، ومن قولهم: وَيْلُمِّه، وأَصلها: ويلٌ لأُمه، ومن قولهم: ناس وأَصلها أُناس، والله فى أَحد قولى سيبويه الذى أَصله فيه إله، وغير ذلك، فإنه إذا هو حذفها بقيت بعدها الواو التى هى عين الفعل ساكنة فصارت: «يَوْدُه». ومثاله على هذا اللفظ

---

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٨٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٣).

يَعلُه، وأَصل هذا كله يأْوُده كيعوده، يَفعُله كيقتله ونعبده، ثم نقلت الضمة من الواو التى هى عين الفعل إلى الهمزة التى هى فاء فعله، كما نقلت فى يعود من الواو إلى العين فصارت «يَئُوده» كيَعوُدُه، ووزنه الآن يفعُله. هكذا محصول لفظه، فإذا هو حذف الهمزة البتة – وهى فاءُ الفعل – بقى يَوْدُه فى وزن يعلُه، والفاء على ما مضى محذوفة. وعلى أن هذا الحذف لا يُقْدِم أَحَدٌ عليه قياسا لِنَكَارته وضيق العذر فى اقتباسه، اللهم أَن يسمع شىء منه فيودَّى على ما فيه، ويُشرح حديثه بواجب مثله، ولا يحمل سواه على مثل حاله.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ ﴿٢٥٧﴾

ومن ذلك ما رواه جُوَيْرِية بن بَشير، قال: سمعت الحسن قرأها: «أولياؤهم الطَّواغيتُ» (١).

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يُفهم هذا الموضع، فإن فيه صنعة، وذلك أَن الطاغوت وزنها فى الأَصل فَعَلُوت. وهى مصدر بمنزلة الرغَبوت والرهَبوت والرحَموت. وقد يقال فيها: الرَّغَبُوتَى والرهبوتى والرحموتى. ويدل على أَنها فى الأَصل مصدر وقوع الطاغوت على الواحد والجماعة بلفظ واحد، فجرى لذلك مجرى قوم عدلٌ ورضًا، ورجل عدلٌ ورضا، ورجلان عدل ورضا. فأَما أَصلها فهو طَغَيوت؛ لأَنها من الياء، يدل على ذلك قوله عز وجل: ﴿**فى طُغْيانِهم يعمهُون**﴾(٢) هذا أَقوى اللغة فيها؛ لأَنَ التنزيل ورد به.

وروينا عن قطرب وغيره فيها الواو، طغا يطغو طُغُوًّا. وقد يجوز على هذا أَن يكون أَصله: طَغَوُوت، كفعَلُوت من غَزَوتُ: غَزَوُوت. وأَنا آنس بالواو فِى هذه اللفظة لما أَذكره لك بعد.

ثم إِن اللام قدمت إِلى موضع العين، فصارت بعد القلب طَيَغُوت أَو طوَغُوت، فلما تحركت الياء أَو الواو وانفتح ما قبلها قلبت فى اللفظ أَلفا؛ فصارت طاغوت كما ترى. ووزنها الآن بعد القلب فَلَعُوت. ومثالها من ضَربتُ: ضَرَبُوت، ومن قتلت قتلوت. هذا إِلى هنا بلا خلاف.

---

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٨٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٢٨٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٥).

وإذا جمع فصار طواغيت احتاج إلى نظر. فأما على أن يكون من طغوت فلا سؤال فيه، وذلك أن الألف على هذا كانت بدلا من لام طغوت، فلما احتاج إلى تحريك الألف المنقلبة عنها ردها إلى أصلها وهو الواو، فقال: طواغيت، ووزنها الآن فلاعيت. ولو جاءت على واجب أصلها لكان طغاويت أو طغاييت، كقولك في ملكوت - لو كسَّرتها -: ملاكيت، ولو قبلت الواحد على حد قلب الطاغوت لقلت: مكلوت، وإن جمعت على هذا أعني مقلوبا قلت: مكاليت. هذا على أن لام طاغوت واو - ماض منقاد على ما تراه.

لكن من ذهب إلى أن لام طاغوت ياء وجب عليه أن يجيب عن قلب الألف من طاغوت واوا في قولهم: طواغيت، وكان قياسه على الطغيان أن يكون طياغيت.

والجواب: أن طاغوتًا وإن كان من «ط غ ى» فإنه بعد نقله وقلبه قد صار كأنه فاعول، فلما كسر قلبت ألفه واوا، كما تقلب في نحو تكسير عاقول[1] وعواقيل، وراقود[2] ورواقيد. وهذا الشبه اللفظي كثير عنهم فاشٍ متعالَم بينهم؛ ألا تراهم قالوا: مررت بمالِكَ فأمالوا لشبهها بألف مالكٍ. وقالوا طلبتا وعِنَتا، فأمالوا لشبه آخره بألف سكرى وبُشرى؟ فكذلك شبهوا ألف طاغوت بألف جاموس وعاقول.

وحكى يونس في تحقير الناب نويب؛ وذلك أنه حمل الألف هنا إذا كانت عينا على أحكام ما يكثر؛ وهو قلب العين عن الواو في غالب الأمر، وهو: بابٌ ودار وساق ونار، فقال: نُوَيب وإن كان من الياء حملاً على الباب الأكثر، وهو قولك في مال: مويل، وفي ساق: سويقة، وفي دار: دُويرة.

وروينا عن قطرب في كتابه الكبير طغى يطْغَى ويطغو، وطَغَيتُ وطِغيتُ وطَغوت طُغْيانًا وطُغْوَانًا وطَغْوًا وطُغُوًّا وطَغْوَى، فاعلم.

وألقى علينا أبو عليّ بحلب سنة ست وأربعين الكلام في طغيان، واعتزم في اللام الياءَ، فقال له فتى كان هناك من أهل مَنْبِج: فقد قالوا الطَّغوى. فقال أبو علي: خذ الآن إليك، هذا تصريفي، ينكر عليه احتجاجه بذلك، أي: ألا تعلم أن طَغْوى اسم،

---

(١) العاقول: ويسمى الحاج: نبات تحت شجيرى شائك، تتحول فروعه إلى أشواك حادة من الفصيلة.

(٢) القرينة من الفراشية، أزهاره حَمرٌ، تتفتح في الربيع، وثماره قرينة وبذوره صلوة، يكثر في أودية الصحراء والأراضي المهملة، وهو من أجود العلف للإبل. انظر: المعجم الوسيط «عقل».

وأَن فَعلى إذا كانت اسمًا وكانت لامها ياء فإنها تقلب إلى الواو نحو: التَّقوى والبَقْوى والفتوى والرَّعوى والثَّنْوى والعوَّى. وبعد؛ فإن كانت طغوى من طغوت فواوها أصلية كواو العدوى والدعوى، وإن كانت من طغيت فإنها بدل من الواو كالفتوى وبابها.

وأما الطواغى فجمع طاغية. قال الله سبحانه: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهلِكُوا بالطاغِيةِ**﴾، فهو يحتمل أَمرين:

أَحدهما أَن يكون أُهلكوا بطغيانهم، كقولك: أُهلكوا بالبلية الطاغية؛ أى: التى لا قِبَل لهم بها.

والآخر أَن يكون: أُهلكوا بطغيانهم، أَى بكفرهم.

ومثل الطاغية وكونها مصدرًا على فاعلة قوله تعالى: «لا يُسْمَعُ فيها لاغِيةٌ» أَى: لغو، وتكسير اللاغية لواغ، كعافية وعواف، وعاقبة وعواقب. ومثل الطاغوت الحانوت، وهى فَعَلوت من حنوت؛ وذلك أَن الحانوت يشتمل على من فيه، فكأَنه يحنو عليه، فهى من الواو، وقُلِبتْ لامُها إلى موضع العين فصار حَوَنوت، ثم قلبت الواو أَلفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت حانوت.

وقول علقمة:

حانِيَّةٌ حُومُ

منسوب إلى حانيَة فاعلة من هذا اللفظ والمعنى، أَلا ترى إلى قول عُمارة:

وكيف لنا بالشُّرب فيها وما لنا ... دوانيق عند الحانَوِىِّ ولا نقْدُ

فأَما الحانة فمحذوفة من الحانية، ومثالها فاعة، ومثلها البالة من قولهم ما باليت بهم بالة، أَصلها بالية فاعلة من هذا الموضع، ثم حذفت اللام تخفيفًا. وإلى مثل ذلك ذهب الكسائى فى «آية» أنها محذوفة من فاعلة: آيِية.

* * *

فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴿٢٥٨﴾

ومن ذلك قراءَة ابن السَّمَيفَع: «فبَهَتَ الذى كَفَرَ»(١)، بفتح الباءَ والهاءِ والتاءِ،

---

(١) انظر: (جامع البيان للطبرى ٢٨٨/٣، البحر المحيط لأبى حيان ٢٨٩/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٦٣/١).

وكذلك قرأ أيضا نُعَيمُ بنُ مَيسرة، وقرأ أبو حَيوَة شُرَيح بن يزيد: «فَبُهتَ[1]»، بفتح الباءِ وضم الهاءِ. والقراءَة العامة: ﴿فَبُهِتَ﴾[2].

قال أبو الفتح: زاد أبو الحسن الأخفش قراءَة أُخرى لا يحضرنى الآن ذكر قارئها، لم يُسنِدها أبو الحسن: «فَبَهِتَ»[3]، بوزن علِمَ. فتلك أربع قراءَات.

فأما «بُهِتَ» قراءَة الجماعة فلا نظر فيها.

وأما «بهِت» فبمنزلة خَرِق وفرِق وبرِق، وأما «بَهُتَ» فأقوى معنى من بهِت؛ وذلك أَن فعُل تأْتى للمبالغة كقولهم: قضُو الرجل إذا جاد قضاؤه، وفقُه إذا قوى فى فقهه، وشعُر إذا جاد شعره. وروينا عن أبى بكر محمد بن الحسن عن أَحمد بنِ يحيى: أَن العرب تقول: ضرُبت اليد: إذا جاد ضربها. وكذلك بهت: إذا تناهى فى الخرَق والبرَقَ والحيرة والدَّهَشن.

وأما «بَهَتَ» فقد يمكن أَن يكون من معنى ما قبله، إلا أَنه جاءَ على فَعَل كذَهَل ونَكَل وعجز وكَلَّ ولَغَب، فيكون على هذا غير متعد كهذه الأَفعال.

وقد يمكن أَن يكون متعديًا ويكون مفعوله محذوفًا، أَى: فبَهَتَ الذى كفر إبراهيمَ عليه السلام.

فإن قيل: فكيف يجوز على هذا أَن يجتمع معنى القراءَتين؟ أَلا ترى أَن بُهِت قد عُرِف منه أَنه كان مبهوتا لا باهتًا، وأَنت على هذا القول تجعله الباهت لا المبهوت.

قيل: قد يمكن أَن يكون معنى قوله: بَهت أَى رام أَن يبهَت إبراهيم عليه السلام إِلا أَنه لم يستوِ لَهُ ذلك، وكانت الغلبةُ فيه لإبراهيم عليه السلام.

وجاز أَن يقول: بَهتَ، وإنما كانت منه الإرادة، كما قال جلَّ وعزَّ: ﴿**إذا قُمتُم إلى الصَّلاةِ فاغسِلُوا وُجُوهَكُم**﴾[4]، أَى: إِذا أَردتم القيام إليها. كقوله: ﴿**فإِذَا قَرأْتَ**

---

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٨٩، الكشاف للزمخشرى ١/١٥٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٨٨، لسان العرب مادة «بهت» ٢/١٣).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

(٣) انظر: (لسان العرب مادة «بهت» ٢/١٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٢٨٨، البحر المحيط ٢/٢٩٠).

(٤) سورة المائدة الآية (٦).

القُرآنَ فَاستَعِذْ بـا للهِ﴾،[١] أى: إذا أردت قراءَتـه، فـاكتفى بالمسبب الـذى هـو القيـام والقراءَة من السبب الذى هو الإرادة.

وقد أفردنا لهذا الموضع بابًا فى كتابنا الخصائص[٢].

ويجوز جوازًا حسنًا أن يكـون فـاعلُ «بَهَـتَ» إبراهيـم، أى: فَبهَـت إبراهيـمُ الكـافرَ؛ ليلتقى معنى هذه القراءَة مع معنى الأُخرى التى هى: «فَبُهِتَ الـذى كَفَـر». وعليـه قطـع أبو الحسن.

فإن قيل: فما معنى هذا التطاول والإبعاد فى اللفظ و لم يقل: «بُهِـت» وإبراهيـم عليـه السلام هو الباهت.

قيل: إن الفعل إذا بنى للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل، بـل ليعلـم أن الفعل قد وقـع بـه، فيكـون المعنـى هـذا لا ذكـرَ الفـاعل. ألا تـرى إلى قـول ا لله تعـالى: **﴿وَخُلِقَ الإِنْسانُ ضَعِيفا﴾**[٣]، وقوله: **﴿خُلِقَ الإِنسانُ مِن عَجَل﴾**[٤]، وهذا مـع قولـه عز وجل: **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلـم مـا توسـوس بـه نفسـه﴾**[٥]، وقـال سـبحانه: **﴿خلق الإنسان من علق﴾**[٦]. فالغرض فى نحو هذا المعروف الفـاعل إذا بنـى للمفعـول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعـل بـه حَسْـب، وليـس الغـرض فيـه ذكـر مـن أوقعـه بـه، فاعرف ذلك.

* * *

فَصُرْهُنَّ ﴿٢٦٠﴾

ومن ذلـك قـراءَة ابـن عبـاس: «فَصِرَّهُـنَّ»[٧]، مكسـورة الصـاد مشـددة الـراءَ وهـى

(١) سورة النحل الآية (٩٨).

(٢) انظر: (الخصائص ١٧٦/٣: ١٨٠ باب فى الاكتفاء بالسبب من المسبب، والمسبب من السبب).

(٣) سورة النساء الآية (٢٨).

(٤) سورة الأنبياء الآية (٣٧).

(٥) سورة ق الآية (١٦).

(٦) سورة العلق الآية (٢).

(٧) وقراءة عبدا لله بن مسعود، وسعيد بن جبير، وعلقمة، وقتادة، وابـن وثـاب، والأعمش، ويزيـد، وخلف، ورويس، وحمزة، وطلحة، وشيبة، وأبى جعفر. انظر: (معانى القرآن للفـراء ١٧٤/١. وإعراب القرآن للعكبرى ٦٥/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣١١/٣، جامع البيان للطـبرى ٤٩٧/٥، البحر المحيط لأبى حيان ٣٠٠/٢، التبيـان للطوسـى ٣٢٦/٢ السبعة فـى القـراءات=

مفتوحة، وقراءَة عِكرمة: «فَصَرِّهُنَّ إليك[١]»، بفتح الصاد، وقال: قَطِّعهُن. وعن عكرمة أَيضا: «فَصُرّهُنَّ»[٢]، ضم الصاد وشدد الراءَ، ولم يقل مفتوحة أَو مكسورة أَو مضمومة. قال: وهو يحتمل الثلاثة، كمُدُّ ومُدَّ ومُدِّ.

قال أَبو الفتح: أَما «فَصِرَّهُنَّ»، بكسر الصاد وتشديد الراء فغريب؛ وذلك أَنَّ يفعِلُ فى المضاعف المتعدى شاذ قليل، وإنما بابه فيه يفْعُل، كصبَّ الماءَ يصُبُّه، وشد الحبل يشده وفرّ الدابَّة يَفُرَّها، ثم إنه قد مَرّ بى مع هذا مِن يفعِل فى المتعدى حروفٌ صالحة، وهى: نم الحديثَ يَنُمه وينِمه، وعلَّه بالماء يعُلَّه ويعِلّه، وهَرَّ الحربَ يهُرُّها ويهِرُّها، وغَذَّ العِرقُ الدم يغُذّه ويغِذّه. وقالوا: حبَّه ويحِبُّه بالكسر لا غير. وأخبرنا أَبو بكر محمد بن الحسن أَن بعضهم قرأَ: «لن يضِرُّوا الله شيئًا»[٣] بكسر الضاد فى أَحرف سوى هذه، ولمجيء المتعدى من هذا مضمومًا - وبابه وقياسه الكسر - نظرٌ ليس هذا موضعه. فيكون صِرَّهُن من هذا الباب على صَرَّه يصِرُّه.

وأَما «صُرَّهن» بضم الصاد فعلى الباب؛ أَعنى: ضم عين يفعُل فى مضاعف المتعدى. والوجه ضم الراء لضمه الهاء من بعدها، والفتح والكسر من بعد.

وأَما «فصَرِّهُنَّ» فهذا فَعِّلْهُنَّ من صرَّى يُصَرِّى: إِذا حَبس وقَطع. قال[٤]:

رُبَّ غلام قد صرَى فى فِقْرته ... ماءَ الشباب عنفوانَ سَنْبته[٥]

=لابن مجاهد ١٩٠، غيث النفع للصفاقسى ١٦٩، التيسير للدانى ٨٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٠١، الحجة لأبى زرعة ١٤٥، الكشف للقيسى ٣١٣/١، الكشاف ١٥٨/١، مجمع البيان للطبرسى ٣٧١/٢، تفسير الفخر الرازى ٣٢٣/٢، النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢٣١/٢، جمهرة اللغة لابن دريد مادة «رصو»، لسان العرب مادة «صور»، «صير»، «صرى»، تهذيب اللغة مادة «صرو» العنوان مخطوط ورقة ٥٤).

(١) وقراءة ابن عباس، والمهدى. انظر: (مجمع البيان للطبرسى ٣٧١/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٠٢/٣، البحر المحيط لأبى حيان ٣٠٠/٢).

(٢) وقراءة ابن عباس. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١٥٨/١، والبحر المحيط ٣٠٠/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٠١/٣،٣٠٢، إعراب القرآن للعكبرى ٦٥/١).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٧٦).

(٤) نسب الرجز فى جمهرة اللغة (٢٩٠/١) إلى أبى محمد الفقعسى، ونسب فى اللسان «صرى» (١٩٠/١٩) إلى الأغلب العجلى، وهو بغير نسبة فى: (جمهرة اللغة ٣١/١، وسر صناعة الإعراب ١٥٨/١)، والثاني فى: اللسان «نسب» (٤٥٧/١).

(٥) صرى الرجل ماءه: حبسه فى ظهره زمانًا بامتناعه عن النكاح، الفقرة: واحدة فقار الظهر، والمراد هنا كلها. انظر: (هامش سر صناعة الإعراب ١٥٨/١).

أى حبسه وقطعه. ومنه الشاة المصرَّاة أى المحبوسة اللبن المقطوعته فى ضرعها عن الخروج وماء صَرًى وصِرًى: إذا طال حبسه فى موضعه، ومنه الصُّرَّاء للملاح، وذلك أنه يمسك السفينة ويحفظها ويَصْريها عما يدعو إلى هلاكها.

* * *

جُزْءًا (٢٦٠)

ومن ذلك قراءَة أَبى جعفر والزهرى: «جُزًّا»[١].

قال أَبو الفتح: أَصله الهمز جزءًا، ثم خُففت همزته على قولك فى تخفيف الخبء: الخبُ، ثم إنك إذا خففت نحو ذلك ووقفت عليه كان لك فيه السكون على العبرة، وإن شئت الإشمام الجزُ، وإن شئت رومَ الحركة الجزُ، وإن شئت التشديد على خالدّ وهو يجعلّ، فيقول على هذا: الجُزّ، ثم إنه وصل على وقفه، فقال: جُزًّا.

ومثله مما أجرى فى الوصل مجراه فى الوقف من التشديد، ما أَنشدناه أَبو على وقرأته على أَبى بكر محمد بن الحسن عن أَحمد بن يحيى:

بِبَازِلٍ وجناء أَو عيهَلِّ   كأَن مهواها على الكلْكَلِّ[٢]

يريد الْعَيْهَلَ والكَلْكَل.

وفيها ما قرأْته على أَبى بكر دون أَبى على:

تعرضت لى بمجاز حلِّ   تعرض المهرة فى الطول[٣]

وفيها:

ومُقْلَتَانِ جونَتَا المَكْحَلِّ

وقد كان ينبغى إذا كان إنما شدد عوضًا من الإطلاق أَن إِذا أُطلق عاد إلى التخفيف، إلا أَن العرب قد تجرى الوصل مجرى الوقف تارة، وتارة الوقف مجرى الوصل، فعلى هذا وجه القراءَة المذكورة «جُزًّا»، فاعرفه.

* * *

(١) انظر: (مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٧١، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٣٠٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٥، الكشاف للزمخشرى ١/١٥٩).

(٢) سبق الاستشهاد به.

(٣) انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٩).

كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴿٢٦٤﴾

ومن ذلك قراءة سعيد بن المسيب والزهرى: «كَمَثَل صَفَوانٍ عَلَيه تُرابٌ[1]»، بفتح الفاء.

قال أبو الفتح: أكثر ما جاءَ فعلان فى الأوصاف والمصادر. فالأوصاف كقولهم: رجل شَقَذَان للخفيف، وقالوا: أكذب من الأخيذ الصَّبَحَان بفتح الباء كما ترى، وقد روى الصبْحان بتسكينها. ويومٌ صَخَدان ولَهَبان لشدة الحر، وعَيْرٌ فَلَتان ورجل صَمَيان: ماض مُنْجَرِد.

وأما المصادر فنحو الوهجان والنَّزَوَان والغَلَيَان والغَثيان وَالْقَفَزَان والنَّقَرَان. والمعنى - فى الوصف والمصدر جميعًا من هذا المثال - الحركة والخِفَّة والإسراع، وهو فى الأسماء غيرِ الصفات والمصادر قليلٌ، غير أنهم قد قالوا: الوَرَشان والكَرَوَان والشَّبَهان لضرب من النبت وقيل: الشُّبُهان، بضم الباء وقالوا: العَنَبان للتيس من الظباء النشيط، فإذا كان كذلك كان الصفَوان أيضًا مما جاءَ من غير الأوصاف والمصادر على فعَلان.

* * *

وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ ﴿٢٦٧﴾

ومن ذلك قراءَة الزهرى ومسلم بن جُندُب «ولا تُيمِّموا الخبيث»[2] بضم التاء وكسر الميم.

قال أبو الفتح: فيها لغات: أَمَمْتُ الشى ويممْتُه وأَمَّمْتُه ويَمَّمْتُه وتيمَّمْتُه، وكلُّه قَصَدْتُه.

قال الأعشى[3]:

تؤم سنانا وكم دونه ... من الأرض محدودبا غارها

وقال الآخر:

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٣١٣، الكشاف للزمخشرى ١/١٦٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٧، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٦، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٣٠٩).

(٢) وقراءة ابن عباس. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/١٦٢، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٧، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٣٢٦).

(٣) غير موجود فى ديوانه. انظر: (ط دار الجيل بيروت، ط دار صادر بيروت).

يَمْمتُ بهـا أَبـا صخـر بـن عمـرو

وقال(١):

تيممـتِ العيـنَ التـى عنـد ضـارجٍ يفىء عليها الظل عرمضها طام(٢)

والأمُّ: القصدُ، ومثله الأمْتُ. ومنه الإمامُ لأنه المقصود المعتمد، والإمام أيضا: خيط البنّاء؛ لأنه يمده ويعتمد بالبناء عليه، والأُمَّة: الطريقة لأنهـا معتمـدة. قـال ا لله سبحانه: ﴿إنّا وجدْنا آباءَنا على أُمَّة﴾(٣)، أى على طريقة مقصودة.

* * *

إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ ﴿٢٦٧﴾

ومن ذلك قراءَة الزهرى: «إلاَّ أَن تَغْمُضُـوا فيـه(٤)» بفتـح التـاء، مـن غمـض. وروى أيضًا: «تُغَمِّضُوا فيه(٥)»، مشددة الميم. وقرأ قتادة: «إلا أنْ تُغْمَضُـوا فيـه(٦)»، بضـم التـاءِ وفتح الميم.

قال أبو الفتح أما قراءَة العامة، وهى: ﴿إلاَّ أَن تُغْمِضُـوا فيـه﴾(٧) فوجهـها أَن تـأْتوا غامضًا من الأمر لتطلبوا بذلك التأوّلَ على أَخذه، فأَغمض على هـذا: أَتـى غامضًـا مـن الأمر، كقولهم: أعمن الرجل: أتى عَمّان، وأعرق: أتى العراق، وأَنجد: أَتى نجدًا، وأَغار: أَتى الغَور. واختيار الأصمعى هنا غار، وليس هذا على قول الأصمعى أتى الغـور، وإنمـا

---

(١) لامرئ القيس فى وصف الحمر الوحشية: (من الطويل).
وقبله:
ولمـــا رأت أن الشريعـــة همهـــا وأن البيـــض مـــن فرائصهـا دامِـي
انظر: (ديوانه ٢٢٨ ط دار إحياء العلوم).

(٢) وضارج: موضع فى بلاد بنى عبس. والعرمض: الطحلب. وطامى: مرتفع، ويروى: «يفىء عليها الطلح».

(٣) سورة الزخرف الآية (٢٣).

(٤) وقراءة اليزيدى انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/١٦٢، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٣١٨، إعـراب القرآن للعكبرى ١/٦٧).

(٥) وقراءة الزهرى انظر: (البحر المحيط ٢/٣١٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٣٢٧).

(٦) انظر: (الكشاف للذمخشري ١/١٦٢، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٩، البحر المحيـط ٢/٣١٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٣٢٧).

(٧) سورة البقرة الآية (٢٦٧).

هو غار، أَى: غَمَض وانشام هناك، كقولك: ساخ وسرَب. ولو أَراد معنى صار إلى هناك لكان أغار، كما قال[١]:

نبى يرى ما لا تَرون وذِكره   أَغار لعمرى فى البلاد وأنجدا[٢]

ورواية الأَصمعى: غار، على ما مضى، وليس المعنى ما قدمنا واحدًا.

وأَما «تُغْمَضُوا فيه» فيكون منقولاً من غَمَض هو وأَغمضه غيرُه، كقولك: خفِى وأَخفِاه غيره، فهو كقراءَة من قرأَ «أَن تَغْمُضُوا فيه». ولم يذكر ابن مجاهد هل الميم مع فتح التاء مكسورة أَو مضمومة، والمحفوظ فى هذا غَمَض الشىء يغمُض، كغار يغور، ودخل يدخُل، وكَمَن يكمُن، وغرب يغرُب.

والمعنى: أَن غيرهم يُغْمِضُهم فيه من موضعين:

أَحدهما: أَن الناس يجدونهم قد غَمَضُوا فيه، فيكون من أَفعلت الشىءَ وجدته كذلك، كأَحمدت الرجل وجدته محمودًا، وأذممته: وجدته مذمومًا. ومنه قوله[٣]:

وقومٍ كرامٍ قد نقلنا قِرَاهُم[٤]   إِليهم فأَتلفنا المنايا وأَتلفوا[٥]

أَى وجدناها مُتلِفة.

وقوله[٦]:

فمضى وأَخلف من قُتَيلة موعِدًا[٧]

---

(١) للأعشى من قصيدة نظمها فى مدح النبى ﷺ، (من الطويل) مطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا   وعادك ما عاد السليم المُسَهَّدا

انظر: (ديوانه ٦٧ وما بعدها).

(٢) أغار وأنجد: هبط وارتفع.

(٣) من قصيدة للفرزدق مطلعها:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف   وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

انظر: (ديوانه ٢/٢٣ وما بعدها).

(٤) فى المطبوع من الديوان ٢/٢٩: «وأطياف ليل قد نقلنا قِرَاهُمُ».

(٥) أى: جعلنا قراهم المنايا، فقتلنا منهم وقتلوا منا.

(٦) من قصيدة للأعشى قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن، لما أغار الحارث بن وعلة على بعض مناطق فارس (من الكامل)، والبيت مطلع القصيدة، وصدره: «أثوى وقصر ليلة ليزودا». انظر: (ديوانه ٨٢).

(٧) فى الديوان: «ومضى وأخلف من قتيلة موعَدا». أثوى: أقام، أخلف: لم يصدق، قتيلة: اسم امرأة.

أَى: صادفه مخلفًا.

وقول رؤبة(١):

وأَهيجَ الْخلْصاءَ من ذَاتِ البُرق(٢)

أَى صادفها مهتاجة النبت.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَه عَنْ ذِكْرِنَا﴾(٣)، أَى صادفناه غافلاً. ولو كان أَغفلنا هنا منقولاً من غفَل، أَى منعناه وصددناه، لكان معطوفًا عليه بالفاء «فاتَّبَعَ هواه». وذلك أنه كان يكون مطاوعًا، وفعل المطاوعة إنما يكون معطوفًا بالفاءِ دون الواو، وذلك كقوله: أَعطيته فأَخذ، ودعوته فأَجاب. ولا تقول هنا: أَعطيته وأخذ، ولا دعوته وأَجاب، كما لا تقول: كسرته وانكسر، ولا جذبته وانجذب. إنما تقول: كسرته فانكسر، وجذبته فانجذب وهذا شديد الوضوح والإنارة على ما تراه.

وكذلك لو كان معنى أَغفلنا فى الآية منعنا وصددنا لكان معطوفًا عليه بالفاء، وأَن يقال: ولا تطع من أَغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه. وإذْ لم يكن هكذا، وكان إنما هو «واتبع» فطريقه أنه لما قال أغفلنا قلبه عن ذكرنا فكأَنه قال: وجدناه غافلاً، وإذا وُجد غافلا فقد غفَل لا محالة، فكأَنه قال إذًا: ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أَمره فُرُطا، أَى لا تطع من فَعَل كذا، يعدد أَفعاله التى توجب ترك طاعة الله سبحانه. ونسأل الله توفيقًا من عنده ودُنوّا من مرضاته بمنّه ومشيئته. فهذا أَحد وجهى «تُغْمَضُوا فيه»، أَى: إِلا أَن توجدوا مُغْمِضين متغاضين عنه.

والآخر: أَن يكون «تُغْمَضُوا فيه»، أَى: إِلا أَن تُدْخلُوا فيه وتُجذبوا إليه، وذلك

---

(١) انظر: (ديوانه ١٠٥).

(٢) الخلصاء: بفتح أوله، وتسكين ثانيه، والصاد مهملة، والمد، قال أبو منصور: بلد بالدهناء معروف، وقال غيره: الخلصاء أرض بالبادية فيها عين، وقال الأصمعى: الخلصاء ماء لعبادة بالحجاز، والصحيح ما ذهب إليه الأزهرى لأنه رأى تلك الموضع؛ وقد ذكرها ذو الرمة والدهناء منازله فقال:

ولم يبق بالخلصاء مما عنت به ... من الرطب إلا يبسها وهشيمها

وقال أيضا:

أشبهن من بقر الخلصاء أعينها ... ومن أحسن من طيرانها صورا

انظر: (معجم البلدان ٢/ ٣٨٢).

(٣) سورة الكهف الآية (٢٨).

الشىء الذى يدعوهم إليه، ويحملهم عليه هو: رغبتهم فى أخذه ومحبتهم لتناوله. فكأنه - وا لله أعلم - إلا أن تسوِّل لكم أنفسكم أخذَه فتُحسِّن ذلك لكم، وتعترض بشكه على يقينكم حتى تكاد الرغبة فيه تكرهكم عليه.

ويزيد فى وضوح هذا المعنى لك ما روى عن الزهرى أيضًا من قراءَته: «إلاَّ أَنْ تُغَمِّضُوا فيه»، أى: إلا أن تغمِّضوا بصائركم وأعين علمكم عنه؛ فيكون نحوا من قوله:

إذا تخازرت ومابى من خَزَرْ[١]

وهو معنى مطروق، منه قول الله تعالى: «فبدأَ بِأَوْعِيتِهم قبْل وِعاءِ أَخِيهِ». وجاءَ به بعض المولدين فقال:

خالدَ اللُّؤْم أمغضٍ ... أنت؟ لا بل متغاضى

وآخرُ ذلك قول شاعرنا[٢]:

تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عما مضى منها وما يُتَوَقَّعُ
ولِمنَ يغالط فى الحقائق نفسَهُ ... ويَسُومُها طَلَبَ المُحَالِ فَتَتبَعُ[٣]

وما أظرف الأول وأدمثَه فى قوله[٤]:

---

(١) سبق الاستشهاد به.

(٢) هو المتنبى من قصيدة يرثى أبا شجاع فاتكًا، وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة، وكانت هذه المرثية بعد خروجه من مصر، ومطلعها:

الحزنُ يُقلِقُ والتجملُ يردعُ ... والدمعُ بينهما عصى طيِّعُ

انظر: (شرح ديوان المتنبى ٣/١٢ وما بعدها ط دار الكتاب العربى).

(٣) يروى: «ويسومها طلب المحال فَتَطْمَعُ».

وقوله: عما مضى: متعلق بغافل، ويتوقع: ينتظر. يقول: إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر فى العواقب من انقضائها أو أحداثها التى لا يطيق لها احتمالاً، أما العاقل الفطن الذى ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريفها فإنها لا تصفو له. انظر: (هامش الديوان ٣/١٣).

ويسومها: يكلفها، ويعنى بالحقائق: ما لا شك فيه للعاقل، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار، والإنسان فيها على خطر عظيم، وأن الحياة فانية فمن غالط فى هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر فى العواقب، وسام نفسه طلب المحال من البقاء فى السلامة مع نيل المراد فطمعت فى ذلك. انظر: (هامش الديوان ٣/١٣).

(٤) للعباس بن الأحنف، والبيتان مطلع قطعة من أربع أبيات.

أَبكى إلى الشرق ما كانت منازلها   مما يلى الغرب خوف القِيل والقالِ
وأذكر الخال فى الخد اليمين لهـا   خوف الوُشاة وما بالخد من خال(١)

* * *

﴿اتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ٢٧٨﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «اتَّقُوا الله وَذرُوا ما بَقِىْ مِنْ الرِّبا»(٢)، بكسر القاف وسكون الياء.

قال أبو الفتح: قد سبق ما فى سكون هذه الياء المكسور ما قبلها فى موضع النصب والفتح بشواهده. ومنه قول جرير(٣):

هو الخليفة فارضَوْا ما رضِىْ لكـمُ   ماضى العزيمة ما فى حكمه جَنَفُ(٤)

---

(١) فى الديوان ٢٥١، والخصائص ٣/٣١٩:

أبكى إلى الشرق ما كانت منازِلُهم   مما يلى الغرب خوفَ القيل والقال
أقول بالخد خالٌ حين أنعتُها   خوفَ الوشاةِ وما بالحد من خالِ

(٢) انظر: (البحر المحيط ٢/٣٣٧، شرح التصريح ٢/ ٤١، إتحاف فضلاء البشر ١٦٥).

(٣) من قصيدة يمدح يزيد بن عبدالملك ويهجو آل المهلب، مطلعها:

انظر خليلى بأعلى ثرمداء ضحى   والعيس جائلةٌ أغراضُها خُنُفُ

انظر: (الديوان ٣٠٢ وما بعدها).

(٤) فى الديوان:

هُوَ الخَليفَةُ فارضَوْا ما قضَى لكُمُ   بالحَق يَصْدَعُ ما فى قَوْلِهِ جَنَفُ

انظر: (ديوانه ٣٠٨، البحر المحيط ٢/٣٣٧، اللسان «صدع»، المغنى ٢/٦٦٩) برواية: «هو الخليفة فارضوا ما رضى لكمُ».

قال ابن هشام: سكنت الياء للتخفيف.. والإسكان ضرورة.. وقد جعل ابن عصفور حذفهم الفتحة من الفعل المعتل اللام أحسن من حذفها من آخر الصحيح اللام.

قال الدكتور أحمد علم الدين الجندى: «وهذه الظاهرة نسمع صداها الآن فى الشرق والغرب معًا، وقد لا يبعد أن تكون هذه الظاهرة سامية قديمة، احتفظت بها طيئ وقبلتها، وظهرت آثارها على شعرائها، ثم قلدتها القبائل المجاورة لطيئ، كأسد ومزينة وتميم، لأن العلاقة الجغرافية بينهم ثابتة، فظهرت فى أسد لأن طيئًا لما هاجرت سكنت مساكن أسد، كما ظهرت فى بلحارث بن كعب، لأن بلحارث قبيلة يمنية كطيئ، كما يحدث التاريخ أن اختلاطا حدث بين بعض بطون طيئ فى المجال العربي، ولعل فى هذا ما يفسر قول الزمخشرى: (إن طيئًا لا تأخذ من لغة، ويؤخذ من لغاتها). انظر: (اللهجات العربية فى التراث ٢/٥٣٦).

ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبى زيد عن أبى السَّمَّال: أنه كان يقرأ: «ما بقِى مِن الرِّبُوْ»، مضمومة الباءِ ساكنة الواو.

قال أَبو الفتح: فى هذا الحرف ضربان من الشذوذ(١).

أَحدهما: الخروج من الكسر إلى الضم بناءً لازمًا.

والآخر: وقوع الواو بعد الضمة فى آخر الاسم، وهذا شىءٌ لم يأْت إلا فى الفعل نحو يغزو ويدعو ويخلو، فأَما «ذو» الطائية التى بمعنى الذى نحو قوله(٢):

لأَنْتحيا للعظم ذو أَنا عارقه(٣)

فشاذ، وعلى أَن منهم من يغير هذه الواو إذا فارق الرفع. فيقول: رأيت ذا قام أَخوه، ومررت بذى قام أَخوه.

وسأَلت أَبا على عن حكاية أَبى زيد «فعلتُه من ذى إلينا». فقال: أَراد من الذى إلينا. فقلت: فهذا يوجب عليه أَن يقول من ذو إلينا.

فقال - وهو كما قال -: قد تغير هذه الواو فى النصب والجر، وعلى أَن ذو هذه لما كانت موصولة وقعت واوها حشوا فأَشبهت واو طُومار، كما أَشبهت عند صاحب الكتاب ياء معد يكرب ياءَ دردبيس.

والذى ينبغى أَن يُتعلَّل به فى الرِّبُو بالواو هو أَنه فخَّم الأَلف انتحاءً بها إلى الواو التى الألف بدل منها على حد قولهم: الصلاة والزكاة، وكمشكاة، وكقولهم: عالم وسالم وسالف وآنف. وكأَنه بيَّن التفخيم فقوى الصوت فكان الواو أَو كاد، إلا أَن الراوى أَبو زيد، وما أَبعده مع علمه وفقهه باللغة من أَن تتطرق ظِنَّةٌ عليه فى تحصيل ما يسمعه.

فإن قلت فلعله شَبه ذوات العلة بذوات الهمز فوقف على الواو، كما قالوا: هو الرِّدُو والبُطُو. قيل: هذه الواو إنما تكون مع الهمزة فى هذا الكَلَو ومررت بالكَلَىْ فى موضع

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٣٣٨، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٧٠).

(٢) نسبه أبو تمام فى ديوان الحماسة ٢/٥٧٥ لعارف الطائى، من قصيدة مطلعها:

ألا حيى قبل البين من أنت عاشقه ... ومن أنت مشتاق إليه وشائقه

(٣) وصدره: «لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم». انظر: (ديوان الحماسة ١/٥٧٦).

انتحاه: قصده. وذو: بمعنى الذى فى لغة طيئ. والعارق: منتزع اللحم من العظم.

الرفع، وموضع الرِّبُو جر بمن فى قوله: «مِنَ الرِّبُو». وعلى أن الكَلو مفتوح ما قبل الواو، والباء من الرِّبُو مضمومة: وعلى أى الأمر حملته فهو شاذ.

* * *

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ﴾ (٢٦٩)

ومن ذلك قراءَة الزهرى ويعقوب: «ومن يوُتِ الحكمةَ[1]»، بكسر التاء.

قال أَبو الفتح: وجهه على أن الفاعل فيه اسم الله تعالى، أى: ومن يُوت الله الحكمة، مَنْ منصوبة على أنها المفعول الأول والحكمة المفعول الثانى، كقولك: أَيَّهم تعط درهما يشكرك.

* * *

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ (٢٨٠)

ومن ذلك قراءَة الحسن بخلاف، وأَبى رجاء ومجاهد فيما رُوِى عنه: «فَنَظْرَة إلى ميْسُرة[2]»، وقراءَة عطاء بن أَبى رباح: «فناظِرْهُ[3]» بالألف، والهاء كناية. ورُوى أَيضًا عن عطاء: «فَناظِرْهُ إلى مَيْسُرِه[4]»، أَمر.

قال أبو الفتح: أما «فَنَظْرَة» بسكون الظاء فمسكّنة للتخفيف من «نَظِرة»، كقولهم فى كَلِمَة: كَلْمة، وفى كَبِد كَبْد، لغة تميمية. وهم الذين يقولون فى كَرُمَ: كَرْم، وفى كُتُب: كُتْب.

---

(١) وهى قراءة الأعمش أيضًا. انظر: (البحر المحيط ٢/ ٣٢٠، التبيان ٢/٣٤٨، مجمع البيان ٢/٣٨٢، النشر ٢/٢٣٥، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٤٨، الكشاف ١/١٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٣١، إتحاف فضلاء البشر ١٤٦/٦).

(٢) وقراءة قتادة، والضحاك. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٦٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٦٥، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٧٣، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨، البحر المحيط ٢/ ٢٤٠، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٦٦).

(٣) وقراءة مجاهد. انظر: (البحر المحيط ٢/ ٣٤٠، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٧٤، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٦٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٩٥).

(٤) وقراءة مجاهد. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٩٥، البحر المحيط ٢/ ٣٤٠، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨).

وأما فناظِرْه فكقولك: فياسره فسامحه وليس أمرًا من المناظرة؛ أى المحاجة والمجادلة، لكنها من المساناة والمسامحة، فيقول على هذا: قد تناظر القوم بينهم الحقوق، كقولك: قد تسامحوا فيها ولم يضايق بعضُهم بعضًا.

ويقول عليه: لله متبايعان رأيتهما، فقد تناظرا، أى: تسامحا ولم يتحاجا.

وأما «إلى مَيْسُره». فغريب؛ وذلك أنه ليس فى الأسماء شىء على مفْعُل بغير تاء، لكنه بالهاء، نحو المقدُرة والمقبُرة والمشرُقة والمقْنوة. وأما قوله(١):

أبلغ النعمان عنى مألُكا ... أنه قد طال حبسى وانتظارْ

فطريقه عندنا أنه أراد مَألُكة، وهى الرسالة، غير أنه حذف الهاءَ وهو يريدها، كما قال كثير:

خليلى إنْ أُمُّ الحَكيم تَحَملت ... وأَخْلت لخَيمات العُذَيبِ ظلالها

يريد العُذيْبَة. وكما قال مَلك بن جبّار الطائى(٢):

إنا بنو عمكم لا أنْ نُباعلكم ... ولا نصالحكم إلا على ناح

يريد ناحية. وكذلك قول الآخر(٣):

بُثَيْن الزمى لا إنّ لا إنْ لزمتِه ... على كثرة الواشين أىُّ معون(٤)

يريد معونة فحذف. وقيل: أراد جمع معونة. وكذلك قول الآخر(٥):

---

(١) نسبه فى المنصف ١٠٤/٢ لعدى بن زيد.

(٢) انظر: (الخصائص ٢١٥/٣).

(٣) من قصيدة لجميل بثنية (من الطويل) مطلعها:

حلفت برب الراقصات إلى منى ... هُوِىَّ القطا يجتزن بطن دفين

انظر: (ديوان العذريين ١٥٩ طبعة دار الجيل).

(٤) انظر: (ديوانه ١٦٢، الخصائص ٢١٤/٣، شرح شافية ابن الحاجب ١٦٨/١) وبثين مرخم بثينة اسم حبيبته، يقول: إذا سألك الواشون عنى أو عن شىء يرتبط بى فلا تذكرى شيئًا سوى كلمة لا، فإن هذه الكلمة إن لزمتها أكبر عون لك على رد كيدهم، والشاهد فيه قوله معون بضم العين وأصله معون بسكونها وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها، وهذا شاذ، والقياس المعان، وأصله معون فنقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها ثم قلبت ألفًا. انظر: (شرح شواهد الشافية على هامش شرح الشافية ١٦٨/١، ١٦٩).

(٥) ذكره غير منسوب فى الخصائص ٢١٥/١٣ وكذلك صاحب شرح الشافية ١٦٩/١. وقال البغدادى: هذا بيت من الرجز المشطور من كلمة لأبى الأخزر الحمانى يمدح فيها مروان بن=

لِيَوْم رَوْعٍ أَو فَعالِ مَكْرُم[١]

يريد مكرمة ثم حذف. وقيل: أراد جمع مكرمة، وكذلك أراد هنا إلى ميسرته، فحذف الهاء. وحسن ذلك شيئًا أن ضمير المضاف إليه كاد يكون عوضًا من عَلَم التأنيث. وإليه ذهب الكوفيون فى قوله تعالى: ﴿**وإِقامِ الصلاة**﴾[٢] أنه أراد إِقامة، وصار المضاف إليه كأنه عوض من التاءِ.

ويشهد لهذا قراءَة من قرأ «فَنَظِرةٌ إلى مَيْسُرة[٣]». قرأ بها نافع فى جماعة من الصحابة، فاعرف.

* * *

وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ﴿٢٨١﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «واتقوا يوما يُرجعون فيه»[٤] بياءٍ مضمومة.

قال أبو الفتح: فيه أنه تَرك الخطاب إلى لفظ الغيبة كقوله تعالى: ﴿**حتى إِذا كنتم فى الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم بِريح طيِّبة**﴾[٥]، غير أنه تصور فيه معنى مطروقًا هنا فحَمَل الكلام عليه، وذلك أنه كأنه قال: واتقوا يوما يرجع فيه البشَر إلى الله فأَضمر على ذلك، فقال: يُرجعون فيه إلى الله.

=الحكم بن العاص، وقد روى قبله: «نعم أخو الهيجاء فى اليوم اليمى». وعزاه أيضًا ابن السيد فى الاقتضاب ٤٦٩ للأخزر الحمانى أيضًا.

(١) ويروى البيت الذى قبله: «مَروان مَرْوَان لليوم اليمى». ويروى: «مروان مروان آخو اليوم اليمى». والروع: الفزع والخوف. والفعال - بفتح الفاء - الوصف حسنًا أو قبيحًا والمكرم: الكرم، وهو محل الشاهد فى البيت. انظر (شرح شواهد الشافية على هامش شرح الشافية ١/١٦٩).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٧٣)، والنور الآية (٣٧).

(٣) وقراءة مجاهد، وأبى رجاء، وابن محيصن، وشيبة، وعطاء، وحميد بن قيس. انظر: (الكشاف ١/١٦٧، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨، النشر ٢/٢٣٦، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٦٦، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٧٤، التيسير ٨٥، التبيان ٢/٣٦٨، البحر المحيط ٢/٣٤٠، إتحاف فضلاء البشر ١٦٦، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٩٥، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٠٢، الحجة لأبى زرعة ١٤٩، السبعة ١٩٢، غيث النفع ١٧٠، الكشف للقيسى ١/٣١٩).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩).

(٥) سورة يونس الآية (٢٢).

وقد شاع واتسع عنهم حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى، وتركُ الظاهر إليه، وذلك كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر وإفراد الجماعة وجمع المفرد. وهذا فاش عنهم، وقد أفردنا له بابًا فى كتابنا فى الخصائص ووسمناه هناك بشجاعة العربية[1]. وكأنه - والله أعلم - إنما عدل فيه عن الخطاب إلى الغيبة فقال: يُرْجَعُون بالياءِ رفقًا من الله سبحانه بصالحى عباده المطيعين لأمره.

وذلك أن العود إلى الله للحساب أعظمُ ما يخوِّفُه ويُتوعَّدُ به العباد. فإذا قرئ تُرْجَعُون فيه إلى الله فقد خوطبوا بأمر عظيم يكاد يستهلك ذكرُه المطيعين العابدين، فكأنه تعالى انحرف عنهم بذكر الرجعة فقال: يرجعون فيه إلى الله. ومعلوم أن كل وارد هناك على أهول أمر وأشنع خطر، فقال: يرجعون فيه، فصار كأنه قال: يجازَوْن أو يعاقبون أو يطالبون بجرائرهم فيه، فيصير محصوله من بَعد، أى: فاتقوا أنتم يا مطيعون يومًا يعذَّب فيه العاصون.

ومن قرأ بالتاء «تُرْجَعُون» فإنه فضْلُ تحذير للمؤمنين نظرًا لهم واهتمامًا بما يُعقِب السلامة بحذرهم، وليس ينبغى أن يُقْتصَر فى ذكر علة الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب بما عادة توسط أهل النظر أن يفعلوه، وهو قولهم: إن فيه ضربًا من الاتساع فى اللغة لانتقاله من لفظ إلى لفظ. هذا ينبغى أن يقال: إذا عَرِى الموضع من غرض معتمد، وسر على مثله تنعقد اليد.

فمنه قوله تعالى: ﴿**إياك نَعبد وإياك نستعين**﴾، هذا بعد قوله: ﴿**الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم**﴾. فليس ترك الغيبة إلى الخطاب هنا اتساعًا وتصرفًا، بل هو لأمر أعلى ومُهم من الغرض أعْنَى. وذلك أن الحمد معنى دون العبادة، ألا تراك قد تحمد نظيرك ولا تعبده؛ لأن العبادة غاية الطاعة والتقربُ بها هو النهاية والغاية؟ فلما كان كذاك استعمل لفظ «الحمد» لتوسطه مع الغَيبة، فقال: ﴿**الحمد لله**﴾، ولم يقل لك، ولما صار إلى العبادة التى هى أقصى أمد الطاعة قال: ﴿**إياك نعبد**﴾، فخاطب بالعبادة إصراحا بها، وتقربا منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدوده منها.

وعلى نحو منه جاءَ آخر السورة، فقال: ﴿**صراطَ الذين أنعمتَ عليهم**﴾ فأصرح بالخطاب لمّا ذكر النعمة، ثم قال: ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾، ولم يقل غير الذين غضبتَ عليهم، وذلك أنه موضع تقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار الكلام إلى ذكر

---

(١) انظر: (الخصائص ٢/٣٦٢ وما بعدها).

الغضب قال: ﴿غَيْرِ المغضوبِ عليهم﴾، حتى كأنه قال: غير الذين غُضِب عليهم، فجاءَ اللفظ مُنْحرَفًا به عن ذكر الغاضب، ولم يقل غير الذين غضبتَ عليهم كما قال: ﴿الذين أَنعمتَ عليهم﴾ فأَسند النعمة إليه لفظًا، وزَوَى عنه لفظ الغضب تحسنًا ولطفًا.

فانظر إلى هذه اللغة الكريمة وشرفها، وتلاقى هذه الأغراض اللطيفة وتعطفها، الأقدامُ تكاد تطؤها، والأفهام مع ثقوبها صافحة عنها، وياليت شعرى هل تكون سورة أكثر استعمالا من سورة الحمد، وهذا جزءٌ من أَجزاءِ ما فيها ولم توضع عليه يد؟ شرح الله لإعظام أَوامره صدورَنا، وأَحسن الأخذ إلى طاعته بأَيدينا بقدرته وماضى مشيئته.

ومما يَتَلَقَّاه عامةُ من يُسْأَل عنه بأَنه أَخذٌ باللغتين، وسعة باختلاف اللفظين - قراءَة أَبى عمرو: «وتفقَّدَ الطيرَ فقال ما لىْ لا أَرى الهُدهُدَ»(١)، بسكون الياءِ من «لى»، وقراءَته أَيضًا: «وما لىَ لا أَعبُد الذى فَطرنى»(٢)، بتحريك الياء.

وعلة ذلك ليس الجمع بين اللغتين كما يُفتِى به جميع من تسأَله عنه، لكنه لما جاز الوقف على قوله تعالى: «وتفَقَّد الطيرَ فقال ما لى»(٣)، وأَن يستأْنف فيقول: «لا أَرى الهدهد»(٤)- سكن الياءَ من «لى»؛ أَمارة لجواز الوقوف عليها. ولما لم يحسن الابتداء بقوله: «لا أَعبد الذى فطرَنى»(٥) - حرك الياءَ من «لِىَ» قبلها؛ أَمارة لإدراج الكلام ووصله، وذاك أَن الحركة من أَعراض الوصل، والسكون من أَعراض الوقف. فهل يحسن مع وجود هذا الفرق الواضح الكريم أَن يُخلدَ دونه إلى التَّعَذُّرِ بما يُخْلِدُ إليه الموهون المضيم؟ اللهم انفعنا بما استودعتناه، واجعل بك اعتصامنا، وإلى طاعتك تَوجُّهنا، إنك لطيف بنا وأَنت حسبنا.

* * *

(١) سورة النمل الآية (٢٠)، وقراءة نافع، وحمزة، وأبى جعفر، وهشام، ويعقوب، وابن وردان، وأبى حاتم وأبى عبيد. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ٢٣٥، السبعة ٤٧٩، النشر ٢/٢٤٠، غيث النفع ٣١٠، تحبير التيسير ١٥٣).

(٢) سورة يس الآية (٢٢). انظر: (إتحاف فضلاء البشر ٣٦٤، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٧١٥، النشر ٤/٣٥٦، السبعة ٥٤٤، غيث النفع ٣٣٢، تحبير التيسير ١٦٥).

(٣) سورة النمل الآية (٢٠).

(٤) سورة النمل الآية (٢٠).

(٥) سورة يس الآية (٢٢).

وَٱمْرَأَتَانِ (٢٨٢)

ومن ذلك ما رواه مَتٌّ بن عبدالرحمن قال: كان أهل مكة يقرءُون: «وامرأْتان»(١)، بسكون الهمزة.

قال أبو الفتح: وجه ذلك - والله أعلم - أنهم كانوا يخففون الهمزة هنا فيضعفون حركتها على المعتاد من أمرها، فتقرب من الساكن.

ويدلُّ على أن الهمزة المحركة إذا خففت في نحو هذا قريبة من الساكن - امتناعُ العرب من أن تبتدئ بها مخففة كما تمتنع من الابتداءِ بالساكن، فلما صارت إلى قولك: «وامرأتان» بالَغوا في ذلك فأبدلوها ألفا، فصارتَ: «وامراتان» بألف ساكنة، كما قال(٢):

يقولون جهلا ليس للشيخ عَيِّل   لعمرى لقد أعيلت وان رقوب(٣)

يريد وأنا، فخفف الهمزة فصار «وان»، ثم تجاوز ذلك إلى البدل فأخلصها في اللفظ ألفًا فقال: وأْن. فكذلك لما أبدل من همزة «وامرأتان» ألفًا فصار تقديره: «وامراتان»، ثم أبدل الهمزة من الألف وإن كانت ساكنة على ما قدمنا ذكره فيما قبل. وعليه قراءَة ابن كثير: «وكَشفَتْ عن سأْقَيْها»(٤). ومنه البأز، والخأتم، والعأْلم، وتأبْلَتُ القدر، ونحو ذلك مما قدمنا ذكره. هذا طريق الصنعة فيه والتأتى له.

فأما أن يقدِّر به مقدِّرٌ على أنه أَسكن الهمزة المتحركة اعتباطا البتة هكذا فلا؛ لأنه لا نظير له. ألا ترى أن ما قبل تاءِ التأنيث لا يكون أبدًا إلا مفتوحا، نحو جوزة ورطبة، إلا أن تكون الألف المدة نحو فتاة وقطاة؟ فأما الهمزة فحرف صحيح حامل للحركة فتجب فتحته البتة. فإن قلت: أُسكن الهمزة تشبيهًا لها بالألف من حيث تساوتا في

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٢٤٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر دون نسب. انظر: (البحر المحيط ٣/٢٤٦).

(٣) قال أبو حيان: يريد: وأنا رقوب، قيل: خفف الهمزة بإبدالها ألفًا ثم همزة بعد ذلك قالوا: الخأتم والعألم. انظر: (البحر المحيط ٣/٢٤٦).

(٤) سورة النمل الآية (٤٤). وقراءة قنبل، ووهب بن واضح. انظر: (السبعة ٤٨٣، النشر ٢/٣٣٨، إتحاف فضلاء البشر ٣٣٧، البحر المحيط ٧/٧٩، التيسير ١٦٨، غيث النفع ٣١٢، الكشاف ٣/١٥٠، الكشف ٢/١٦٠، تفسير الفخر الرازى ٢٤/٢٠٠، الحجة المنسوب لابن خالويه ٢٧٢، الحجة لأبى زرعة ٥٣٠، العنوان ١٤٠، مخطوط تحبير التيسير ١٥٢، تفسير الآلوسى ١٩/٢٠٩).

الجهر، وفى الزيادة، وفى البدل، وفى الحرف، وفى قرب المخرج، وفى الخفاء - فقولٌ ما، غير أنه مخشوب لا صنعة فيه ولا يكاد يُقنع بمثله.

* * *

وَلَا يُضَآرَّ ﴿٢٨٢﴾

ومن ذلك قراءَة عمرو بن عبيد وأبى جعفر يزيد بن القعقاع: «ولا يُضارّْ»[١]، بتشديد الراء وتسكينها.

قال أبو الفتح: أما تشديد الراء فلا سوال فيه؛ لأنه يريد يضارَر، بفتح الراءِ الأُولى أَو بكسرها. وكلاهما قد قرئ به؛ أَعنى: الفتح فى الراءِ الأُولى والكسر. والإدغام لغة تميم، والإظهار لغة الحجازيين على ما مضى، لكن تسكين الراءِ مع التشديد فيه نظر.

وطريقه أنه أجرى الوصل مجرى الوقف كقوله: سَبْسَبًّا[٢]، وكلْكَلا. وقد ذكرنا هذا الوصل على نية الوقف فيما مضى. وقد كنا ذكرنا فيما قبل ما يُروى عن الأعرج عن أبى جعفر من تسكين الراءِ على أنها مخففة، وأيًّا كان ففيه ما مضى.

وقراءَة ابن محيصن: «ولا يُضَارُّ»، رفعٌ[٣]. قال ابن مجاهد: لا أَدرى ما هى؟. وهذا الذى أنكره ابن مجاهد معروف، وذلك على أن تجعل «لا» نفيا؛ أَى: وليس ينبغى أَن يضار، كقوله[٤]:

على الحكم المأتى يومًا إذا قضى   قضيَّتَه أَلا يجور ويقصِدُ[٥]

---

(١) سبق الإشارة إليها.

(٢) من قول رؤبة بن العجاج: «تترك ما أبقى الدبى سبسبا». انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٢٥٤:٢٥٩).

(٣) وهى قراءة ابن كثير، وأبى عمرو، ويعقوب، واليزيدى. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٥٨، البحر المحيط ٢/٣٥٤).

(٤) نسبه فى الكتاب لعبدالرحمن بن أم الحكم. انظر: (الكتاب ٣/٥٦، شرح المفصل ٧/٣٨، خزانة الأدب ٣/٦١٣، شرح شواهد المغنى ٢٦٣)، ونسب الشعر فى الخزانة إلى أبى اللحام التغلبى، وفى اللسان «قصد» أن هذه النسبة هى الصحيحة.

(٥) الحكم: الحاكم الذى يقض بين القوم. والقضية: الحكم. والقصد: العدل. والشاهد فيه: رفع «يقصد» على القطع؛ لأن معناه: وينبغى له أن يقصد، كأنه قال: وليقصد فى حكمه. ونظيره مما جاء بلفظ الخبر، ومعناه الأمر فى قول الله تعالى: ﴿والوالدت يرضعن أولادهن﴾ أى ليرضعن.

فرفع «ويقصد» على أنه أراد: وينبغي له أن يقصد فرفع يقصد كما يرتفع ينبغي. فكذا هذا؛ أي وينبغي ألا يضار. وإن شئت كان لفظ الخبر على معنى النهي حتى كأنه قال: ولا يضارِرْ، كقولهم في الدعاء: يرحمه الله، أي ليرحمه الله، ويغفر الله لك، أي ليغفر الله لك، ولا يرحمُ الله قاتلك، فَرُفِع على لفظ الخبر وأنت تريد: لا يرحمْه الله جزما فتأتي بلفظ الخبر وأنت تريد معنى الأمر والنهي على ما ذكرنا.

* * *

يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴿٢٨٤﴾

ومن ذلك ما رواه الأعمش قال: في قراءة ابن مسعود: «يحاسِبْكم به الله يغفرْ لمن يشاءُ ويعذبْ من يشاءُ»(١)، جزْمٌ بغير فاء.

قال أبو الفتح: جَزْم هذا على البدل من «يحاسبكم» على وجه التفصيل لجملة الحساب، ولا محالة أن التفصيل أوضح من المفصَّل، فجرى مجرى بدل البعض أو الاشتمال. والبعض: كضربت زيدًا رأسه، والاشتمال كأُحِبُّ زيدًا عقله. وهذا البدل ونحوه واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القبيلين إلى البيان. فمن ذلك قول الله سبحانه: ﴿**ومَنْ يفعَلْ ذلك يلْق أثاما يُضاعَفْ له العَذَابُ يوم القِيامَةِ ويخْلُدْ فيه مُهانا**﴾(٢). لأن مضاعفة العذاب هو لُقِيّ الأثام.

وعليه قوله:

رُويدًا بني شيبان بعضَ وعيدكم ... تُلاقوا غدًا خيلي على سَفَوان(٣)
تلاقوا جيادًا لا تَحيد عن الوغى ... إذا ما غَدَت في المأزق المتداني
تلاقوهمُ فتعرفوا كيف صبرهم ... على ما جَنَتْ فيهم يدا الحدثان(٤)

---

(١) وقراءة الجعفي، وخلاد، وطلحة بن مصرف. انظر: (البحر المحيط ٢/٣٦١، الكشاف ١/١٧١، إعراب القرآن للعكبري ١/٧١، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٠٤).

(٢) سورة الفرقان الآيتان (٦٨، ٦٩).

(٣) سَفَوَان: بفتح أوله وثانيه، وآخره نون، كأنه فعلان من سفت الريح التراب وأصله الياء إلا أنهم هكذا تكلموا به، قال أبو منصور: سفوان ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير السافي وهو التراب، قال: وأنشدني أعرابي:

جارية بسفوان دارها ... تمشي الهوينا ما تلا خمارها

انظر: (معجم البلدان ٣/٢٢٥).

(٤) من مقطوعة من ست أبيات لوداك بن نميل المازني، وردت في ديوان الحماسة ١/٤٥.

فأَبدل تلاقوا جيادًا من قوله: تلاقوا غدًا خيلى، وجاز إبداله منه للبيان وإِن كان من لفظه وعلى مثاله؛ لِمَا اتصل بالثانى من قوله: جيادًا لا تحيد عن الوغى، وأَبدل تلاقوهم من تلاقوا جيادًا لِمَا اتصل به من المعطوف عليه وهو قوله: «فتعلموا كيف صبرهم». وإذا حصلت فائدة البيان لم تُبلْ أَمِنْ نفس المبدل كانت، أَم مَمَّا اتصل به فضلةً عليه، أَم من معطوف مضموم إليه؛ فإن أَكثر الفوائد إنما تجتنى من الأَلحاق والفضلات. نعم وما أَكثر ما تُصْلِحُ الجملَ وتتمِّمُها، ولولا مكانها لَوَهتْ فلم تستمسك.

أَلا تراك لو قلت: زيد قامت هند لم تتم الجملة؟ فلو وصلت بها فضلة ما لتمت، وذلك كأَن تقول: زيد قامت هند فى داره، أَو معه، أَو بسببه، أَو لِتُكرمه، أَو فأَكرمَتـه، أَو نحو ذلك - فصحت المسأَلة؛ لعود الضمير على المبتدأ من الجملة. وعليه قول كثير فيما أَظن(١):

وإِنسان عينى يحسر الماءُ تارة فيبدو وتارت يَجُم فيغرَق

فبالمعطوف على يحسُر الماءُ ما تمت الجملة. وفى هذا بيان.

* * *

=وبين الثانى والثالث:

عليها الكماة الغر من آل مازن ألاه طعان عندَ كُلِّ طِعَانِ

وهو ساقط «من بعض نسخ ديوان الحماسة المخطوطة، ولعلها هى التى أُطلع عليها ابن جنى.

(١) ورد فى ديوان ذى الرمة ٣٩١.

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢)

من ذلك قراءَة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضى الله عنهما، وابن مسعود وإبراهيم النخعى، والأعمش، وأصحاب عبدالله وزيد بن على، وجعفر بن محمد وأبى رجاء بخلاف، ورُويت عن النبى ﷺ: «الحيُّ القيَّام»[١]، وقرأ علقمة: «الحيُّ القيِّم»[٢].

قال أبو الفتح: أما «القيّام» ففيعال من قام يقوم؛ لأن الله تعالى هو القيم على كل نفس، ومثله من الصفة على فيعال الغيْداق والبَيْطار. وأصله القيْوَام فلما التقت الواو والياءُ وسبقت الأُولى بالسكون قلبت الواو ياءً وأُدغمت فيها الياءُ فصارت القيام، ومثله قولهم: «ما بالدار ديّار»، وهو فيعال من دار وأصلها دَيْوار، وأهل الحجاز يقولون، للصوَّاغ: الصَّيَّاغ. فعلى هذا ينبغى أن يحمل لا على فعّال؛ لأنه كان يجب أن يكون صوَّاغا. هذا هو الباب.

وأما الفيَّاد لِذَكر البوم فحمله أبو علىّ على أنه فَعَّال من الأسماء، وذلك أنه من فاد يفِيد إذا تبختر. وأما الجيَّار للسُّعال فكذا يجب أن يكون أيضًا، وهو فَعَّال من لفظ «جَيْر» بمعنى نعم ومعناها؛ وذلك أن السَّعلة تجيب أُختها كما أن جير جواب.

قال العجَّاج[٣]:

تجاوب الرَّعْدِ إذا تبوَّجا

وأنشدنا أبو على:

---

(١) وقراءة المطوعى، وعلقمة بن قيس. انظر: (الطبرى ١٥٥/٦، الجامع لأحكام القرآن ١/٤، معانى القرآن للفراء ١٩٠/١، مجمع البيان ٤٠٥/٢، التبيان ٣٨٨/٢، البحر المحيط ٣٧٧/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣٨/١، شرح المفصل ١٢٧/٦).

(٢) وقراءة خارجة، وعبدالله بن مسعود. انظر: (الطبرى ١٥٥/٦ والقرطبى ١/٤ والبحر المحيط ٢٣٧٧، النحاس ٣٠٨/١).

(٣) فى ديوانه ٨.

إذا حَنَّتِ الأُولى سَجَعْنَ لها معًا

والحديث طويل لكن هذا طريقه.

وأما القَيِّم ففيعل من قام يقوم بأمره، وهو من لفظ قَيَّام ومعناه قال:

ا لله بيني وبين قَيِّمها   يفر مني بها وأَتَّبعُ

لما قال الشاعر هذا قيل له: لا، بل ا لله بين قيمها وبينك.

والقيوم قراءَة الجماعة، فَيْعول هذا أيضًا، ومثله الدَّيُّور فى معنى الدَّيَّار.

* * *

وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «الأَنجيل»[1]، بفتح الهمزة.

قال أَبو الفتح: هذا مثال غير معروف النظير فى كلامهم؛ لأَنه ليس فيه أَفعيل بفتح الهمزة. ولو كان أَعجميًا لكان فيه ضرب من الحِجاج، لكنه عندهم عربى، وهو أَفعيل من نجل ينجُل: إذا أثار واستخرج، ومنه نَجْلُ الرجل لولده؛ لأَنه كأنه استخرجهم من صلبه وبطن امرأته، قال الأعشى[2]:

أَنجبَ أَزمانَ والداه به   إذ نَجَلاه فَنِعْمَ ما نَجلا[3]

أَى أَنجب والداه به أَزمان إذ نجلاه، ففصل بالفاعل بين المضاف الذى هو أَزمان وبين المضاف إليه الذى هو إذ، كقولهم: حينئذ، ويومئذ، وساعتئذ، وليلتئذ.

وقال أَبو النجم:

تنجل أيديهن كل منْجل

(١) انظر: (الكشاف ١/١٧٣، القرطبى ٤،٦، البحر المحيط ٢/٣٧٨، مجمع البيان ٢/٤٠٥، إتحاف فضلاء البشر ١٧٠، اللسان «نجل»).

(٢) من قصيدة فى مدح سلامة ذا فائش بن يزيد بن مرة بن عريب بن مرشد الحميرى (من المنسرح) مطلعها:

إن محلا وإن مُرتحلا   وإن فى السفر ما مضى مهلا

انظر: (ديوانه ٢٥٤ وما بعدها).

(٣) فى الديوان: «أنجب أيامُ والديه به». انظر: (ديوانه ٢٥٦).

يريد أيدى الإبل، أى تثير بأيديها فى سيرها ما تمر به من نبت وحجَر وغيرهما.

وقيل له: إنجيل لأنَّ به ما استخرج علم الحلال والحرام ونحوهما، كما قيل: توراة، وهو فوعلة من وَرَى الزنْدُ إذا قَدح وأَصله وَوْرَيَة، فأَبدلت الواو التى هى الفاءُ تاء كما قالوا: التُّجاه والتُّخَمةُ والتُّكْلان والتَّيقور، وهى من الوجه الوخامة والوكيل والوقار. وقلبت الياءُ أَلفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت توراة. فهذه من ورى الزَّنْدُ: إذا ظهرت ناره، وهذا من نَجَل ينجُل: إذا استَخْرج، لما فى هذين الكتابين من معرفة الحِلِّ والحِرْم كما قيل لكتَاب نبينا ﷺ: الفُرْقان؛ لأَنه فرَّق بين الحق والباطل. وهذا الحديث الذى نحن عليه من بابٍ ضُمنَه كتابُنا الخصائص وسَمتُه: باب فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى(١)، وذلك أَن التوارة من لفظ ورى، والإنجيل من لفظ «ن ج ل»، والفرقان من «ف ر ق». والتوراة فوعلة، والإنجيل إِفعيل، والفُرقان فُعلان. فالأُصول مختلفة والمبانى كذلك، والمعانى واحدة ومعتنِقة، وكلها للإظهار والإبراز والفرق بين الأَشياءِ، أَفلا ترى إلى هذه الحكمة الممرور بها، الواطئة الأَقدام عليها، المسهوِّ لعادة الدعة وقلة المراعاة والمراجعة عنها؟.

وفى كل شىء له شاهد ... يدل على أَنه واحد(٢)

ونظائره تكاد تكون أَكثر من الرمل، منه قولهم للمِسك: صِوَار، فأَصلاهما مختلفان: هذا من «م س ك»، وهذا من «ص و ر». ومثالاهما كذلك؛ لأَن مِسْكًا فِعْلٌ، وصِوَار فِعَال، ومعنياهما واحد. وذلك لأَنه سمى مسكًا لأَنه بطيب رائحته يمسك الحس عليه استلذاذا له، وصِوَار من صار يصور إذا عطف وجمع فأَمسكتُ الشىء وعطفته وجمعته شىء واحد. ومنه قولهم: سحاب، قيل له ذلك، كما قيل له حَبِىّ: فهذا من «ح ب و»، وهذا من «س ح ب». وسحاب فعال، وحبى فعيل، فالأَصلان مختلفان، والمثالان اثنان

---

(١) انظر: (الخصائص ٢/١١٥: ١٣٥).

(٢) لأبى العتاهية، روى أنه جلس فى دكان وراق فأخذ كتابًا فكتب على ظهره على البديهة:

ألا إننا كلنا بائدُ ... وأى بنى آدم خالِدُ؟
وبدؤهم كان من ربهم ... وكلٌّ إلى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله فى كل تحريكة ... وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحِدُ

ولما انصرف اجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات فقال: لمن هذا؟ فقيل له: لأبى العتاهية فقال: لوددتها لى بجميع شعرى. انظر: (ديوانه ١٢٢. وفى الديوان): «وفى كل شىء له آيةٌ».

والمعنيان واحد، وذلك أنه لثقله ما ينسحب على وجه الأرض، وكذلك ما يحبو عليها. قالت امرأة تصف غيثًا:

وأقبل يزحف زحف الكسير ... كأن على عضديه رِفاقا[١]

وقال أوس أو عبيد[٢]:

دانٍ مسفٌ فُوَيق الأرض هَيْدبُه ... يكاد يدفعُه مَن قامَ بالرَّاح[٣]

واللطيف الحسن الجميل كثير، لكن أين لك بالمحسن المستثير؟ فهذا حديث هذا المثال الذى هو الإنجيل، وأما فتحه فغريب، ولكنه الشيخ أبو سعيد نضر الله وجهه ونور ضريحه. ونحن نعلم أنه لو مر بنا حرف لم نسمعه إلا من رجل من العرب لوجب علينا تسليمه له إذا أُونست فصاحته، وأَن نَبْهأَ به، ونتحلى بالمذاكرة بإعرابه. فكيف الظن بالإمام فى فصاحته وتحريه وثقته؟ ومعاذ الله أَن يكون ذلك شيئًا جنح فيه إلى رأيه دون أن يكون أخذه عمن قبله. وبعد فقد حكى أَبو زيد فى السِّكِّينَة: السَّكِّينة، بفتح السين وتشديد الكاف. فهذا فَعِّيلة وإن لم يكن لها نظير، وإفعيل أخو فِعِّيل.

---

(١) ورد فى لسان العرب مادة «رفق» دون نسبة.

(٢) ورد البيت فى ديوان أوس بن حجر من قصيدة «من البسيط» مطلعها:

ودع لميس وداع الصارم اللاحى ... إذا فنكت فى فساد بعد إصلاح

انظر: (ديوانه ١٣ وما بعدها).

قال محقق الديوان: وفى نسبة أبيات من هذه القصيدة خلاف بعضهم يعزوها إلى أوس، والبعض الآخر يعزوها إلى عبيد بن الأبرص. وقد ذكر صاحب الأغانى (١٠: ٥) نقلا عن رواته أن هذا الشعر رواه الأصمعى لأوس ووافقه بعض الكوفيين، وغير هؤلاء يرويه لعبيد بن الأبرص. وقال البكرى: إنها ثابتة فى ديوانيهما بخلاف يسير. وذكر ابن سلام (طبقات الشعراء ٧٦ - ٧٧) أن يونس بن حبيب جعلها لعبيد وعلى ذلك كان إجماعنا، فلما قدم المفضل حرفها إلى أوس والقصيدة فى منتهى الطلب ما عدا الأبيات: ٣، ٥، ١٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦ والأبيات: ٦، ٧، ٨، ٩، ١١، ١٣، ١٤، ٢٠، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ١٦، ٢٣ - فى ديوان عبيد ق ٢٨، والبيت المذكور فى الشاهد فى ديوان عبيد بن الأبرص ٥٣، ونسبه فى الخصائص ١٢٨/٢ لأوس، وانظر: (سمط اللآلى ٤٣٩).

(٣) دان: قرية، مسف، من أسف السحاب: دنا من الأرض. «مسف شديد الدنو من الأرض وهيدبه: ما تدلى منه» الأغانى (٦٨/١١، ٧١): يقول هذا السحاب يكاد من قام أن يمسه ويدفعه براحته لقربه من الأرض وهو أحسن ما وصف به السحاب.

وهيدب السحاب ما تهدب منه إذا أراد الوبق كأنه خيوط. انظر: تاج العروس «هدب».

وأحسبنى سمعت فى بِرْطيل بَرْطيل.

فهذا فعليل بفتح الفاءِ، وأَفعيل وفَعليل وفَعِّيل يكاد يكون مثالاً واحدًا.

* * *

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴿٨﴾

ومن ذلك قراءة أَبى واقد الجرّاح: «ربَّنا لا تَزِغْ قلوبُنا[١]».

قال أَبو الفتح: هذا فى المعنى عائد إلى قراءَة الجماعة: ﴿**لا تُزِغْ قُلوبَنا**﴾، وذلك أَنه فى الظاهر طلبٌ من القلوب ورغبةٌ إِليها، فهو كقول الراجز فيما أَنشده ابن الأَعرابى[٢].

يا رب لا يرجعْ إِلينا طِفْيلا

وفسره طفلاً فظاهر الطلب والرغبة إلى ذلك الإنسان المدعو إليه.

وإنما المسئول الله سبحانه، حتى كأَنه قال: اللهم لا ترجعه إلينا، ويؤكِّد فى ذلك النداء فى قوله تعالى: «ربَّنا».

ويزيد فى شرحه لك أَنك تقول للأَمير: لا ترهقنى؛لأَنه يملك التنفيس عنك، ولا تقول له: أَيها الأَمير أَدخلنى الجنة؛ لأَن ذلك ليس له ولا إليه.

فقد علمت إِذًا أَن معنى «لاتَزِغْ قلوبُنا» هو معنى ﴿**لا تُزِغْ قُلوبَنا**﴾[٣]؛ أَلا ترى أَن القلوب لا تملك شيئًا فيطلبَ منها؟ فالمسئول إِذًا واحدٌ وهو الله سبحانه.

* * *

يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴿١٣﴾

ومن ذلك قراءَة ابن عباس وطلحة: «يُروْنهم مِثلَيهم»[٤]، بياء مضمومة.

---

(١) انظر: (الكشاف ١/١٧٦، القرطبى ٤/٢٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٣١٢، العكبرى ١/٧٢).

(٢) انظر: لسان العرب مادة «طفل».

(٣) سورة آل عمران الآية (٨).

(٤) وقراءة السلمى. انظر: (البحر المحيط ٢/٣٩٤، القرطبى ٤/٢٧، الكشاف ١/١٧٧، مجمع البيان ٢/٤١٤).

قال أبو الفتح: هذه قراءَة حسنة المعنى، وذلك أن رَأَيْتُ وأَرى أقوى فى اليقين من أُريتُ وأُرَى. تقول: أُرَى أن سيكون كذا، أى: هذا غالب ظنى، وأَرَى أن سيكون كذا، أى: أَعلمه وأَتحققه، وسبب ذلك أن الإنسان قد يُريه غيرُه الشىءَ فلا يصح له، فمعناه إذا أن غيره يشرع فى أَن يراه ولا أنه هو لا يراه. وأما أرى فإخبار بيقين منه، فكذلك هذه الآية «يُرَوْنَهم مِثْلَيهم»، أى: يُصوَّر لهم ذلك وإن لم يكن حقًّا؛ لأن الشىء الواحد لا يكون اثنين فى حال واحد قد يُظن ويتوهم شيئين بل أَشياءَ كثيرة. ومثله قول الله تعالى: ﴿**إذ يُريكهم الله فى مَنامِك قليلا**﴾[1]، فهذا يحسِّن هذه القراءَة.

وأَما قراءَة الجماعة: ﴿**يَرَونَهم**﴾[2] فلأَنها أَقوى معنى، وذلك أَنه أَوكد لفظًا، أى حتى لا يقع شك فيهم ولا ارتياب بهم أَنهم مثلاهم. فهذا أَبلغ فى معناه من أن يكون مُر يُرِيهم ذلك، فقد يجوز أَن يتم له ذلك وقد لا، هذا فى ظاهر الأمر؛ فأما على اليقين ومع الحقيقة فلا يجوز أَن يكون الشىء الواحد شيئين اثنين فيما له كان واحدًا. ومما جاء مفصولاً فيه بين أرى وأُرَى قوله[3]:

تَرَى أَو تُراءَى عند معقِدِ غَرْزِها ... تهاويل من أَجلاد هِرٍّ مُؤوَّم

فلما قال: «ترى» استكثر ذلك لأَنه مع التحصيل لا حقيقة له، فأَتبعه بما لان له القول الأول، فقال: أَوتُراءى فاعرف ذلك.

* * *

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ﴿١٤﴾

ومن ذلك قراءَة مجاهد: «زَيَّن للناس حُبَّ الشهوات»[4]، بفتح الزاى والياء.

قال أبو الفتح: فاعل هذا الفعل إبليس، ودل عليه ما يتردد فى القرآن من ذكره. فهذا نحو قول الله تعالى: ﴿**يَعِدُهم ويُمَنِّيهم**﴾[5]، وما جرى هذا المجرى.

* * *

---

(١) سورة الأنفال الآية (٤٣).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٣).

(٣) أى ممزق العبدى. انظر الأصمعيات (١٨٨)، وفيها: «تهايل من أجلاد مر معلق».

(٤) وقراءة ابن محيصن، والضحاك. انظر: (الكشاف ١/١٧٨، القرطبى ٤/٢٨، البحر المحيط ٢/٣٩٦، إتحاف فضلاء البشر ١٧١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧٤، تفسير الفخر الرازى ٢/٤١٦).

(٥) سورة النساء الآية (١٢٠).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ١٨

ومن ذلك قراءَة الناس: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾[1] وقرأَ أبو المهلَّب محارب بن دِثار[2]: «شُهداءَ للهِ»[3]. مضمومة الشين، مفتوحة الهاء، ممدودة على فُعلاء.

قال أبو الفتح: هو منصوب على الحال من الضمير فى المستغفرين، أى يستغفرونه شهداءَ لله أنه لا إله إلا هو، وهو جمع شهيد. ويجوز أن يكون جمع شاهد، كعالم وعلماء، والأول أجود.

* * *

﴿ذُرِّيَّةً﴾ ٣٤

ومن ذلك قراءَة الناس: ﴿ذُرِّيَّةً﴾[4]، وقرأَ زيد بن ثابت: «ذِرِّيَّة»[5] بكسر الذال، «وذَرِّيَّة» بفتح الذال.

قال أبو الفتح: يَحتمل أصل هذا الحرف أربعة ألفاظ:

أحدها: ذرأ، والثانى ذرر، والثالث ذرو، والرابع ذرى.

فأَما الهمز فمن ذرأَ الله الخلق. وأما ذرر فمن لفظ الذر ومعناه، وذلك لِما ورد فى الخبر أن الخلق كان فى القديم كالذّر، وأما الواو والياء فمن ذرَوت الحَب وذَريته، يقالان جميعا؛ وذلك لقوله سبحانه: ﴿فأَصبح هَشِيما تَذْرُوه الرِّياحُ﴾[6]، وهذا لِلطفه

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨).

(٢) محارب بن دثار بن كردوس السدوسى الشيبانى الكوفى، أبو المطرف (١١٦ هـ = ٧٣٤ م): قاض الكوفة. كان فقيها فاضلا، حسن السيرة، زاهدا شجاعا، من أفرس الناس. وكان من المرجئة فى على وعثمان. وله فى ذلك شعر. عزل عن القضاء وأعيد، وتوفى وهو قاض. انظر: (تهذيب التهذيب ٤٩/١٠ والجرح والتعديل ٤١٦/٤/١ وتاريخ الإسلام ٢٠٣/٤ والشذرات ١٥٢/١ والنجوم الزاهرة ٢٨٧/١ والأعلام ٢٨١/٥).

(٣) انظر: (الكشاف ١٨٠/١، البحر المحيط ٤٠٣/٢، التبيان ٤١٧/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣١٦/١، العكبرى ٧٥/١).

(٤) سورة آل عمران الآية (٣٤).

(٥) وقراءة المطوعى، والضحاك. انظر: (البحر المحيط ٤٣٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٣٢٣/١، إتحاف فضلاء البشر ١٧٣).

(٦) سورة الكهف الآية (٤٥).

وخفته، وتلك حال الذر أيضًا. فهذه الأُصول المنزوع إليها، المقود تصريف هذا الموضع عليها. فأَما ذُرِّية المضمومة فإن أخذتها من ذرأ فإنها فى الأصل فُعِّيلة كمُرِّيق، وأَصلها ذُرِّيئة، فأُلزمت التخفيف أَو البدل كنبيٍّ فى أَكثر اللغة، وكالخابية، وكالبريَّة فيمن أَخذها من برأَ ا لله الخلق، وغير ذلك مما أُلزم التخفيف. ومثلها: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾(١) فيمن جعله فُعِّيلاً من درأت؛ وذلك لأنه يدرأُ الظلمة عن نفسه بضوئه، وأَصله على هذا دُرِّىءٌ فخفف، وقد قرئ به مهموزًا.

وإن أخذت الذُّرّية من الذَّرِّ احتمل خمسة أوجه:

أَحدها: أَن يكون فُعْلِيَّة كبُخْتِيَّة وقُمْرِيَّة.

والآخر: أَن تكون منسوبة إلى الذَّرّ، إلا أَنه غُير أَولها؛ لما قد يعرض من التغيير لياءَى الإضافة، كقولهم فى الإضافة إلى أَمسِ: إمسى، وإلى الأُفق أفَقِى، وإلى الحرَم حِرْمى، وإلى جَذِيمة جُذمِيٌّ، وإلى عَبيدة عُبدِى، وإلى الدَّهْرِ دُهْرِى، وإلى السَّهل سُهْلى.

والثالث: أَن تكون ذُرِّية فُعِّيلَة كمُرِّيقة؛ إلا أَن أَصلها ذُرِّيرة على هذا، فلما كثرت الراءَات أَبدلوا الآخرة ياء وأدغموا فيها ياء فُعِّيلَة التى قبلها. ونحو منه مما أُبدل فيه أَحد الأَمثال ياء هربًا من تكريرها قولهم: تظَنَّيْتُ، وتسرَّيْتُ، وتَلعَّيْتُ من اللُّعَاعة وهى بقلة، وقَصَّيتُ أَظافرى، وتفَضَّيْتُ من الفِضة، وكقوله(٢):

تقضِّىَ البازى إِذَا البازى كَسر

هو تَفعُّل من الانقضاض، وأَصله تقَضُّض، كما أَن أَصل تظنيت تظننت، وتسرَّيت تسررت، لأَنه تفعَّلْت من السُّرِّية فيمن أَخذها من السِّر وهو النكاح، أَو من السِّر لأنه فى غالب الأمر مكتومة الأمر من صاحبة المنزل. وهذا قول أَبى الحسن الكرخى. وأَصل تلعيت تلععت، وأَصل قصّيت أَظفارى قصصْت. ويمكن أَن يكون أُخِذَت من أَقاصيها فلا يَكون مبدلا. وأَصل تفَضيت تَفَضَّضْتُ، وقالوا: فأَبدلوا مع الاثنين فى أَملَلْتُ الكتاب: أَمليت، وقال الأَسودُ بن يَعْفرُ:

وأَقسمت لا أَملاه حتى يفارقا(٣)

---

(١) سورة النور الآية (٣٥).

(٢) العجاج فى مدح عمر بن عبيدا لله بن معمر. انظر: (ديوانه ١٧).

(٣) ورد فى شرح شواهد الشافية ٤٤١/٤: «فآليت لا أملاهُ حتى يُفارقا».

يريد أَملُّه فأَبدلوا الثانى منها ياء للتكرير، ثم أبدلت الياء ألفًا فصار أملاه.

وأخبرنا أبو على قال: قال أحمد بن يحيى عنهم «لا وربْيك لا أفعل»، يريد: لا وربِّك، ونظائره كثيرة. فأصل ذُرِّية على هذا ذُرِّيرة فُعِّيلة كمُرِّيقة، فأبدلت الراءُ الأخيرة لما ذكرنا ياء، وأُدغمت فيها ياءُ فُعِّيلة، فصارت ذُرِّيَّة.

والرابع أَن تكون فُعُّولة كجُبُّورة وكَسُبُّوح وقُدّوس وأصلها على هذا ذُرُّورة، فأُبدلت الراءُ الأخيرة - لما ذكرنا من اجتماع الأمثال - ياء فصارت ذُرُّويَة، ثم أُبدلت الواو لوقوعها ساكنة قبل الياءِ - ياء والضمة قبلها كسرة، وأُدغمت فى الياءِ المبدلة من الراءِ، فصارت ذُرِّية كما ترى.

والخامس أن تكون فعلولة منه، كقردودة[١] وحبرورة [٢]، وأصلها على هذا ذرورة؛ فعمل فيها ما عمل فيما يليها. فهذا حديث ذرية إذا كانت من ذرر.

وإن كانت من لفظ ذرو أو ذرى احتملت مثالين:

أحدهما: أن يكون فُعُّولة.

والآخر: أن يكون فعيلة. فإذا كانت فُعُّولة من الواو فأصلها ذُرُّوَّة، كفعولة من غزوت غُزُّوَّة، إلا أن الاسم طال وضوعفت فى آخره الواو فاستثقلت، فأُبدلت اللام ياء للتخفيف فصار ذروية، فأبدلت الواو لوقوع الياء بعدها والواو ساكنة - ياء والضمة قبلها كسرة كما قلبت هى ياء وأدغمت الياء فى الياء، فصارت ذرية.

ومثل ذلك مما أبدل لطوله وثِقَل تضعيف الواو أُدْحيَّة [٣] وأَصلها أُدحُوَّة لأنها من دحوت، وأَدعيَّة وأَصلها أُدعُوَّة؛ لأنها من دعوت، وأُحْجيَّة وأَصلها أُحُجُوَّة؛ لأنها من حجوت أى: ثَبتُّ وأُضْحيَّة وأَصلها أُضْحُوَّة؛ لأنها من الضحوة، فأُبدلت لما ذكرنا، فصار جميعها إلى الياءِ.

=قال: على أن أصله لا أملّه، من مَلْلتُ الشىء بالكسر ومَلِلْتُ منه - أيضًا - مَللاً ومَلالَةً ومَلَةً؛ إذا سئمته.

(١) القُرْدُودة: الفقارة، وأعلى الجبل، وجمع قراديد. انظر: المعجم الوسيط «قرد».

(٢) الحبارى طائر طويل العنق، من الفصيلة الحبارية من رتبة الكركيات، ومنه عدة أنواع، رمادى اللون على شكل الإدزة، فى منقاره طول، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء. انظر: المعجم الوسيط «حبر».

(٣) الأدحية: الأدحوة، وهى: موضع بيض النعام وتفريخه، جمع أدارح، ويقال للنعامة: بنت أدحية. انظر: المعجم الوسيط «دحى».

وإن كانت ذُرية من الياء، وهي فُعُّولة فخطبها أيسر؛ لأن أَصلها ذروية، ولزمها من إبدال الواو وإدغامها ما لزم فيما قبلها. انقضى أمر ذرية بضم الذال.

وأما ذِرِّية بكسر الذال فتكون من ذرأ الله الخلق، فلا يجوز فيها إلا أن تكون فِعِّيلة، وأَصلها ذِرِّيئة، ثم أُلزمت التخفيف أَو البدل على ما مضى فصارت ذِرِّية.

فإِن أَخذت ذِرِّيَّة من الذَّر احتملت أَربعة أَوجه:

أَحدها: أَن تكون فِعْلِيَّة كحِيرِيٍّ دهر.

والآخر: أَن تكون منسوبة إِلى الذَّر، إِلا أَنها كسر أولها للتغيير المعتاد مع ياءَى الإِضافة، كقولهم فى أَمس: إِمسى.

والثالث: أَن تكون فِعِّيلة كبطيخة وجرِّيَّة، وأَصلها ذِرِّيرة، ثم غيرت الراء الأَخيرة لكثرة الراءَات ياء على ما مضى، ثم أُدغمت فيها الياءُ قبلها، فصارت ذِرِّيَّة.

الرابع: أَن تكون فِعْلِيلَة كحِلتيت [(١)] وحِبْرِير، وأَصلها على هذا ذِرِّيرَة، ثم عمل فيها ما عمل فى الذى يليها.

فإِن أَخذْت ذِرِّية من ذرو أَو من: ذرى لم تكن إِلا فِعِّيلة البتة، وأَصلها من الواو ذِريوة ، فأُبدلت الواو ياء، وأُدغمت فيها ياء المد قبلها، فصارت ذِرية.

وإِن كانت من الياءِ فلا صنعة فيها، فهى كفِعّيلة من رَمَيت رِمِّيَّة. انقضت ذِرِّية بكسر الذال.

وأَما ذَرِّيَّة بفتح الذال فتكون من لفظ الذَّر، وتكون من لفظ ذرأَ، وتكون من لفظ ذرو، وتكون من لفظ ذرى. فإِذا كانت من لفظ ذرر احتملت أَن تكون فَعِلِّيَّة كبَرْنِيَّة، وأَن تكون فَعُّولَة كخَرُّوبَة، وأَن تكون فَعْلُولة كَبَعْكُوكَة، وأَن تكون فَعِّيلة كسَكِّينة. فتلك أَربعةُ أَوجه. أَما فَعِلِّيَّة فأَمرها واضح، وأَما فَعُّولَة فأَصلها ذَرُّورة فاجتمعت الراءَات فأُبدلت الآخرة ياء على ما قدمنا ذكره من تظنيت وتقضيت، فصارت ذَرُّوية، فلما اجتمعت الواو والياءُ وسكن الأَول منهما قلبت الواو ياء، وأُدغمت الياءُ فى الياءِ، فصار ذَرِّيَّة.

وأَما فَعْلُولَة فأَصلها أَيضًا ذَرُّورَة، فعمل فيها من البدل والإِدغام ما عمل فى فَعُّولة.

---

(١) صمغ كريه الرائحة، وهو المعروف بأبى كبير، ويستعمل فى الطب. انظر: المعجم الوسيط «حلتيت».

وأما فَعِّيلة فأَصلها ذَرّيرَة، فأُبدلت الراءُ الأَخيرة لما ذكرنا ياء، وأُدغمت فيها ياءُ المد قبلها، فصارت ذَرِّيَّة.

فإذا كانت من لفظ ذرأ احتملت أَن تكون فَعِّيلة كسَكِّينة، وأَن تكون فعُّولة كخَرُّوبة.

فإذا كانت فَعِّيلَة فأَصلها ذَرِّيئَة، فألزمت الهمزة التخفيف البتة أَو البدل فقلبت ياء، ثم أُدغمت فيها الياءُ قبلها، فصارت ذَرِّية.

وأَما إذا كانت فَعُّولَة فأَصلها ذَرُّوءَة، فأُبدلت الهمزة ياء فصارت ذَرُّويَة، ثم أَبدلت الواو ياء للياءَ بعدها، وأُدغمت الياء المبدلة فى الياء الثانية، فصارت ذَرِّيَّة.

ولا يجوز على هذا أَن تكون همزة ذَرُّوءَة خففت؛ لأَنه لو كان كذلك لقلبت واوًا لوقوع الواو قبلها ثم أُدغمت واو فَعُّولة فيها فصارت ذرُّوَّة، كما أَنك لو خففت مقْروءَة لقلت: مقْرُوَّة، وهذا واضح.

وأَما فَعِّيلَة أَعنى ذَرِّيئة فإنك إن أَبدلتها أَو خففتها استوى فيها اللفظان، فقلت: ذَرِّيَّة، كما تقول: فى تخفيف جرِّيئة وإبدالها جرِّيَّة، وهذا واضح.

وإذا كانت من لفظ الذَّرْو فإنها تكون فعِّيلة، وأصلها ذَرِّيوَة، فقلبت الواو لسكون الياء قبلها، وأُدغمت الياءُ الأُولَى فيها، فصارت ذَرِّيَّة. ولا تحتمل وهى من الواو أَن تكون فَعُّولَة؛ لأَنه كان يجب على هذا أَن تكون ذَرُّوَّة، والحمل على أُدْحِيَّة جائز، إلا أَنه ليس بالظاهر، وليس كذلك أُدعِيَّة وأُدْحِيَّة وأضحية؛ لأَنه قد أُمن أَن يكون فى الكلام أُفْعيل؛ لأَنه لم يأت عنهم، فلابد إذًا من أَن يكون أَصلها أدحوة وأُدْعُوَّة وأُضْحُوَّة، فغيرت إلى الياء تخفيفًا استحسانًا لا وجوبًا، وليس كذلك ذَرِّية لو كانت من الذَّرْو؛ لأَنه ليس واجبًا فَعُّولَة، بل قد يجوز أَن تكون فَعِّيلَة، فافهم ذلك.

وأَما إذا كانت من ذرى فإنها تحتمل أَن تكون فَعُّولة وفَعِّيلة، فأَصل فعُّولة ذَرُّويَة، فأُبدلت الواو للياء بعدها، وأُدغمت الأُولى فى الثانية، فصارت ذَرِّيَّة.

وأَصل فَعِّيلة ذَرِّية هكذا وكما ترى؛ لأَنك أَدغمت الياء الأُولى فى الثانية فصارت ذَرِّيّة، ومثلها من قَضَيْتُ قَضِيَّة، ومن رمَيْتُ رَمِيَّة. انتهى القول فى ذُرِّية وذِرِّية وذَرِّية، ودعانا إلى إشباع القول عليها أَن لم يتقدم أَحد ببسطها، وحسبنا الله.

* * *

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴿٣﴾

ومن ذلك قراءَة إبراهيم فيما رواه المغيرة والأعمش عنه: «نَزَل عليكَ الكتابُ

بالحق[1]»، خفيفة الزاى، ورفع الباءِ من الكتاب.

قال أبو الفتح: هذه القراءَة تدل على استقلال الجملة التى هى قوله عز اسمه: ﴿ا لله لا إلهَ إلاَّ هُوَ الْحىُّ الْقَيُّومُ﴾[2].

أَلا ترى أنه لا ضمير فى قوله: «نَزَل عليك الكتابُ»؛ يعود على اسم ا لله تعالى؟ فعلى هذا ينبغى أن تكون جملة مستقلة أيضًا فى قول من شدَّد الزاى ونصب الكتاب، فيكون اسم ا لله مرفوعًا بالابتداء، وقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ خبر عنه، ويكون ﴿الحى القيوم﴾ صفة له وثناء عليه. وإن شئت جعلت قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ ثناء عليه معترضًا بين المبتدأ والخبر، ويكون ﴿الحىّ القيوم﴾ خبرين عنه، كحلو حامض.

وإن شئت جعلت قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ خبرا عنه، ﴿والحىُّ القيوم﴾ أيضًا خبرين عنه، فيكون له ثلاثة أَخبار.

وإن شئت أَن تخبر عن المبتدأ بعشرة أَخبار أو بأكثر من ذلك جاز وحسن؛ لما يتضمّنه كل خبر منها من الفائدة، فكأَنه أخبر عنه وأَثنى عليه، ثم أَخذ يقصّ الحديث فقال: «نَزَل عليك الكتابُ».

ومن شدّد الزاى ونصب «الكتاب» جاز أن يكون على قوله خبرًا رابعًا، وجاز أن يكون أيضًا جميع ما قبل نزل ثناءً وإعظامًا، ويفرد قوله: «نزل عليك الكتاب» فيجعل خبرًا عنه، كقولك: ا لله سبحانه، وجل ثناؤه، وتقدست أَسماؤه يأْمر بالعدل وينهى عن السوءِ. وفيه أكثر من هذا، إلا أن هذا مقْنعًا بحمد ا لله.

* * *

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (٣٩)

ومن ذلك قراءَة مجاهد وحميد الأعرج: «أن ا لله يُبْشِرُكَ»[3]، بضم الياء، وسكون الباءِ، وكسر الشين خفيفة.

---

(١) وقراءة المطوعى، وابن أبى عبلة. انظر: (الكشاف ١/١٧٤، البحر المحيط ١/١٧٤، إتحاف فضلاء البشر ١٧٠).

(٢) سورة آل عمران الآية (٢).

(٣) وقراءة عبدا لله بن مسعود. انظر: (البحر المحيط ٢/٤٤٧، الطبرى ٦/٣٦٩، القرطبى ٤/٧٥، الكشاف ١/١٨٨، معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٢، التبيان ٢/٤٥١، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٢٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧٨، تفسير الفخر الرازى ٤/٤٢٧).

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون هذا منقولاً من بَشِرْتُ بالأمر فى وزن أَنِفتُ وفَرِحْتُ، كقولك: بَطِر وأَبطرته، وخِرق وأَخْرَقْته. يقال: بَشِر الرجلُ بالخير وأبشرته وبشّرته وبَشَرْتُ خفيفةً أيضًا.

* * *

ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴿٤١﴾

ومن ذلك قراءَة الأعمش: «إلا رُمُزًا»(١)، بضمتين.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون هذا على قول من جعل واحدتها رُمْزَة، كما جاءَ عنهم ظُلْمَة وظُلُمة، وجُمْعَة وجُمُعة. ويجوز أن يكون جَمَع رمزة على رُمْز، ثم أتبع الضم الضم، كما حَكى أبو الحسن عن يونس أنه قال: ما سُمع فى شىء فُعْل إلا سمع فيه فُعُل، وعليه قول طرفة:(٢)

وِرَادًا(٣) وشُقُر(٤)

يريد شُقْرًا.

* * *

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]

ومن ذلك قراءَة إبراهيم وأبى بكر الثقفى: «الحَوارِيُون»(٥)، مخففة الياء فى جميع القرآن.

---

(١) وقراءة يحيى بن وثاب، وعلقمة بن قيس. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/٣٣٠، البحر المحيط ٢/٤٥٣، الجامع لأحكام القرآن ٤/٨١، الكشاف ١/١٨٩، تفسير الفخر الرازى ٢/٤٥١).

(٢) من قصيدته التى مطلعها:

أصحوت اليوم أم شاقتك هِرْ ... ومن الحُبِّ جُنونٌ مُستعِرِ

انظر: (ديوانه ٥٠ وما بعدها).

(٣) الوراد: وصف الخيل، الواحد ورد: وهو بين الكميت والأشقر.

(٤) البيت بتمامه:

أيها الفتيان فى مجلسنا ... جردوا منها وِرَادًا وشُقُر

انظر: (ديوانه ٥٧).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٢/٤٧١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٠).

قال أبو الفتح: ظاهر هذه القراءَة يوجب التوقف عنها والاحتشام منها؛ وذلك لأن فيها ضمة الياء الخفيفة المكسور ما قبلها، وهذا موضع تعافه العرب وتمتنع منه.

أَلا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿فأُولئك هم العادون﴾[1] وأصله العاديُون، فاستثقلت الضمة على الياء، فأسكنت وحذفت لسكونها وسكون الواو بعدها؟ فكان يجب على هذا أن يكون الحوارُون كالقاضُون والساعون، إلا أن هنا غرضًا وفرقًا بين الموضعين يكاد يقنع مثلهُ، وذلك أن أَصل هذه الياءَ أن تكون مشددة، وإنما خففت استثقالا لتضعيف الياء، فلما أُريد فيها معنى التشديد جاز أن تُحَمَّل الضمة تصورًا لاحتمالها إياها عند التشديد، كما ذهب أبو الحسن فى تخفيف يستهزيون إلى أن أخلص الهمزة ياء البتة وحَمَّلها الضمةَ تَذَكُّرًا لحال الهمز المراد فيها: وكما قال فى مثال عضْرَفُوط من قرأت: قَرْأَ يُوء، فأبدل الهمزة الثانية التى كانت فى قَرْأَءُوء ياء، ثم ضمها بعد أَن أخلصها ياء وجرت مجرى الياء التى لا حظٌ فيها لشيء من الهمز.

فإن قيل: فأَى الياءَين حذف من الحواريين؟.

قيل: المحذوفة هى أَشبهها بالزيادة، وهى الأُولى لأنها بإزاء ياءِ العطاميس والزناديق.

فإن قيل: فبالثانية وقع الاستثقال، فهلاً حذفت دون الأُولى؟.

قيل: قد يُغير الأَول من المثلين تخفيفًا كما يغير الآخر. وذلك قوله[2]:

يا ليتما أُمُّنا شالت نعامتُها ... أَيما إلى جنة أَيما إلى نارِ

يريد أَمَّا، وكذلك القول فى قيراط ودينار وديماس فيمن قال: دماميس، ودياج فيمن قال: دبابيج. وقد حذفت هذه الياء فى الواحد من هذا الجمع. أَنشدنا أبو على وقرأته عليه أيضًا فى نوادر أبى زيد[3]:

بَكِّى بعينك واكفَ القَطْر ... ابن الحوارى العالى الذكر[4]

يريد الحوارِىَّ. وقد خففت ياءُ النسب فى غير موضع مع كونها مفيدة لمعنى النسب، فكيف بها إذا كان لفظُها لفظ النسب ولا حقيقة له هناك؟ أَلا ترى أن الحوارىّ بمنزلة كرسى فى أنه نسب لفظى، ولا حقيقة إضافة تحته؟.

* * *

(١) سورة المؤمنون الآية (٧).

(٢) هو سعد بن قرظ. انظر: (مختصر شواهد العين ٢٩٩).

(٣) لعبيد الله بن قيس الرقيات (من الكامل).

(٤) ورد فى ديوانه (١٨٣): «بَكِّى بدمعك واكف القَطْرِ». وانظر: (النوادر فى اللغة صـ ٢٠٥). واكف القطر: ما انهمر منه، وابن الحوارى: مصعب بن الزبير.

﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]

ومن ذلك قراءَة الحسن: «أَن يُوتِيَ أَحدٌ مثلَ ما أُوتيتم»(١). قال أحمد بن صالح(٢) كذا قال: قال ابنُ مجاهد: وعلى هذا ينبغى أن يكون أن يوتِيَ أَحدًا.

قال أبو الفتح: لا وجه لإنكار ابن مجاهد رفع أَحد مع قوله «يوُتِيَ» مُسمَّى الفاعل، وذلك أَن معناه أَنْ يوتِي أَحدٌ أَحدا مثل ما أُوتيتم، كقولك: أَن يحسن أَحد مثلَ ما أُحسِنَ إليكم، أَى أَن يحسن أَحدٌ إلى أَحد مثلَ ما أُحْسِن إِليكم، فتحذف المفعول ويكون معناه ومفادُه أَنَّ نعمة الله سبحانه لا تقاس بها نعمة. وهذا مع أَدنى تأمل واضح.

* * *

وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

ومن ذلك قراءَة أبى حيوة: «تُدْرِسُون»(٣) بضم التاءِ ساكنة الدال مكسورة الراءِ.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون هذا منقولاً من درس هو وأَدرس غيرَه، كقولك: قرأ وأَقرأَ غيره. وأَكثر كلام العرب درس ودرّس غيرَه، وعليه جاءَ المصدر على التدريس.

* * *

لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴿٨١﴾

ومن ذلك قراءَة الأَعرج فيما يُروى عنه: «لَمَّا آتيناكم(٤)»، بفتح اللام وتشديد الميم، آتيناكم بأَلف قبل الكاف.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٩٧/٢، الجامع لأحكام القرآن ١١٤/٤).

(٢) أحمد بن صالح المصرى، أبو جعفر (١٧٠ - ٢٤٨ هـ = ٧٨٦ - ٨٦٣ م): مقرئ عالم بالحديث وعلله، حافظ ثقة، لم يكن فى أيامه بمصر مثله. كان أبوه من أجناد طبرستان وولد له أحمد بمصر. زار بغداد واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل، وأخذ كلاهما عن الآخر. وحدث بدمشق وأنطاكية. ولم يصنف كتابا، لكنه يتردد ذكره عند أهل الحديث. توفى فى مصر. انظر: (تاريخ بغداد ١٩٥/٤، غاية النهاية ٦٢/١، طبقات الذهبى ١٥٢/١، الأعلام ٣٧/١).

(٣) انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/٤، تفسير الفخر الرازى ٤٨٨/٢، البحر المحيط ٥٠٦/٢).

(٤) وقراءَة نافع، وأبى جعفر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٧٧، البحر المحيط ٥١٣/٢، التبيان ٥١٣/٢، تفسير الطبرى ٥٥٠/٦، الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٤، مجمع البيان ٤٦٧/٢، تفسير الفخر الرازى ٤٩١/٢، النشر ٢٤١/٢، الكشف ٣٥١/١، ٣٥٢، غيث النفع ١٧٩، السبعة ٢١٤، الحجة المنسوب لابن خالويه ١١١، الحجة لأبى زرعة ١٦٩، التيسير ٨٩، إعراب القرآن للعكبرى ٨٣/١، مغنى اللبيب ١٧٦/١، ١٧/٢، همع الهوامع ٢٠٢/٤، العنوان ٦١).

قال أبو الفتح: فى هذه القراءَة إغراب، وليست لَمَّا هاهنا بمعروفة فى اللغة، وذلك أنها على أوجه:

تكون حرفًا جازمًا كقول الله تعالى: ﴿ولَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾[١]، وتكون ظرفا فى نحو قوله: ﴿ولَمَّا توجَّه تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾[٢].

وتكون بمعنى إلا فى نحو قولهم: أقسمت عليك لَمَّا فعلت، أى إلا فعلت. ولا وجه لواحدة منهن فى هذه الآية.

وأقرب ما فيه أن يكون أراد: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمِنْ ما آتيناكم وهو يريد القراءَة العامة: ﴿لَمَا آتيناكم﴾[٣]، فزاد مِن على مذهب أبى الحسن فى الواجب، فصارت «لَمِمَّا»، فلما التقت ثلاث ميمات فثقلن - حُذفت الأُولى منهن، فبقى «لَمَّا» مشددًا كما ترى. ولو فُكت لصارت لَنْما، غير أن النون أُدغمت فى الميم كما يجب فى ذلك فصارت «لَمَّا». هذا أوجَهُ ما فيها إن صحت الرواية بها.

وأما «آتيناكم» بالجمع فطريقه أنه لما ورد مع لفظ الجماعة من النبيين جاءَ أيضًا مجموعًا تعاليًا فى اللفظ، كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهم وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾[٤].

وقال سبحانه: ﴿وضَرَبْنا لَكم الأَمْثالَ﴾[٥]، ولو كانت وضربت لكم الأمثال لم تبلغ فى سمو اللفظ وتعاليه فى قوله: ﴿ضَرَبْنَا لَكُم﴾، فتفهّم معناه.

* * *

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ﴿٩٥﴾

ومن ذلك قراءَة أبان بن تغلب: «قُل صَّدَقَ الله[٦]». بإدغام اللام فى الصاد، وكذلك: «قل سِّيروا».

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٤٢).

(٢) سورة القصص الآية (٢٢).

(٣) سورة آل عمران الآية (٨١).

(٤) سورة الإنسان الآية (٢٨).

(٥) سورة إبراهيم الآية (٤٥).

(٦) انظر: (البحر المحيط ٣/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٤).

قال أَبو الفتح: علة جواز ذلك فُشو هذين الحرفين، أَعنى الصاد والسين فى الفم وانتشار الصدى المنبث عنهما، فقاربتا بذلك مخرج اللام فجاز إدغامها فيهما، وكذلك هى أَيضا مع الزاى ومع الطاء، والدال والتاء: قرئ: «فَهَل تّرى لهم[١]» ومع الظاء والثاءِ والذال: قرئ. «هل ثُّوِّب الكفار[٢]» فأَما اللام التى للتعريف فتدغم فى ثلاثة عشر حرفًا، وذلك معروف فى موضعه، فلا وجه لإعادته.

* * *

يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾
يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴿١٢٥﴾

ومن ذلك ما رواه مبارك عن الحسن أَنه كان يقرأ: «بِثَلاَثَةْ آلاف[٣]»، و«بِخَمْسَةْ آلاف[٤]» وَقْفٌ ولا يُجْرى واحدًا منهما.

قال أَبو الفتح: وجهه فى العربية ضعيف؛ وذلك أَن ثلاثة وخمسة مضافان إلى ما بعدهما، والإضافة تقتضى وصل المضاف بالمضاف إليه؛ لأَن الثانى تمام الأَول، وهو معه فى أَكثر الأَحوال كالجزءِ الواحد. وإِذا وصلتَ هذه العلامة للتأْنيث فهى تاء لا محالة، وذلك أَن أَصلها التاء، وإِنما يبدل منها فى الوقف الهاء، وإذا كان كذلك - وهو كذلك - فلا وجه للهاءِ؛ لأَنها من أَمارات الوقف، والموضع على ما ذكرنا متقاض للوصل، غير أَنه قد جاءَ عنهم نحو هذا، حكى الفراءُ أَنهم يقولون: أَكلت لَحْمَا شاة يريدون لَحْم شاة، فيمطُلُون الفتحة فينشئون عنها أَلفا، كما يقولون فى الوقف: قالا، يريدون: قال، ثم يَمْطُلون الفتحة فتنشأ عنها الأَلف، وهذا المطل لا يكون مع الإِسراع والاستحثاث، إِنما يكون مع الروية والتثبت، وأَنشد أَبو زيد:

مَحْضٌ نِجَارى طيِّبٌ عُنْصُرِّى[٥]

يريد عُنْصُرِى بتخفيف الراءِ، غير أَنه ثقّلها كما يفعل فى الوقف، نحو خالدّ وجعفرّ.

---

(١) سورة الحاقة الآية (٨)، وهى قراءة أَبى عمرو بن العلاء، وهشام فى المشهور عنه، وحمزة، والكسائى.

(٢) سورة المطففين الآية (٣٦)، وهى قراءة هشام فى المشهور عنه، وحمزة، والكسائى.

(٣) انظر: (البحر المحيط ٣، ٥٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٧).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٣/ ٥٠).

(٥) رواه فى الخصائص ٣/٢١٤: «غض نجارى طيب عنصرى».

وإذا جاز أن يُنوى الوقف دون المضمر المجرور، وهو على غاية الحاجة - للطفه عن الانفصال - إلى ما قبله جاز أيضًا أن يعْترض هذا التلوم والتمكث دون المُظهر المضاف إليه، أعنى قوله: «آلاف»، بل إذا جاز أن يَعْتَرِض هذا الفتور والتمادى بين أثناء الحروف من المثال الواحد نحو قوله:

أَقُول إذ خَرَّت على الكَلْكالِ يَا ناقَتا ما جُلْتِ من مجالِ

وقوله فيما أنشدناه[١]:

ينباع من ذِفرْى غضوب جسْرة[٢]

يريد ينبَع، وقوله، أُنشدْنَاه[٣]:

وأنت من الغوائل حين تُرْمى ومن ذم الرجال بِمُنْتَزَاح[٤]

---

(١) من معلقة عنترة بن شداد الشهيرة التى مطلعها:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعجزه: «زيافة مثل الفنيق المكدم».

(٢) قال أكثر أهل اللغة: ينباع معناه، يَنْبَع على مثال يَفْعَل، من نَبَعَ الماء ينبع فزاد الألفَ على الإتباع لفتحة الباء، لأنهم ربما وصلوا الفتحة بالألف، والضمة بالواو، والكسرة بالياء، قال الراجز:

لا عهد لى بنيضال أصبحت كالشن البالْ

أراد: بنضال، من المناضلة، وقال الآخر:

كأنى بفتخاء الجناحين لقوة على عَجَل منى أطاطئ شيمالى

أراد: شِمالى.

والذفرى والذفريان: الحيدان المشرفان وراء الأذنين، وهما عن يمين النقرة وشمالها. وأول شىء يعرق من البعير الذفريان.

والغضوب والغضبى واحد، وهى المتزغمة، والجسرة: الطويلة، ويقال: رجل جسر، أى: طويل. انظر: (شرح القصائد السبع الطوال ٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) فى سر صناعة الإعراب ١/٢٥: وأنشدنا أبو على لابن هرمة يرثى ابنه فذكره. وانظر البيت فى: (شعر ابن هرمة ٩٢، الخصائص ٢/٣١٨، ٣/١٢٣، المسائل الحلبيات ق ٢٤/أ، شرح شواهد الشافية ٤/٢٥).

(٤) قال الصاغانى فى العباب: وانتزح: ابتعد، وأنت بمنتزح من كذا: أى ببعد منه، قال إبراهيم بن على بن محمد بن سلمة بن عامر بن هرمة يمدح بعض القرشيين وكان قاضيا لجعفر بن سليمان ابن على:

فأنت من الغوائل حيثُ تنمى ومن ذم الرجال بمنتزاح

إلا أنه أشبع فتحة الزاى فتولدت الألف، هكذا أنشده بعض أهل اللغة، وفى شعره «بمستراح» فلا ضرورة، انتهى.

=

يريد منتزَح، مُفْتعل من نزح - كان التأنى والتمادى بالمد بين المضاف والمضاف إليه لأنهما فى الحقيقة اسمان لا اسم واحد أمثل. ونحوه قراءَة الأعرج عن ابن أبى الزِّناد: «بثلاثه آلاف»، بسكون الهاء. وقد ذكرناه فيما قبل، فهذا تقوية وعذر لقراءَة أَبى سعيد. وقد أَفردناه فى الخصائص[١] بابًا قائمًا برأسه وذكرناه أيضًا فى هذا الكتاب.

* * *

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ ١٤٠

ومن ذلك قراءَة محمد بن السَّميْفَع: «قَرَحٌ»[٢]، بفتح القاف والراء.

قال أبو الفتح: ظاهر هذا الأمر أن يكون فيه لغتان: قرْحٌ، وقَرَح، كالحَلْب والحلب، والطَّرْد والطَّرَد، والشَّلّ والشَّلَل. وفيه أيضا «قُرْح»[٣] على فُعْل، يقرأُ بهما جميعًا.

ثم لا أُبْعدُ من بَعْدُ أَن تكون الحاء لكونها حرفًا حلقيًا يُفتح ما قبلها كما تفْتَح نفسها فما كان ساكنًا من حروف الحلق، نحو قولهم فى الصخْر: الصَّخَر، والنعْل: النَّعَل. ولعمرى إن هذا عند أَصحابنا ليس أَمرًا راجعًا إلى حرف الحلق، لكنها لغات؛ وأنا أَرى فى هذا رأْى البغداديين فى أَن حرف الحلق يؤثِّر هنا من الفتح أَثرًا معتدًا معتمدًا؛ فلقد رأَيت كثيرًا من عُقيل لا أَحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أَبدًا لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم: نَحَوَه، يريد نَحْوه. وهذا ما لا تَوقُّف فى أنه أمر راجع إلى حرف الحلق؛ لأَن الكلمة بُنيت عليه البتة. ألا ترى أن لو كان هذا هكذا

=والغوائل: جمع غائلة، وهى الفساد والشر، وقال الكسائى: الغوائل: الدواهى وتُرْمى بالبناء للمفعول مسند إلى ضمير الغوائل، وكذا تنمى يقال: نمى الشىء ينمى، من باب رمى، نماء، بالفتح والمد، أى: كثر، وفى لغة ينمو نموا، من باب قعد، ويتعدى بالهمزة والتضعيف. انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٢٥).

(١) انظر:(باب مطل الحركات، الخصائص ٣/١٢٣:١٢٦).

(٢) وقراءة أبى السمال. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٨، البحر المحيط ٣/٦٢، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢١٧، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٦٦).

(٣) هى قراءة حمزة، والكسائى، وعاصم، وخلف، والأعمش، وشعبة. انظر: (السبعة ٢١٦، النشر ٢/٢٤٢، إتحاف فضلاء البشر ١٧٩، العنوان ٦٢ وفيه (حيث وقع)، تهذيب اللغة «حقر»، لسان العرب «قرح»، الغيث ١٨٢، الكشاف ١/٢١٨، مجمع البيان ٢/٥٠٨، تفسير الفخر الرازى ٣/٥٥ معانى القرآن للفراء ١/٢٣٤، البحر المحيط ٣/٦٢، التبيان ٢/٦٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٧، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٦٦، الطبرى ٧/٢٣٦).

لوجب أن يقال: نحاة؛ لأنه فَعَلٌ مما لامُه واوٌ، فيجرى مجرى عصاة وفتاة. نعم، وسمعت الشجرى يقول فى بعض كلامه: أنا مَحَموم، بفتح الحاء. وقال مرة وقد رسم له الطبيب أن يَمَصَّ التفاح ويرمىَ بثُفْله فلم يفعل ذلك، فأنكره الطبيب عليه، فقال: إنى لأبغى مصه وعِلْيَته تَغَذُو، يريد تَغْذو. ولا قرابة بينى وبين البصريين، لكنها بينى وبين الحق، والحمد لله. ويكون فتح الحاءِ من القَرَح لها ما قبلها كفتحها لها عينَ الفعل المضارع، نحو يسنَح ويسفح ويسمَح.

ويُؤنِّس بذلك أن هذه الحروف حلقية، فضارعت بذلك الألف التى لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، وهذا قدرُ ما يتعلَّل به، إلا أن الاختيار أن تكون «القَرَح» لغةً.

* * *

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءَة إبراهيم: «مِن قَبْلِ أَن تُلاقُوه»(١).

قال أبو الفتح: وجه ذلك أنك إذا لقيتَ الشىء فقد لقيَك هو أيضًا، فلما كان كذلك دخله معنى المفاعلة، كالمضاربة والمقاتلة. وقد جاءَ ذلك عينه فى هذه اللفظة عينها، قالت امرأة:

هل إلاَّ الموت يَغْلى غاليهْ(٢) ... مختلطا سافلُه بعاليهْ
لابد يومًا أننى ملاقيهْ

فأما ما قرأته على أبى على فى نوادر أبى زيد من قوله(٣):

فارقَنا قبل أن نفارقَهُ ... لما قضى من جمَاعنَا وطَرا

فظاهره إلى التناقض؛ لأنا إذا فارقَنا فقد فارقْناه لا محالة، فما معنى قوله بعد: قبل أن نفارقه؟ وهو عندنا على إقامة المسبب مقام السبب فى تفسيره: فارقَنا قبل أن نريد فراقه، فوضع المفارقة وهى المسبب موضع الإرادة لها وهى السبب، وذلك لقرب أَحدهما من صاحبه ومثله قول الله تعالى: ﴿فإذا قرأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بالله﴾(٤)،

(١) وقراءة الأعمش، والزهرى. انظر: (البحر المحيط ٦٧/٣، إعراب القرآن للعكبرى ٧٨/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/٤).

(٢) رواه فى الخصائص ٣٦٦/٢: «ما هو إلا الموت يغلى غالية».

(٣) الربيع بن ضبع الفزارى. انظر: (نوادر اللغة ١٥٩).

(٤) سورة النحل الآية (٩٨).

أى: إذا أردت القراءَة، وهو كثير قد مر فى هذا الكتاب. وقد أفردنا له فى الخصائص(١) بابًا قائمًا برأسه.

* * *

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ﴿١٤٤﴾

ومن ذلك قراءَة حِطّانَ(٢) بن عبدا لله: «وما مُحَمَّد إلا رَسولٌ قد خَلَتْ من قبله رُسُل»(٣)، وكذلك هى فى مصحف ابن مسعود.

قال أبو الفتح: هذه القراءَة حسنة فى معناها؛ وذلك أنه موضع اقتصاد بالنبى ﷺ وإعلام أنه لا يلزم ذمتَه ممن يخالفه تبعةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿**وما على الرَّسول إلا البلاغُ المُبين**﴾(٤)، وقوله: ﴿**لَيْس لَكَ من الأَمْرِ شَيء**﴾(٥)؛ وقوله: ﴿**إنَّما أنتَ مُنْذِرٌ ولكلِّ قومٍ هاد**﴾(٦)، وقوله: ﴿**أفأنْتَ تُسمعُ الصُّمَّ**﴾(٧).

ومعلوم أَن «إنما» موضوعة للاقتصاد والتقليد، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**إنَّما يَخْشَى الله منْ عباده العلماءُ**﴾؟(٨) فهذا كقوله: ﴿**ما آمَن معه إلا قليل**﴾(٩)، وقوله: ﴿**وقليلٌ ما هُمْ**﴾(١٠)، وقوله: ﴿**وقَليلٌ مِنْ عبادىَ الشَّكور**﴾(١١). فلما كان موضع اقتصاد به، وفكٌّ ليد الذمّ عن ذمته، وكان مَن مضى من الأنبياء عليهم السلام فى هذا المعنى مثلَه - لاقَ بالحال تنكير ذكرهم بقوله: «قدْ خَلَتْ من قَبْله رُسُلٌ».

وذلك أَن التنكير ضرب من الكف والتصغير، كما أَن التعريف ضرب من الإعلام

---

(١) انظر: (الخصائص ٣/١٧٥: ١٧٩).

(٢) وقع فى غير المحتسب، والبحر المحيط ٣/٦٨: «قحطان بن عبدا لله».

(٣) وقراءة عبدا لله بن عباس. انظر: (البحر المحيط ٣/٦٨، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٢٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٦٨).

(٤) سورة العنكبوت الآية (١٨).

(٥) سورة آل عمران الآية (١٢٨).

(٦) سورة الرعد الآية (٧).

(٧) سورة يونس (٤٢).

(٨) سورة فاطر (٢٨).

(٩) سورة هود الآية (٤٠).

(١٠) سورة ص الآية (٢٤).

(١١) سورة سبأ الآية (١٣).

والتشريف. ألا ترى إلى قوله(١):

فمـن أَنُتُمُ إنا نَسينا مـن أنْتـمُ ... وريحكـم مـن أىِّ ريحِ الأَعاصر

فأين هذا من قوله(٢):

هـذا الذى تَعْرِف البطحاءُ وطأتَـه ... والبيـتُ يعرفـه والحِـلُّ والحـرم؟

ولهذا قال(٣):

مِـنْ حديـث نَمَـى إلىّ فمـا أَط ... ـعَـمُ غُمْضًـا ولا أَلَـذ شَـرابى

فنكَّر الغُمْض احتقارًا له إِذ كان لا يعرفه، وعرّف الشراب إِذ كان لابـد أَن يَشـرب وإِن قل. قال:

علـى كل حـال يأكُـلُ المرءُ زادَه ... مـن الضُّـرِّ والبأسـاءِ والحدَثان

---

(١) زياد الأعجم. انظر: (الدرر اللوامع ١/١٣٧).

(٢) وقع فى المطبوعة من ديوان الحماسة ٢/٥٣٠ أنها من قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم، ويقال: إنها للحزين الليثى فى بعض بنيه، ومطلعها:

إذا رأتـه قريـش قـال قائلهـا ... إلى مـكارم هـذا ينتهـى الكـرم

وأشار التبزيرى فى الشرح إلى القول فى نسبتها إلى الفرزدق، والبيت غير مذكور فى ديوانه، وقد ورد البيت الثالث من القصيدة:

هـذا ابن خـير عبـاد الله كلهـم ... هـذا التـقى النـقى الطـاهر العلـم

فى ديوان الفرزدق ٢/١٧٨، ولم يرد فى بعـض نسخ مخطوطـات ديوان الحماسـة وتفـردت بـه وحده.

(٣) غلفاء بن الحارث، واسمه (معدى كرب) بن الحارث بن عمرو المنصور بـن حجر، آكـل المدار الملك الكندى، وهو عم امرئ القيس بن حُجر الشاعر. وقد اقتتل شُـرحبيل بـن الحـارث وأخـوه سلمة بن الحارث يوم الكُلاب، فجعل سلمة فـى رأس أخيـه مائـة مـن الإبـل، فقتـل أبـو حنـش التغلبى شرحبيل، فقال غلفاء يرثيه:

إن جنبـى عـن الفـراش لنـاب ... كتجـافى الأسـر فـوق الظـراب
مـن حديـث نمـى إلى فمـا يـر ... فـأ دمعـى ومـا أُسيغ شـرابى
مُـرة كالزعـاف أكتمهـا النـا ... س علـى حرّملـة كالشـهاب
مـن شـرحبيل إذ تعـاوره الأر ... مـاح مـن بعـد لـذةٍ وشـبابِ
يـا ابـن أمـى ولـو شـهدتك الخيـ ... ـل تعـادى إليـك عـدو الذئـاب
لضربـتُ الكمـاة حولـك حتـى ... تبلـغَ الرَّحـب أو تـبز ثيـابى
يـا ابن أمـى ولـو شهـدتك إذ تـد ... عـو تميمًـا وأنـت غـير مُجـاب

انظر: (معجم الشعراء للمرزبانى ٣٢٤، ٤٣٣).

ولأجل ذلك لم تندُب العرب المبهم ولا النكرة لاحتقارها، وإنما تندُب بأشهر أسماء المندوب؛ ليكون ذلك عذرًا لها فى اختلاطها وتفجعها. ويؤكده أيضًا قوله تعالى: ﴿منْهم مَنْ قَصَصْنا علَيْكَ ومنْهُمْ مَن لَمْ نَقْصُص علَيْكَ﴾[١]، فجرى قوله سبحانه: «وَمَا مُحمَّدٌ إلاَّ رَسولٌ قَدْ خلَتْ منْ قَبْله رُسُل» مجرى قولك لصاحبك: اخدم كما خدَمَنَا غيرُك مِنْ قَبْلك ولا تبعة عليك بعد ذلك، فهذا إذا موضع إسماح له، فلابد إذا من إلانة ذكره. وعليه جاء قوله تعالى: ﴿أفَإنْ ماتَ أو قُتل انْقَلَبْتُمْ﴾[٢] فأضاف سبحانه مِن عذرهم، وأعلَمَ أن لا متعلق عليه بشىءٍ من أمرهم، فلهذا حسن تنكير «رسل» ها هنا، والله أعلم.

وأما من قرأ: ﴿قد خلَتْ منْ قبله الرُّسُلُ﴾ فوجه تعريفهم ومعناه أنكم قد عرفتم حال مَن قَبله من الرسل فى أنهم لم يطالبوا بأفعال مَن خالفهم، وكذلك هو ﷺ. فلما كان موضعَ تنبيه لهم كان الأليق به أن يومئ إلى أمرٍ معروف عندهم.

* * *

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾

ومن ذلك قراءة الأعمش، فيما رواه القطعى عن أبى زيد عن المفضَّل عن الأعمش: «ومَنْ يُرِدْ ثواب الدنيا يُوتِه منها ومَن يُرِدْ ثوابَ الآخرة يُوتِه منها وسنجزى الشاكرين»[٣]. بالياءِ فيهما.

قال أبو الفتح: وجهه على إضمار الفاعل لدلالة الحال عليه، أى يوته الله، يدل على ذلك قراءَة الجماعة: ﴿نُؤته منها﴾[٤]، بالنون.

وحديث إضمار الفاعل للدلالة عليه واسع فاش عنهم، منه حكاية الكتاب أنهم يقولون: إذا كان غدا فأتنى، أى إذا كان ما نحن عليه من البلاءِ فى غد فأتنى، ومثله حكايته أيضًا: مَن كذب كان شرًا له، أى كان الكذب شرًا له. وعليه قول الآخر:

---

(١) سورة غافر الآية (٧٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٤).

(٣) وقراءة المطوعى. انظر: (البحر المحيط ٣/٧٠، الكشاف ١/٢٢١، إتحاف فضلاء البشر ١٧٩).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٤٥).

ومجوَّفـات قـد عـلا أَلوانَهـا أسـآر جُـرد مُتْرَصـاتٍ كالنَوَى

أَى قد علا التجويف أَلوانها. وقول الآخر(١):

إذا نُهِـىَ السفيـهُ جـرى إليـه وخالَـف والسفيـهُ إلى خـلاف

وكما أَضمر المصدر مجرورًا أَعنى الهاء فى إليـه - يعنـى إلى السفَه - كذلـك أَيضًا أَضمره مرفوعًا بفعله.

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ١٤٦﴾

ومن ذلك قراءة ابن مُحَيصن والأَشهب والأَعمش: «وكَأْىٍ»(٢)، بهمزة بعـد الكـاف ساكنة، وياء بعدها مكسورة خفيفة، ونون بعدها، فى وزن كَعْيٍ.

قال أبو الفتح: فيها أَربعُ لغات: كأَىّ، وكاءٍ، وكأْى، وهى هذه القراءَة، وَكَـاءٍ فـى وزن كَعٍ.

ثم اعلم أَن أَصل ذلك كلـه «كـأَىٍّ» فـى معنـى كـم كـأَكثر القـراءَة، ﴿وكـأَىٍّ مِـنْ قَرْيةٍ﴾(٣)، وهى أىٌّ دخلت عليها كاف الجر، فحدث لهـا مـن بعـدُ معنـى كـم، ولهـذه الكاف الجارة حديث طويل فى دخولها وفيها معنـى التشبيه، وفـى دخولهـا عاريـة مـن التشبيه، نحو كأن زيدًا عمرو، وله كذا وكذا درهمًا، وكأىٍّ من رجل. ثم إنها لمـا كثـر استعمالُها لها تلعبت بها العرب كأَشياء يكثر تصرفُها فيهـا لكثرة نطقهـا بهـا، فقَدَّمـت الياء المشددة على الهمزة فصارت كَيًّا بوزن كَيِّع، ثم حذفت الياء المتحركـة تشـبيها لهـا بسيد وميت، فصارت «كَىْءٍ» بوزن كَيْعٍ، ثم قلبت الياءُ أَلفا وإن كـانت سـاكنة، كمـا قلبت فى ييئس فقيل: ياءِس، فصارت كاءٍ بوزن كَاعٍ.

وذهب يونس فى «كاء» إلى أنه فاعل من الكون، وهذا يَبعد؛ لأَنـه لـو كـان كذلـك لوجب إعرابه، إذ لا مانعٍ له من الإعراب.

وأَما كأْى بوزن كَعْى فهو مقلوب كَىْءٍ الذى هو أَصل كَاءٍ، وجاز قلبه لأَمرين:

---

(١) ذكره الفراء فى معانى القرآن ولم ينسبه (١٠٤/١) وقال: يريد إلى السفه. وانظر: (خزانة الأدب ٣٨٢/٢).

(٢) انظر: (شرح الأشمونى ٨٧/٤).

(٣) سورة محمد الآية (١٣).

أَحدهما: كثرة التلعب بهذه الكلمة.

والآخر: مراجعة أَصل، أَلا ترى أَن أَصل الكلمة كأَى؟ فالهمزة إذا قبل الياء. وأَما كَإٍ بوزن كَعٍ فمحذوفة من كَاءٍ، وجاز حذف الأَلف لكثرة الاستعمال، كما قال الراجز(١):

أَصبح قلبى صَرِدًا لا يشتهى أَن يردا
إِلا عرادًا عرِدا وصِلِّيانًا بَردا
وعَنْكَثًا مُلْتبِدا

يريد: عاردًا وباردًا. أَلا ترى إِلى قول أَبى النجم:

كأَن فى الفُرْشِ العَرَادَ العاردا(٢)

وكما قالوا: أَمَ اللهِ لقد كان كذا، يريد أَما، وحَذف الأَلف.

فإِن قلت: فما مثال هذه الكلم من الفعل فإِنَّ كَأَىٍّ مثاله كَفَعْل، وذلك أَن الكاف زائدة، ومثالُ أَىٍّ فعْل كَطىّ وزَىّ، مصدر طويت وزويت، وأَصل أَى أَوى، لأَنها فَعْلٌ من أَويت، ووجه التقائها أَن «أَىّ» أَيْنَ وقعت فهى بعض من كل، وهذا هو معنى أَوَيْتُ؛ وذلك أَن معنى أَويت إِلى الشىء تساندت إِليه، قال أَبو النجم:

يأْوى إِلى مُلْط له وكَلْكَلِ

أَى يتساند هذا العَير إِلى مِلَاطيه وكلكله.

ونحوه قول طفيل الغنوى(٣):

وآلت إِلى أجوازها وتَقَلْقَلت قلائدُ فى أَعناقها لم تُقَضَّب

فمعنى آلت رجعت، والآوى إِلى الشىء معتصمٌ به وراجع إِليه، هذا طريق الاشتقاق. وأَما القياس فكذلك أَيضًا؛ وذلك أَن باب أَويت وطويت وشويت مما عينه واو ولامه ياء أَكثر من باب حييتُ وعَيِيتُ مما عينه ولامه ياءان. ولونَسبتَ إِلى «أَىّ»، لقلت: أَوَوِىّ، كما أَنك لو نسبت إِلى طَىّ و لَىّ لقلت: طَوَوِىّ ولَوَوِىّ، وكذلك لو أَضفت إِلى الرَّى لكان قياسه رَوَوى. وأَما قولهم: رازِى فشاذ بمنزلة كلابِزِى واصطخْرِزى.

---

(١) ذكره فى الخصائص ٣٦٦/٢، دون نسبة، وفى اللسان «عرد».

(٢) ذكره فى الخصائص ٣٦٧/٢، وفيه: «كأن فى الفُرْشِ القتاد العاردا».

(٣) انظر: (ديوانه ٨). وفيه: «وتمت إلى أحواز ما وتقلقلت».

وأما «كَاء» فوزنه كعْفٍ وأَصله «كَيِّإ»، ومثاله كعلَف؛ فحذفت الياء الثانية وهي لام الفعل، كما حذفت الثانية من ميت، فبقي كَيْء، ووزنه كعْف. وقَلبُ الياء أَلفًا لا يخرجها أَن تكون كما كانت عينًا، أَلا ترى أن وزن قام فى الأصل فَعَل لأنه قَوم، ومثال قام فى اللفظ فَعْل؟ فالأَلف عين كما كانت الواو التى الأَلف بدل منها عينا، وأَيا كان مثال «كَأْيٍ» فإنه كفْع؛ لأَن الهمزة التى هى فاء عادت إلى مكانها من التقدم.

وأما «كَيٍ» بوزن كَعٍ فإنه كَف، والعين واللام محذوفتان.

فإن قيل: لَمَّا حذفت الياءَ الثانية من «كَيِّإ» هلا رددت الواو على مذهبك، لأنه قد زالت الياءُ التى قُلبت لها العين قبلها ياء فقدّرته كَوْء؟.

قيل: لما تُلُعِّب بالكلمة تُنوسى أَصلها فصارت الياءُ كأَنها أَصل فى الحرف، ودعانا إلى اعتماد هذا وإن لم تظهر الياءُ إلى اللفظ أن الأَلف أُبدلت منها وهى ساكنة، وقَلْبُ الأَلف من الياءِ الساكنة أَضعاف قلبها من الواو الساكنة. أَلا تراهم قالوا: حاحيت[1] وعاعَيْت[2] وهاهَيْت[3]، وأصلها حيحيت وعيعيت وهيهيت؛ فقلبت الياءُ أَلفًا.

نعم، وقلبوها مكسورًا ما قبلها أَلفًا، فقالوا فى الحِيرة: حَارِى، كما قالوا فى المفتوح ما قبلها: طائى، وقالوا: ضَرب عليه سَاية، وهى فَعْلَة من سوَّيت، يعْنى به الطريق، وأَصلها سوْيَة؛ فقلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة قبل الياء فصارت سيّة، ثم قلبت الياء ألفا فقيل: «ساية»: وهو أولى من أن تكون قلبت الواو من سوْيَة أَلفا قبل القلب والإدغام. وإن أَعطيت القول ثِنى مِقوده طال وطغى وأَمَلَّ وتمادى.

ومن ذلك قراءَة قتادة: «وكَأَى منْ نَبىٍّ قُتِّل معه رِبِّيون كثير»[4]، مشددة.

قال أبو الفتح: فى هذه القراءَة دلالة على أَن من قرأَ من السبعة قُتِل[5] أَو «قَاتَل معه رِبيون»[6].

---

(١) يقال: حاحيت حيحاء وحاحاة، وهو التصويت بالغنم إذا قلت: حاى. انظر: (المنصف ٧٧/٣).

(٢) عاعيت: صوت صله، وهو العيعاء والعاعاة: إذا قلت: عاى. انظر: (المنصف ٧٧/٣).

(٣) هاهَيْتُ: صوت مثله، وهو الهيهاء والهاهاة: إذا قلت: هاى. انظر: (المنصف ٧٧/٣).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٧٢/٣، العنوان ٦٢ مخطوط).

(٥) وقراءة ابن عباس، ونافع، وابن كثير، وأبى عمرو، ويعقوب، وابن محيصن، واليزيدى. انظر: (معانى القرآن للفراء ٢٣٧/١، السبعة ٢١٧، النشر ٢٤٢/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٨٠، البحر المحيط ٧٢/٣، الكشف ٣٥٩/١، معانى القرآن للأخفش ٢١٧/١، مجمع البيان ٥١٦/٢، غيث النفع ١٨٣، همع الهوامع ٣٨٩/٤).

(٦) سورة آل عمران الآية (١٤٦)، وهى قراءة باقى السبعة.

فإن رِبِّيّون مرفوع فى قراءته بقُتِل أو قاتل، وليس مرفوعًا بالابتداء ولا بالظرف الذى هو معه، كقولك: مررت برجل يَقْرأُ عليه سلاح. ألا ترى أنه لا يجوز كم نبى قُتِّل بتشديد التاء، على فُعِّل؟ فلابد إذا أن يكون رِبِّيون مرفوعًا بقتِّل، وهذا واضح.

فإن قلت: فهلا جاز فُعِّلَ حملاً على معنى كم؟.

قيل: لو انصُرِف عن اللفظ إلى المعنى لم يحسن العودُ من بعدُ إلى اللفظ. وقد قال تعالى، كما تراه: ﴿معه﴾، ولم يقل: معهم، فافهم ذلك.

* * *

رِبِّيُّونَ ﴿١٤٦﴾

ومن ذلك قراءَة على وابن مسعود وابن عباس وعِكرمة والحسن وأبى رجاء وعمرو ابن عُبيد وعطاءِ بن السائب: «رُبِّيون»[1]، بضم الراءِ. وقرأ بفتحها ابن عباس فيما رواه قتادة عنه.

قال أبو الفتح: الضم فى «رُبِّيون» تميمية، والكسر أيضًا لغة. قال يونس: الرِّبَّة: الجماعة. وكان الحسن يقول: الرِّبِّيون: العلماءُ الصُّبُر. قال قُطرب: والجماعة أيضًا مع يونس، أى فِرق وجماعات[2].

وكان ابن عباس يقول: الواحدة رِبْوَة، وهى عنده عشرة آلاف، وأنكرها قطرب، قال: لدخول الواو فى الكلمة، وهذا لا يلزم لأنه يجوز أن يكون بَنَى من الرِّبوة فعِّيلاً كبِطيخ، فصار رِبِّىّ ومثله من عزوت عِزِّىّ، ثم جمع فقيل: رِبِّيون. وأما رَبِّيون، بفتح الراء فيكون الواحد منها منسوبًا إلى الرَّب، ويشهد لهذا قول الحسن: إنهم العلماءُ الصُّبُر. وليس ننكر أيضًا أن يكون أراد رِبِّيون ورُبيون ثم غيِّر الأول لياءِ الإضافة كقولهم فى أمْس: إمسى.

* * *

---

(١) انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٨٠، إعراب القرآن للعكبرى ٨٩/١، إعراب القرآن للنحاس ٣٦٩/١، الكتاب ٢٢١/١، مغنى اللبيب ١٣٣/٢).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٨٩/١، الكشاف ٢٢١/١، البحر المحيط ٧٤/٣، التهذيب ١٧٩/١٥، تفسير الفخر الرازى ٦١/٣، ٦٢).

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦]

ومن ذلك قراءَة الحسن: «فما وَهِنوا»(١)، بكسر الهاء.

قال أَبو الفتح: فيه لغتان: وهَن يهِن، ووهِن يوهَن. وقولهم فى المصدر: الوهَن، بفتح الهاء يؤنس بكسر الهاء من «وَهِن»، فيكون كفرِق فَرَقا وحذر حذَرًا. وحدثنا أَبو على أَن أَبا زيد حكى فيها كسر الهاء فى الماضى، وقولهم فيه: الوَهْن، بسكون الهاءِ يؤنس بفتح عين الماضى كفَتَر فترًا.

* * *

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ (١٥٤)

ومن ذلك قراءَة ابن مُحَيْصِن، ورويت عن يحيى وإبراهيم: «أَمْنَةً نُعاسًا»(٢)، بسكون الميم.

قال أَبو الفتح: روينا عن قطرب أنه قال: الأَمْنة: الأَمن. والأَمَنة؛ بفتح الميم أَشبه بمعاقبة الأَمن، ونظير ذلك قولهم: الحبَطَ والحَبَج والرَّمَث، كل ذلك فى أَدواءِ الإِبل. فلما أَسكنوا العين جاءوا بالهاءِ فقالوا: مَغِل مَغْلَة وحقِل حقلة، وقد أَفردنا بابا فى كتاب الخصائص لنحو هذا، وهو باب فى ترافع الأَحكام(٣).

* * *

﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ (١٥٦)

ومن ذلك قراءَة الحسن والزُّهرى: «أَو كانوا غُزًا»(٤)، خفيفة الزاى.

قال أَبو الفتح: وجهه عندى أَن يكون أَراد غُزَاة، فحذف الهاءَ إِخلادا إِلى قراءَة من قرأَ «غُزَّى»، بالتشديد. ولا يُستنكر هذا؛ فإِن الحرف إِذا كان فيه لغتان متقاربتان فكثيرًا ما تتجاذب هذه طرفًا من حكم هذه.

---

(١) وقراءة الأعمش، وأبى السمال. انظر: (البحر المحيط ٣/٧٤، الكشاف ١/٢٢١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٩، إتحاف فضلاء البشر ١٨٠).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/٨٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٠، إتحاف فضلاء البشر ١٨٠).

(٣) انظر: (الخصائص ٢/١١٠: ١١٥).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٧٣، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٤٦، الكشاف ١/٢٢٥، البحر المحيط ٣/٩٣، إتحاف فضلاء البشر ١٨١).

قرأت على أبى بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى لبلال بن جرير[١]:

إذا خفتهم أو سآيلتهم وجدتَ بهم علة حاضرة

وذلك أنه يقال: سألته عن حاله وسايلته على البدل، فلما ألف استماعَهما تجاذبتا لفظَه فجمع بينهما فيه لتداخلهما وتزاحم حروفها. وقد حُذفت تاءُ التأنيث فى أماكن قد ذكرناها: ناحٍ فى ناحية، ومألُك فى مألُكة. وأنشد ابن الأعرابى للعتابى يمدح الكسائى:

أبى الذمَّ أخلاق الكسائى وانتحى به المجدَ أخلاق الأُبُوّ السوابق

يريد الأُبوة جمع أب، كالعُمومة جمع عم، والخُئولة جمع خال. وهذا عندى أمثل من أن يكون خَرَّج «أُبُوًّا» على أصله من الصحة وأن يكون من باب نَحْو ونُحوّ، وبَهْو وبُهُو للصدر، ونَجو ونُجُوّ للسحاب، وعلى أنه قد يمكن أن تكون الهاءُ مرادة فى جميع ذلك، وقد قالوا أيضًا: ابن وبُنُوّ، والقول فيهما سواء.

ووجه آخر، وهو أن يكون مخففًا من «غُزًّى»، ونظيره قراءَة على عليه السلام: «وكذَّبوا بآياتنا كذابا»[٢]، وبابه ﴿كِذَّابا﴾[٣]، كقراءَة الجماعة. وقد يجوز أن يكون «كذَابا» مصدر كذَب الخفيفة، جرى على الثقيلة لدلالة الفعل على صاحبه، والقول الأول أقوى.

* * *

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۝١٥٩﴾

ومن ذلك قراءَة ابن عباس فيما رواه عنه عمرو: «وشاوِرْهُمْ فى بَعْض الأمر»[٤].

---

(١) ذكره فى الخصائص ١٤٨/٣، ٢٨٣ وفيه: «إذا خفتهم أو سآيلتهم». وانظر: (البحر المحيط ٢٣٥/١، مجالس ثعلب ٣٧٣/١، اللسان «سأل»). قال ابن منظور: حكى الفارسى أن أبا عثمان سمع من يقول اسل، يريد: اسأل، فيحذف الهمزة ويلقى حركتها على ما قبلها ثم يأتى بألف الوصل لأن هذه السين وإن كانت متحركة فهى فى نية السكون، وهذا كقول بعض العرب: الأحمر، فيخفف الهمزة بأن يحذفها ويلقى حركتها على اللام قبلها.

(٢) سورة النبأ الآية (٢٨)، وهى قراءة الكسائى. انظر: (إتحاف فضلاء البشر٢٦٦).

(٣) سورة النبأ الآية (٢٨).

(٤) انظر: (الجامع الأحكام القرآن ٢٥٠/٤، الكشاف ٢٢٦/١، البحر المحيط ٩٩/٣، إعراب القرآن للعكبرى ٩١/١).

قال أبو الفتح: في هذه القراءَة دلالة على أنك إذا قلت: شربت ماءَك - وإنما شربتَ بعضه - كنت صادقًا، وكذلك إذا قلت: أكلت طعامك، وإنما أكلت بعضه. ووجه الدلالة منه قراءة الباقين: ﴿وشَاوِرْهُمْ فى الأمر﴾[١]، والمعنى واحد فى القراءَتين. ونحن أيضًا نعلم أن الله سبحانه لم يأمر النبى ﷺ بقوله: ﴿وشاورْهم فى الأمر﴾، أى فى جميعه، كشُرب الماء، وتناول الغذاء. وإنما المراد به العانى من أمر الشريعة وما أُرسل عليه السلام له. ومع هذا فقد قال سيبويه فى باب الاستقامة والاستحالة من الكلام: فأما المستقيم الكذب فهو قولك: حملْتُ الجبل، وشربتُ ماءَ البحر ونحوه. فجعْلُه إياه كذبًا يدلُك على أن مراده هنا بقوله: ماءَ البحر - جميعه؛ لأنه لا يجوز أن يَشْرب جميع مائه، فأما على العرف فى ذلك على ما مضى فلا يكون كذبًا.

* * *

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (١٥٩)

ومن ذلك قراءَة جابر بن يزيد[٢]، وأبى نَهيك وعِكرمة وجعفر بن محمد. «فإذا عَزَمتُ»[٣]، بضم التاء.

قال أبو الفتح: تأويله عندى والله وأعلم: فإذا أَرَيْتُك أمرا فأعمل به وصرْ إليه. وشاهدُه قول الله تعالى: ﴿لِتحكُمَ بَيْنَ الناس بِمَا أَراكَ الله﴾[٤]، وهذا ليس من رؤية العين؛ لأنه لا مدخل له فى الأحكام، ولا من العلم؛ لأن ذلك متعد إلى مفعولين. فإذا نقل بالهمزة وجب أن يتعدى إلى ثلاثة، والذى معنا فى هذا الفعل إنما هو مفعولان: أحدهما الكاف، والآخر الهاءُ المحذوفة العائدة على «ما»، أى بما أراكه الله. فثبت بذلك أنه من الرأى الذى هو الاعتقاد، كقولك: فلان يرى رأْى الخوارج، ويرى رأى أبى حنيفة ورأى مالك، ونحو ذلك؛ فرأَيتُ هذه إذًا قسم ثالث ليست من رؤية العين ولا من يقين القلب.

وجاز أن يَنْسب سبحانه العزم إليه إذ كان بهدايته وإرشاده، فهو كقوله تعالى:

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩).

(٢) فى غيره من المصادر جابر بن زيد.

(٣) انظر: (الكشاف ١/٢٢٦، الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٥٢ البحر المحيط ٣/٩٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٧٥).

(٤) سورة النساء الآية (١٠٥).

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شيءٌ﴾[١]، وقد جاء فيه ما هو أَقوى معنى من هذا، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رَمَى﴾[٢]، فخرَج اللفظ فيه نافيًا أَوله ما أَثبته آخرهُ، والغرض فيه ما قدمناه من أن الرمى لما كان بإقداره ومشيئته صار كأنه هو الفاعل له، وهو كثير، منه قول الإنسان لمن ينتسب إليه: إنما أَرى بعينك وأَسمع بأُذنك والفعلُ منك، وإنما أنا آلة لك. ومن عَرف طريق القوم فى اللغة سقطت عنه مئونات التعسف والشُّبَه.

* * *

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴿١٧٥﴾

ومن ذلك قراءَة ابن عباس وعِكرمة وعطاءٍ: «يُخوِّفُكُمْ أَوْلياءَه»[٣].

قال أَبو الفتح: فى هذه القراءَة دلالة على إِرادة المفعول فى يخوف وحذفِه فى قراءَة أَكثر الناس: «يُخَوِّفُ أَولياءَه». وليس هذا كقولنا: فلان يخوِّف غلامه ويخوف جاريته مِن ضربه إِياهما وإِساءَته إِليهما، فالمحذوف هنا هو المفعول الثانى وهو فى الآية المفعول الأَول على ما قدمنا.

* * *

وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴿١٧٦﴾

ومن ذلك قراءَةُ الحُر النحْوى: «يُسْرِعون»، فى كل القرآن.

قال أَبو الفتح: معنى ﴿يسارعون﴾[٤]، فى قراءَة العامة: أَى يسابقون غيرهم، فهو أَسرع لهم وأَظهر خُفوفًا بهم، وأَما يسرعون فأَضعف معنى فى السرعة من يسارعون؛ لأن مَن سابق غيره أَحرصُ على التقدم ممّن آثر الخفوف وحده. وأَما سَرُع فعادة ونحيزة، أَى صار سريعًا فى نفسه.

وفعَل من لفظ فَاعلتُ ضربان: متعد، وغير متعد. فالمتعدى كضربت زيدًا وضاربته،

(١) سورة آل عمران الآية (١٢٨).

(٢) سورة الأنفال الآية (١٧).

(٣) وقراءة عبدالله بن مسعود. انظر: (البحر المحيط ٣/١٢٠، الكشاف ١/٢٣١).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٧٦).

وغير المتعدى كقمت وقاومت زيدًا. وأما أسرع وسَرُع جميعًا فغير متعديين، لكن سرُع غريزة، وأسرع كلّف نفسَه السرعة، لكن سارع متعد.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ ١٨٣﴾

ومن ذلك ما رواه رَوْح عن أَحمد عن عيسى أنه كان يقرأُ: «بقُرُبان»[1]، بضم الراء.

قال أبو الفتح: ينبغى أَن يكون أَصله «قُرْبان» ساكنة الراءِ والضمة فيها إتباع؛ لتعذر فُعُلان فى الكلام. وحكى صاحب الكتاب منه السُّلُطان، وذهب إلى أَن ضمة اللام إتباع كضمة الراءِ من القُرُفْصاء، وإنما هى القرْفُصاء بسكون الراء. ومثله من الإتباع ما حكاه من قولهم: مُنُتن بضم التاء، وهو مُنحَدُر من الجبل، أى منحدر. وحكى أيضًا: أَجُوءُك وأُنْبُؤُك. فأَما العرَقُصان والْعرَتُن فليس إتباعًا، لكنه يراد به العريْقُصان بالياءِ والعرَنْقُصان يقال أَيضًا، فحذفت الياءُ والنون، وكذلك العرَتُن إنما هو العرَنْتُن، فحذفت النون. وكذلك العَبَقُر أصله الْعَبَيْقُر، فحذفت الياءُ، فهذا طريق حذف وليس طريق إتباع.

* * *

(١) انظر: (الكشاف ١/٢٣٤، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٨٣، البحر المحيط ٣/١٣٢).

سورة النساء

﴿ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (١)

من ذلك قراءَة أَبى عبد الرحمن عبد الله بن يزيد[١]: «الذى تساءَلون بِه والأَرْحامُ»[٢]، رفعًا، قراءَةً ثالثة.

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون رفعه على الابتداء وخبره محذوف، أَى: والأَرحام مما يجب أَن تتقوه وأَن تحتاطوا لأنفسكم فيه، وحسن رفعه لأَنه أَوكد فى معناه. أَلا ترى أَنك إِذا قلت: ضربت زيدا فزيد فضلة على الجملة، وإِنما ذكر فيها مرة واحدة؟. وإِذا قلت: زيد ضربته فزيد رَبّ الجملة، فلا يمكن حذفه كما حذف المفعول على أَنه نَيِّف وفضلة بعد استقلال الجملة، نعم ولِزيد فيها ذكران.

أَحدهما: اسمه الظاهر، والآخر: ضميره وهو الهاءُ. ولما كانت الأَرحام فيما يُعنى به ويُقَوَّى الأَمرُ فى مراعاته - جاءَت بلفظ المبتدأ الذى هو أَقوى من المفعول.

وإِذا نُصبت الأَرحامُ أَو جُرَّت فهى فضلة، والفضلة متعرضة للحذف والبِذلة.

فإِن قلت: فقد حذف خبر الأَرحام أَيضًا على قولك، قيل: أَجل، ولكنه لم يحذف إِلا بعد العلم به، ولو قد حُذفت الأَرحام منصوبة أَو مجرورة فقلت: «واتَّقوا الله الذى تساءَلون به» لم يكن فى الكلام دليل على الأَرحام أَنها مرادة أَو مقدرة، وكلما قويت الدلالة على المحذوف كان حذفه أَسوغ، ونحو من رفع الأَرحام هنا بعد النصب والجر قول الفرزدق:

يأيها المشتكى عُكْلاً وما جَرَمت ... إِلى القبائلِ من قتلٍ وإِبآسُ
إِنا كذلك إِذ كانت هَمرَّجة ... نَسْبِى ونَقْتُل حتى يُسْلمَ النَاس

(١) عبد الله بن زيد أبو عبد الرحمن القرشى المقرئ القصير البصرى ثم المكى، إمام كبير فى الحديث، ومشهور فى القراءات، لقن القرآن سبعين سنة، ثقة، توفى سنة ٢١٣هـ. انظر: (طبقات القراء ١/٤٦٤).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/١٥٧، الجامع لأحكام القرآن ٥/٥، الكشاف ١/٢٤١، مجمع البيان ٢/١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٦).

أى من قتل وإباس أيضًا كذلك، فقَوَّى لَفْظَه بالرفع لأنه أذهب فى شكواه إياه، وعليه أيضًا قوله:(١)

إلا مُسْحَتا أو مُجَلَّف(٢)

فيمن قال: أراد أو مجلّف كذاك.

ومَن حمله على المعنى فرفعه وقال: إذا لم يَدَع إلا مسحتا فقد بقى المسحت وبقى أيضًا المجلّف - سلك فيه غير الأول.

* * *

أَلَّا تُقْسِطُوا ﴿٣﴾

ومن ذلك ما رواه المفضَّل عن الأعمش عن يحيى وإبراهيم وأصحابه: «أَلاّ تَقْسِطُوا»(٣)، بفتح التاءِ.

قال ابن مجاهد: ولا أَصل له.

قال أبو الفتح: هذا الذى أَنكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر؛ وذلك على زيادة «لا»، حتى كأنه قال: إن خفتم أن تَقْسطوا فى اليتامى، أى تجوروا. يقال: قسط: إذا جار، وأَقسط: إذا عدل. قال الله جل وعلا: **﴿وأَمَّا القاسطُون فكانوا لجَهَنَّمَ حَطَبا﴾**(٤). وزيادة «لا» قد شاعت عنهم واتسعت، منه قوله تعالى: **﴿لئلاَّ يَعْلَمَ أَهلُ الكتاب﴾**(٥)، وقوله: **﴿وَمَا يُشْعِرُكُم أنها إذا جاءَت لا يؤمنون﴾**(٦) فيمن ذهب إلى

---

(١) هو للفرزدق من قصيدته التى مطلعها:

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

انظر: (ديوانه ٢٣).

(٢) ورد فى الديوان ٢٦: «من المال إلا مُسحَتًا أو مَجرَّف». وصدره: «وعض زمان يا ابن مروان لم يدع».

المسحت: الذى دخله الغش والحرام. المجرف: المستأصل. نصب مسحتا بيدع، ورفع المجرف على استئناف الكلام.

(٣) انظر: (البحر المحيط ١٦٢/٣، الجامع لأحكام القرآن ١٢/٥، الكشاف ٢٤٤/١، إعراب القرآن للعكبرى ٩٧/١).

(٤) سورة الجن الآية (١٥).

(٥) سورة الحديد الآية (٢٩).

(٦) سورة الأنعام الآية (١٠٩).

زيادة «لا»، وقال: معناه: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون. وعليه قول الراجز[١]:

وما أَلـومُ البيـضَ أَلاَّ تَسْخَـرا ... إذا رأيـن الشَّمَـطَ القَفَنْـدَرا

أى أن تسخر، والأمر فيه أوسع، فبهذا يعلم صحة هذه القراءة.

* * *

وَرُبَعَ ﴿٣﴾

ومن ذلك ما رواه الأعمش عن يحيى بن وثّاب، والمغيرة عن إبراهيم قراءَتهما «وَرُبَعَ»[٢]، مرتفعة الراء؛ منتصبة العين بغير ألف.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون محذوفًا من «رُباع» تخفيفًا، كما روينا عن قطرب[٣]:

أَلا لا بـارك ا للهُ فـى سُهَيـل ... إذا ما ا لله بـارك فـى الرجـال

فحذف ألف «ا لله»، وقال الآخر[٤]:

مثل النَّقا لبّدَه ضربُ الطِّلَلْ[٥]

يريد الطِّلال جمع طَلّ، كما قال القُحيف العُقَيْلى:

ديـارُ الحـى تضربهـا الطِّـلالُ ... بهـا أَهـل مـن الخافى ومالُ[٦]

ويقوى أنه أراد «رباع» ثم حذف الأَلف تركُ صرفه كما كان قبل الحذف غير مصروف.

وأما رُبَعُ فلا نعلم إلا ولد الناقة فى أيام الربيع، وذلك مصروف فى المعرفة والنكرة، وهذا واضح.

---

(١) نسبه فى الخصائص ٢/٢٨٥ لأبى النجم. وانظر: (مجالس ثعلب ١٩٨).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/١٦٣، الكشاف ١/٢٤٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٧، لسان العرب «ربع»).

(٣) ذكره فى الخصائص ٣/١٣٦ دون نسبة، وكذلك فى اللسان «أله». انظر: (خزانة الأدب ٤/٣٤١).

(٤) ذكره فى الخصائص ٣/١٣٦ دون نسبة.

(٥) الطلل أصله الطلال، وهو جمع الطل، وهو المطر القليل الدائم، ويرويه بعضهم بفتح الطاء وأصله الطلل، ففك التضعيف. انظر: اللسان «طلل».

(٦) انظر: (طبقات الشعراء ٢٢٥).

ومما حذفت ألفه تخفيفًا أيضًا قولهم: أَمَ وا لله لأفعلن كذا، يريد أَمَا.

وكذلك قراءَة من قرأ: «هأَنْتُمْ»[١]، فى وزن أَعنتم، الألف محذوفة من «ها». وأَما قول الآخر:

وأَتى صواحبُها فقلن هذَا الَّذى ... منح المودَّةَ غيرَنا وقلانا

فإنه لا يريد هذا الذى، بل يريد أذا الذى، ثم أَبدل همزة الاستفهام هاء، كقولهم: هرقتُ فى أَرقتُ، وهرحتُ الدابة فى أَرحتُها، وهردتُ ذلك فى أَردتُ، وهِنْ فعلت فى إِنْ فعلتُ. وقد يجوز مع هذا أَن يكون أَراد هذا الذى مخبرًا، ثم حذف الألف على ما مضى.

* * *

قِيَمًا ﴿٥﴾

ومن ذلك ما ذكره ابن مجاهد فى «قيامًا[٢] وقِيَمًا»[٣] - وهما فى السبعة - قِوَاما[٤]، وقيل: «قَوَامًا». واللغة بكسر القاف. قرأ «قَوَامًا»، بالواو وفتح القاف ابنُ عُمر[٥]. انتهى كلام ابن مجاهد ولم يذْكر «قِوَامًا» عن أَحد، لكنه أَثبته.

قال أَبو الفتح: يقال هذا قِوَام الأَمر أَى مِلاكه، ويقال: قاومته قِوَاما كقولك: عاودته عوادًا كما قال[٦]:

---

(١) سورة آل عمران الآية (٦٦).

(٢) قراءة الجمهور فيما عدا نافع وابن عامر.

(٣) قراءة نافع، وابن عامر، وابن عباس. انظر: (البحر المحيط ٣/١٧١، الطبرى ٧/٥٦٩، القرطبى ٥/٣١، معانى القرآن للفراء ١/٢٥٦، النشر ٢/٢٤٧، الكشف ١/٣٧٦،٣٧٧، الإتحاف ١٨٦، العكبرى ١/٩٧ التيسير ٩٤، الغيث ١٨٨، النحاس ١/٣٩٦، العنوان ٦٥، تهذيب اللغة «ق م و»، لسان العرب «قوم» الحجة المنسوب لابن خالويه ١٩ شرح التصريح ٢/٣٧٨).

(٤) قراءة عبدالله بن عمر. انظر: (البحر المحيط ٣/١٧٠، الكشاف ١/٢٤٧، النحاس ١/٣٩٦، العكبرى ١/٩٧).

(٥) قراءة أبى عمرو، والحسن، وعيسى بن عمر. انظر: (البحر المحيط ٣/١٧٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٨، الرازى ٣/١٤٣).

(٦) ذكره فى الخصائص ٢/٣١١، ٣/٢٣ دون نسبة، وهو لشقيق بن جزء فى فرحة الأديب. وانظر: الاقتضاب «آخره». وصدره: «بما لم تشكروا المعروف عندى».

وإن شئتم تَعَاوَدْنا عِوادًا

وأما «القَوَام» فمَصْدر جاريةٍ حسنة القَوام، فهو كالشَّطَاط، فقد يجوز مع هذا أن يراد بقِوام ما أراده من قرأ «قِياما» فيخرجُه على الصحة، كما قال العجاج[١]:

يَخْلِطــن بـالتـأنُّـس النِّــوارا زَهــوك بالصَّريمــة الصِّــوارا

وقياسه النِّيار لأنه مصدر فعل معتل العين، وهو نارينور: أى نفر. قال[٢]:

أنــورًا سَــرْعَ مَــاذَا يـا فَروقُ وحبـلُ الوصْـل منتكِثٌ حذيــقُ

وقد ذكرت هذا الموضع فى كتابى المنصف[٣].

* * *

يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴿١٢﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «يورِثُ كَلالَةً»[٤]، ويُورث أيضًا كالمقروءِ به فى السبعة.

وقرأ عيسى بن عمر الثقفى: «يُورِّثُ كلالة»[٥].

قال أبو الفتح: يُورِث ويوَرِّث كلاهما منقول من ورِث، فهذا من أَورث، وهذا من ورَّث. فورِث وأَورثتـه كوغِـر صـدره وأَوغرتـه، وورِث وورَّثتـه كـورِم وورَّمتـه. قـال الأَعشى[٦]:

---

(١) انظر: (ديوانه ١٢٢).

(٢) من قول مالك بن زغبة الباهلى يخاطب امرأته. انظر: لسان العرب «نور».

(٣) انظر: (المنصف فى شرح تصريف المازنى ٢/٣٠٣).

(٤) وقراءة أيوب. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٩، البحر المحيط ٣/١٨٩، الطبرى ٨/٥٣، تفسير الفخر الرازى ٣/١٦٢، معانى القرآن للأخفش ١/٢٣٢، مجمع البيان ٢/١٦، البحر المحيط ٣/١٨٩، الجامع لأحكام القرآن ٥/٧٧، الكشاف ١/٢٥٤).

(٥) وقراءة أبى رجاء العطاردى، والحسن، والأعمش، والمطوعى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٩، البحر المحيط ٣/١٨٩، تفسير الفخر الرازى ٣/١٢٦، مجمع البيان ٢/١٦، الكشاف ١/٢٥٤، الجامع لأحكام القرآن ٥/٧٧، إتحاف فضلاء البشر ١٨٧).

(٦) من قصيدة (من الطويل) فى مدح هوذة بن على الحنفى، مطلعها:

أتشفيك «تيـا» أم تُركْـتَ بداتكـا وكانـت قَتـولاً للرجـال كذلكـا

انظر: (ديوانه ١٩٨).

مـــورِّثة مـــالا وفـــى المجـــد رفعـة[١] لِمَـا ضاع فيها من قروءِ نِسائِكـا[٢]

وفى كلتا القراءَتين هناك المفعولان محذوفان، كأنه قال يورِث وارثَـه مالَـه أَو يـورِّث وارثَه ماله. وقد جاءَ حذف المفعولين جميعًا، قال الكميت:

بـأَىِّ كتـــاب أَم بأَيـــة سنـــة تَرى حُبهم عارا علـىَّ وتحســـب

فلم يُعدِّ تحسِب. و«كلالة» على نصبها فى جميع القراءَات.

* * *

غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً ﴿١٢﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «غَيْرَ مُضَـارِ وصيةٍ»، مضـاف. قـال أبـو الفتـح[٣]: أى غَـيْرَ مضار من جهة الوصية، أَو عند الوصية، كما قال طرفة[٤]:

بَـضَّـــةُ الـمـتـجـــرَّد[٥]

أَى بضة عند تجردها، وهو كقولك: فلان شجاعُ حربٍ وكريمُ مسأَلةٍ، أَى: شجاع عند الحرب وكريم عند المسأَلة، وعليه قولهم مِدْره حرب أَى: مِدْرَه عنـد الحـرب، فهـو راجع إِلى معنى قولهم:

يا سارقَ الليلةِ أَهل الدار[٦]

* * *

---

(١) فى الديوان: «مورثة مالا وفى الحمد رفعة».

(٢) القروء: مفردها القرء: مدة حيض النساء وطهورهن.

(٣) انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٨٧، القرطبى ٨١/٥، الكشاف ٢٥٥/١، إعراب القرآن للعكبرى ٩٩/١، البحر المحيط ١٩١/٣).

(٤) من معلقته الشهيرة التى مطلعها:

خولـــة أطـــلال ببـــرقة ثهمـــد تلوحُ كباقى الوشم فى ظاهر اليـد

انظر: (ديوانه ١٩ وما بعدها).

(٥) البيت بتمامه:

رحيـبٌ قطـابُ الجيـب منهـا رقيقـة بجـس النداًمـى بَضَـةُ المتجـــرد

والمتجرد: حيث تجرد أى تعرى.

يقول: هذه القينة واسعة الجيب لإدخال الندامى أيديهم فى جيبها للمسها، ثـم قـال: هـى رقيقـة على جس الندامى إياها. وما يعرى من جسدها نـاعم اللحـق رقيـق الجلـد صـافى اللـون. انظر: (هامش الديوان ٣٠).

(٦) انظر: (الكتاب ١٧٥/١، خزانة الأدب ٤٨٥/١، الأمالى لابن الشجرى ٢٥٠/٢).

بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴿١٩﴾

ومن ذلك قراءَة ابن عباس: «فاحشةٍ مُبينةٍ»[١]، مكسورة الباءِ ساكنة الياءِ، وقال: بيِّنة.

قال أَبو الفتح: يقال بان الشيءُ وأَبنته، وأَبان وأَبنته، واستبان واستبنته، وتبين وتبينته.

ومن أَبيات الكتاب [٢]:

سلِّ الهموم بكل معطى رأْسِه ... ناجٍ مخالطِ صُهبة مُتَعيِّسِ
مُغتال أَحبُلِهِ مُبينٍ عنقُه ... في مَنكِب زَبَن المطيَّ عرندسِ[٣]

وقرأْت على أَبي على في نوادر أَبي زيد:

يبينُهم ذو اللب حتى تراهم ... بسيماهم بيضا لِحاهم وأَصْلُعَا[٤]

ومن كلامهم: قد بيَّن الصبحُ لذى عينين، وقال[٥]:

تبين لى أَن القَماءَة ذلة ... وأَن أَشدّاءَ الرجال طِيالُها[٦]

---

(١) انظر: (القرطبى ٩٦/٥، مجمع البيان ٢٣/٢).

(٢) نسبه في الكتاب (٨٥/١) للمرار الأسدى. قال الشنتمرى: وبعده في بعض نسخ الكتاب، فذكر البيت الثاني.

(٣) معطى رأسه: ذلول، منقاد: يعنى البعير، ناج: سريع، والنجاء: السرعة، والصهبة: بياض يضرب إلى الحمرة، وذلك نجار الكرم والعتق، المتعيس والأعيس: الأبيض تخالطه شقره.

(٤) هو للأسود بن يعفر. انظر: (النوادر ١٦٢).

(٥) قال ابن المستوفى في شرح أبيات المفصل: البيت من قصيدة لأنيف بن زبان النبهانى من طيء وهو شاعر إسلامى، ومطلعها:

تذكرت حُبى واعتراك خيالها ... وهيهات حبى ليس يُرْجَى وصالها

وقد أورد أبو تمام منها بيتين في أوائل الحماسة، وهما:

فلما أتينا السفح من بطن حائل ... بحيث تلاقى طلحها وسيالها
دعوا لنزار وانتمينا لطيىء ... كأسد الشرى إقدامها ونزالها

انظر: (شرح في شواهد الشافية ٣٨٧/٤).

(٦) ورد في شرح شواهد الشافية ٣٨٥/٤: «وأن أعزاء الرجال طيالها».
قال: على أن (طيالها) شاذ قياسًا واستعمالا، والقياس طؤالها، وهو الكثير المستعمل وقوله (لصحتها في المفرد)، ليس كذلك، بل لتحركها فيه، ولو كانت ساكنة لأعلت، ولو كانت صحة العين في المفرد سببًا لصحتها في الجمع لما أعل نحو حياض وثياب وسياط. =

وأَنشدنا أَبو على:

فلما تبينْ غِبَّ أَمرى وأَمره   وولَّت بأَعجاز الأُمور صدورُ[١]

وهو كثير.

* * *

وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴿٢٠﴾

ومن ذلك قراءَة ابن مُحَيْصِن: «وآتَيْتُمُ احْدَاهُنَّ قِنْطَارًا»[٢]، وصل أَلف إِحداهن.

قال أَبو الفتح: قد تقدم نحو هذا فيمن قرأَ: «فلا اثْمَ عليه»، يريد: فلا إِثم عليه بشواهده، وهذا حذف صريح، واعتباط مريح، نحو قوله:

وتسمع من تحت العجاج لها ازْملا[٣]

وقد مضى.

* * *

ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ ﴿٢٣﴾

ومن ذلك قراءَة ابن هُرْمُز: «الَّتى أَرْضَعْنَكم»، بلفظ الواحد.

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن تكون التى هنا جنسا فيعود الضمير عليه على معناه دون لفظه[٤]:

كما قال الله سبحانه: ﴿**والَّذِى جاءَ بالصِّدْقِ وصدّق به**﴾[٥]، ثم قال: ﴿**أُولئك**

=والقماءة - بفتح القاف والمد: مصدر قَمُؤ الرجل - بضم الميم مهموز اللام - أى: صار قميئا، على وزن فعيل، وهو الصغير الذليل، ويقال: قَمَاء أيضًا، بدون الهاء على وزن فَعَال وفَعَالة، كذا فى الصحاح فى نسخة صحيحة، ولم يورد ابن ولاد فى المقصور والممدود إلا فعَالة، قال: (والقماءة: الذل والمهانة)، يقال: قَمُؤ فهو قمىء بين القماءة. انتهى.

(١) هو لنهشل بن حرى كما فى لسان العرب «غب».

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/٢٠٦، الكشاف ١/٢٥٩ إتحاف فضلاء البشر ١٨٨).

(٣) صدره: تضب لثات الخيل فى حجراتها. والأزمل: الصوت. انظر: (الخصائص ٣/١٥٣).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٣/٢١١).

(٥) سورة الزمر الآية (٢٣).

هم المتَّقون﴾، فهذا على مذهب الجنسية، كقولك: الرجل أَفضل من المرأَة، وهو أَمثل من أَن يُعتقد فيه حذف النون من «الذى» كما حذفت من «اللذا» فى قوله(١):

إِنَّ عمّـــىّ اللّـــذَا(٢)

أَلا ترى أَن قوله: «التى أَرْضَعْنَكم» لا يجوز أَن يُعتقد فيه حذف النون؛ لأَنه لا يقال: اللّتِين، والقول الآخر وجه، إِلا أَن هذا أَقوى لهذه القراءَة، وعليه قول الأَشهب بن رُميلَة(٣):

وإِنَّ الذى حانَتْ بِفَلْج دِماؤهم هم القومُ كلُّ القوم يا أُمَّ خالد(٤)

يحتمل المذهبين حذف النون من الّذين، واعتقاد مذهب الجنسية على ما مضى.

* * *

كَتَبَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءَة محمد بن السمَيْفَعَ: «كَتَبَ ا للهُ عليكم»(٥)، مفتوحة الكاف، وليس بعد التاءِ أَلف، والباءُ نصب.

قال أَبو الفتح: فى هذه القراءَة دليل على أَن قوله: «عليكم» من قوله: ﴿كِتابَ ا للهِ عليكم﴾(٦)، فى قراءَة الجماعة مُعَلَّقة بنفس كتاب، كما تعلَّقت فى «كَتَبَ ا للهُ عليكم» بنفس كتب، وأَنه ليس «عليكم» «من كتاب ا لله عليكم» اسمًا سمى به الفعل،

---

(١) من قول الأخطل. انظر: (ديوانه ٤٤).

(٢) البيت بتمامه:

أبنـــى كليـــب إن عمـــى اللـــذا قتلا الملـــوك وفكّكـــا الأغـــلالا

(٣) انظر: (الكتاب ١/١٨٧، خزانة الأدب ٢/٥٠٧، شواهد المغنى للسيوطى ١٧٥، أمالى ابن الشجرى ٢/٣٠٧).

(٤) فلج: واد بين البصرة وحمى ضرية، حانت دماؤهم: لم يؤخذ لهم بدية ولا قصاص. هم القوم كل القوم، أى: القوم الكاملون فى قوميتهم.
وشاهده: حذف النون من (الذين) استخفافًا لطول الاسم بالصلة ويروى «وإن الألى»، فلا شاهد فيه، وقيل: إن (الذى) مفرد عبر به عن الجمع، فعاد الضمير إليه محمولاً على المعنى.

(٥) وقراءة أبى حيوة. انظر: (الجامع لأحكام القرآن ٥/١٢٤، الكشاف ١/٢٦٢، البحر المحيط ٣/٢١٤).

(٦) سورة النساء الآية (٢٤).

كقولهم: عليك زيدًا إذا أردت خذ زيدا؛ وذلك أن عليك ودونك وعندك إذا جُعِلْن أسماء للفعل لسن منصوبات المواضع، ولا هن متعلقات بالفعل مُظْهَرًا ولا مُضْمرًا، ولا الفتحةُ فى نحو دُونك زيدا فتحة إعراب كفتحة الظرف فى نحو قولك: جلست دونك، بل هى فتحة بناء؛ لأن الاسم الذى هو عندك زيدا بمنزلة صه ومه لا إعراب فيه، كما لا إعراب فى صَه ومه وحَيْهَلْ، غير أنه بُنى على الحركة التى كانت له فى حال الظرفية، كما أن فتحة لام رجل من قولك: لا رجلَ فى الدار، وهى الحركة التى تحدثها «لا» إعرابًا فى المضاف والمطول، نحو لا غلام رجل عندك ولا خيرًا منك فيها، وكذلك قول الله تعالى: ﴿**مكانكم أنتم وشركاؤكم**﴾(١)، الفتحة فى نون مكانكم فتحة بناء؛ لأنه اسم لقولك: اثبُتوا، وليست كفتحة النون من قولك: الزموا مكانكم، هذه إعراب، وتلك فى الآية بناء. وهذا موضع فيه لطف فتفهمه.

ولما دخل شيخنا أبو على رحمه الله الموصل سنة إحدى وأربعين - قال لنا: لو عرفتُ فى هذا البلد مَن يعرف الكلام على قولك: دونك زيدًا - لَغَدَوتُ إلى بابه ورُحت. وكذلك قوله تعالى: ﴿**كَتب الله عَلَيْكُمْ**﴾ و﴿**كِتابَ اللهِ عليكم**﴾، «عليكم» فى الموضعين جميعًا منصوبة الموضع بنفس كَتَبَ وكتاب، ولو قلت: عليكم كتاب الله لما كان لقولك عليكم موضع من الإعراب أصلاً، ولا كانت متعلقة بشىءٍ ظاهر ولا محذوف ولا مضمر على ما تقدم، فاعرفه.

* * *

فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴿٣٠﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم والأعمش وحُميد: «فَسوْف نَصْليه نارًا»(٢)، بفتح النون، وسكون الصاد.

قال أبو الفتح: يروى فى الحديث أنه أُتِىَ بشاة مَصْلِيَّة، أى مشويَّة. يقال: صلاه يصليه: إذا شواه، ويكون منقولاً من صَلِىَ نارًا وصَلَيْته نارًا، كقولك: كَسِى ثوبا وكَسَوتُه ثوبا. ومثله - إلا أنه قبل النقل غير متعد - شَتِر وشَتَرْته، وغارت عينه وغُرْتُها.

---

(١) سورة يونس الآية (٢٨).

(٢) وقراءة المطوعى. انظر: (الكشاف ٢٦٤/١، معانى القرآن للفراء ٢٦٣/١، البحر المحيط ٢٣٣/٣).

وعليه قوله[(١)]:

وصاليــات كَكَمــا يُؤثفيــنْ[(٢)]

فهذا من صلي.

فأمَا قراءَة العامة: ﴿فسوف نُصْلِيه نـارًا﴾[(٣)]، بضم النون فهو منقول من صلِيَ أيضًا، إلا أنه نُقِل بالهمزة لا بالمثال، كقولك: طعِم خبزًا وأطعمته خبزًا، وعلِم الخبر وأَعلمته إياه، أى: عرف وعَرَّفْته.

والصِّلَى: النار منه، وهو من الياءِ، لقولهم: صلَيْته نارًا.

وليست الصِلاة من الياء لقولهم فى جمعها: صلوات. قال لنا أبو على سنة سبع وأربعين: الصلاة من الصَّلَوَيْنِ، قال: وذلك لأن أول ما يشاهد من أحوال الصلاة إنما هو تحريك الصَّلَوَيْنِ للركوع، فأما القيام فلا يخص الصلاة دون غيرها، وهو حسن.

* * *

فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴿٣٤﴾

ومن ذلك قراءَة طلحة: «فالصَّوالِحُ قوانِتُ حوافِظُ للغيب»[(٤)].

قال أبو الفتح: التكسير هنا أشبه لفظًا بالمعنى، وذلك أنه إنما يراد هنا معنى الكثرة، لا صالحات من الثلاث إلى العشر، ولفظ الكثرة أشبه بمعنى الكثرة من لفظ القلة بمعنى الكثرة والألف والتاءُ موضوعتان للقلة، فهما على حد التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا كان على حد الزيدان. هذا موجب اللغة على أوضاعها، غير أنه قد جاء لفظ الصحة والمعنى الكثرة، كقوله تعالى: ﴿إنَّ المُسلِمين والمُسلِماتِ﴾ إلى قوله تعالى:

---

(١) هو لخطام المجاشعى كما فى الكتاب ٣٢/١. وانظر: (خزانة الأدب ٣٦٧/١، ٣٧٣/٢، ٥٧٣/٤، شرح شواهد الشافية ٥٩/٤، الاقتضاب ٤٣٩، شرح شواهد المغنى ١٧٢).

(٢) وصاليات: أثافى القدر، لأنها صليت النار، أى وليتها وباشرتها، ككما يؤثفين، أى كمثل حالها: إذا كانت أثافى مستعملة.

(٣) سورة النساء الآية (٣٠).

(٤) وقراءة عبدالله بن مسعود، وطلحة بن مصرف. انظر: (الكشاف ٢٦٦/١، مجمع البيان ٤٢/٢، معانى القرآن للفراء ٢٦٥/١، تفسير الفخر الرازى ٢١٤/٣).

﴿والذَّاكرين الله كثيرًا والذاكراتِ﴾[1]، والغرض فى جميعه الكثرة، لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة.

وكان أبو على ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عَرض عليه حسان شعره، وأنه لما صار إلى قوله[2]:

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعْن بالضحا   وأسيافنا يقطُرن من نَجدة دَما[3]

قال له النابغة: لقد قللت جِفانك وسيوفك.

قال أبو على: هذا خبر مجهول لا أصل له؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وهُمْ فى الغُرُفاتِ آمنون﴾، ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التى فى الجنة من الثلاث إلى العشر.

وعذر ذلك أنه قد كثُر عنهم وقوع الواحد على معنى الجميع جنسا؛ كقولنا: أَهلكَ الناسَ الدينارُ والدرهم، وذهب الناسُ بالشاة والبعير. فلما كثر ذلك جاءُوا في موضعه بلفظ الجمع الذى هو أَدنى إلى الواحد أَيضًا، أَعنى الجمع بالواو والنون والأَلف والتاءِ، نعم وعُلم أَيضًا أَنه إِذا جىءَ فى هذا الموضع بلفظ جمع الكثرة - لا يتدارك معنى الجنسية، فَلهُوا عنه، وأَقاموا على لفظ الواحد تارة ولفظ الجمع المقارِب للواحد تارة أُخرى؛ إراحة لأَنفسهم من طلب ما لا يُدرك، ويأسا منه، وتوقفا دونه. فيكون هذا كقوله[4]:

رأى الأَمر يُفْضِى إِلى آخر   فصيّر آخره أَولا

ومثل الجمع بالواو والنون والأَلف والتاء مجيئهم فى هذا الموضع بتكسير القلة، كقوله تعالى: ﴿وأَعْيُنهمْ تَفيض من الدمع﴾[5].

وقول حسان:

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٥).

(٢) انظر: (ديوان حسان ٣٧١، الكتاب ٥٧٨/٣، المقتضب ١٨٨/٢، الخصائص ٢٠٨/٢، شرح المفصل ١٠/٥، خزانة الأدب ٤٣٠/٣، العينى ٢٥٧/٤، شرح الأشمونى ١٢١/٤).

(٣) الغر: البيض، جمع غراء، يريد بياض الشحم، يقول: جفاننا معدة للضيفان ومساكين الحى بالغداة، وسيوفنا تقطر بالدم؛ لنجدتنا وكثرة حروبنا. والشاهد فيه: جمع جفنة على جفنات، مع أنها للقلة، مرادًا بها جمع الكثرة.

(٤) فى عيون الأخبار ٥٤/٣ منسوب إلى محمود الوراق، وانظر: (الخصائص ٢١٠/١، ٣٣/٢، ١٧٢).

(٥) سورة التوبة الآية (٩٢).

وأَسيافُنـا يقطـرن مـن نجـدة دَمـا[١]

ولم يقل: عيونَهم ولا سيوفُنا. وقد ذكرنا هذا ونحوه فى كتابنا الخصائص.

* * *

بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴿٣٤﴾

ومن ذلك قراءَة يزيد بن القَعْقاع: «بِما حَفِظَ اللهَ»، بالنصب[٢]، فى اسم الله تعالى.

قال أَبو الفتح: هو على حذف المضاف، أَى بما حفظ دين الله وشريعة الله، وعهود الله، ومثله: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللهَ ينصُرْكُمْ﴾[٣]، أَى دين الله وعهود الله وأَولياء الله، وحَذْفُ المضاف فى القرآن والشعر وفصيح الكلام فى عدد الرمل سعةً، وأَستغفر الله. وربما حَذفت العرب المضاف بعد المضاف مكررا؛ أُنسا بالحال ودلالة على موضوع الكلام، كقوله عز وجل: ﴿فقبضتُ قبضة من أَثَر الرسول﴾[٤]، أَى: من أَثر حافر فرس الرسول. وقد ذكرنا فى كتابنا ذلك هذا وغيره من كتبنا وكلامنا.

* * *

لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴿٤٣﴾

ومن ذلك قراءَة الأَعمش: «لا تَقْرَبوا الصلاةَ وأَنتم سُكْرى»[٥]، مضمومة السين، ساكنة الكاف من غير أَلف.

وقراءَة إِبراهيم: «وأَنْتم سَكْرى»[٦].

وفى قراءَته أَيضًا: «تُرى الناسَ سَكْرى وما هم بسَكْرى»[٧].

---

(١) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢٨٩).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٢٦٥ إعراب القرآن للنحاس ١/٤١٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٠٤، البحر المحيط ٣/٢٤٠، التبيان ٣/١٨٩، الطبرى ٨/٢٩٦، مجمع البيان ٢/٤٢).

(٣) سورة محمد الآية (٧).

(٤) سورة طه الآية (٩٦).

(٥) وقراءة المطوعى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١٠٦، البحر المحيط ٣/٢٥٥).

(٦) انظر: (القرطبى ٥/٢٠٢، البحر المحيط ٣/٢٥٥، الكشاف ١/٢٦٩، العكبرى ١/١٠٦).

(٧) سورة الحج الآية (٢).

قال أبو الفتح: أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن وكيع، عن الدمشقى، عن ابن قطرب، عن قطرب، فى كتابه الكبير، أن قراءَة أَبى زُرْعة الشامى: «وتَرى الناس سُكْرىَ وما هم بسُكْرى».

وسألت أَبا على عن «سُكْرىَ»، فردد القول فيها، ثم استقر الأمر فيها بيننا على أنها صفة من هذا اللفظ والمعنى، بمنزلة حبلى مفردة كما ترى.

فأَما «سَكْرىَ»، بفتح السين فيمن قرأَ كذلك فيحتمل أَمرين:

أَحدهما: أَن يكون جمع سكران؛ إِلا أنه كُسِّر على فَعْلَى؛ إِذ كان السكر علة تلحق العقل، فجرى ذلك مجرى قوله:

فـأَمـا تميـم تميـم بـن مُـرَّ   فأَلفاهـم القـوم رَوْبَـى نِيامـا

فهذا جمع رائب، أَى نَوْمى خُثَراءُ الأَنفس؛ فيكون ذلك كقولهم: هالك وهلكى ومائد ومَيْدَى، فيجرى مجرى صريع وصرعى وجريح وجرحى؛ إِذ كان ذلك علة بُلوا بها، وإِن كان هالك ومائد ورائب فعلاً منسوبًا إِليهم، لا مُوقَعًا فى اللفظ بهم.

والآخر أَن يكون «سَكْرَى» هنا صفة مفردة، مذكرها سكران، كامرأَة سكرى. ويشهد لهذا الأَمر قراءَة من قرأَ: «سُكْرى»، بالضم، وهذا لا يكون إِلا واحدًا. ويشهد للقول الأَول قراءةُ العامة: ﴿**وترَى الناس سُكَارَى وما هم بسُكارى**﴾[١]. وجاز أَن يوقَع على الناس كلِّهم صفةٌ مفردة تصورًا لمعنى الجملة والجماعة وهى بلفظ الواحد، كما جاز لِلَبيدٍ أَن يشير أَيضًا إِلى الناس بلفظ الواحد فى قوله[٢]:

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا   وسُؤَالِ هَذا الناسِ كَيْفَ لبيدُ[٣]

ومن معكوسه فى إِيقاع لفظ الجماعة على معنى الواحد قوله تعالى: ﴿**الَّذين قالَ لهم الناسُ إِنَّ الناسَ قَدْ جَمَعوا لكم**﴾[٤]، والمراد به الواحد، كلٌّ من كلام العرب.

---

(١) سورة الحج الآية (٢).

(٢) من قصيدة (من الكامل) مطلعها:

قضىَ الأمورُ وأنجز الموعودُ   والله ربى ماجِدٌ محمودُ

انظر: (ديوانه ٤٦).

(٣) يروى «ومقال هذا الناس». انظر: (هامش الديوان ٤٦).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٧٣).

وقراءَته «وتُرَى الناسَ سُكرى»، بضم التاء يقوى ما قدمناه من أن أُرَى فى اليقين دون أرى؛ لقوله تعالى: ﴿وما هُمْ بِسُكارى﴾.

* * *

أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴿٤٣﴾

ومن ذلك قراءَة ابن مسعود والزُّهرى أيضًا: «أَوْ جاءَ أَحدٌ مِنكم مِنْ غَيْط».

قال أبو الفتح: فيه صنعة، وذلك أن هذا الحرف مما عَيْنه واو؛ لقولهم تغوَّط الرجل: إذا أتى الغائط، وهو مُطْمَأَنٌّ من الأرض كانوا يقضون فيه حوائجهم. وظاهر أمر غَيْط أنه فَعْلٌ مما عينه ياءٌ؛ بمنزلة شيخ وبيت. وأمثل ما ينبغى أن يقال فيه: أنه محذوف من فَيْعِل، كأنه فى الأصل غيِّط، كميّت وسيد، ثم حذفت عينه تخفيفًا فبقى ميْت وسيْد، ومثاله فَيْل؛ لأن العين محذوفة. فإن قلت: فإنا لا نعرف فى الكلام غَيِّطًا كما عرفنا سيِّدا وميِّتا؟.

قيل: قد يجوز أن يكون محذوفا من فيعِل مقدرا غير مستعمل، كما أن قولهم: يَذَر ويدع استُغنى عنهما بتَرَك، كما استغنى أيضًا بغائط عن غيِّط، وكما استغنى أيضًا بِذَكَر ولَمْحة عن مِذْكار ومَلْمَحة اللتين عليهما كسرُ ملامح ومذاكير.

ويؤكد هذا أن غائطًا إلى غيِّط أقرب من ذَكَرٍ ولمحةٍ إلى مذكار ومَلْمَحة؛ وذلك لأن ثانى فاعل أَلف زائدة كما أن ثانى فيعِل ياء زائدة، والعين فيهما كليهما مكسورة، واللام تلى العين فيهما جميعًا، والياءُ أيضًا أخت الألف، فكأَنهما مثال واحد من حيث ذكرنا، فَبِقدر هذا القرب بينهما ما حسنت إِنابة فاعل عن فيعِل، لاسيما وكأَن غَيْطا فى اللفظ غيِّط لقربه منه وزنًا.

وفيه قول ثان، وهو أَن يكون غَيْط فَعْلاً وأَصله غَوْط، إلا أَن الواو قلبت للتخفيف ياء، كما قلبوها إِليها لذلك فى قولهم: لا حَيْل ولا قوة إلا بالله، أَى: لا حول ولا قوة إلا بالله. وقالوا: هو أَليط بقلبى من كذا، وظاهر أَمره أَن يكون من لُطت الحَوْض أَلوطه، أى أَلصقت بعضه ببعض، فكذلك هو أَليط بقلبى: إذا لصق به، وأصله على هذا أَلْوط، وقلبت الواو ياء استحسانا كأَشياء نحو ذلك، نحو العلياء وهى من علوت، والعيْصاءُ بمعنى العوصاءِ[1] فهذا الوجه أَقرب، والأَول أَشدّ وأَصنع.

* * *

(١) العوصاء: الشدة والحاجة، يقال: أصابتهم عَوصاءُ، والعوصاء من الكلِم الغريبة. انظر: المعجم الوسيط «عوص».

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ ﴿٥٦﴾

ومن ذلك قراءَة حميد بن قيس[١] «سوْفَ نَصْلِيهم نارًا»[٢].

قال أبو الفتح: قد أتينا على ما فى ذلك فيما مضى من هذا الكتاب آنفًا.

* * *

﴿تَعَالَوْا﴾ ﴿٦١﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن فيما رواه عنه قتادة: «تعالُوا»[٣]، بضم اللام.

قال أبو الفتح: وجه ذلك أنه حذف اللام من تعاليت استحسانًا وتخفيفًا، فلما زالت اللام من تعالى ضُمت لام تعال لوقوع واو الجمع بعدها كقولك: تقدموا وتأخروا.

ونظير ذلك فى حذف اللام استخفافًا قولهم: ما باليت به بالةً، وأَصلها بالِيَة، كالعافية والعاقِبة، ثم حذفت اللام كما ترى.

وذهب الكسائى فى «آية» إلى أن أَصلها: آيِيَة فاعلة، فحذفت اللام كما ذكرنا، ولو كانت إنما حذفت لام «تعالُوا» لالتقاءِ الساكنين كما حذفت لذلك فى قولك للجماعة آمرا: ترامَوا وتغازَوا لبقيت العين مفتوحة دلالة على الألف المحذوفة، وكنحو قولك: اخشَوا واسعَوا، إذا أمرت الجماعة.

ونظير حذف اللام استحسانًا فى هذه القراءَة قراءَة الحسن أَيضًا فى قوله الله تعالى: ﴿إلاّ مَن هو صَالُ الجحيم﴾[٤].

حدثنا بذلك أبو على، وذهب إلى ما ذكرناه من حذف اللام استخفافا، وإلى أنه يجوز أن يكون أراد إلا من هو صالون الجحيم؛ فحذف النون للإضافة، وحذف الواو التى هى عَلَم الجمع لفظا لالتقاءِ الساكنين، واستعمل لفظ الجمع حملا على المعنى دون

---

(١) أبو صفوان المكى القارئ حميد بن قيس الأعرج، ثقة، أخذ القراءة عن مجاهد بن جبر وعرض عليه ثلاث مرات، توفى سنة ١٣٠. انظر: (طبقات القراء ١/٢٦٥).

(٢) انظر: (القرطبى ٥/١٥٣، البحر المحيط ٣/٢٧٤).

(٣) انظر: (الكشاف ١/٢٧٦، البحر المحيط ٣/٢٨٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٨٨).

(٤) سورة الصافات الآية (١٦٣).

اللفظ، كقول الله تعالى: ﴿ومِنْهُمْ من يَسْتَمِعون إليك﴾[1]، وله نظائر، إلا أن الظاهر ما ذهب إليه أبو على.

وأما حديث «تَعَالَ» والقول على ماضيه ومضارعه وتصرفه ومن أين جاز استعمال لفظ العلو فى التقدم فأمرٌ يحتاج إلى فضل قول، وقد ذكرناه فى غير هذا الموضع، إلا أن من جملته أنهم استعملوا لفظ التقدم والارتفاع على طريق واحد، من ذلك قولهم: قدّمته إلى الحاكم، فهذا كقولك: ترافعنا إلى الحاكم؛ كذلك قولك للرجل: تعال كقولك له: تقدم. وأصله أن التقدم تعالٍ، والتأخر انخفاض وتراخ، فافهمه.

* * *

لَيَقُولَنَّ ﴿٧٣﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن أيضًا: «لَيَقولُن»[2] بضم اللام على الجمع. قال عبد الوارث[3]: سئل أبو عمرو عن قراءَة الحسن: ليقولن برفع اللام، فسكت.

قال أبو الفتح: أعاد الضمير على معنى «مَنْ» لا على لفظها الذى هو قراءَة الجماعة؛ وذلك أن قول الله تعالى: ﴿وإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَيُبطِّئَنَّ﴾[4] لا يُعنى به رجل واحد، لكن معناه أن هناك جماعة هذا وصف كل واحد منهم، فلما كان جمعًا فى المعنى أُعيد الضمير على معناه دون لفظه كقوله: ﴿ومِنْهم مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْك﴾[5]، الحال فيهما واحدة وكأن الموضع لحقه احتياط فى اللفظ خوفًا من إشكال معناه، فَضُمَّ اللام من ليقولُن لُيعلم أَن هذا حكم سارٍ فى جماعة، ولا يُرى أنه واحد ولا أكثر منه، فاعرفه.

* * *

---

(١) سورة يونس الآية (٤٢).

(٢) انظر: (الكشاف ١/ ٢٨٠، البحر المحيط ٣/ ٢٩١، مجمع البيان ٢/ ٧٣).

(٣) عبدالوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو عبيدة، العنبرى بالولاء، التنورى البصرى (١٠٢ - ١٨٠هـ = ٧٢٠ - ٧٩٦م): حافظ ثبت. كان فصيحًا من أئمة الحديث. انظر: (تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٧، شذرات الذهب ١/ ٢٩٣، طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٩، طبقات ابن الجزرى ١/ ٤٧٨، خلاصة الخزرجى ٢٤٧، الأعلام ٤/ ١٧٨).

(٤) سورة النساء الآية (٧٢).

(٥) سورة يونس الآية (٤٢).

﴿يَالَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]

ومن ذلك قراءَة الحسن ويزيد النحوى: «يا لَيتَنى كنْتُ مَعَهُمْ فأفوزُ فَوزًا عظيمًا»[(١)]، بالرفع. قال رَوْح: لم يجعل لليت جوابًا.

قال أبو الفتح: محصول ذلك أنه يتمنى الفوز، فكأنه قال: ياليتنى أفوز فوزًا عظيمًا، ولو جعله جوابًا لنصبه، أى: إن أكن معهم أفز، هذا إذا أصبحت بالشرط، إلا أن الفاء إن دخلت جوابًا للتمنى نُصب الفعل بعدها بإضمار أَن، وعُطف أفوز على كنت معهم لأنهما جميعًا متمنيان، إلا أنه عطف جملة على جملة لا الفعل على انفراده على الفعل؛ إذ كان الأول ماضيًا والثانى مستقبلاً.

وذهب أبو الحسن فى قوله عز وجل: ﴿**ياليْتَنَا نُرَدُّ ولا نُكذّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونُ مِن المؤمنين**﴾[(٢)] بالرفع إلى أنه عطف على اللفظ، ومعناه معنى الجواب. قال: لأنهم لم يتمنّوا ألا يكذِّبوا، وإنما تمنوا الرد، وضمِنوا أنهم إن رُدوا لم يكذِّبوا، وعليه جاءَ قوله تعالى: ﴿**ولَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِما نُهُوا عنه**﴾[(٣)]. وعليه قول الآخر[(٤)]:

فلقد تركتِ صبيَّةً مرحومة[(٥)]   لم تدرِ ما جَزَعٌ عليك فتجزع

والقوافى مرفوعة، أى هى تجزع. ولو كان جوابًا لقال فتجزعا، وقد ذكرنا هذا ونحوه فى كتابنا الموسوم بالتنبيه، وهو تفسير مشكل أبيات الحماسة.

* * *

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾ (٧٨)

ومن ذلك قراءَة طلحة بن سليمان: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُم المَوْتُ»[(٦)]، برفع الكافين. قال ابن مجاهد: وهذا مردود فى العربية.

---

(١) انظر: (الكشاف ١/٢٨٠، مجمع البيان ٢/٧٣، البحر المحيط ٣/٢٩٢).

(٢) سورة الأنعام الآية (٢٧).

(٣) سورة الأنعام الآية (٢٨).

(٤) من قصيدة لمويلك المزموم يرثى امرأته أم العلاء، ومطلعها:

أمرر على الجدث الذى حلت به   أم العلاء فحيها لو تسمع

انظر: (ديوان الحماسة ١/٢٥٤).

(٥) يروى فى ديوان الحماسة ١/٢٥٤: فلقد تركت صغيرة مرحومة.

(٦) انظر: (البحر المحيط ٣/٢٩٩، الكشاف ١/٢٨٣، مجمع البيان ٢/٧٨).

قال أبو الفتح: هو لعمرى ضعيف فى العربية، وبابه الشعر والضرورة، إلا أنه ليس بمردود؛ لأنه قد جاءَ عنهم. ولو قال: مردود فى القرآن لكان أصح معنى؛ وذلك أنه على حذف الفاءِ، كأنه قال: فيدرككُم الموت. ومثله بيت الكتاب(١):

مَن يفعلِ الحسناتِ الله يشكرها والشر بالشّر عند الله مثلان(٢)

أى فالله يشكرها، ومثله بيته أيضًا(٣):

بنو ثُعل لا تنكَعوا العنز شِرْبَها بنى ثُعِل من ينكَعِ العنزَ ظالِم

فكأنه قال: فهو ظالم، فحذف الفاءِ والمبتدأ جميعًا، إلا أنه لما ترك هناك اسم الفاعل فهو لشبهه بالفعل كأنه هو الفعل، فيصير إلى أنه كأنه قال: من ينكع العنز يَظْلِمُ، وشَبَهُ الفعلِ فى هذه اللغة أفشى من الشمس، حتى إنهم استجازوا لذلك أن يولُوه نون التوكيد المختصة بالفعل، فقالوا(٤):

أريتَ إن جئتُ(٥) به أُملودا مُرَجَّلا ويَلبس البُرودا

أقائِلُنّ أحضِرِى الشهودا

فكأنه قال: أيقولن، والنظائر فيه كثيرة جدًا.

* * *

(١) نسب فى أحد نسخ الديوان لحسان بن ثابت، الكتاب ٦٤/٣، ولم يرد البيت فى ديوانه قال البغدادى: الأصمعىعن يونس قال: نحن عملنا هذا البيت وكذلك نقله الكرمانى فى الموشح. والبيت نسبه سيبويه لعبدالرحمن بن حسان ثابت رضى الله عنه. ورواه جماعة لكعب بن مالك الأنصارى. وانظر: (نوادر أبى زيد ٣١، الخصائص ٢٨٣/٢، المنصف ١١٨/٣، شرح المفصل ٣،٢/٩، مجالس العلماء للزجاجى ٣٤٢، خزانة الأدب ٦٤٤/٣، ٦٥٥، ٥٤٧/٤، العينى ٤٢٣/٣، همع الهوامع ٦٠/٢، شرح شواهد المغنى ١٠٠/٦٥، ١٥٩).

(٢) روى «سيان» فى أحد نسخ الكتاب ٦٥/٣، والشنتمرى، وأمالى ابن الشجرى ٨٤/١ ٢٩٠، ٣٧١.

والشاهد فيه: حذف الفاء فى الجواب للضرورة، وتقديره: فالله يشكرها. قال الشنتمرى. وزعم الأصمعى أن النحويين غيروه، وأن الرواية: من يفعل الخير فالرحمن يشكره. وانظر النوادر حيث أورد هذا الخبر.

(٣) لرجل من بنى أسد. انظر: (الكتاب ٦٥/٣، العينى ٤٤٨/٤، الأشمونى ٢١/٤، اللسان «نكع»).

(٤) انظر: (الخصائص ١٣٧/١، خزانة الأدب ٥٧٤/٤، شرح الكامل ٩٧/١).

(٥) جئت بضم التاء كما نص عليه صاحب الخزانة ، وإن ضبط فى بعض نسخ الخصائص بفتحها، فى بعض الروايات «جاءت» بدل «جئت» و«أحضر» بدل «أحضروا».

﴿إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا﴾ [٩١]

ومن ذلك قراءة ابن مسعود: «إِلى الفِتْنَةِ رِكِّسوا فيها»[١]، مثقل بغير أَلف.

قال أَبو الفتح: وجه ذلك أنه شيء بعد شيء؛ وذلك لأنهم جماعة، فلما كانوا كذلك وقع شيء منه بعد شيء فطال، فلاق به لفظ التكثير والتكرير، كقولك: غلَّقتُ الأبواب، وقطَّعتُ الحبال وقد يكون معنى التكرير مع لفظ التخفيف، أنشد أَبو الحسن:

أَنت الفداء لِقبلة هَدَّمْتَها ونَقرتها بيديك كلَّ مُنَقَّر

فصار و«نَقَرتها» كأَنه قال: ونقَّرتها، يدل عليه مصدره الذى هو «مُنَقَّر». وهذا ونحوه مما يدل على اشتمال لفظ الأَفعال على معانى الأَجناس، حتى إِن اللفظة الواحدة تصلح لكثيره صلاحهَا لقليله.

* * *

﴿إِلَّا خَطَأً﴾ [٩٢]

ومن ذلك قراءة الزهرى فيما رواه عنه الوقّاصى: «إِلا خَطًا»[٢]، مقصورًا، خفيفًا، بغير همز.

قال أَبو الفتح: أَصله خطأ، بوزن خَطَعًا، كقراءة العامة، غير أنه حذف الهمزة حذفًا على ماحكيناه عنهم من قولهم: جَا يجَى، وسَا يَسُو. وهذا ضعيف عند أَصحابنا وإِن كان قد جاءَ منه حروف صالحة، إِلا أَنه ليس تخفيفًا قياسيًا، وإِنما هو حذف وخبط للهمزة البتة. وقد ذكرناه فيما قبل. ويجوز أَن يكون أَبدل الهمزة إِبدالاً على حد قَرَيْتُ، فجرى مجرى عصا ومطا.

* * *

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [٩٧]

ومن ذلك قراءة إِبراهيم: «إِنَّ الذين تُوفَّاهُم الملائكةُ»[٣].

قال أَبو الفتح: معنى هذا كقولك: إِن الذين يُعَدُّون على الملائكة يُرَدّون إِليهم

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٣١٩، إعراب القرآن للعكبرى ١/١١١).
(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٢١، الكشاف ١/٢٨٩).
(٣) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٣٤، مجمع البيان ٢/٩٨).

يحتسبون عليهم، فهو نحو من قولك: إن المال الذى تُوفَّاه أَمَةُ الله، أى يُدفع إليها ويحتسب عليها. كأن كل ملَك جُعل إليه قبض نَفْسِ بعض الناس، ثم مُكن من ذلك ووفِّيه، أو كأن ذلك فى بعض الملائكة، فجرى اللفظ على الجميع، والمراد البعض على ما مضى فى هذا الكتاب.

* * *

يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً (١٠٠)

ومن ذلك ما رواه الواقدى[(١)] عن عباس، عن الضبى[(٢)] عن أصحابه: «مَرْغَمـا»[(٣)]، وقراءَة الجماعة: ﴿مُرَاغما﴾[(٤)].

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون هذا إِنما جاءَ على حذف الزيادة من راغَمَ، فعليه جاءَ مَرْغم، كمضْرب من ضرب، ومَذهب من ذهب. وأَصل هذه المادة ر غ م، فمنه الرَّغام التراب وهو إِلى الذل والشدة. والمراغِم: المُعَارُّ الذى يروم إذلال صاحبه، ومنه الحديث

---

(١) محمد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى بالولاء، المدنى، أبو عبدالله، الواقدى (١٣٠ - ٢٠٧هـ = ٧٤٧ - ٨٢٣م): من أقدم المؤرخين فى الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، وكان حناطا بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠هـ، فى أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكى فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة فولى القضاء ببغداد، واستمر إلى أن توفى فيها. من كتبه: «المغازى النبوية»، «فتح إفريقية»، «فتح العجم». انظر: (تذكرة الحفاظ ٣١٧/١، وفيات الأعيان ٥٠٦/١، تاريخ بغداد ٣/ ٣ - ٢١، ميزان الاعتدال ١١٠/٣، عيون الأثر ١٧١/١، تهذيب التهذيب ٣٦٣/٩ - ٣٦٨، الفهرست ٩٨/١، الأعلام ٣١١/٦).

(٢) المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبى، أبو العباس (١٦٨هـ = ٧٤٧م): راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب. من أهل الكوفة. قال عبدالواحد اللغوى: هو أوثق من روى الشعر من الكوفيين. يقال: إنه خرج على المنصور العباسى، فظفر به وعفا عنه. ولزم المهدى، وصنف له كتابه: «المفضليات» و«سماه الاختيارات»، ومن كتبه: «الأمثال»، «معانى الشعر»، «الألفاظ»، «العروض». انظر: (إرشاد الأريب ١٧١/٧، الفهرست ٦٨/١، غاية النهاية ٣٠٧/٢، ميزان الاعتدال ١٩٥/٣، لسان الميزان ٨١/٦، اللباب ٧١/٢، مراتب النحويين ٧١، الأعلام ٢٨٠/٦).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٣٣٦/٣).

(٤) سورة النساء الآية (١٠٠).

المرفوع: «إِذا صلى أَحدُكم فليُلزِم جبهتَه وأَنفه الأَرض حتى يَخرج منه الرَّغْمُ»، أَى حتى يَذلّ ويخضع لله عز وجل، وعليه بقية الباب.

* * *

ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴿١٠٠﴾

ومن ذلك قراءَة طلحة بن سليمان(١): «ثُمَّ يُدْرِكُـهُ المَـوْتُ»(٢) برفـع الكـاف، وقـراءَة الحسن والجراح: «ثُمَّ يُدرِكهُ الموتُ»(٣)، بنصب الكاف.

قال أبو الفتح: ظاهر هذا الأمر أنّ «يدركُه» رفع على أنه خبر ابتداء محذوف، أى ثـم هو يدركه الموت، فعطف الجملة التى من المبتدأ والخبر على الفعل المجزوم بفاعلـه، فهمـا إذا جملة، فكأَنه عطف جملة على جملة. وجـاز العطـف هـا هنـا أيضًا لمـا بـين الشـرط والابتداء من المشابهات، فمنها أَن حرف الشرط يجزم الفعل، ثـم يعتور الفعل المجزوم مـع الحرف الجازم على جزم الجواب، كما أَن الابتداء يرفع الاسم المبتدأ، ثـم يعتـور الابتـداء والمبتدأ جميعًا على رفع الخبر، ولذلك قال يونس فى قول الأَعشى(٤):

إِن تـركبوا فركـوب الخيل عادتنا أَوْ تَنزِلـونَ فإِنَّـا مَعشَـر نُـزُلُ(٥)

إِنما أَراد أو أَنتم تنزلون. أَفلا تراه كيف عطف المبتدأ والخبر على فعـل الشـرط الـذى هو تركبوا؟ وعليه قول الآخر:

---

(١) مقرئ متصدر، أخذ القراءة عرضًا عن فياض بن غزوان عن طلحة بن مصـرف. انظر: (طبقـات القراء ١/٣٤١).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٢، البحر المحيط ٣/٣٣٦، الكشاف ١/٢٩٤).

(٣) وقراءة نبيح، وقتادة. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٢، الكشاف ١/٢٩٤، البحر المحيط ٣/٣٣٧، مغنى اللبيب ١/١٠٨، شرح الأشمونى ٤/٢٥، شرح التصريح ٢/٢٥٢).

(٤) هى من قصيدته المشهورة التى مطلعها:

ودع هريـرة إن الـركـب مرتحـل وهـل تطيـق وداعًـا أيهـا الرجُـلُ

قرأها أبو عبيدة على أبى عمرو بن العلاء، وقال فيها: لم تُقـل فـى الجاهليـة قصيـدة علـى رويهـا مثلها، وقد عدها بغض الأدبـاء، كالتـبريزى وسـواه، مـن القصـائد العشـر وشـرحها بعـد السـبع المعروفة. انظر: (ديوانه ٢١٧ وما بعدها، الكتاب ٣/٥١، الأمالى لابن الشـجرى ٢/٣٠، خزانـة الأدب ٣/٦١٢، همع الهوامع ٢/٦٠، شرح شواهد المغنى ٣٢٦).

(٥) يروى: قالوا الركوب! قلنا تلك عادتنا. انظر: (ديوانه ٢٢٦).

إن تُذنبوا ثم تأْتينى بقيتكم فما على بذنب منكم فوْت(١)

فكأنه قال: إن تذنبوا ثم أنتم تأْتينى بقيتكم. هذا أوجه من أن يَحمله على أنه جعل سكون الياء فى تأْتينى علَم الجزم، على إجراءِ المعتلّ مجرى الصحيح نحو قوله(٢):

أَلم يأْتيك والأنباءُ تنمى(٣)

فهذا جواب كما تراه.

وإن شئت ذهبت فيه مذهبًا آخر غيره، إلا أن فيه غموضًا وصنعة، وهو أن يكون أَراد ثم يدركْه الموت جزمًا، غير أنه نوى الوقف على الكلمة فنقل الحركة من الهاءِ إلى الكاف، فصار يدركُه، على قوله(٤):

من عنزِىٍّ سبَّنى لَمْ أَضربُه

أَراد لم أَضربْه، ثم نقل الضمة إلى الباءِ لما ذكرناه(٥)، كقوله:

أَلْهَى خليلى عن فراشى مسجدُهْ يأَيها القاضى الرشيدُ أرشِدُهْ

أى أَرشِدْه، ثم نقل الضمة، فلما صار يدركْه إلى يدركُهْ حرك الهاءَ بالضم على أَول

(١) ذكره صاحب البحر المحيط ٣٣٦/٣، وروايته:

إن تذنبوا ثم يأتينى نعيقكم فما على بذنب عندكم قُوتُ

قال المعز: ثم أنتم يأتينى نعيقكم.

(٢) هو لقيس بن زهير: (انظر الكتاب ٣١٥/٣، الخصائص ٣٣٥/١،٣٣٩، المنصف ٨١/٢، ١١٤، ١١٥ أمالى ابن الشجرى ٨٤/١،٨٥،٢١٥، الإنصاف ٣٠، خزانة الأدب ٣٤/٣، شرح شواهد الشافية ٤٠٨، شرح المفصل ٢٤/٨، ١٠٤/١٠، همع الهوامع ٥٢/١، شرح التصريح ٨٧/١، شرح الأشمونى ١٠٣/١،٤٤/٢).

(٣) وعجزه: «بما لاقت لبون بنى زياد».

الشاهد فيه: إسكان الياء فى «يأتيك» حال الجزم، حملاً لها على الصحيح، وهى لغة لبعض العرب يجرون المعتل مجرى السالم فى جميع أحواله، فاستعملها هنا للضرورة.

(٤) من قول زياد الأعجم، وهو من شواهد سيبويه. وصدره: «عجبت والدهر كثير عجبه». انظر: (شرح شواهد الشافية ٢٦١/٤)، عنزة: قبيلة من ربيعة بن نزار.

(٥) قال سيبويه: هذا باب الساكن الذى تحركه فى الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذى هو علامة الإضمار ليكون أبين لها كما أردت ذلك فى الهمزة، وذلك قولك ضربته وأضربه ومنهْ ومنُهْ، سمعنا ذلك من العرب ألقوا عليه حركة الهاء حيث حركوا لتبيانها، وذكر البيت.

قال الأعلم: الشاهد فيه نقل حركة الهاء إلى الباء فى الأول، وإلى اللام فى الثانى ليكون أبين فى الوقف، لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها.

حالها، ثم لم يُعدْ إليها الضمة التى كان نقلها إلى الكاف عنها، بل أقر الكاف على ضمها، فقال: «ثم يدركُهُ الموت»، وقد جاءَ ذلك عنهم. أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بقول الشاعر:

إن ابن أحوص معروفا فبلِّغُهُ ... فى ساعديه إذا رام العلا قِصَرُ

أراد: فبلِّغْه، ثم نقل الضمة من الهاء إلى الغين فصار فبلِّغُهْ، ثم حرك الهاءَ بالضم وأقر ضمة الغين عليها بحالها، فقال: فبلغُهُ؛ وذلك أنه قد كثر النقل عنهم لهذه الضمة عن هذه الهاء، فإذا نُقلت إلى موضع قرّت عليه وثبتت ثبات الواجب فيه.

وفى إقرار الحركة بحالها مع تحريك ما بعدها دلالة على صحة قول سيبويه بإقرار الحركة التى يحرك بها الساكن عند الحذف إذا رُد إلى الكلمة ما كان حُذف منها فى نحو قوله فى النسب إلى شِيَةٍ: وِشَوِىّ، وهذا مشروح هنا فى موضعه، فهذا وجه ثان كما تراه فى قوله: «ثم يدركُه الموت» بضم الكاف؛ فاعرفه.

وأما قراءَة الحسن: «ثم يُدرِكَه الموتُ» بالنصب فعلى إضمار «أَنْ»، كقول الأعشى[(١)]:

لنا هضبة لا يَنْزل الذلُّ وسطها ... ويأوى إليها المستجير فَيُعْصَما

أراد فأن يعصما، وهذا ليس بالسهل، وإنما بابه الشعر لا القرآن. ومن أبيات الكتاب[(٢)]:

سأترك منزلى لبنى تميم ... وألحقُ بالحجاز فأستريحا[(٣)]

والآية على كل حال أقوى من ذلك؛ لتقدم الشرط قبل المعطوف، وليس بواجب، وهذا واضح.

وفيه أكثر من هذا إلا أنا نكره ونتحامى الإطالة لاسيما فى الدقيق؛ لأنه مما يجفو على أهل القرآن.

---

(١) لم أعثر عليه فى ديوان الأعمش، وهو لطرفة بن العبد. انظر: (ديوانه ٤، الكتاب ٣/٤٠، المقتضب ٢/٢٤).

(٢) لمغيرة بن حبناء. انظر: (الكتاب ٣/٣٩، شرح المفصل ١/٢٧٩، خزانة الأدب ٣/٦٠٠، العينى ٤/٣٩٠، شرح الأشمونى ٣/٣٠٥، همع الهوامع ١/٧٧، ٢/١٠، ١٦، ٧٣ شرح شواهد المغنى ١٦٩).

(٣) الشاهد فيه نصب فأستريح بعد الفاء في ضرورة الشعر فيما ليس فيه معنى النفى أو الطلب، ويروى «لأستريحا» فلا ضرورة فيه.

وقد كان شيخنا أبو عليّ عمل كتابه الحجة، وظاهرُ أمره أنه لأصحاب القراءَة، وفيه أشياء كثيرة قلما يَنتصف فيها كثير ممن يدعى هذا العلم، حتى إنه مجفوّ عند القُراء لما ذكرناه.

* * *

إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾

ومن ذلك قراءَة أَبى عبدالرحمن الأعرج: «أَنْ تَكُونوا تأْلَمُون»(١)، بفتح الألف.

قال أَبو الفتح: «أَن» محمولة على قوله تعالى: ﴿**وَلا تَهِنُوا فى ابْتِغَاءِ القَوْمِ**﴾(٢)، أى لا تهنوا لأنكم تأْلمون، كقولك: لا تجبن عن قِرنك لخوفك منه، فمن اعتقد نصب «أَن» بعد حذف الجر عنها فأَن هنا منصوبة الموضع، وهى على مذهب الخليل مجرورة الموضع باللام المرادة، وصارت «أَن» لكونها حرفا كالعِوض فى اللفظ من اللام.

* * *

فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾

ومن ذلك قراءَة يحيى: «فإِنهم يِيلَمون كما تِيلمون»(٣).

قال أَبو الفتح: العُرف فى نحو هذا أَن من قال: أَنت تِئمن وتِئلف وإِيلف، فكَسَرَ حرف المضارعة فى نحو هذا – إِذا صار إِلى الياء فتحها البتة، فقال: هو يَأْلف، ولا يقول: هو يِيلف، استثقالا للكسرة فى الياءِ.

فأَما قولهم فى يَوْجَل ويَوحَل ونحوهما: ييجَل وييحل، بكسر الياء فإِنما احتُمل ذلك هناك من قبل أنهم أرادوا قلب الواو ياء هربًا من ثقل الواو؛ لأَن الياء على كل حال أخف من الواو، وعلموا أنهم إذا قالوا: يَيْجل ويَوحَل، فقلبوا الواو ياء والياء قبلها مفتوحة – كان ذلك قلبًا من غير قوة علة القلب، فكأَنهم حملوا أَنفسهم بما تجشموه من كسر الياءِ توصلاً إِلى قوة علة قلْب الواو ياء، كما أَبدلوا من ضمة لام أَدلو جمع

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٤٣، الكشاف ١/٢٩٦، مجمع البيان ٢/١٠٤، إعراب القرآن للنحاس ١/٤٥٠).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٤).

(٣) وقراءة منصور بن المعتمر. انظر: (الكشاف ١/٢٩٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٢).

دَلْوٍ كسرة فصار أَدلِوٌ لتنقلب الواو ياء بعذر قاطع، وهو انكسار ما قبلها وهو لام، وليس كذلك الهمزة؛ لأنها إذا كسر ما قبلها لم يجب انقلابها ياء، وذلك نحو بئْر وذئب، ألا تراك إذا قلت: هو يئْلف لم يجب قلب الهمزة ياء؟ فلهذا قلنا إن كسر ياء ييجل لما يعقب من قلب الأثقل إلى الأخف مقبول، وليس فى كسر ياء يئلف ما يدعو إلى ما تُحتَمل له الكسرة، وليس فيه أكثر من أنه إذا كسر الياء ثم خفف الهمزة صار يِلمون فأشبه فى اللفظ ييجل، وهذا له قدر لا يحتمل له كسر الياء، فاعرفه.

* * *

﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ ١١٧

ومن ذلك قراءة النبى ﷺ فيما روته عائشة رضى الله عنها: «أُثُنا»[(١)]، بثاء قبل النون. وروى أيضًا عنها عنه عليه السلام: «أُنُثا»[(٢)]، النون قبل الثاء. وقراءة ابن عباس: «إلا وُثْنا»[(٣)]، وروى عنه أيضًا: «إلا أُنُثا»؛ بضمتين والثاء بعد النون. وقراءة عطاء بن أبى رباح: «إلا أُثْنا»[(٤)]، الثاء قبل، وهى ساكنة.

قال أبو الفتح: أما «أُثُن» فجمع وَثَن، وأصله وُثُن، فلما انضمت الواو ضما لازمًا قلبت همزة، كقول الله تعالى: ﴿وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[(٥)]، وكقولهم فى وُجوه: أُجوه: وفى وعد أُعِد، وهذا باب واسع، ونظير وَثَن وأُثُن أَسَد وأُسُد. ومن قال: أُثْنا بسكون الثاء فهو كأُسْدَ، بسكون السين.

حكى سيبويه هذه القراءة: «أُثْنًا»، بسكون الثاء.

وذهب أبو بكر محمد بن السرى فى قولهم: أَسَد وأُسُد إلى أنها محذوفة من أُسُود، ويقوى قوله هذا بيتُ الأخطل:

---

(١) وقراءة عبدا لله بن عباس، وعبدا لله بن عمر، وعطاء، وابن المسيب، ومسلم بن جندب. انظر: (الكشاف ١/٢٩٩، مجمع البيان ٢/١١، البحر المحيط ٣،٢،٣، الطبرى ٩/٢٠٩، القرطبى ٥/٣٨٧، العكبرى ١/١١٣).

(٢) وقراءة عبدا لله بن عباس، ومعاذ القارئ، وعطاء، وأبى العالية، وأبى حيوة، وأبى نهيك. انظر: (تفسير الطبرى ٩/٢٠٩، الكشاف ١/٢٩٩، مجمع البيان ٢/١١١، البحر المحيط ٣/٣٥٢، القرطبى ٥/٣٨٧، العكبرى ١/١١٣).

(٣) انظر: (الكشاف ١/٢٩٩/ مجمع البيان ٢/١١١، إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٣).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٥٢، مجمع البيان ٢/١١١).

(٥) سورة المرسلات الآية (١١).

كلَمْـع أَيـدِى مثـاكيــلٍ مُسَلِّبــة ينذبن ضَرْس بنَاتِ الدهر والخُطُـب(١)

يريد الخطوب، فقصر الكلمة بحذف واوها، ومثله قول الآخر:

إن الـفـقـيـر بـيـنـنـا قـاض حَكَـمْ أن تـرِد المـاء إذا غـاب النُّجُــم(٢)

يريد النجوم.

وأما «أُنُثًا» بتقديم النون على الثاء فينبغى أن يكون جمع أنيث، كقولهم: سـيف أنيـث الحديد، وذلك كقراءة العامة: ﴿إلا إنَاثًا﴾(٣)، يعنى به الأصنام. قـال الحسـن: الإنـاث كل شىء ليس فيه روح: خشبة يابسة وحجر يـابس، قـال: وهـو اسم صنـم لحـى مـن العرب، كانوا يعبدونها ويسمونها أُنثى بنى فلان، وعليه القراءة: «إلا أُوثانا»(٤).

* * *

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ﴾ (١٢٠)

ومن ذلك قال حماد بن شعيب(٥): قلت للأعمـش: «يَعِدُهُـمْ ويُمَنِّيهِـم وَمَـا يَعِدُهُـمُ» فقال: أيُعِدُهم؟ إنما هو: «يعدْهُم ويمنِّيهم وما يعدْهم»(٦)، ساكنة.

قال أبو الفتح: قد تقدم القول على نحو هذا مما أسكن فى موضع الرفـع تخفيفًـا لثقـل الضمة.

قال أبو زيد فيما حكاه عنهم: ﴿بلى ورُسُـلْنا لَديْهِـم يكتبـون﴾(٧)، بسـكون الـلام تخفيفًا على هذا.

* * *

---

(١) انظر: (ديوان الأخطل ١٨٨، لسان العرب «ثكل»، «خطب»، «ضرس»).

(٢) ورد فى الخصائص ٣/١٣٦: «أن تـرد الـمـاء إذا غـــار الـنـجـــم».
وورد فى البحر المحيط ٥/٤٨١: «إن الـذى قضـى بـدا قـاض حكـــم».

(٣) سورة النساء الآية (١٠٤).

(٤) قراءة عائشة، وأبى السوار، ومجـاهد. انظر: (البحـر المحيـط ٣/٣٥٢، الطبرى ٩/٢٠٩، ٢١٠، الكشاف ١/٢٩٩).

(٥) حماد بن أبى زياد شعيب أبو شعيب التميمى الحمـانى الكوفـى، مقرئ جليـل ضـابط ولـد سنة ١٠١هـ، وأخذ القراءة عرضًا عن عاصم، ثم عن أبى بكر بن عياش وغيره، وتوفى سنة ١٠٩هـ. انظر: (طبقات القراء ١/٢٥٨).

(٦) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٣، البحر المحيط ٣/٣٥٤، إتحاف فضلاء البشر ١٩٤).

(٧) سورة الزخرف الآية (٨٠).

يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴿١٢٧﴾

ومن ذلك ما رواه الضبى عن أبى عبدا لله المدنى: «فى يِيامَى النِّساء»[١]، بياءين.

قال أبو الفتح: القراءة المجمع عليها: ﴿فى يَتامَى النِّسـاء﴾[٢] بيـاء وتـاء بعدهـا. ولا يجوز قلب التاء هنا ياء. والقول عليه – وا لله أعلم – أنه أراد أيامى، فأبدل الهمـزة يـاء، فصارت «ييامى»، وقلبت الهمزة ياء كما قلبت الهمزة ياء فـى قولهـم: قطـع ا لله «أَدْيَـه»، يريدون يده، فرد لام الفعل، وأعاد العين إلى سكونها، فصـارت يديـه، ثـم أبـدل اليـاء همزة فصارت أَديه، و لم أَسمع هذا إلا من جهته، وأَيا ما كان فقد قلب الياء همزة.

ونظير قلب الهمزة فى «أَيامى» إلى الياء حتى صارت «يَيامى» قولهم: باهلة بن يعصـر، فالياء فيه بدل من همزة أعصر وذلك لأنه يقال: باهلـة بـن أعصُـر ويعصُـر، وإنمـا سمـى أعصُر ببيت قاله:

أبـنـى إن أبـاك غَير لـونـه   كرُّ الليالى واختـلاف الأعصـر

فهذا دليل فى كون الهمزة أصلاً والياء بدل منها.

وأما «أيامى» فقالوا: إنها جمع أَيِّم، وأصلها عندهم أيائم كسيد وسيائد، كـذا رواهـا ابن الأعرابى، سيد وسيائد بالهمز كما ترى، وفى هـذا شـاهد لقـول سيبويه: إنـه متـى اكتنف أَلف التكسير حرفا علة أَيَّيْن كانا وجاور الآخر منهما الطرف فإنه يهمز.

وشاهد ذاك أيضًا ما رواه أبو عثمان عن الأصمعى: أنهم قالوا: عيِّل وعيائل بالهمز.

وحكى أبو زيد: سَيِّقة وسيائق بالهمز.

وكان أبو على يسر بما حكاه أبو زيد من همز سيائق، و لم يقع له إذ ذاك ما حكينـاه عن ابن الأعرابى من همز سـيائد، ولا كـان إذ ذاك وقـع هـذا الحـرف إلىّ فـأذكره لـه، كأشياء كانت تخطر لى أو تنتهى إلىّ فأحكيها له، فتقع مواقعها المرضية عنده.

ومذهب أبى الحسن بخلاف ذلك، فلما صارت إلى أَيائم قدمت الـلام وأُخـرت العين، فصارت «أَيامِى» ثم أبدلت من الكسرة فتحة ومن الياء ألف فصـارت «أيـامَى»، ووزنهـا الآن فيالع، وأَصلها أيائم فياعِل، لأن أَيما فيْعِل، هذا مذهب الجماعة فى أَيمٍّ وأَيامى.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٣٦٢، الكشاف ١/٣٠١، إعراب القرآن للعكبرى ١/١١٤).

(٢) سورة النساء الآية (١٢٧).

ولو ذهب به ذاهب إلى ما أذكره لم أر به بأسا، وذلك أنه كأنه كسر آيم فاعل على فُعْلى، وهو أيمى، من حيث كانت الأيمة بلية ندفع إليها، فجرى مجرى هالك وهلكى، ومائد وميدى وجريح وجرحى، وزمن وزمنى، وسكران وسكرى. ثم كسِّرت أيمى على أيامى، فوزن أيامى الآن على هذا فعالى، ولا قلب فيها.

وأنت إذا سلكت هذه الطريق أحرزت غنمين، وكُفيت مَئونتين:

إحداهما أن تكون الكلمة على أَصلها لم تقلب ولم يغير شيء من حروفها، والآخر: أنه لو كان الأصيل «أيائم» لجاز، بل كان الوجه أن يُسمع، وإنما المسموع أيامى كما ترى، فاعرف ذلك، «فاليبامى» على هذا القول فعالى، تكسير أَيمى على فعلى، كهلكى.

وعلى القول الآخر فيالِع.

ومما كُسِّر على فَعلى ثم كسِّرت على فَعالى ما رويناه عن أبى بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى فى أَماليه من قول بعضهم(١):

مثل القتالى فى الهشيم البالى

فهذا تكسير قتيل على قتلى، ثم قتلى على قتالى.

* * *

أَن يُصَّلِحَا ﴿١٢٨﴾

ومن ذلك قراءة عاصم الجحدرى، «أَنْ يَصَّلِحَا»(٢).

قال أَبو الفتح: أراد يصطلحا أى يفتعلا، فآثر الإدغام فأبدل الطاء صادا، ثم أدغم فيها الصاد التى هى فاء، فصارت يَصَّلحا. ولم يجز أَن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصفير، أَلا ترى أَن كل واحد من الطاء وأُختيها والظاء وأُختيها يدغمن فى الصاد وأُختيها، ولا يدغم واحدة منهن فى واحدة منهن؟ فلذلك لم يجز «إلا أَن يَطَّلحا»، وجاز يصلحا.

* * *

(١) نسبه فى لسان العرب «قتل» لمنظور بن مرثد.

(٢) وقراءة عثمان. انظر: (القرطبى ٥/٤٠٤، معاني القرآن للأخفش ٢/٣٦٦).

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ (١٣٦)

ومن ذلك قراءة أبى عبدالرحمن فى رواية عطاء عنه وقراءة عاصم الجحدرى أيضا: «وملائكته وكتابه»[١]، على التوحيد.

قال أبو الفتح: اللفظ لفظ الواحد والمعنى معنى الجنس، أى وكتبه. ومثله قوله سبحانه: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بالحَقِّ**﴾، أى كتبنا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ إنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾[٣] فلكل إنسان كتاب، فهى جماعة كما ترى. وقد قال: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بالحَقِّ**﴾[٤]. ووقوع الواحد موقع الجماعة فاش فى اللغة. قال الله تعالى: ﴿**نُخْرِجكُم طِفْلا**﴾[٥]، أى أطفالا، وحسن لفظ الواحد هنا شيء آخر أيضًا، وذلك أنه موضع إضعاف للعباد وإقلال لهم، فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضع من لفظ الجماعة؛ لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد، فاعرف ذلك.

* * *

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ (١٤٢)

ومن ذلك قراءة عبدالله بن أبى إسحاق، والأشهب العقيلى: «يُرَءُّون الناس»[٦]، مثل يُرعُّون، والهمزة بين الراء والواو من غير ألف.

قال أبو الفتح: معناه يبصِّرون الناس، ويحملونهم على أن يروهم يفعلون ما يتعاطونه، وهى أقوى معنى من «يُراءُون» بالمد على يفاعِلون، لأن معنى يراءُونهم يتعرضون لأن يروهم، و«يُرءُّونهم» يَحملونهم على أن يَروْهم.

قال أبو زيد: رأت المرأة الرجل المرآة إذا أمسكتها له ليرى وجهه، ويدلك على أن يُرَائِى أضعفَ معنى من يُرَئِّى قوله:

---

(١) انظر: (الكشاف ٣٠٤/١، البحر المحيط ٣٧٢/٣).

(٢) سورة الإسراء الآية (١٣).

(٣) سورة الإسراء الآية (١٤).

(٤) سورة الجاثية الآية (٢٨).

(٥) سورة الحج الآية (٥).

(٦) وقراءة الأعرج. انظر: (الكشاف ٣٠٧/١، البحر المحيط ٣٧٧/٣، مجمع البيان ١٢٨/٢).

ترى أو تُرَاءَى عند معقد غرزها تهاويل من أجلاد هِرٍّ مووَّم(١)

* * *

مُّذَبْذَبِينَ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس وعمرو بن فايد: «مُذَبْذِبين»(٢)، بكسر الذال الثانية.

قال أبو الفتح: هو من قوله(٣):

خيال لأُمِّ السلسبيل ودونه مسيرة شهر للبريد المذبذِب

أى المهتز القلق الذى لا يثبت فى مكان، فكذلكِ هؤلاء: يخفون تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء، فهو مثل قوله: ﴿لاَ إِلَى هَـؤُلاءِ وَلا إِلَى هَـؤُلاءِ﴾(٤)، وهو من ذَبَّبْتُ عن الشيء: أى صرفت عنه شيئًا يريده إلى غير جهته، وقريب من لفظه، إلا أنه ليس من لفظه كما يقول البغداديون وأبو بكر معهم؛ وذلك أن ذَبَّبت من ذوات الثلاثة، وذبذب من مكرر الأربعة، فهو كقولهم: عين ثرّة وثرْثارة، وهو كثير فى معناه. وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا المنصف.

* * *

إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴿١٤٨﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم(٥)، وعبد الأعلى بن عبدا لله بن مسلم بن يسار وعطاء بن السائب وابن يسار: «إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ»(٦) بفتح الظاء واللام.

---

(١) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢٥١).

(٢) انظر: (الكشاف ١/٣٠٧، البحر المحيط ٣/٣٧٨، مجمع البيان ٢/١٢٨).

(٣) هو لبعيث بن حريث، وهو مطلع قصيدة له فى ديوان الحماسة ١/١١٧.

(٤) سورة النساء الآية (١٤٣).

(٥) زيد بن أسلم العدوى العمرى، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبدا لله (١٣٦هـ ٧٥٣م): فقيه مفسر، من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبدالعزيز أيام خلافته. واستقدمه الوليد بن يزيد، فى جماعة من فقهاء المدينة، إلى دمشق، مستفتيا فى أمر، وكان ثقة، كثير الحديث له حلقة فى المسجد النبوى، وله كتاب فى «التفسير» رواه عنه ولده عبدالرحمن. انظر: (تذكرة الحفاظ ١/١٢٤، تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥، الأعلام ٣/٥٦، ٥٧).

(٦) وقراءة الحسن، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وأبى رجاء، وابن عمر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٩٥، الطبرى ٩/٣٤٣، القرطبى ٦/٣، البحر المحيط ٣/٣٨٢).

قال أَبو الفتح: ظَلَم وظُلِم جميعًا على الاستثناء المنقطع، أَى لكن من ظلم فإِن الله لا يخفى عليه أَمره، ودل على ذلك قوله: ﴿وكان الله سميعًا عليمًا﴾(١).

* * *

وَٱلْمُقِيمِينَ ﴿١٦٢﴾

ومن ذلك قراءة مالك بن دينار وعيسى الثقفى وعاصم الجحدرى: «والمقيمون»(٢)، بواو.

قال أَبو الفتح: ارتفاع هذا على الظاهر الذى لا نظر فيه، وإِنما الكلام فى «المقيمين» بالياء، واختلاف الناس فيه معروف، فلا وجه للتشاغل بإِعادته، لكن رفعه فى هذه القراءة يمنع من توهمه مع الياء مجرورًا أَى يؤمنون بما أَنزل إِليك وبالمقيمين الصلاة، وهذا واضح.

* * *

وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴿١٦٤﴾

ومن ذلك قراءة إبراهيم: «وَكَلَّم اللهَ موسى»(٣)، اسم الله نصب.

قال أَبو الفتح: يشهد لهذه القراءة قوله جل وعز حكاية عن موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْك﴾(٤) وغيره من الآى التى فيها كلامه لله تعالى.

* * *

سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴿١٧١﴾

ومن ذلك قراءة العامة: ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يكونَ لهُ ولَدٌ﴾(٥) بالفتح، وقراءة الحسن: «إِنْ يكونُ»، بكسر الأَلف.

---

(١) سورة النساء الآية (١٤٨).

(٢) وقراءة ابن مسعود، وأبى، وقراءة أبى عمرو (رواية هارون)، وعمرو بن عبيد، وسعيد بن جبير، والحسن، ويونس، والأعمش. انظر: (البحر المحيط ٣/٣٩٥، الطبرى ٩/٣٩٦، القرطبى ٦/١٢، الكشاف ١/٣١٣).

(٣) وقراءة ابن وثاب. انظر: (البحر المحيط ٣/٣٩٨).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٣).

(٥) سورة النساء الآية (١٧١).

قال أَبو الفتح: هذه القراءة توجب رفع يكون، و لم يذكر ابن مجاهد إِعراب يكون، وإِنما يجب رفعه لأَن «إِن» هنا نفى كقولك: ما يكون له ولد، وهذا قاطع.

* * *

وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ ﴿١٧٢﴾

ومن ذلك قراءة مسلمة: «فسيحشرْهم» «فيعذبْهم»[(١)]، ساكنة الراء والباء.

قال أَبو الفتح: قد سبق نحو هذا وأَنه إِنما يُسكن استثقالاً للضمة، نعم وربما كان العمل خَلْسًا فظُن سكونًا، وقد سبقت شواهد السكون بما فيه.

* * *

(١) انظر: (القرطبى ٦/٢٦، الكشاف ١/٣١٦، البحر المحيط ٣/٤٠٢).

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ ۝١

من ذلك قراءة الحسن وإبراهيم ويحيى بن وثّاب: «وأنتم حُرْم»[(1)] بإسكان الراء.

قال أبو الفتح: هذه اللغة تميمية، يقولون في رُسُل: رُسْل، وفى كُتُب: كُتْب، وفى دجاج بُيُضٌ دجاج بِيْض، وذلك أنه صار إلى فُعْل، فجرى مجرى جمع أبيض إذا قلت: بِيض.

واعلم من بعد هذا أن إسكان «حُرْم» كأَنَّ له مزية على إسكان كُتُب، وذلك أن فى الراء تكريرًا، فكادت تكون الراء الساكنة لما فيها من التكرير فى حكم المتحركة لزيادة الصوت بالتكرير نحوا من زيادته بالحركة، وكذلك الكلام في جراب وجُرُب وسراج وسُرُج، وكذلك القول فيما جاء عنهم من تكسير فرد على أفراد، فيه هذا المعنى الذى ذكرناه؛ وذلك أن التكرير فى راء فرد كاد يكون كالحركة فيها فصار «فَرْد» وإن كان فَعْلاً ساكن العين - كأنه فَعلٌ محركها، وقد تقصيت هذا فى كتاب المحاسن وبسطته هناك ونظائره.

* * *

﴿فَاصْطَادُوا﴾ ۝٢

ومن ذلك قراءة أبى واقد والجراح ونُبَيْج والحسن بن عمران: «فِاصْطَادُوا»[(2)] بكسر الفاء.

قال أبو الفتح: هذه القراءة ظاهرة الإشكال، وذلك أنه لا داعى إلى إمالة فتحة هذه الفاء كما أُميلت فتحة الراء الأولى من الضرر لكسرة الثانية، وكما أُميلت فتحة النون من قولهم: وإنا إليه راجعون؛ لكسر الهمزة، ونحو ذلك فمن هنا أشكل أمر هذه الإمالة،

---

(1) انظر: (القرطبى ٦/٣٦، مجمع البيان ٢/١٥٠، الإتحاف ١٩٧).

(2) انظر: (الكشاف ١/٣٢١، البحر المحيط ٣/٤٢١، تفسير الفخر الرازى ٣/٣٥٢).

إلا أن هنا ضربًا من التعلل صالحًا، وهو أنه لك أن تقول: فاصطادوا، فتميل الألف بعد الطاء إذ كانت منقلبة عن ياء الصيد. فإن قلت: فهناك الطاء، فهلا منعت الإمالة، وكذلك الصاد.

قيل: إن حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة فى الفعل، إنما تمنع منها فى الاسم، نحو طالب وظالم، فأما فى الفعل فلا، ألا تراهم كيف أمالوا طغى وقضى وهناك حرفان مستعليان مفتوحان؟ وسبب ذلك إيغال الأفعال فى الاعتلال، وأنها أقعد فيه من الأسماء.

فإن قلت: فإنه لم يُحكَ فى الطاء إمالة.

قيل: هى وإن لم تسمع معرضة، والكلمة لها معرضة فكأنها لذلك ملفوظ، كما أن من قال فى الوقف هذا ماش، فأمال مع سكون الشين نظرًا إلى الكسرة إذا وصل فقال: هذا ماشٍ، وكما أن من قال: أغزيت نظر إلى وجوب الياء فى المضارع لانكسار ما قبل الواو فى يُغزى، وكما أن من أعلَّ يخاف وأصلها يَخْوَفُ نظر إلى اعتلالها فى الماضى وأصلها خَوِف. ولولا ذلك لوجب أَغْزَوْتُ ويَخْوَفُ لأنه لا علة فيهما فى مكانهما، وكما أن من قال فى الإضافة إلى الصَّعِق صِعِقِى أقر كسرة الصاد مع فتحة العين نظرا إلى أصل ما كان عليه من كسرة العين، ولذلك نظائر.

وإن شئت قلت: لَمّا كان يقول فى الابتداء: اصطادوا، فيكسر همزة الوصل - نظر إليها بعد حذف الهمزة فقال: «فاصطادوا» تصورًا لكسرة الهمزة إذا ابتدأت فقلت: اصطادوا. فهذا وجه ثان لما مضى.

* * *

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ ﴿٢﴾

ومن ذلك قراءة ابن مسعود: «وَلا يُجْرِمَنَّكُم» - بضم الياء - «شَنَآنُ قَوْمٍ إِنْ يَصُدوكُمْ»(١) - بكسر الألف.

قال أبو الفتح: فى هذه القراءة ضعف، وذلك لأنه جزم بإن ولم يأت لها بجواب مجزوم أو بالفاء، كقولك: إن تزرنى أُعطك درهمًا أو فلك درهم، ولو قلت: إن تزرنى أعطيتك درهما قبح لما ذكرنا، وإنما بابه الشعر:

---

(١) وقراءة الأعمش، ويحيى بن وثاب. انظر: (معانى القرآن للفراء ٢٢٩/١، القرطبى ٤٥/٦، الكشاف ٣٢١/١، الطبرى ٤٨٥/٥، الإتحاف ١٩٧.

إن يسمعوا ريبة طاروا لـهـا فرحا　　　يوما وما سمعوا من صالح دَفنـوا[١]

* * *

وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴿٣﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس: «وأكيلُ السَّبع»[٢].

قال أبو الفتح: ذهب بالتذكير إلى الجنس والعموم، حتى كأنه قال: وما أكل السبع، ولو قال ذلك ما كان لفظ «ما» إلا إلى التذكير، والأكيل هنا إذًا يصلح للمذكر والمؤنث، وأما الأكيلة فكالنطيحة والذبيحة، اسم للمأكول والمنطوح، كالضحية والبليّة في قوله[٣]:

مثل البليَّة قالصا أهدامُها[٤]

فتقول على هذا: مررت بشاة أكيل، أى قد أكلها السبع ونحوه، وتقول: ما لنا طعام إلا الأكيلة، أى الشاة أو الجزور المعدة لأن تؤكل، فإن كانت قد أُكلت فهى أكيل بلا هاءٍ، وكذلك أكيل السبع هنا ما قد أكل السبع بعضه.

* * *

غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴿٣﴾

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم: «غَيْرَ مُتَجَنِّفٍ لإثم»[٥]، بغير ألف.

قال أبو الفتح: كأن متجنفا أبلغ وأقوى معنى من متجانف، وذلك لتشديد العين، وموضوعها لقوة المعنى بها نحو تَصوَّن وهو أبلغ من تصاون؛ لأن تصون أوغل في ذلك، فصح له وعرف به، وأما تصاون فكأنه أظهر من ذلك وقد يكون عليه، وكثيرًا

---

(١) لقعنب بن ضمرة: وهو مطلع قطعة في ديوان الحماسة ٢/ ٤٦١، وبعده:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به　　　وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

جهدا علينا وجبنا عن عدوهم　　　لبئست الخلتان الجهل والجبن

(٢) انظر: (البحر المحيط ٤٢٣/٣، الكشاف ٣٢٢/١، مجمع البيان ١٥٦/٢، القرطبي ٥٠/٦).

(٣) للبيد بن ربيعة من معلقته الشهيرة.

(٤) صدره: «تأوى إلى الأطناب كل رذية».

(٥) وقراءة أبي عبدالرحمن. انظر: (القرطبي ٦٤/٦، البحر المحيط ٤٢٧/٣).

ما لا يكون عليه، ألا ترى إلى قوله(١):

إذا تخازرتُ وما بى من خزَرْ(٢)

فصار متجنِّف بمعنى مُتَمَيِّل مُتَثَنٍّ، ومتجانف كمتمايل، ومتأوِّد أبلغ من متاود، وعليه قراءة عبدا لله بن أبى إسحاق والأشهب العقيلى: «يُرَءُّون الناس». أى يُكرهونهم على أن يَروْهم على ما يتجمَّلون به، ويراءُون يتصنعون لذلك فربما تم لهم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا.

* * *

مُكَلِّبِينَ ﴿٤﴾

ومن ذلك قراءة أبى رزين: «مُكْلِبين»(٣)، ساكنة الكاف.

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون «مُكْلبين» من قولهم: آسدتُ الكلب، أى: أغريته، وكذلك إكلاب الجوارح هو إغراؤها بالصيد وإسآدها عليه ليكون كالكلب الكلب، كلِب وأكلبته كضرِى وأضريته، وغرِى وأغريته، وأسِدَ وآسدته، وعَرِص وأعرصته(٤)، وهَبِص وأهْبَصْتُه(٥).

* * *

وَأَرْجُلَكُمْ ﴿٦﴾

ومن ذلك ما رواه عمرو عن الحسن: «وأرْجُلُكم»(٦)، بالرفع.

---

(١) عمرو بن العاص كما فى اللسان «مرر». قال ابن برى: هو المشهور، ويقال إنه لأرطأة بن شهبة تمثل به عمرو. وانظر: (وقعة صفين ٣٧٠، الكتاب ٦٩/٤، المقتضب ٧٩/١، القالى ٩٦/١، شرح المفصل ٨٠/٧).

(٢) تخازر: تكلف الخزر ونظر بمؤخر عينه، والأخزر: الذى نظره كأنه فى أحد الشقين.

(٣) وقراءة الحسن، وابن مسعود. انظر: (الإتحاف ١٩٨، القرطبى ٦٨/٦، الكشاف ٣٢٣/١، مجمع البيان ١٦٣/٢).

(٤) عرص البرق عَرَصًا: اضطربَ، وعرض الصبيان: لعبوا ومرحوا، وعرض فلان: نشط فهو عرص. انظر: المعجم الوسيط «عرص».

(٥) هبص هبصًا: نشط وخف، فهو هابص، وهى هابصة. انظر: المعجم الوسيط «هبص».

(٦) وقراءة الوليد بن مسلم عن نافع. انظر: (الإتحاف ١٩٨، القرطبى ٩١/٦، الكشاف ٣٢٦/١، البحر المحيط ٤٣٨/٣، تهذيب اللغة «ع ك ب»).

قال أبو الفتح: ينبغى أن يكون رفعه بالابتداء والخبر محذوف، دل عليه ما تقدمه من قوله سبحانه: ﴿**إِذَا قُمْتُم إلى الصَلاةِ فَاغْسِلوا وُجُوهكم**﴾، أى وأرجلُكم واجب غسلُها، أو مفروض غسلُها، أو مغسولة كغيرها، ونحو ذلك. وقد تقدم نحو هذا مما حذف خبره لدلالة ما هناك عليه، وكأنه بالرفع أقوى معنى؛ وذلك لأنه يستأنف فيرفعه على الابتداء، فيصير صاحب الجملة. وإذا نصب أو جرّ عطفه على ما قبله، فصار لَحَقًا وتبعًا، فاعرفه.

* * *

وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴿١٢﴾

ومن ذلك قراءة عاصم الجحدرى: «وَعَزَرْتُمُوهُمْ»(١)، خفيفة.

قال أبو الفتح: عزرت الرجل أعِزره عَزْرا: إذا حُطتَه وكنفتَه، وعزَّرْتُه: فخّمت أمره وعظمته، وكأنه لقربه من الأزر وهو التقوية معناه أو قريبًا منه، ونحوه عَزَر اللبنُ وحَزَر: إذا حمض فاشتد، فانظر إلى تلامح كلام العرب واعجب.

* * *

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴿٢٣﴾

ومن ذلك قراءة سعيد بن جبير ومجاهد: «قال رَجُلان مِن الَّذِين يُخَافونَ»(٢)، بضم الياء.

قال أبو الفتح: يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون من المؤمنين الذين يُرْهَبون ويتَّقَوْن لما لهم فى نفوس الناس من العفة والورع والستر، وذلك أنه من كان فى النفوس كذلك رهب واحتشم وأُطيع وأُعظم؛ لأن من أطاع الله سبحانه أُكرم وأُطِيع، ومن عصاه امتُهن وأُضِيع.

والآخر: أن يكون معناه من الذين إذا وُعِظُوا: رَهِبُوا وخَافُوا، فإذا أتاهم الرسول بالحق أطاعوا وخضعوا، أى ليس ممن يركب جهله ولا يصغى إلى ما يحد له، فيكون

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٤، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٢٢).

(٢) وقراءة ابن عباس. انظر: (الطبرى ١٠/١٧٩، القرطبى ٦/١٢٧، الكشاف ١/٣٣١، البحر المحيط ٣/٤٥٥).

كقوله: ﴿أولئك الذين امْتَحَنَ ا لله قلوبَهم لِلتَقْوَى﴾[١]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ من اتَّبع الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بالغَيْب﴾[٢]، ونحو ذلك من الآى الدالة على رهبة المؤمنين وطاعتهم، فهذا إذًا من أُخيف والأول من خيف.

* * *

فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ ﴿٣٠﴾

ومن ذلك قراءة الحسن بن عِمران وأبى واقد والجراح، ورُوِيت عن الحسن: «فطاوَعَت له نَفْسُهُ»[٣].

قال أبو الفتح: ينبغى - وا لله أعلم - أن يكون هذا على أن قتل أخيه جذبه إلى نفسه ودعاه إلى ذلك، فأجابته نفسه وطاوعته.

وقراءة العامة: ﴿فَطَوَّعَتْ له﴾[٤]، أى حسَّنته له وسهّلته عليه.

* * *

فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ ﴿٣١﴾

ومن ذلك قراءة طلحة بن سليمان: «فأُوَارِى سَوْءَةَ أخِى»[٥] بسكون الياء فى «أُوارِى».

قال أبو الفتح: قد سبق القول على سكون هذه الياء فى موضع النصب فى نحو قوله:

كأن أَيديهن بالمَوْماةِ أَيدى جوارٍ بِتْنَ ناعمات[٦]

وقول أبى العباس: إنها من أَحسن الضرورات.

* * *

(١) سورة الحجرات الآية (٣).

(٢) سورة يس الآية (١١).

(٣) انظر: (الكشاف ١/٢٣٤، إعراب القرآن للنحاس ١/٤٩٣).

(٤) سورة المائدة الآية (٣٠).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٣/٤٦٧).

(٦) انظر: (سمط اللآلى ٧٥٥).

مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ ﴿٣٢﴾

ومن ذلك قراءة أَبى جعفر يزيد: «من أَجل ذلك»[1]، غير مهموز والنون مكسورة.

قال أَبو الفتح: يقال: فعلت ذلك من أَجلك ومن إِجلك بالفتح والكسر، ومن إِجلاك ومن جللك ومن جَلالكِ ومِنْ جَـرَّاك، فيجب على هذا أن تكون قراءة أَبى جعفر: «من اجل ذلك» على تخفيف همزة «إِجْل» بحذفها وإِلقاء حركتها على نون مِن، كقولك فى تخفيف كم إِبلك: كم بلك، وفى منْ إِبراهيم منِ بْراهيم، وهو واضح.

* * *

نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴿٣٢﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «مَنْ قَتل نَفْسًا بغير نفس أَو فسادًا فى الأَرض»[2]، بنصب الفساد.

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون ذلك على فعل محذوف يدل عليه أَوّلُ الكلام، وذلك أَن قتل النفس بغير النفس من أَعظم الفساد، فكأَنه قال: أَو أَتى فسادًا، أَو ركب فسادًا، أَو أَحدث فسادا، وحذف الفعل الناصب لدلالة الكلام عليه وإِبقاء عمله ناطقًا به ودليلاً عليه مع ما يدل من غيره عليه - أَكثر من أَن يؤتى بشىء منه مع وضوح الحال به، إِلا أَن منه قول القطامى[3]:

فكـرَّت تبتغيه فوافقته　　على دمه ومصرعه السباعا

فنصب السباع لأَنها داخلة فى الموافقة. أَلا تراها إِذا وافقت السباع على دمه فقد دخلت السباع فى الموافقة، فيصير كأَنه قال: وافقت السباع؟ وهو عندنا بعد على حذف المضاف، أَى آثار السباع؛ لأَنها لو صادفت السباع هناك لأَكلتها أَيضًا. وهناك مضاف آخر محذوف، أَى صادفت السباع على أَشلائه وبقاياه؛ لأَنها إِذا وافقت آثار السباع على دمه ومصرعه فإِنما وافقت بقاياه لا جميعه.

وسمعت سنة خمس وخمسين غلامًا حدثا من عقيل ومعه سيف فى يده، فقال له بعض الحاضرين - وكنا مُصْحِرين -: يا أَعرابى، سيفك هذا يقطع البطيخ؟ فقال: إِى

---

(١) وقراءة الحسن. انظر: (الإتحاف ٢٠٠، القرطبى ٦/١٤٥، ١٤٦، الكشاف ١/٣٣٥، البحر المحيط ٣/٤٦٨، النشر ٢/٢٥٤).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/٤٩٤، القرطبى ١/١٢٤).

(٣) انظر: (الكتاب ١/١٤٢ طبعة بولاق).

وا لله وغواربَ الرجال، فنصب الغوارب على ذلك، أى ويقطع غورابَ الرجال.

* * *

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴿٥٠﴾

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم السلمى: «أَفَحُكْمُ الجاهلية يَبْغُون»[(١)]، بالياء ورفع الميم.

قال ابن مجاهد: وهو خطأ.

قال: وقال الأعرج: لا أعرف فى العربية أَفحكمُ، وقرأ: «أَفحكمَ»، نصبا.

وقرأ الأعمش: «أَفحَكَمَ الجاهلية»[(٢)]، بفتح الحاء والكاف والميم.

قال أبو الفتح: قول ابن مجاهد إنه خطأ فيه سرف، لكنه وجه غيره أقوى منه، وهو جائز فى الشعر. قال أبو النجم[(٣)]:

قد أَصبحت أُمُّ الخيار تدّعى   علىّ ذنبا كلُّه لم أَصنع[(٤)]

أَى لم أَصنعه، فحذف الهاء. نعم، ولو نصب فقال: «كلَّه» لم ينكسر الوزن، فهذا يؤنسك بأَنه ليس للضرورة مطلقة، بل لأَن له وجها من القياس، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أَو الصفة، وهو إلى الحال أَقرب؛ لأَنها ضرب من الخبر. فالصفة كقولهم: الناس رجلان: رجل أَكرمت ورجل أَهنت، أَى أَكرمته وأَهنته؛ والحال كقولهم: مررت بهند يضرب زيد، أَى يضربها زيد، فحذف عائد الحال وهو فى الصفة أَمثل؛ لشبه الصفة بالصلة فى نحو قولهم: أَكرمت الذى أَهنت، أَى أَهنته، ومررت بالتى لقيتُ، أى لقيتها، فغير بعيد أَن يكون قوله: ﴿**أَفحكم الجاهلية يَبْغُون**﴾[(٥)]، يراد به يبغونه، ثم يحذف الضمير، وهذا وإِن كانت فيه صنعة فإِنه ليس بخطأ.

وفيه من بعد هذا شيئان نذكرهما، وهو أَن قوله: «كلُّه لم أَصنعِ» وإِن كان قد حذف

(١) وقراءة أبى رجاء، والأعرج. انظر: (القرطبى ٦/٢١٥، الكشاف ١/٣٤٣، البحر المحيط ٣/٥٠٥، الرازى ٣/٤١١ مغنى اللبيب ٢/١٠٦).

(٢) وقراءة قتادة، والحسن، والأعرج. انظر: (القرطبى ٦/٢١٥، مجمع البيان ٢/٢٠٤، البحر المحيط ٣/٥٠٥).

(٣) انظر: (الكتاب ١/٨٥، ١٣٧، خزانة الأدب ١/١٧٣، شرح شواهد المغنى ١٨٥ أمالى ابن الشجرى ١/٨، ٩٣، ٣٢٦).

(٤) أم الخيار: زوجته ويعنى بالذنب: الشيب، والصلع، والشيخوخة.

(٥) سورة المائدة الآية (٥٠).

منه الضمير فإنه قد خلفه وأُعيض منه ما يقوم مقامه فى اللفظ؛ لأنه يعاقبه ولا يجتمع معه، وهو حرف الإطلاق، أعنى الياء فى «أصنعى»، فلما حضر ما يعاقب الهاء فلا يجتمع معها صارت لذلك كأنها حاضرة غير محذوفة، فهذا وجه.

والثانى: أن هناك همزة استفهام، فهو أَشد لتسليط الفعل، ألا ترى أنك تقول: زيد ضربته فيختار الرفع، فإذا جاء همزة الاستفهام اخترت النصب البتة، فقلت: أزيدا ضربته، فنصبته بفعل مضمر يكون هذا الظاهر تفسيرًا له.

فإذا قلت: أَفحكم الجاهلية تبغون و لم تُعد ضميرًا ولا عوضت منه ما يعاقبه، وحرفُ الاستفهام الذى يختار معه النصب والضمير ملفوظ به موجود معك، فتكاد الحال تختلف على فساد الرفع، وبإزاء هذا أنه لو نصب فقال: كلَّه لم أَصنع لما كسر وزنا، فهذا يؤنسك بالرفع فى القراءة.

وإن شئت لم تجعل قوله: «يبغون» خبرًا، بل تجعله صفة خبر موصوف محذوف، فكأَنه قال: أَفحكم الجاهلية حكمٌ يبغونه، ثم حذف الموصوف الذى هو حُكم وأقام الجملة التى هى صفته مقامه، أعنى يبغون، كما قال الله سبحانه: ﴿**من الذين هادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مواضِعِه**﴾[1]، أى قوم يحرفون، فَحُذِفَ الموصوفُ وأُقيمت الصفة مقامه، وعليه قوله[2]:

وما الدهر إلا تارتان فمنهما   أَموت وأخرى أَبتغى العيش أَكدح[3]

أى فمنهما تارةٌ أَموت فيها، فحذف تارة وأقام الجملة التى هى صفتها نائبة عنها فصار أَموت فيها، ثم حذف حرف الجر فصار التقدير أَموتها، ثم حذف الضمير فصارت أَموت. ومثله فى الحذف من هذا الضرب بل هو أَطول منه[4]:

تروَّحى يا خَيرة الفَسيلِ   تروحى أَجدرَ أن تقيلى

أَصله: ائتى مكانًا أَجدر بأَن تقيلى فيه، فحذف الفعل الذى هو «ائتى» لدلالة

---

(١) سورة النساء الآية (٤٦).

(٢) لتميم بن مقبل. انظر: (ديوان تميم بن مقبل ٢٤، الكتاب ٣٤٦/٢، الحيوان ٤٨/٣، الكامل ٥٣٨، حماسة البحترى ١٨٣، خزانة الادب ٣٠٨/٢، همع الهوامع ١٥١/٢، اللسان «كدح»).

(٣) التارة: المرة، وألفها واو، يقول: لا راحة فى الدنيا فوقتها قسمان: موت مكروه لدى النفس، وحياة كلها كدح ومعاناة، ومشقة للكسب. وقدم الموت ليعبر عن ضجره. والشاهد فيه: حذف الاسم لدلالة الصفة عليه، والتقدير: فمنها تارة أموت فيها.

(٤) قول أحيحة بن الجلاح. انظر: (شرح التصريح ١٠٣/٢، العينى ٣٦/٤).

تروحى عليه، فصار مكانا أجدر بأن تقيلى فيه، ثم حذف الموصوف الذى هو مكانًا فصار تقديره أجدر بأن تقيلى فيه، ثم حذف الباء أيضًا تخفيفًا فصار أجدر أن تقيلى فيه، ثم حذف حرف الجر فصار أجدر أن تقيليه، ثم حذف العائد المنصوب فصار أجدر أن تقيلى. ففيه إذًا خمسة أعمال، وهى حذف الفعل الناصب، ثم حذف الموصوف، ثم حذف الباء، ثم حذف «فى»، ثم حذف الهاء، فتلك خمسة أعمال. وهناك وجه سادس، وهو أن أصله ائتى مكانًا أجدر بأن تقيلى فيه من غيره، كما تقول: مررت برجل أحسن من فلان، وأنت أكرم علىَّ من غيرك. فإذا جاز فى الكلام توالى هذه الحذوف و لم يكن معيبًا ولا مشينًا ولا مُستكرَها كان حذف الهاء من قوله تعالى: ﴿أَفَحكم الجاهلية يَبْغُونَ﴾ - والمراد به حُكم يبغونه - ثم حذفُ الموصوف وعائده - أسوغ وأسهل وأسير. وأما قوله: «أفحَكَمَ الجاهلية يبْغون» فيمن قرأه كذلك فأمره ظاهر فى إعرابه، غير أن «حكما» هنا ليس مقصودًا به قصد حاكم بعينه، وإنما هو بمعنى الشِّياع والجنس، أى أفحكامَ الجاهلية يبغون؟ وجاز للمضاف أن يقع جنسًا كما جاء عنهم فى الحديث من قولهم: «منعت العراق قفيزها ودرهمها، ومنعت مصر إردبها، وله نظائر.

ثم يرجع المغنى من بعد إلى أن معناه معنى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾؛ لأنه ليس المراد والمَبْغِىّ هنا نفس الحكام، فإنما المبغى نفس الحُكْم، فهو إذا على حذف المضاف أى أفحُكمَ حَكَمِ الجاهلية يبغون؟ وهذا هو الأول فى المعنى، فاعرف ذلك.

* * *

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (٥٢)

ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم: «فيرى الذين فى قلوبهم مرض»(١). بالياء.

قال أبو الفتح: فاعل يرى مضمر دلت عليه الحال، أى فيرى رائيهم ومتأمِّلهم. والذين فى موضع نصب كقراءة الجماعة، وقد كثر إضمار الفاعل لدلالة الكلام عليه، كقولهم: إذا كان غدا فأْتنى، أى إذا كان ما نحن عليه من البلاء فى غد فأْتنى، وهو كثير. ودل عليه أيضًا القراءة العامة، أى: فترى أنت يا محمد أو يا حاضر الحال الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فى ولاءِ المشركين ونصرهم.

* * *

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١٢٧، البحر المحيط ٣/٥٠٨).

مَثُوبَةً ﴿٦٠﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وابن هُرْمز وابن عمران ونُبيْج وابن بُرَيدة: «مَثْوبة»(١)، ساكنة الثاء.

قال أبو الفتح: هذا مما خرج على أصله، شاذا عن بابه وحال نظائره، ومثله مما يحكى عنهم من قولهم: الفُكاهة مَقْوَدَةٌ إلى الأذى. وقياسهما مَثابة ومقادة، كما جاء عنهم من منامة وهى القطيفة، ومزادة، ومثله مزيد وقياسه مزاد، إلا أن مَزْيَدا عَلَم، والأعلام قد يحتمل فيها ما يكره فى الأجناس نحو مَحبب ومَكْوزة ومريم ومَدْيَن ومعد يكرب ورجاء بن حيْوة ومنه موظَب ومورق اسم رجلين، ومَثْوَبة مَفْعَلَة ومَثُوبة مَفْعُلة، ونظيرها المَبْطَخة والمبطُخة والمشرفَة والمشرُفة. وأصل مَثُوبَة مثْوُبَة، فنقلت الضمة من الواو إلى الثاء، ومثلها معونة. وأما مئونة فمختلف فيها، فمذهب سيبويه أنها فَعولة من مُنت الرجل أمونه، وأصلها مَؤُونة بلا همز، كما تقول فى فَعول من القيام: قَوُوم، ومن النوم: نَوُوم، ثم تُهمز الواو استحسانًا للزوم الضمة لها، فتصير مئونة. وقال غيره: هى مَفْعُلة من الأون، وهو الثِّقْل من قول رؤبة(٢):

سِرًّا وقد أَوَّنَ تأْوِينَ العُقُق

أى ثقلت أجوافهن فصار كأن هناك أونين، أى عِدْلين، فمئونة على هذا كمعونة، هذا من الأون، وهذا من المَوْن. وأجاز الفرَّاءُ أن تكون من الأين، وهو التعب من حيث كانت المئونة ثِقْلا على ملتزمها، فسلك الفراءُ فى هذا مذهب أبى الحسن فى قوله فى مفْعُلَة من البيع: مَبُوعَة، وحجته فى هذا ما سمع منهم فى قول الشاعر(٣):

وكنت إِذا جارى دعا لمضوفَة ... أُشمِّر حتى ينْصُفَ الساقَ مئزرى(٤)

---

(١) وقراءة الأعرج. انظر: (الإتحاف ٢٠١، الكشاف ٣٤٨/١، البحر المحيط ٥١٨/٣، مجمع البيان ٢١٤/٢).

(٢) انظر: (ديوانه ١٠٨).

(٣) لأبى جندب الهذلى، من قصيدة مطلعها:

ألا أبلغا سعد بن ليث وجُندُعا ... وكلبا أثيبوا المنَّ غير المكدر

انظر: (ديوان الهذليين ٩١/٣ وما بعدها).

(٤) مضوفة، إلى أمر ضافَه، أى نزل به وشق عليه. والمضاف: الملجأ. فى السكرى: «وكنت إذا جار دعا لمضوفة»، فسر المضوفة فقال: أى هم ضافة أو أمر شديد، يقال: لى إليك مضوفة أى حاجة صفته: لجأت إليه وأضفته ضممته إلى رحلى. ويقال رجل مضاف: ملجأ. ويقول الباهلى:=

وهى من الضيف. والكلام هنا يطول، وقد أشبعناه فى كتابنا المنصف.

* * *

وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٦٠﴾

ومن ذلك ما يروى فى قول الله تعالى: ﴿وعَبَد الطاغوتَ﴾، وهو عشر قراءات: «وَعَبَدَ الطاغوتَ» على فَعَلَ ونصبِ الطاغوت(١). «وعَبُدَ الطاغوتِ»، بفتح العين، وضم الباء، وفتح الدال، وخفض الطاغوت(٢)؛ وهما فى السبعة.

ابنُ عباس، وابن مسعود، وإبراهيم النخعى، والأعمش، وأبان بن تغلب، وعلى بن صالح، وشيبان: «وعُبُد الطاغوتِ»، بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت(٣).

وروى عكرمة عن ابن عباس: «وعُبَّدَ الطاغوتِ»(٤)، بضم العين وفتح الباء وتشديدها وفتح الدال وخفض الطاغوت.

وأبو واقد: «وعُبَّادَ الطاغوتِ»(٥)، «وعِبَادَ الطاغوتِ» قراءة البصريِّين(٦).

=مضوفة، بأمر يشفق منه، قال الجعدى: «وكان النكير أن تضيف وتجأرا». انظر: (هامش ديوان الهذليين ٩٢/٣).

وقال فى المنصف بعدما ذكر البيت ٣٠١/١: ففيه تعلق لأبى الحسن فى قوله: «مفعلة» من «عِشتَ: معوشة» لأن مضوفة: مَفْعُلَةٌ من ضفت الرحل: إذا نزلت به لأن معناها ما ينزل بالإنسان ويضيفه من نوائب الدهر، وأصلها «مضيفةٌ» ثم نقلت الضمة إلى الضاد، وانقلبت الياء واوًا، لسكونها وانضمام ما قبلها. فيشبه أن يكون أبو الحسن بهذا تعلق وعليه عقد هذا الخلاف، إلا أن هذا حرف شاذ لا نعلم له نظيرًا، فينبغى ألا يقاس عليه.

(١) قراءة الجمهور.

(٢) وقراءة حمزة، ويحيى بن وثاب، والمطوعى، والأعمش. انظر: (الإتحاف ٢٠١، البحر المحيط ٥١٩/٣، القرطبى ٢٣٥/٦، الطبرى ٢٣٩/١٠، السبعة ٢٤٦، غيث النفع ٢٠٤، الكشف ٤١٤، النشر ٢٥٥/٢، الرازى ٤٢٢/٣ التيسير ١٠٠، العنوان ٧١، التهذيب اللغة «ع د ب»، لسان العرب «عبد»).

(٣) وقراءة مجاهد، وابن وثاب، والشبنوذى، وابن أبى عبلة. انظر: (الطبرى ٤٤٠/١٠، القرطبى ٢٣٥/٦، مجمع البيان ٢١٥/٢، البحر المحيط ٥١٩/٣).

(٤) وقراءة الأعمش. انظر: (القرطبى ٢٣٥/٦، البحر المحيط ٥١٩/٣، الرازى ٤٢٢/٣، لسان العرب «عبد» تهذيب اللغة «ع د ب»).

(٥) انظر: (القرطبى ٢٣٥/٦، البحر المحيط ٥١٩/٣، لسان العرب «عبد»، تهذيب اللغة «ع د ب»).

(٦) انظر: (القرطبى ٢٣٦/٦، البحر المحيط ٥١٩/٣).

وقال معاذ: قرأ بعضهم: «وعُبِدَ الطاغوتُ»(١)، كقولك: ضُرِب زيد لم يسم فاعله.

وقرأ عون العقيلى وابن بريدة: «وعابِدَ الطاغوتِ»(٢).

وقرأ أُبى بن كعب: «وعَبدُوا الطاغوت» بواو(٣).

وقرأ ابن مسعود فيما رواه عبد الغفار عن علقمة(٤)، عنه: «وعُبَدَ الطاغوتِ»(٥)، كصُرد.

قال أبو الفتح: أما قوله: «وعَبد الطاغوتَ» فماض معطوف على قوله سبحانه: ﴿وجَعَلَ مِنْهُمْ القِردةَ والخَنازِير﴾.

وأما «وعَبُد الطاغوتِ» فاسم على فَعُل. قال أبو الحسن: جاء به نحو حَذُر وفَطُن.

قال: وأمَّا «وعُبُدَ» فجمع عبيد، وأنشد:

انسب العبدَ إلى آبائه أَسود الجلد ومن قومٍ عُبُد(٦)

هكذا قال أبو الحسن، وقد يجوز أن يكون عُبُد جمعَ عبْد، كرهْنٍ ورُهُن، وسقْف وسُقُف.

ومن جهة أحمد بن يحيى عُبُد جمع عابد، وهذا صحيح، كبازل وبُزُل، وشارف وشُرُف.

قال أبو الحسن: والمعنى - فيما يقال - خَدَمُ الطاغوت.

وأما عُبَّد الطاغوت فجمع عابد، ومثله عُبَّاد، كضارب وضُرَّب وضُرَّاب، وعليه

---

(١) وقراءة أبى جعفر الرؤاس، وأبى جعفر يزيد بن القعقاع، والأعمش. انظر: (الطبرى ٤٤٠/١٠، القرطبى ٢٣٦/٦، مجمع البيان ٢١٥/٢).

(٢) وقراءة بريدة الأسلمى. انظر: (الطبرى ٤٤١/١٠، الكشاف ٣٤٨/١، القرطبى ٢٣٦/٦، الرازى ٤٢٢/٣، لسان العرب «عبد»، تهذيب اللغة «ع د ب»).

(٣) انظر: (معانى القرآن للفراء ٣١٤/١، الطبرى ٤٤٢/١٠، القرطبى، ٢٣٥/٦، الكشاف ٣٤٨/١، البحر المحيط ٥١٩/٣، تهذيب اللغة «ع د ب»، لسان العرب «عبد»).

(٤) علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك النخعى الهمدانى، أبو شبل (٦٢ هـ = ٦٨١م): تابعى، كان فقيه العراق. يشبه ابن مسعود فى هديه وسمته وفضله. انظر: (تهذيب التهذيب ٢٧٦/٧، تذكرة الحفاظ ٤٥/١، حلية الأولياء ٩٨/٢، تاريخ بغداد ٢٩٦/١٢، الأعلام ٢٤٨/٤).

(٥) انظر: (القرطبى ٢٣٦/٦، البحر المحيط ٥١٩/٣، مجمع البيان ٢١٥/٢، الرازى ٤٢٢/٣).

(٦) انظر: (البحر المحيط ٥١٩/٣).

القراءتان: «وَعُبَّدَ الطاغوت» و«وعُبَّادَ الطاغوت»، وعليه قراءة من قرأ: «وعِبَادَ الطاغوتِ»، عابد وعِبَاد، كقائم وقيام، وصائم وصيام. وقد يجوز أن يكون عِبَادَ الطاغوتِ جمع عَبْد، وقلما يأتى عِباد مضاف إلي غير الله. وقد أنشد سيبويه[١]:

أتوعدنى بقومك يابن حَجْل ... أُشَاباتٍ يخالون العِبادَا[٢]

يريد عبيدًا لبنى آدم، ولا يجوز أن يكون فى المعنى عباد الله؛ لأن هذا ما لا يسب به أحد، والناس كلهم عباد الله تعالى. وأما قول الآخر:

لا والذى أنا عبد فى عبادته ... لولا شماتة أعداء ذوى إحن
ما سرنى أنَّ إبلى فى مباركها ... وأن شيئًا قضاهُ اللهُ لم يكن

فيحتمل أن يكون جمع عبد، إلا أنه أنثه فصار كَنِكارة وحجارة وقِصارة، جمع قصير. ويجوز أن تكون العبادة هنا مصدرًا، أى أنا عبد فى طاعته.

وأما «عُبِدَ الطاغوتُ» فظاهر، وعليه قراءة أُبىّ: «وعبَدوا الطاغُوتَ»، بواو.

وأما «وعابِدَ الطاغوتِ» فهو فى الإفراد كعَبْد الطاغوت، واحد فى معنى جماعة على ما مضى.

وعليه أيضًا «وعُبَد الطاغُوتِ» لأنه كحُطَم ولُبَد، كما أن عبُدًا كَنَدُسٍ وحذُرٍ ووظيف عَجُر. ومن جهة أحمد بن يحيى «وعَبُدَ الطاغوتُ» أى: صار الطاغوتُ معبودًا، كفقُه الرجل، وظرُفَ: صار فقيهًا وظريفًا. ومن جهته أيضًا: «وعبدَ الطاغوتِ»، وقال: أراد عَبَدة فحذف الهاء، قال: ويقال: عَبَدة الطاغوت والأوثان، ويقال للمسلمين عُبَّاد.

* * *

وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ ﴿٦٩﴾

ومن ذلك قراءة الحسن والزهرى: «والصَابِيُون»[٣]، يثبت الياء ولا يهمز.

---

(١) قال سيبويه: وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم يُنْشِدُ هذا البيت نصبًا، فذكره. انظر: (الكتاب ١/٣٠٤، أمالى ابن الشجرى ١٥٣).

(٢) الأشابات: الأخلاط من الناس هاهنا: جمع أشابة بالضم، ونصبها على الذم، والعباد: جمع عبد، قال ابن الشجرى: يقولون: نحن عباد الله، لا يكادون يضيفونه إلى الناس، ولكنه جعل العباد هنا بمعنى العبيد.

(٣) انظر: (الكشاف ١/٣٥٤، البحر المحيط ٣/٥٣١).

وقرأ «الصابون»(١)، بغير همز ولا ياء أبو جعفر وشيبة، والخاطون(٢)، ومُتَّكُون(٣).

قال أبو الفتح: أما «الصابيون» بياء غير مهموزة فعلى قياس قول أبى الحسن فى «يستهزئون»: يَستهزيُون بياء غير مهموزة، ويحمل ذلك فيها لتقدير الهمزة فى أصلها، فيكون ذلك فرقًا بينها وبين ياء يَسْتَقْضُونَ. ألا ترى أن أصله يستقضيون، كما فرق أبو الحسن بقوله فى مثل عنكبوت من قرأت: قرأُيوت بضمة الياء - بينه وبين مثال عنكبوت من رميت رَمْيَوُت، وقد مضى هذا فى موضعه.

وأما «الصابُونَ» و«مُتَّكُون» فعلى إبدال الهمزة البتة، فصارت كالصابون من صبوت، وكمتَجَنُّون من تجَنَّيْتُ، والوجه أن يكون الصابيون بلا همز تخفيفًا لا بدلا، وإن جعلته بدلاً مراعى به أولية حاله كقرأيوت جاز أيضًا.

ومن ذلك قراءة عثمان وأبى بن كعب وعائشة وسعيد بن جبير والجحدرى رضى الله عنهم: «والصابيين»، بياء(٤).

قال أبو الفتح: الخطب فى هذا أيسر من الصابيون بالرفع؛ لأن النصب على ظاهره، وإنما الرفع يحتاج أن يقال: إنه مقدم فى اللفظ مؤخر فى المعنى على ما يقال فى هذا، حتى كأنه قال: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك.

* * *

ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ ﴿٧١﴾

ومن ذلك قراءة يحيى والنخعى: «ثم عُموا وصُمُّوا»(٥)، بضم العين والصاد.

قال أبو الفتح: يجب أن يكون هذا على تقدير فُعِلَ، كقولهم: زُكِمَ وأزكمه الله، وحُمَّ وأحَمَّه الله، فكذلك هذا أيضًا، جاء على عُمى وصُمَّ، وأعماه الله وأصمه الله. ولا يقال: عَمَيْتُه ولا صَمَمْتُه، كما لا يقال: زكمَه الله ولا حَمَّه، فاعرف ذلك.

* * *

(١) وقراءة نافع. انظر: (الإتحاف ٢٠٢، الكشاف ١/٣٥٤، غيث النفع ٢٠٤).

(٢) سورة الحاقة الآية (٣٧)، وهى قراءة أبى جعفر، وشيبة، وطلحة، ونافع بخلاف عنه. انظر: (البحر المحيط ٨/٣٢٧).

(٣) سورة يس الآية (٥٦).

(٤) وقراءة ابن كثير، وابن محيصن. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١٢٨، البحر المحيط ٣/٥٣١، الكشاف ١/٣٥٤ إعراب القرآن للنحاس ١/٥٠٩).

(٥) انظر: (الكشاف ١/٢٥٥، الرازى ٣/٤٣٢، البحر المحيط ٣/٥٣٤).

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴿٨٩﴾

ومن ذلك قراءة جعفر بن محمد: «من أَوسطِ مَا تُطعِمون أَهَالِيْكُمْ»(١).

قال أبو الفتح: يقال أهل وأَهلة، قال:

وأَهلـة ود قـد تبـريت ودهـم وأَبليتهم فى الحمد جهدى ونائلى

فأَما أَهالٍ فكقولهم: ليالٍ، كأن واحدها أَهـلاة وليلاة، وقد مر بنا تصديقًا لقول سيبويه: فإِن واحده فى التقدير ليلاة - ما أَنشده ابن الأَعرابى من قوله:

فـى كـل يـوم مـا وكـل ليـلاه حتـى يقـول مـن رآه إِذ رآه
يا ويحه من جمـل مـا أَشقـاه

ومن ذهب إِلى أَن أَهالٍ جمع أَهلون فقد أَساء المذهب؛ لأَن هـذا الجمع لم يأت فيه تكسير قط. قال الشنفرى:

ولى دونكم أَهلون: سَيـد عَمَلَّسُ وأَرقُطُ زهلول وعَرفـاءُ جيئـل

ونحو من ذلك أَرض وأَراضٍ، القول فيهما واحد، ويقال: أَرض وأَرَضُون وأَرْضـون، بفتح الراء وتسكينها أَيضًا. قال كعب بن معْدان الأَشقرى:

لقد ضجت الأَرضون إِذ قام من بنى هداد خطيب فـوق أَعـواد منبـر

وحكى أَبو زيد فيها: أَرض، وقيل: آراض. وأَسكن اليـاء من أَهـاليكم فـى موضع النصب تشبيها لها بالأَلف، وقد سبق مثل ذلك.

* * *

أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴿٨٩﴾

ومن ذلك قراءة سعيد بن جبير ومحمد بن السميفع: «أَو كإِسوتهم»، من الإِسوة.

قال أبو الفتح: كأَنه - والله أَعلم - قال: أَو كما يكفى مثلهـم، فهـو على حذف المضاف، أَو ككفاية إِسوتهم، وإِن شئت جعلت الإِسوة هى الكفاية ولم تحتج إِلى حذف المضاف.

* * *

(١) انظر: (القرطبى ٦/٢٧٩، البحر المحيط ٤/١٠، مجمع البيان ٢/٢٣٧).

﴿فَجَزَآءٌ﴾ (٩٥)

ومن ذلك قراءة أَبى عبدالرحمن: «فجزاءٌ»، رفع منون، «مثلَ»، بالنصب.

قال أَبو الفتح: «مثل» منصوبة بنفس الجزاءِ، أَى فعليه أَن يجزى مثل ما قَتَلَ، «فمثل» إذًا فى صلة الجزاء، والجزاء مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف، أى فعليه جزاء مثلَ ما قتل، أو فالواجب عليه جزاء مثل ما قتل، فلما نون المصدر أعمله كقوله:[١]

بضرب بالسيوف رءوس قوم أزلنا هامهن عن المقيل[٢]

* * *

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (٩٥)

ومن ذلك قراءَة محمد بن على وجعفر بن محمد: «يَحْكُمُ بِهِ ذُو عَدْلٍ مِنْكم»[٣].

قال أَبو الفتح: لم يوحِّد ذو لأَن الواحد يكفى فى الحكم، لكنه أَراد معنى مَنْ، أَى يحكم به مَنْ يعدل، ومن تكون للاثنين كما تكون للواحد، نحو قوله[٤]:

نَكُنْ مَثلَ من يا ذئبُ يصطحبان.

* * *

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ (٩٦)

ومن ذلك قراءَة ابن عباس: «وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صيدَ البَرَّ مَا دُمْتُمْ حَرَما»[٥].

---

(١) المدار الأسدى. انظر: (الكتاب ١/١١٦، والعينى ٣/٤٩٩).

(٢) الهام: جمع هامة وهى الرأس. والضمير فيه يرجع إلى الرءوس السالفة الذكر، وإضافة الشىء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان جائز للتوكيد، كما فى ﴿حبل الوريد﴾، و﴿حب الحصيد﴾. أو الضمير راجع إلى «قوم» والقوم يذكر ويؤنث. ومقيل الرأس هو العنق. وأصل المقيل مكان القيلولة فى الظهيرة، ومثله قول عبدالله بن رواحة:

اليوم نضربكم على تنزيله ضربًا يزيل الهام عن مقيله

انظر: (هامش الكتاب ١/١١٦).

(٣) انظر: (مجمع البيان ٢/٢٤٢، البحر المحيط ٤/٢٠).

(٤) هو الفرزدق. صدره: «تعشن فإن واثقتنى لا تخوننى». انظر: (ديوانه ٢/٨٧٠).

(٥) انظر: (الكشاف ١/٢٦٦، البحر المحيط ٤/٢٤، العكبرى ١/٣٣٢).

قال أبو الفتح: معنى «حَرَمًا» راجع إلى معنى قراءَة الجماعة ﴿حُرُمًا﴾، وذلك أن الحُرُم: جمعُ حرام، والحَرَم: المحرَّم، فهو فى المعنى مفعول، فجعلهم حرَما، أى هم فى امتناعهم مما يمتنع منه المُحْرِم وامتناع ذلك أيضًا منهم كالْحَرَم، فالمعنيان إذًا واحد من حيث أرينا.

* * *

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ (١٠٢)

ومن ذلك قراءَة إبراهيم: «قد سِالَهَا»(١)، بكسر السين.

قال أبو الفتح: يعنى ويريد الإمالة؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها أبدًا إلا مفتوحًا، ووجه الإمالة أنه على لغة من قال: سِلتَ تسال، فهى فى هذه اللغة كخفتَ تخاف، فالإمالة إذًا إنما جاءَت لانكسار ما قبل اللام سِلت، كمجيئها فى خاف لمجىء الكسرة فى خاءِ خِفت. ويدلُّك على أن هذه اللغة من الواو لا من الهمزة ما حدثنا به أَبو علي من قوله: هما يتساولان، وهذه دلالة على ما ذكرنا قاطعة.

* * *

﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ (١٠٥)

ومن ذلك قراءَة الحسن: «لا يَضرْكُم» (٢)، وقراءة إبراهيم: «لا يَضِرْكُمُ»(٣).

قال أبو الفتح: فيها أَربع لغات: ضاره يَضيره، وضاره يَضُوره، وضرّه يَضُرَّه، وضَرَّه يَضِرّه، بكسر الضاد وتشديد الراء، وهى غريبة أَعنى يفعِل فى المضاعف متعدية، وقد ذكرناها وقراءَة من قرأَ: «لن يَضِرّوا الله شيئا»(٤)، وجزم يَضُرْكم ويَضِرْكم لأنه جُعل جواب الأَمر أعنى قوله: «عليكم أَنفسَكم». ويجوز أَن تكون لا هنا نهيًا كقولك: لا تقم إذا قام غيرك، والأَول أَجود.

* * *

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤/٣٢).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٤/٣٧، العكبرى ١/١٣٢، النحاس ١/٥٢٣).

(٣) وقراءة والحسن أيضًا. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/١٣٣، البحر المحيط ٤/٣٧، والإتحاف ٢٠٣).

(٤) سورة آل عمران الآيتان (١٧٦، ١٧٧).

﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ ﴿١٠٦﴾

ومن ذلك قراءَة الأعرج والشَّعبى والحسن والأشهب: «شهادةٌ بيْنكم»[١]، رفع.

وعن الأعرج، بخلاف: «شهادةً بينكم»[٢]، نصب.

قال أَبو الفتح: أَما الرفع بالتنوين فعلى سمت قراءَة العامة «شهادةُ بينِكم» بالإِضافة، فحذف التنوين فانجرَّ الاسم.

«وأَما شهادةً بينكم» بالنصب والتنوين فنصبها على فعل مضمر، أى لِيُقِمْ شهادةً بينكم اثنان ذوا عدل منكم، كما أن من رفع فَنَوَّن أو لم يُنوِّن فهو على نحوٍ من هذا، أَى مقيمُ شهادةِ بينِكم أَو شهادةٍ بينَكم اثنان ذوا عدل منكم، ثم حُذف المضاف وأُقيم المضاف إِليه مُقامه.

وإِن شئت كان المضاف محذوفًا من آخر الكلام أَى شهادةٌ بينَكم شهادةُ اثنين ذوَى عدل منكم، أَى ينبغى أَن تكون الشهادة المعتمدة هكذا.

* * *

﴿شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ ﴿١٠٦﴾

ومن ذلك قراءَة على كرم ا لله وجهه والشَّعبى بخلاف ونعيم بن ميسَرة «شَهَادَةً آللهِ»[٣].

وروى عن الشعبى: «شهادةً أَللهِ»[٤]، مقصور وينوّن شهادةً.

وروى عنه أَيضًا: «شهادهْ آللهِ»، مجزومة الهاءِ ممدودة الأَلف.

وروى عنه «شهادهْ أَللهِ»[٥]، بجزم شهادة وقصر ا لله، فهذه أَربعة أَوجه رويت عن

---

(١) انظر: (الكشاف ١/٣٦٩، البحر المحيط ٤/٣٨، مجمع البيان ٢/٢٥٤).

(٢) وقراءة السلمى، وأبى حيوة، والحسن. انظر: (الكشاف ١/٣٦٩، البحر المحيط ٤/٣٨، مجمع البيان ٢/٢٥٤).

(٣) انظر: (الطبرى ١١/١٧٨، مجمع البيان ٢/٢٥٤، البحر المحيط ٤/٤٤).

(٤) قراءة السلمى يحيى بن آدم، وأبى بكر بن عياش، وسعيد بن جبير بن يعمر. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٤، العكبرى ١/١٣٣).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٤).

الشَّعبى، وتابعه على «شهادةً أَ اللهِ» السُّلْمى ويحيى وإبراهيم وسعيدُ بن جُبَيْر ويحيى بن يعمر والحسنُ والكَلبى.

قال أَبو الفتح: أَما «شهادةً» فهى أَعم من قراءَة الجماعة: «شهادةَ ا للهِ» بالإضافة، غير أَنها بالإضافة أَفخم وأَشرف وأَحرى بترك كتمانها لإضافتها إلى ا لله سبحانه، وأَما أَ اللهِ مقصورة باجر فحكاها سيبويه: أَن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام، فيقول: أَ اللهِ لقد كان كذا، قال: وذلك لكثرة الاستعمال.

وأَما «آ لله» بالمد فعلى أَن همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم، أَلا تراك لا تجمع بينهما فتقول: أَو ا لله لأَفعلن؟.

وأَما سكون هاء «شهادة» فللوقف عليها ثم استؤنف القسم، وهو وجه حسن؛ وذلك لِيُستأْنف القسم فى أَول الكلام فيكون أَوقر له وأَشدّ هيبة من أَن يدرج فى عُرض القول؛ وذلك أَن القسم ضرب من الخبر يُذْكَر ليؤكّد به خبر آخر فلما كان موضع توكيد مُكِّنَ من صدر الكلام، وأُعطى صورة الإعلاءِ والإعظام.

ويزيد فى وضوح هذا المعنى وبيانه أَنه لما نَون شهادة فأَدرج وقَّر الهمزة عن حذفها كما يجب فيها من حيث كانت همزة وصل، فأَقرها مقطوعة كما تُقطع مبتدأَة، فقد جمع فى هذه القراءَة بين حالى الوصل والوقف.

أَما الوصل فلتنوين شهادة، وأَما الوقف فلإثباته همزة الوصل التى إنما تُقطع إِذا وُقف على ما قبلها ثم استؤنفت، والعناية بقطعها واستئنافها ما قدمت ذكره لك من تمكن حال القسم بتوفية اللفظ جميع وجوهها، وقطع ليكون فى حال إِدراجها فى لفظ المبدوء بها لا الآتية مأتى النَّيِّف الذى لم يُوَفَّ من صدر الكلام ما يجب لها، فافهمه.

ويؤكد عندك شدة الاهتمام بهذا القسم لما فيه - مجيئُه وحرفُ الاستفهام قبله، فكأَنه - وا للهِ أَعلم - قال: أَنقسم بـا لله إِنَّا إِذًا لمن الظالمين، ففى هذا تهيب منهم للموضع، وتكعكع عن القسم عليه باستحقاق الظلم عنه، كأَنه يريد القسم بـا لله عليه كما أَقسم فى الأُخرى بلا استفهام، ثم إِنه هاب ذلك فأَخذ يشاور فى ذلك كالقائل: أَؤقدِم على هذه اليمين يا فلان أَم أَتوقف عنها إِعظاما لها ولارتكاب ما أُقسم عليه بها؟.

* * *

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

من ذلك قراءَة الأعرج: «وَهُمْ لاَ يُفْرِطُونَ»(١).

قال أَبو الفتح: يقال: أَفرط فـي الأَمر إِذا زاد فيه، وفرّط فيه: إِذا قصّر، فكما أَن قراءَة العامة: ﴿لا يُفَرِّطون﴾ (٢): لا يقصرون فيما يؤمرون به من تَوَفيٍّ من تحضر منيته - فكذلك أَيضًا لا يزيدون، ولا يَتَوَفَّوْن إِلا من أُمِرُوا بتوَفِّيه. ونظيره قوله جل وعز: ﴿وكُلُّ شيء عِنْدَهُ بِمِقْدَار﴾(٣).

* * *

لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴿٧٤﴾

ومن ذلك قراءَة أُبيّ وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المدنى ويعقوب، ورُويت عن سليمانَ التيمى: «لأَبيه آزَرُ»(٤).

وقرأَ ابن عباس بخلاف: «أَأَزْرًا تَتَّخِذ» (٥) بهمزتين، استفهام، وينصبُهما، وينوّن.

وقرأَ أَبو إِسماعيل رجل من أَهل الشام: «أَئزرًا» - مكسورةَ الألف منونة - «تتّخذ»(٦).

---

(١) وقراءة عمرو بن عبيد. انظر: (القرطبى ٧/٧ والكشاف ١٩/٢، البحر المحيط ١٤٨/٤).

(٢) سورة الأنعام الآية (٦١).

(٣) سورة الرعد الآية (٨).

(٤) انظر: (الطبرى ٤٦٧/١١، الكشاف ٢٣/٢، القرطبى ٢٣/٧، البحر ١٦٤/٤، النشر ٢٥٩/٢، الإتحاف ٢١١).

(٥) انظر: (القرطبى ٢٣/٧، الكشاف ٢٢/٢، البحر المحيط ١٦٤/٤).

(٦) وقراءة ابن عباس أيضًا. انظر: (النحاس ٥٥٨/١، الكشاف ٢٣/٢، القرطبى ٢٣/٧، البحر المحيط ١٦٤/٤، العكبرى ١٤٤/١).

قال أبو الفتح: أما «آزَرُ» فنداء، وأَما «أَئزْرًا» فقيل: «إِزْرًا» هو الصنم، وأَزْرا بالفتح أَيضًا.

* * *

قِنۡوَانٌ ﴿٩٩﴾

ومن ذلك قراءَة الأعرج: «قَنْوَان» (١)، بالفتح.

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون قَنْوَان هذا اسما للجمع غير مكسر، بمنزلة رَكْب عند سيبويه والجامل(٢) والباقر (٣)؛ وذلك أَن فَعْلان ليس من أمثلة الجمع.

وقرأت على أبى علىّ فى بعض كتب أبى زيد قوله(٤):

خلع الملوكَ وسار تحت لوائِه ... شَجَرُ العُرا وعُرَاعِرُ الأَقوام

وقال أبو زيد: عُراعِر جمع عُرْعُرة، فقلت لأَبى على: كيف يكَون هذا وأَوله مضموم؟.

فقال: يعنى أَبو زيد إِنه اسم للجمع يفيد مفاد التكسير.

* * *

وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ ﴿١٠٠﴾

ومن ذلك قراءَة ابن يعمرَ: «وَخَلْقَهم»(٥) بجزم اللام.

قال أبو الفتح: أَى وخَلْق الجن، يعنى ما يَخْلُقونه: ما يأفكون فيه ويتكذّبونه. يقول: جعلوا له الجنَّ شركاء، وأَفعالَهم شركاء أَفعالِه أَو شركاءَ له إِذا عَنى بذلك الأَصنام ونحوها.

---

(١) وقراءة أبى عمرو، وهارون. انظر: (القرطبى ٤٨/٧، الكشاف ٢٢٣/١، البحر المحيط ١٨٩/٤، العكبرى ١٤٨/١).

(٢) هو القطيع من الإبل برعاته وأربابه، ورجُلٌ جامِلٌ: ذو جِمال. انظر: المعجم الوسيط «جمل».

(٣) هو جماعة البقر مع رعاتها. انظر: المعجم الوسيط «بقر».

(٤) هو المهلل. انظر: لسان العرب «عرعر».

(٥) انظر: (الطبرى ٧/١٢، القرطبى ٥٢/٧، الكشاف ٣١/٢، البحر المحيط ١٩٤/٤، والعكبرى ١٤٨/١، النحاس ٥٧٠/١).

ومن ذلك قراءة عُمَر وابن عباس «رضى الله عنهما»: «وَحَرَّفُوا له»[1]، بالحاءِ والفاءِ.

وقال أبو الفتح: هذا شاهد بكذبهم، ومثله ﴿يحرِّفون الكَلِمَ عَنْ مَواضِعه﴾[2]، وأَصله من الانحراف، أى الانعدال عن القصد، وكلاهما من حرْفِ الشىءِ؛ لأنه زائل عن المقابلة والمعادلة، وهو أيضًا معنى قراءَة الجماعة: «وخرَقُوا» بالخاء والقاف، ومعنى الجميع كَذبوا.

* * *

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ (١٠١)

ومن ذلك قراءَة إِبراهيم: «وَلَمْ يَكُن لَهُ صَاحِبةٌ»[3]، بالياء.

قال أبو الفتح: يحتَمِل التذكيرُ هنا ثلاثَة أَوجه:

أَحدها: أَن يكون فى «يكن» ضمير اسم الله، أى لم يكن الله له صاحبة، وتكون الجملة التى هى «له صاحبة» خبر كان.

والثانى: أَن يكون فى يكن ضميرُ الشأن والحديث على شريطة التفسير، وتكون الجملة بعده تفسيرًا له وخبرًا، كقولك: كان زيد قائم، أَى كان الحديث والشأن زيد قائم.

والثالث: أن تكون «صاحبة» اسم كان، وجاز التذكير هنا للفصل بين الفاعل والفعل بالظرف الذى هو الخبر، كقولنا: كان فى الدار هند.

ومثله ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: حضر القاضى اليوم امرأة.

وأنا أَرى أَن تذكير «كان» مع تأنيث اسمها أسهل من تذكير الأَفعال سواها وسوى أَخواتها مع فاعليها.

وكان فى الدار هند أَسوغ من قام فى الدار هند، وذلك أَنه إِنما احتيج إِلى تأنيث الفعل عند تأنيث فاعله لأَن الفعل انطبع بالفاعل حتى اكتسى لفظُه من تأنيثه، فقيل: قامت هند وانطلقت جُمْل، من حيث كان الفعل والفاعل يجريان مجرى الجزء الواحد،

(١) انظر: (البحر المحيط ٤/١٩٤، الكشاف ٢/٣١).

(٢) سورة النساء الآية (٤٦).

(٣) انظر: (الكشاف ٢/٣٢، البحر المحيط ٤/١٩٤).

وإنما كان ذلك كذلك لأن كل واحد منهما لايستغنى عن صاحبه، فـأنث الفعل إيذانًا بأن الفاعل الموقَع بعده مؤنث، وليس كذلك حديث كان وأخواتها؛ لأنه ليست «كـان» مع اسمها كالجزء الواحد، من قِبَل أنك لـو حذفـت «كـان» لاستقل مـا بعدهـا برأسـه، فقلت فى قولك: كان أخوك جالسًا: أخوك جالس، فلما أن قام ما بعدهـا برأسـه، ولم يَحتج إليها لم يتصل به اتصال الفاعل بفعله، نحو قام جعفر وجلس بِشر.

ألا تراك لو حذفت الفعل هنا لانفرد الفاعل جزءا برأسه، فلم يستقِل بنفسه استقلال الجملة بعد «كان» بنفسها؟ فلما لم تَقْو حاجته إلى «كان» قوة حاجة الفـاعل إلى الفعل انحطت رتبته فى حاجته إلى «كان»، فامتاز منها امتيازا قد أحطنـا بـه، فسـاغ لذلـك ألا يلزمَ تأنيث «كان» لاسمها إذا كان مونثا - تأنيث الفعل لفاعله إذا كان مؤنثًا، ولم يذكـر أحد من أصحابنا هذا فافهمه؛ فإن هذه حاله.

* * *

دَرَسَتَ (١٠٥)

ومن ذلك قراءَة ابن عباس بخلاف وقتادة، ورُويت عـن الحسـن: «دُرِسَتْ»(١). ابن مسعود وأبى: «دَرَسَ»(٢). ابن مسعود أيضًا: «درسْن»(٣).

قال أبو الفتح: أما «دُرِسَتْ» ففيـه ضمـير الآيـات، معنـاه وليقولـوا درستها أنـت يـا محمد، كالقراءَة العامة «دارسْتَ»(٤).

ويجوز أن يكون «دُرِسَتْ» أى عفَت وتنوسيت؛ لقراءَة ابـن مسـعود: «دَرَسْـن»، أى: عفون، فيكون كقوله: ﴿**إنْ هذا إلاَّ أساطيرُ الأولين**﴾(٥)، ونحو ذلك.

---

(١) وقراءة زيد بن على. انظر: (معانى القـرآن للفـراء ٣٤٩/١، الطـبرى٢٦/١٢، القرطبـى ٥٩/٧، البحر المحيط ١٩٧/٤، تهذيب اللغة، لسان العرب «درس»).

(٢) وقراءة طلحة، والأعمـش. انظر: (معـانى القـرآن للفـراء ٣٤٩/١، الطبرى ٣٠/١٤، القرطبى ٦٠/٧، البحر المحيط ١٩٧/٤).

(٣) وقراءة الحسن. انظر: (البحر المحيط ١٩٧/٤، روح المعانى ٢٥٠/٧).

(٤) قراءة عبدالله بن عباس، ومجاهد، وابن كثير، وأبى عمرو، وابن محيصن، واليزيدى. انظر: (معانى القـرآن للفـراء ٣٤٩/١٠، معـانى القـرآن للأخفـش ٢٨٥/١، مجمـع البيـان ٢٢٦/١، الطـبرى٢٦/١٢، القرطبى ٧/ ٥٨، البحـر المحيط ١٩٧/٤، الكشـاف ٣٣/٢ النشـر ٢٦١/٢، الإتحاف ٢١٤، غيث النفع ٢١٣، العنوان ٧٦، تهذيب اللغة، لسان العرب «درس»).

(٥) سورة الأنعام الآية (٢٥).

وأما «دَرَس» ففيه ضمير النبى ﷺ، وشاهد هذا دارست، أى فإذا جئتهم بهذه القصص والأنباء قالوا: شىء قرأه أو قارأه فأتى به، وليس من عند الله، أى يَفعل هذا بهم لتقوى أثرة التكليف عليهم زيادة فى الابتلاء لهم كالحج والغزو وتكليف المشاق المستحقِّ عليها الثواب. وإن شئت كان معناه فإذا هم يقولون كذا، كقوله: ﴿فالْتَقَطَه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عدُوًّا﴾[1]، أى: فإذا هو عدو لهم.

* * *

فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا ﴿١٠٨﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وأبى رجاء وقتادة وسلاَّم[2] ويعقوب وعبدالله بن يزيد: «فَيَسُبُّوا اُ للهَ عُدُوًّا» [3].

ورُوى عنهم أيضًا: «بَغْيًا وعُدُوًّا»[4].

قال أبو الفتح: العَدْوُ والعُدُوُّ جميعًا: الظلم والتعدى لِلْحق، ومثلهما العُدوان والعَداء، قال الراعى:

كتبوا الدُّهَيْمَ على العَداء لمسرِفِ ... عادٍ يريدُ خِيانَةً وغُلُولا

ومثله الاعتداء قال أبو نُخَيْلَة:

ويعتدى ويعتدى ويعتدى ... وهو بعين الأَسَدِ المُسَوَّد

ومِثلُ العُدُوِّ والعَدْو من التعدى الرُّكوب والرَّكب. قال:

أو رَكْب البراذين

يريد ركوب.

* * *

(١) سورة القصص الآية (٨).

(٢) هو سلام بن سليمان الطويل البصرى، ثم الكوفى، ثقة، جليل، ومقرئ كبير توفى سنة ١٧١هـ انظر: (طبقات القراء ١/٣٠٩).

(٣) وقراءة عثمان بن سعد. انظر: (البحر المحيط ٤/٢٠٠، الكشاف ٢/٣٣، مجمع البيان ٢/٣٤٧، النشر ٢/٢٦١).

(٤) سورة يونس الآية (٩٠).

وَنَذَرُهُمْ ﴿١١٠﴾

ومن ذلك قراءة الحسن وأبى رجاء وقتادة وسلام ويعقوب وعبدالله بن يزيد والأعمش والهمَدانى: «ويذَرْهُم» (١)، بالياءِ وجزم الراءِ.

قال أبو الفتح: قد تقدم ذكر إسكان المرفوع تخفيفًا، وعليه قراءَة من قرأ أيضًا: «وما يُشعِرْكُمْ» بإسكان الراءِ، وكأَنَّ «يشعرْكم» أعذر من «يَذَرْهُم»؛ لأن فيه خروجًا من كسر إلى ضم، وهو فى «يَذَرْهُم» خروج من فتح إلى ضم.

* * *

وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم ﴿١١٩﴾

ومن ذلك قراءَة عطية العَوْفِى: «وَقَدْ فَصَلَ لَكُم» (٢)، خفيفة.

قال أبو الفتح: هو من قولك: قد فَصَل إِليكم وخرج نحوكم.

* * *

وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴿١١٣﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن وابن شرف: «ولْتصْغَى (٣)- ولْيَرْضَوْه - ولْيقترِفُوا»(٤) بجزم اللام فى جميع ذلك.

قال أبو الفتح: هذه اللام هى الجارة، أعنى لام كى، وهى معطوفة على الغرور من قول الله تعالى: ﴿يُوحِى بعضُهم إلى بَعْض زُخْرُف القَوْلِ غُرُورًا﴾(٥)، أى للغرور، «ولأنْ تَصْغى إِليه أَفئدةُ الذين لا يؤمنون بالآخرة، ولِيَرْضَوْهُ، ولِيقترفوا ما هم مقترفون»، إلا أن إسكان هذه اللام شاذ فى الاستعمال على قوته فى القياس، وذلك لأن هذا الإسكان إنما كثر عنهم فى لام الأمر نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا

---

(١) وقراءة النخعى. انظر: (البحر المحيط ٢٠٤/٤، مجمع البيان ٣٤٨/٢).

(٢) انظر: (القرطبى ٧٣/٧، البحر المحيط ٢١١/٤).

(٣) انظر: (مجمع البيان ٣٥١/٢، البحر المحيط ٢٠٨/٤، النحاس ٥٧٦/١).

(٤) انظر: (القرطبى ٦٩/٧، ٧٠، البحر المحيط ٢٠٨/٤، الإتحاف ٢١٥).

(٥) سورة الأنعام الآية (١١٢).

﴿نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا﴾(١)، وإنما أسكنت تخفيفًا لثقل الكسرة فيها، وفرقوا بينها وبين لام كى بأن لم يسكنوها، فكأنهم إنما اختاروا السكون للام الأمر، والتحريك للام كى من حيث كانت لام كى نائبة فى أكثر الأمر عن أنْ، وهى أيضًا فى جواب كان سيفعل إذا قلت: ما كان ليفعل - محذوفة مع اللام البتة، فلمّا نابت عنها قوّوها بإقرار حركتها فيها؛ لأن الحرف المتحرك أقوى من الساكن، والأقوى أشبه بأن ينوب عن غيره من الأضعف.

نعم، وقد رأيناهم إذا أسكنوا بعض الحروف أنابوه عن حركته وعاقبوا بينه وبينها، وذلك نحو الجوارى، والغواشي: صارت الياءُ فى موضع الرفع والجر معاقِبة لضمتها وكسرتها فى قولك: هؤلاء الجوارى ومررت بالجوارى، فكأن لام كى على هذا إذا أُسكنت معاقبة لأن، وكالمعاقِبة أيضًا لكسرتها؛ فلذلك أقروها على كسرتها، ولم يجمعوا عليها منابَها فى أكثر الأمر عن أنْ، وقد ابْتُزَّت حركة نفسِها أيضًا.

وأيضًا فإن الأمر موضع إيجاز واستغناء، ألا تراهم قالوا: صه ومه، فأنابوهما عن الفعل المتصرف، وكذلك حاءِ وعاءِ وهاءِ.

* * *

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ﴿١١٧﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلمُ مَنْ يُضِلُّ عَن سَبِيله» (٢)، بضم الياء.

قال أبو الفتح: لا يجوز أن تكون مَنْ فى موضع جر بإضافة «أعلم» إليها، لا فيمن ضم ياءَ يُضل، ولا فيمن فتحها؛ من حيث كانت «أَعلم» أَفعل، وأَفعل هذه متى أُضيفت إلى شىء فهو بعضه، كقولنا: زيد أَفضل عشيرته؛ لأنه واحد منهم، ولا نقول: زيد أَفضل إخوته؛ لأنه ليس منهم، ولا نقول أيضًا: النبى ﷺ أفضل بنى تميم على هذا؛ لأنه ليس منهم، لكن تقول: محمد ﷺ أفضل بنى هاشم، لأنه منهم، والله يتعالى علوًا عظيمًا أن يكون بعضَ المضلين أو بعض الضالين.

فأما قوله تعالى: ﴿وأَضَلّه الله عَلَى عِلْمٍ﴾(٣) فليس من هذا، إنما تأويل ذلك - والله

---

(١) سورة الحج الآية (٢٩).

(٢) وقراءة أحمد بن أبى شريح. انظر: (الإتحاف ٢١٦، البحر المحيط ٢١٠/٤، والقرطبى ٧٢/٧، الكشاف ٣٦/٢).

(٣) سورة الجاثية الآية (٢٣).

أَعلـم – وجـدَه ضـالا، كقولـه: ﴿وَوَجَـدَكَ ضَـالاًّ فَهَـدى﴾(١)، وذلـك مشـروح فـى موضعه، فقوله أيضًا: «أَعْلَمُ مَنْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ»، أى يُجيرُه عن الحق ويصدّ عنه.

كما أن قراءَة من قرأ «أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سبيله»: مَـن يجـور عنـه، أَلا تـرى إلى قولـه قبل ذلك: ﴿وإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَـنْ فِـى الأَرْضِ يُضِلـوكَ عَـنْ سـبيلِ ا للهِ﴾ فـلا محالـة أَنـه سبحانه أَراد بمن يُضل عن سبيله، فحذف الباءَ وأَوصل «أَعلم» هــذه بنفسـها، أَو أَضمـر فعلا واصلا تدل هذه الظاهرة عليه، حتى كأَنه قال: يعلم، أَو علم مَن يُضِلُّ عن سـبيله. يؤكد ذلك ظهور الباء بعده معه فى قوله: ﴿وهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين﴾، وقولـه بعـده: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ بالمعْتَدِينَ﴾.

وقد يجوز أَن تكون «مَنْ» هذه مرفوعة بالابتداءِ ويُضِـل بعدهـا خـبر عنهـا، و«أَعْلَـم» هذه معلقة عن الجملة، حتى كأَنه قال: إِن ربك هو أَعلم أَيُّهم يُضِلّ عن سـبيله، كقولـه تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمدا﴾(٢).

فأَما الجر فمدفوع من حيث ذكرنا، وإِذا كان ذلك كذلـك علمـت أَن «مَـن» فـى قول الطائى:

غدوتُ بهم أَمَـدَّ ذَوِىَّ ظِـلاًّ ... وأَكثَرَ مَنْ ورائِى مـاءَ وادِى

.لا يجوز أَن تكون «مَنْ» فى موضع جر بإِضافة أَكثر إِليه؛ إِذ ليـس واحـدًا ممـن وراءَه، فهو إِذًا منصوب الموضع لا محالة بأَكثر أَو بما دل عليه أَكثر، أَى كَثَرتُهم: كنت أَكـثرَهم ماءَ واد.

ولا يجوز فيه الرفع الذى جاز مع العلـم، لأَن كـثَرت ليـس مـن الأَفعـال التـى يجـوز تعليقها، إِنما تلك ما كان من الأَفعال داخلا على المبتدأ وخبره، وأَظنني قد ذكـرت نحـو هذا فى صدر هذا الكتاب.

* * *

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ ﴿١٣٧﴾

ومن ذلك قراءَة أَبى عبدالرحمن السُّلمى: «وَكَذَلِكَ زُيِّـنَ لِكَثِـيرٍ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ قَتْـلَ أَوْلَادِهِـم شركاؤهِمْ»(٣).

---

(١) سورة الضحى الآية (٧)..

(٢) سورة الكهف الآية (١٢).

(٣) وقراءَة الحسن، وأَبى عبدالملك. انظر: (البحـر المحيـط ٢٢٩/٤، ٢٣٠، السبعة ٢٧٠، الكشـاف ٤٢/٢، مجمع البيان ٣٧٠/٢، معانى القرآن للفراء ٣٥٧/١، النشر ٢٦٣/٢، الإتحاف ٢١٧).

قال أبو الفتح: يحتمل رفع شركاء تأويلين:

أَحدهما: وهو الوجه، أَن يكون مرفوعًا بفعل مضمر دل عليه قوله: «زُيِّن»، كأَنه لما قال: زُيِّـن لكثير من المشركين قتلُ أَولادِهم: قيل: من زينه لهم؟ فقيل: زينه لهم شركاؤهم فارتفع الشركاء بفعل مضمر دل عليه «زُيِّن» فهو إِذًا كقولك: أُكِل اللحمُ زيدٌ، ورُكِب الفرَسُ جعفرٌ، وترفع زيدًا وجعفرا بفعل مضمر دل عليه هذا الظاهر. وإِياك وأَن تقول: إِنه ارتفع بهذا الظاهر لأَنه هو الفاعل فى المعنى؛ لأَمرين:

أَحدهما: أَن الفعل لا يرفع إِلا الواحد فاعلاً أَو مفعولاً أُقيم مقام الفاعل، وقد رفع هذا الفعلُ ما أُقيم مقام فاعلِه وهو «قَتْلُ أَوْلادِهم»، فلا سبيل له إِلى رفع آخر على أَنه هو الفاعل فى المعنى؛ لأَنَّك إِذ انصرفت بالفعل نحو إِسنادك إِياه إِلى المفعول لم يجز أَن تتراجع عنه فتسنده إِلى الفاعل، إِذ كان لكل واحد منهما فعل يخصه دون صاحبه، كقولك: ضَرب وضُرِب، وقَتَل وقُتِل. وهذا واضح.

والآخر: أَن الفاعل عندنا ليس المراد به أَن يكون فاعلاً فى المعنى دون ترتيب اللفظ، وأَن يكون اسما ذكرته بعد فعل وأَسندته ونسبته إِلى الفاعل، كقام زيد وقعد عمرو. ولو كان الفاعل الصناعى هو الفاعل المعنوى للزمك عليه أَن تقول: مررت برجلٌ يقرأُ، فترفعه لأَنه قد كان يفعل شيئًا وهو القراءَة، وأَن تقول: رأَيت رجلٌ يحدِّث، فترفعه بحديثه، وأَن تقول فى رفع زيد من قولك. زيد قام: إِنه مرفوع بفعله لأَنه الفاعل فى المعنى، لكن طريق الرفع فى «شركاؤهم» هو ما أَريتك من إِضمار الفعل له لترفعه به. ونحوه ما أَنشده صاحب الكتاب من قول الشاعر: (١)

لِيُبْكَ يزيد ضارِعٌ لِخصومة ... ومُخْتبِطٌ مما تُطِيحُ الطوائح(٢)

كأَنه لما قال: لِيُبك يزيد قيل: من يبكيه؟ فقال: ليبكه ضارع لخصومة. والحمل على المعنى كثير جدًا، وقد أَفردنا له فصلاً فى جملة شجاعة العربية من كتابنا الموسوم بالخصائص(٣).

---

(١) نسبه صاحب الكتاب للحارث بن نهيك (الكتاب ١/٢٨٨) قال محققه: والصواب أنه لنهشل ابن حرى (خزانة الأدب ١/١٥٢) حيث ذكر نسبته أيضًا: إلى لبيد، وإلى مزرد، وإلى الحارث ابن ضرار النهشلى.

(٢) انظر: (الخصائص ٢/٣٦٢ : ٤٤٣ باب فى شجاعة العربية).

(٣) انظر: (خزانة الأدب ١/١٤٧، العينى ٢/٤٥٤، شرح المفصل ١/٨٠) ويزيد هذا هو يزيد بن نهشل الذى رثاه بهذا الشعر. والضارع: الذيل الخاضع لخصومة، أى لأجل الخصومة، فهو=

فهذا هو الوجه المختار فى رفع الشركاء، وشاهده فى المعنى قراءة الكافة: ﴿وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قتلَ أَوْلادِهم شرَكاؤُهم﴾. ألا ترى أن الشركاءَ هم المزِّينون لا محالة؟.

وأَما الوجه الآخر: فأَجازه قطرب، وهو أَن يكون الشركاء ارتفعوا فى صلة المصدر الذى هو القتل بفعلهم، وكأنه «وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين أَنْ قَتَل شركاؤهم أَولادَهم» وشبَّهه بقوله: حبب إلى ركوب الفرس زيدٌ، أى أن ركبَ الفرسَ زيدٌ. هذا - لعمرى - ونحوه صحيح المعنى، فأَما الآية فليست منه، بدلالة القراءَة المجتمع عليها، وأَن المعنى أَن المزيّن هم الشركاءُ، وأَن القاتل هم المشركون، وهذا واضح.

* * *

وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ١٣٧

ومن ذلك قراءَة إبراهيم: «ولِيَلْبَسوا عليهم دينَهم»، بفتح الباء.

قال أَبو الفتح: المشهور فى هذا لَبست الثوب أَلبَسه، ولَبَست عليهم الأَمرَ أَلبِسُه. فإما أَن تكون هذه لغة لم تتأَدّ إلينا: لَبست عليهم الأَمر أَلبَسه، فى معنى لبَسْته أَلبِسه. وإما أَن تكون غير هذا، وهو أَن يراد به شدة المخالطة لهم فى دينهم، فالاعتراضُ فيه بينه وبينهم ليشكّوا فيه ولا يتمكنوا من التفرد به، كما أَن لابس الثوب شديد المماسة له والالتباس به، فيقول على هذا: لَبست إليك طاعتَك، واشتملْتُ الثقة بك، أى خالطت هذه الأَشياءَ وماسستها؛ تحققا بها وملابسة لها، وعليه قول القُلاخ السعدى:

نكسوهُمُ مخشونَــــةً لِباســـــا

يعنى السيوف. وقد مر به لَفْظًا البتة شاعرنا فقال(١):

=ينصره ويؤيده. والمختبط: طالب العرف. تطيح: تذهب وتهلك. والطوائح، أراد المطاوح لأنه جميع مطيحة، فجمعه على حذف الزيادة، كقوله تعالى: لواقح وواحدتها مُلقحة.

الشاهد فيه: رفع «ضارع» بإضمار فعل دل عليه ما قبله، تقديره: ليبك يزيد ضارع. انظر: (هامش الكتاب ١/٢٢٨).

(١) للمتنبى من قصيدة قالها عندما عزم سيف الدولة على لقاء الروم فى السَّنبُوس سنة أربعين وثلاثمائة وبلغه أن العدو فى أربعين ألفًا، فتهيبتهم أصحابه، فأنشدها أبو الطيب بحضرة الجيش، ومطلعها:

نزود ديــارًا مــا نُحــبُّ لهــا مغنــى ... ونسأل فيها غير ساكنهـــا الإذنـــا

انظر: (شرح ديوان المتنبى ٤/٢٩٩).

وإنا إذا ما الموت صرَّح فى الوغى لَبِسنا إلى حاجاتنا الضرب والطعنا(١)

فإما أَن يكون هذا الشاعر نظر إلى هذه القراءَة، وإما أَن يكون أراد المراد بها فسلك سنة قارئها، فاعرف ذلك ولا تقل ما يقوله من ضعفت نحيزته، وركت طريقته: هذا شاعر مُحْدث، وبالأمس كان معنا، فكيف يجوز أَن يحتج به فى كتاب الله جل وعز؟ فإن المعانى لا يرفعها تقدُّم، ولا يُزرى بها تأَخُّر. فأَما الأَلفاظ فلعمرى إن هذا الوضع معتبر فيها، وأَما المعانى ففائتة بأَنفسها إلى مغرسها، وإذا جاز لأَبى العباس أَن يحتج بأَبى تمام فى اللغة كان الاحتجاج فى المعانى بالموَلَّد الآخر أشبه.

* * *

وَحَرْثٌ حِجْرٌ (١٣٨)

ومن ذلك قراءَة أُبَىّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وابن الزبَير والأعمش وعكرمة وعمرو بن دينار: «حَرْثٌ حِرْج»(٢)، وقراءَة الناس: ﴿حِجْر﴾(٣).

قال أَبو الفتح: قد قدمنا فى كتابنا الخصائص(٤) صدرًا صالحًا من تقلب الأَصل الواحد والمادة الواحدة إلى صور مختلفة يَخْطِمِها كلها معنى واحد، وسمناه بباب الاشتقاق الأَكبر، نحو: «ك ل م»، «ك م ل»، «م ل ك»، «م ك ل»، «ل ك م»، «ل م ك». وإنها مع التأمل لها ولِين مَعطِف الفكر إليها آئلة إلى موضع واحد ومترامية نحو غرض غير مختلف، كذلك أَيضًا يقال: «ح ج ر»، «ج ر ح»، «ح ر ج»، «ر ج ح»، «ج ح ر». وأَما «ر ح ج» فمهمل فيما علمنا، فالتقاءُ معانيها كلّها إلى الشدة والضيق والاجتماع. من ذلك الحِجْر وما تصرف منه، نحو: انحجر، واستحجر الطين، والحُجرة وبقيته، وكله إلى التماسك فى الضيق. ومنه الحرَج: الضيق والجرح مثله، والحَرجَةُ: ما التفَّ من الشجر فلم يمكن دخولُه، ومنه الجُحر وبابه لضيقه، ومنه الجَرْحُ لمخالطة الحديد لِلَّحم وتلاحمه عليه، ومنه رجح الميزان، لأَنه مال أَحد شقيه نحو الأَرض؛ فقرب منها، وضاق ما كان واسعًا بينه وبينها.

---

(١) صرح: برز وظفر؛ والوغى: الحرب. يقول: إذا صار الموت صريحًا فى الحرب بارزًا ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرماح والضرب بالسيوف، أى: اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه. انظر: (شرح ديوان المتنبى ٤/٣٠٠).

(٢) انظر: (الطبرى ١٢/١٤٢، القرطبى ٧/٩٤، الكشاف ٢/٤٣، البحر المحيط ٤/٢٣١).

(٣) سورة الأنعام الآية (١٣٨).

(٤) انظر: (الخصائص ٢/١٣٥: ١٤١ باب فى الاشتقاق الأكبر).

فإن قلت: فإنه إذا مال أحدهما إلى الأرض فقد بعد الآخر منها، قيل: كلامنا على الراجح، والراجح هو الدانى إلى الأرض. فأما الآخر فلا يقال له: راجح فيلزمَ ما ألزمتَه، وإذا ثبت ذلك - وقد ثبت - فكذلك قوله تعالى: «حَرثٌ حِرْج» فى معنى حِجْر، معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة أن يَطعَمَها إلا من يشاءُون أن يُطعموه إيَّاها بزعمهم.

* * *

خَالِصَةٌ (١٣٦)

ومن ذلك قراءَة ابن عباس بخلاف والأعرج وقتادة وسفيان بن حسين: خالِصَةً[١] وقرأ «خالصا» [٢] سعيد بن جبير.

وقرأ «خالِصُه»[٣] ابنُ عباس بخلاف والزهرى والأعمش وأبو طالوت.

وقرأ «خالِصٌ»[٤] ابنُ عباس وابن مسعود والأعمش بخلاف.

قال أبو الفتح: أما قراءَة العامة: «خالِصةٌ» فتقديره: ما فى بطون هذه الأنعام خالِصَةٌ لنا، أى خالِصٌ لنا، فأنث للمبالغة فى الخُلوص، كقولك: زيد خالِصَتى، كقولك صَفِيِّى وثقتى، أى المبالغ فى الصفاء والثقة عندى. ومنه قولهم: فلان خاصَّتى من بين الجماعة، أى خاصِّى الذى يخصنى، والتاءُ فيه للمبالغة وليكون أيضًا بلفظ المصدر، نحو العاقبة والعافية، والمصدر إلى الجنسية، فهى أعم وأوكد.

ويدلك على إرادة اسم الفاعل هنا، أى خالص - قراءَةُ سعيد بن جُبير «خَالِصًا»، وعليه القراءَة الأخرى: «خَالِصٌ لذكورنا»، والقراءة الأُخرى «خالِصُه لِذكورنا». ألا تراه اسم فاعل وإن كان مضافا؟ لكن الكلام فى نصب خالِصًا وخالِصةً، وفيه جوابان:

---

(١) وقراءة ابن عباس، والأعرج، وقتادة، وابن جبير. انظر: (البحر المحيط ٢٣١/٤، القرطبى ٩٦/٧، الكشاف ٤٣/٢، مجمع البيان ٣٧٢،٢، معانى القرآن للفراء ٣٥٨/١٠).

(٢) انظر: (القرطبى ٩٦/٧، البحر المحيط ٢٣١/٤، معانى القرآن للفراء ٣٥٨/١).

(٣) وقراءة عكرمة، وأبى رزين، وابن يعمر، وأبى حيوة، والمطوعى. انظر: (الإتحاف ٢١٨، القرطبى ٩٦/٧، البحر المحيط ٢٣١/٤، الكشاف ٤٣/٢).

(٤) وقراءة ابن جبير، والضحاك، وابن أبى عبلة، وأبى العالية. انظر: (الطبرى ١٤٢/١٢، الكشاف ٤٣/٢، والقرطبى ٩٦/٧، معانى القرآن للفراء ١٠، ٣٥٨).

أَحدهما: أَن يكون حالا من الضمير فى الظرف الجارى صلة على «ما» كقولنا: الذى فى الدار قائمًا زيد.

والآخر: أَن يكون حالا من «ما» على مذهب أَبى الحسن فى إِجازته تقديم الحال على العامل فيها إِذا كان معنى بعد أَن يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا: زيد قائمًا فى الدار.

واحتج فى ذلك بقول الله تعالى: ﴿**والأَرضُ جميعًا قَبْضَتُه يَومَ القِيامة**﴾[1]، فيجوز على هذا فى العربية لا فى القراءَة؛ لأَنها سنة لا تخالف ﴿**والسمواتُ مطويات بيمينه**﴾[2].

فإِن قلت: فهل يجوز أَن يكون «خالِصًا» و«خالِصَةً» حالا من الضمير فى لنا؟ قيل: هذا غير جائز؛ وذلك أَنه تَقدَّم على العامِلِ فيه وهو معنى وعلى صاحب الحال، وهذا ليس على ما بيَّنَا.

ولا يجوز أَن يكون «خالصة» حالا من الأَنعام؛ لأَن المعنى ليس عليه، ولِعزَّة الحال من المضاف إِليه.

* * *

خُطُوَٰتِ ﴿١٤٢﴾

ومن ذلك قراءَة علىّ عليه السلام والأَعرج وعمرو بن عُبيد «خُطُؤات»[3] بالهمز مثقلا، وقرأَ «خَطَوات» أَبو السَّمال.

قال أَبو الفتح: أَما «خُطُؤات» بالهمز فواحدها خُطْأَة، بمعنى الخَطَأ. أثبت ذلك أَحمد ابن يحيى.

وأَما «خَطَوات» فجمع خَطْوة، وهى الفَعْلَة الواحدة من خَطوت، كغزوت غزوة، ودعوت دعوة. والمعنى لا تتبعوا خَطوات الشيطان، أى آثاره، لا تقتدوا به. وتقديره على هذا حذف المضاف، أى لا تتبعوا مواضع خَطوات الشيطان.

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٧).

(٢) سورة الزمر الآية (٦٧).

(٣) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/٥٨٦).

وإن شئت أجريته على ظاهره من غير تقدير حذف كقولك: لا تتبع أفعال المشركين، ولا تأتم بأديان الكافرين. ومَن قرأ «خُطُوات» بلا همز فأمره واضح، وهو جمع خُطْوة، وهى ذَرْع ما بين القدمين. وهذا واضح.

* * *

ٱلضَّأْنِ ﴿١٤٣﴾

ومن ذلك قراءَة طلحة: «الضَّأَن»[١]، بفتح الهمزة.

قال أبو الفتح: الضّأْنُ جمعٌ، واحدته ضائِن وضائنة، وصرَّفوا فعله فقالوا: ضَئِنَت العَنْزَ ضَأَنًا، إذا أَشبهت الضأن. وأَما الضَّأَنُ بفتح الهمزة فى هذه القراءَة فمذهب أَصحابنا فيه وفى مثله مما جاءَ على فَعْل وفعَل وثانيه حرفُ حلق، كالنَّهْر والنَّهَر، والصَّخْر والصَّخَر، والنَّعْل والنَّعَل، وجميع الباب - أَنها لغات كغيرها مما ليس الثانى فيه حرفًا حلقيًا، كالنَّشْز والنشَز، والقصّ والقَصَص.

ومذهب البغداديين أن التحريك فى الثانى من هذا النحو إنما هو لأَجل حرف الحلق، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب وغيره، ويؤنسنى بصحة ما قالوه أنى أَسمع ذلك فاشيًا فى لغة عُقَيل، حتى لسمعت بعضهم يومًا قال: نَحَوَه، يريد نَحْوه. فلو كانت الفتحة فى الحاء هنا أَصلاً معتزمة غير إتباع لكونها حرفًا حلقيًا لوجب إعلال اللام التى هى واو أَلفا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، كعَصَاة وشَجَاة، فكان يقال: نحاة، وهذا واضح، غير أن لأَصحابنا ألا يقبلوا من اللغة إلا ما روى عن فصيح موثوق بعربيته، ولست أُثبت هذه الفصاحة المشروطة لمن سمعت منه هذه اللفظة، أعنى نَحَوه.

* * *

تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴿١٥٤﴾

ومن ذلك قراءَة ابن يَعْمَر: «تَمَامًا عَلَى الَّذى أَحْسَنُ»[٢].

قال أَبو الفتح: هذا مستضعف الإِعراب عندنا؛ لحذفك المبتدأ العائد على الذى؛ لأَنَّ

(١) انظر: (القرطبى ٧/١٠٤، البحر المحيط ٤/٢٣٩، النحاس ١/٥٨٧، العكبرى ١/١٥٣).

(٢) وقراءَة الحسن، والأعمش، وابن أبى إسحاق. انظر: (الإتحاف ٢٢٠، الكشاف ٢/٤٩، معانى القرآن للفراء ١/٣٦٥، والطبرى ١٢/٢٣٦، القرطبى ٧/١٤٢، البحر المحيط ٤/٢٥٠، أمالى ابن الشجرى ٢/٢٣٥، همع الهوامع ١/٣١٢، شرح الكافية ١/٢٤٩، مغنى اللبيب ١/١٥٤).

تقديره: تماما على الذى هو أَحسن، وحذف «هو» من هنا ضعيف؛ وذلك أنه إنما يُحذفُ من صلة الذى - الهاءُ المنصوبة بالفعل الذى هو صلتها، نحو مررت بالذى ضربتَ أى ضربته، وأكرمتُ الذى أهنتَ أى أهنتَه، فالهاءُ ضمير المفعول، ومن المفعول بُدٌّ، وطال الاسم بصلته، فحذفت الهاء لذلك. وليس المبتدأ بنَيف ولا فضلة فيحذفَ تخفيفًا، لاسيما وهو عائد الموصول، وأَن هذا قد جاءَ نحوه عنهم. حكى سيبويه عن الخليل: «ما أنا بالذى قائل لك شيئًا وسواءًا»، أى بالذى هو قائل، قال[1]:

لم أَر مثل الفتيـــان فى غَبن الـــــ أيام ينسَـــوْن ما عواقبهـــا[2]

أَى ينسون الذى هو عواقبها.

ويجوز أَن يكون «ينسون» معلَّقة كما علقوا نقيضتها التى هى يعلمون، وتكون «ما» استفهاما وعواقبها خبرُ «ما»، كقولك: قد علمت مَن أَبوك وعرفت أَيُّهم أَخوك؟، وعلى الوجه الأَول حَمَله أَصحابُنا.

* * *

مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴿١٥٧﴾

ومن ذلك قراءَة يحيى وإبراهيم: «مِمَّنْ كَذَب بآياتِ ا للهِ»[3]، خفيفة الذال.

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون دخول الباء هنا حملا على المعنى، وذلك لأنه فى معنى مكَر بها، وكفر بها. وما أَكثر هذا النحو فى هذه اللغة، وقد ذكرناه فيما مضى. ومنه قوله:

أَلـم يأْتيـك والأنبـاءُ تَنمـــى بمـا لاقت لبـونُ بنى زيـــاد[4]

زاد الباء فى بما لاقت لما كان معناه أَلم تسمَعْ بما لاقت لبونهم، وفيه ما أَنشدَناه أَبو على[5]:

---

(١) لعدى بن زيد من أبيات ذكرها صاحب الأغانى ١٣٩/٢، يقول فيها:

لم أر مثـل الفتيـان فـى غَبَـن الأ يـام ينسـون مـا عواقِبُهـا

ينســون إخوانهــم ومصرعهــم وكيــف تعتــافُهُم مخالبهُـا

مـاذا تُرجـى النفـوسُ مـن طلـب الخير وحـب الحيــاة كاربُهــا

تظن إن لن يصيبها عنتُ الدهــرِ وريبُ المنــون صائبُهــا

(٢) يقول: الأيام تغبن الناس فتخدعهم وتختلهم مثل الغبن فى البيع.

(٣) انظر: (البحر المحيط ٢٥٨/٤، العكبرى ١٥٤/١).

(٤) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٣٠٠).

(٥) لأفنون التغلبى. انظر: لسان العرب «رأم» «علق».

أَم كيف ينفعُ ما تعطى العَلوقُ بـــه رئْمانَ أَنف إِذا ما ضُمـــنَّ باللبـــن

أَلحق الباءَ فى به لَمّا كان تعطى فى معنى تسمح به، أَلا تراه قال فى آخر البيت: إِذا ما ضُنَّ باللبن؟ فالضن نقيضُ السماحة والبذل.

* * *

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ (١٥٨)

ومن ذلك قراءَة زُهَير الفُرْقُبى(١): «يَوْمُ يَأَتى بَعْضُ آياتِ رَبِّك»، بالرفع.

قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون ارتفاع اليوم بالابتداء، والجملة التى هى قوله تعالى: ﴿لاَ يَنْفَع نَفْسًا إِيمانُها لَم تكن آمنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كسَبَتْ فى إِيمانِها خَيْرًا﴾ خبر عنه، والعائد من الجملة محذوف لطول الكلام والعلم به، وإِذا كانوا قد قالوا: السمنَ مَنَوان بدرهم، فحذفوا وهم يريدون «منه» مع قِصرِ الكلام كان حذف العائد هنا لطول الكلام أَسوغ، وتقديره لا ينفع فيه نفسًا إِيمانها. ومثله قولهم: البُرُّ الكُرُّ بستين، أَى الكُرُّ منه.

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الذين آمنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْر منْ أَحْسَنَ عملاً﴾(٢) ثلاثة أَقوال:

أَحدها: أَن يكون على حذف العائد، أَى إِنا لا نضيع أَجر من أَحسن عملاً منهم، وله نظائر كثيرة، لكنا نحذف الإِطالة إِذ كان هذا كتابًا مختصرًا ليقرب على القراء ولا يلطُف عنهم، وقد كان شيخنا أَبو على عمل كتاب الحجة فى قراءَة السبعة، فأَغمضه وأَطاله حتى منع كثيرًا ممن يدعى العربية فضلاً على القَرَأَة - منه، وأَجفاهم عنه.

* * *

لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا (١٥٩)

ومن ذلك قراءَة أَبى العالية: «لا تَنْفع نفسًا إِيمانُها»(٣)، بالتاء فيما يروى عنه. قال ابن مجاهد: وهذا غلط.

---

(١) فى البحر المحيط ٤/٢٦٠: «زهير القروى».

(٢) سورة الكهف الآية (٣٠).

(٣) وقراءة ابن سيرين. انظر: (القرطبى ٧/١٤٨، البحر المحيط ٤/٢٦٠، الكشاف ٢/١٥٠، مغنى اللبيب ٢/١١٣).

قال أبو الفتح: ليس ينبغى أَن يُطْلَق على شىء له وجه من العربية قائم وإن كان غيره أقوى منه - أنه غلط. وعلى الجملة فقد كثر عنهم تأنيث فعل المضاف المذكر إذا كانت إضافته إلى مؤنث، وكان المضاف بعض المضاف إليه أو منه أو به. وأنشدنا أبو على لابن مقبل: (١)

قد صرَّح السيرُ عن كُتْمَانَ وابتُذِلت وقعُ المحاجن بالمَهْرية الذُّقُن

فأنث «الوقع» وإن كان مذكرًا لَمّا كان مضافًا إلى «المحاجن»، وهى مؤنثة، إذ كان الوقع منها. وكذلك قول ذى الرمة: (٢)

مشَيْن كما اهتزَّت رماح تَسفهت أعاليَهَا مرُّ الرياح النواسِم(٣)

فأنث «المَر» لإضافته إلى الرياح وهى مؤنثة، إذ كان المَر من الرياح، ونظائر ذلك كثيرة جدًا ولا وجه للإطالة بذكرها. فهذا وجه يشهد لتأنيث الإيمان إذ كان من النفس وبها.

وإن شئت حملته على تأنيث المذكر لَمّا كان يعبَّر عنه بالمؤنث، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿**فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾(٤) فتأنيث المِثل لأنه فى المعنى حَسَنة.

فإن قلت: فهلا حملته على حذف الموصوف، فكأنه قال: فله عشر حسنات أمثالِها. قيل: حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه قبلُ ليس بمستحسن فى القياس، وأكثر مأتاه إنما هو فى الشعر، ولذلك ضعف حملِ «دانية» من قوله تعالى: ﴿**ودانِيَة عليْهِمْ ظِلالُها**﴾(٥) على أنه وصف جنة، أى وجنةً دانية عليهم ظلالها عطفًا على جنة من قوله: ﴿**وجزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾ وجَنَّةً دَانِيةً عليهم ظِلالُها: لما فيه من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه حتى عطفوها على قوله: ﴿**مُتَّكِئِينَ فيهَا عَلَى الأَرَائِكِ**﴾ وَدَانِيةً عليهم ظِلالُها، فكانت حالاً معطوفة على حال قبلها، فلهذا يضعف أن يكون تقدير الآية على: فله عشر حسنات أمثالها، بل تكون أمثالها غير صفة: لكنه محمول على المعنى؛ إذ كن حسنات كما ترى.

---

(١) ذكره الفراء فى معانى القرآن ١/١٨٧ دون نسبته، وكذلك ذكر فى الخصائص دون نسبته ٢/٤٢٠.

(٢) انظر: (ديوان ذى الرمة ٦١٦، الكتاب ١/٥٢، ٦٥.

(٣) جعل النساء فى اهتزازهن، حين يمشين، بمنزلة الرماح تستخفها الرياح فتزعزعها. والنواسم: الضعيفة الهبوب، ويروى: «مرَضَ الرياح» فلا شاهد فيه.

(٤) سورة الأنعام (١٦٠).

(٥) سورة الإنسان (١٤).

وعليه أيضًا قوله تعالى: ﴿تلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيارة﴾(١)، لّما كان ذلك البعض سيارة في المعنى.

وحكى الأَصمعى عن أَبى عمرو قال: سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان لَغُوب، جاءَته كتابى فاحتقرها، قال: فقلت له: أَتقول جاءَته كتابى؟ فقال: نعم، أَليس بصحيفة؟ فلا تعجب إلا من هذا الأعرابى الجافى وهو يعلل هذا التعليل فى تأنيث المذكر، وليس فى شعر منظوم فيُحتمل ذلك له، إنما هو فى كلام منثور، فكذلك يكون تأنيث الإيمان. ألا تراه طاعة في المعنى؟ فكأنه قال: لا تنفع نفسًا طاعتها. والشواهد كثيرة، لكن الطريق التى نحن عليها مختصرة قليلة قصيرة.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ (١٥٩)

ومن ذلك قراءَة النخَعى وأَبى صالح مولى ابن هانئ، ويروى أَيضًا عن الأعمش ويحيى: «الذين فرَقُوا دِينهُمْ»(٢)، بالتخفيف.

قال أَبو الفتح: أَما «فَرَقوا» بالتخفيف فتأويله أَنهم مازُوه عن غيره من سائر الأَديان، هذا ظاهر «فرقوا» بالتخفيف. وقد يحتمل أَن يكون معناه معنى القراءَة بالتثقيل، أَى فَرَّقوه وعَضَّوْه أَعضاء، فخالفوا بين بعضه وبعض، وذلك أن فَعَل بالتخفيف يكون فيها معنى التثقيل.

ووجه هذا أَن الفعل عندنا موضوع على اغتراق جنسه، أَلا ترى أَنَّ معنى «قام زيد»: كان منه القيام، و«قعد»: كان منه القعود؟ والقيام - كما نعلم - والقعود جنسان، فالفعل إِذا على اغتراق جنسه، يدل على ذلك عمله فى جميع أَجزاءِ ذلك الجنس من مفرده ومثناه ومجموعه، ونكرته ومعرفته، وما كان فى معناه. وذلك قوله: قمت قومة وقومتين وأَلفَ قومة، وقمت قيامًا وقيامًا طويلا، وجلست جلوسًا وجلوسًا قصيرًا، وقمت القيام الذى تعلم. وقال: (٣)

لعمرى لقد أَحبَبْتُكَ الحبَّ كُلَّه(٤)

(١) سورة يوسف (١٠).
(٢) انظر: (القرطبى ١٤٩/٧، العكبرى ١٥٤/١، ١٥٥).
(٣) انظر: (الخصائص ٤٥٠/٢).
(٤) عجزه: «وزدتك حبًا لم يكن قبل يعرف».

وقالوا: قعد القرفصاء، وعَدَا البَشَكَى، ووثب الحَجَزى. فعمل الفعل فى جميع أجـزاء المصادر من لفظه ومن غير لفظه كما كان معناه - يدل على أن وضعه لاغتراق جنسـه؛ إذ الفعل لا يعمل من المصادر إلا فيما كان عليه دليل. ألا تراك لا تقـول: قمـت قعـودًا، ولا خرجت دخولا؛ لأنه لا دليل فى الفعل على ذلك؟ وهـذا واضـح مُتناهٍ فـى البيـان. وإذا كان كذلك عُلم منه وبـه أن جميـع الأفعـال ماضيهـا وحاضرهـا ومتلقاهـا مجـاز لا حقيقة. ألا تراك تقول: قمت قومةً؟ وقمت على ما مضـى دال علـى الجنـس، فوضعـك القومة الواحدة موضع جنس القيام، وهو فيما مضى وما هـو حـاضر وفيمـا هـو متلقـى مستقبل - من أذْهب شىء فى كونه مجازًا. ولذلك ما كان شيخنا أبـو علـى يقـول: إن قولنا قام زيد فى كونه مجازًا بمنزلة قول القـائل: خرجـت فـإذا الأسـد، يريـد بذلـك أن الأسد هنا لاغتراق الجنس، وإنما وَجد ببابه أسـدًا واحـدًا، فأطلقـه علـى جميـع جنسـه الذى لا يحيط به إلا خالقه، جل وعز.

فهذا كقولك: قام زيد فى وضعه إياه علـى البعـض وإن كـان مفـادُ «قـام» الاغـتراقَ للكل، إذ كان قيام زيد جزءًا مما لا يحاط بـه، ولا يحـاط الوهـم إلا علـى كـلاَ ولاَ علـى قصوره.

وهذا موضع يسمعه الناس منى ويتناقلونه دائمًا عنى، فيُكبرونه ويكثرون العجب بـه، فإذا أوضحته لم يسأل عنه استحياء، وكان يستغفر الله لاستيحاشة كان منه.

وكشفت هذا الموضع يومًا لبعض مـن كـان لـه مذهـب فـى المشـاغبة عفـا الله عنـا وعنه، فتوقف فيه، ثم قال: أو كذلك أفعال القديم عندك؟ فقلت: هذا موضع لا تعلُّـق له بذكر القدم والحـدوث، وإنمـا هـو طريـق مسـلوكة يتعاقبهـا القديـم والمحدَث تعاقبًـا واحدًا. ألا تراك تقول: خلق الله كذا؟ أفتظن أن هذا ينتظم كل خلق فى الوهـم؟ فـإن قلت: نعم، لزمك أن يكون هو الخالق لأفعال العباد، ومذهبك نـاف لهـذا عنـدك، فلمـا بلغ الموضعُ بنا إلى هذا أمسك، ثم مضى فقرأ شيئًا من كلام شيخنا فعاد معترفًا بما قلـت له منه، غير أننا أُعلمنا بذلـك أن العلـل عنـده مرويـة غـير مدريـة، وليسـت بحقـائق ولا عقلية.

* * *

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴿١١﴾

من ذلك قراءَة أبى جعفر: «ثم قلنا لِلْملائِكةُ اسْجُدُوا لآدم»(١)، بضم الهاءِ.

قال أَبو الفتح: هذا مذهب ضعيف جدًا، وذلك أن الملائكة مجرورة، ولا يجوز أن يكون حذَف همزة اسجدوا وألقى حركتها على الهاءِ، من موضعين:

أَحدهما: أَن هذا التخفيف إنما هو فى الوصل، والوصل يحذف هذه الهمزة أَصلاً إِذ كانت همزة وصل، فياليت شعرى من أَين له همزة أَصلا فى الوصل حتى يُلقى حركتها للتخفيف - على ما قبلها، وليست كذلك الهمزات التى تُلقى للتخفيف حركاتهن على ما قبلهن؛ لأَنَّ لك أَن تثبت هذه الهمزة قبل حذفها للتخفيف؟ أَلا تراك أَنك إِذا خفَّفْت همزة أَنت من قولك: مَن أنت جاز منَ انت؛ لأَن لك أَن تحققها قبل التخفيف فتقول: من أَنت؟ وليس لك أَن تثبت همزة «اسجدوا» فى الوصل فتقول: للملائكة أُسجدوا فيجوز تخفيفها فيما بعد. وهذا واضح، وهو أذهب فى الفحش من قول الفراء: مَنْ فتح ميم مِن قوله تعالى: «أَلف لام ميم ا لله»(٢) إنه حذف همزة «ا لله» وأَلقى حركتها على ميم «ميمَ»؛ لأَن له أَن يقول: إِن الهجاءَ عندنا على الوقف، فإِذا وصَل فإِنه مع ذلك ينْوى الوقف، والوقف يجوز معه قطع همزة ا لله، وليس كذلك «ثُمَّ قُلْنَا لِلْملاَئِكَةِ اسْجُدُوا»، لأنه ليس من حروف الهجاء فيُنْوى فيه الوقف عليه ثم تخفف همزته، وعلى أَن مذهب الفراء هناك أَيضًا مدفوع عندنا لا يُخَفَّفُ إلا فى الوصل، والوصل يُسقط همزة اسم ا لله تعالى، فالطريق فى الفساد واحدة، وإِن كان فيه فى قول الفراءِ ذلك القدر من تلك الشبهة الضعيفة.

فإِن قال الفراءُ: قولهم: «نون والْقَلَمِ»(٣) بترك إِدغام النون فى الواو يدل أَن نية الوقف

---

(١) وقراءة ابن وردان. انظر: (الإتحاف ٢٢٢، النشر ٢/٢٦٧).

(٢) سورة آل عمران الآيتان (١، ٢).

(٣) سورة القلم الآية (١).

فى هذه الحروف مع الوصل موجودة، إذ لو كانت موصولة البتة لوجب الإدغام، وأن يقال: «نووّ القَلمِ»، كما تدغم النون فى الواو من قوله عز وجل: ﴿ما لَهُمْ مِن وَّلِيّ ولاَ نَصِيرٍ﴾[١].

قيل له: ولو كانت فى وصلها على حكم الوقف البتة عليها لوجب إظهار النون فقيل: «نون والقلم» بإظهار النون؛ لقولك فى الوقف: نون بإظهار النون، فترْك إظهار النون من قوله تعالى: ﴿ن والقلم﴾ يدل على نيّة الوصل، وإنما لم يكن هناك إدغام لعمرى تعقبًا لما كان عليه من الوقف، وإلا فهو موصول لا محالة، وإذا كان موصولاً وجب حذف الهمزة أصلا، وإذا حذفت أصلاً لم تجد هناك لفظًا تحقّقه أو تخففه.

ويؤكد ذلك عندك قراءتهم «كاف هايا عين صاد»[٢]، بإخفاء النون من عين عند الصاد، كما تُخفى فى الوصل إذا قلت: عجبت من صالح، ونحو ذلك.

فقد ترى إلى جريان هذا مع أنه حرف هجاء كجريانه فى حال وصله نون عين وسين قاف من قوله: عين سين قاف، فأخفيت النون من عين عند السين، والنون من سين عند القاف، كما تُخفيان فى: عن سالم، ومن قاسم.

ويؤكد أيضًا عندك إدغام الدال من صاد فى الذال مِن ذِكْر فى قوله: «عين صاد ذِكْر رحْمةِ ربِّك»[٣] كإدغامها فيها فى غير الهجاءِ، كقولك: تعهد ذلك الباب.

وهذا ينبهك على أن ترك إدغام النون من قوله: ﴿ن والقلم﴾ إنما هو لئلا يجتمع هناك ثلاث واوات، فثقل عليهم أن يقولوا: «نووَّ القَلَم»، ولو كان لنية الوقف البتة لظهرت الدال من «ص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ». هذا أعلى القراءَة وإن كان بعضهم قد أظهرها، إلاَّ أن الإدغام أقوى رواية وقياسًا. فهذا أحد وجهى قبح قراءَة أبى جعفر: «ثُمَّ قُلْنَا لِلمْلائِكَةُ اسْجُدُوا لآِدَمَ».

والآخر أن التخفيف فى نحو هذا إنما يكون إذا كان الحرف الأول قبل الهمزة ساكنًا صحيحًا نحو ﴿قد أفلح﴾[٤]، فإذا خففت الهمزة ألقيت حركتها على الساكن قبلها

---

(١) سورة الشورى الآية (٨).

(٢) سورة مريم الآية (١).

(٣) سورة مريم الآيتان (١)، (٢).

(٤) سورة المؤمنون الآية (١).

فقبلَها لسكونه، ثم حذفت الهمزة تخفيفًا، فقلت: «قَدَ فْلَحَ»، وكذلك مَن أبوك إِذا خففته قلت: منَ بُوكَ؟.

فأَما إِذا كان قبل الهمزة حرف متحرك وأَردت تخفيفها فإِنك لا تلقى حركة الهمزة عليه، أَلَا تراك لا تقول: فلان يضربَ خَاه، تريد: يضربُ أَخاه؟ لأَن باءَ يضرب متحركة، فما فيها من حركتها لا يسوِّغُ نقل حركة أُخرى إِليها عوضًا من حركتها، ولذلك ضعفت عندنا قراءَة الكسائى: «بما أُنْزِلَيْك»[(١)] لأَن اللام من أُنزل مفتوحة، فلا ينقل عليها كسرة همزة إِليك ثم يلتقى المثلان متحركين، فيسكن الأَول منهما، ويدغم فى الثانى كما جعُل فى قوله: ﴿لكِنَّا هُوَ ا اللهُ رَبِّى﴾[(٢)]، إِذِ كانت النون من لكن ساكنة فساغت حذفُ همزة أَنا وإِلقاءُ حركتها على النون قبلها، فصارت لكنَنَا، فكُره التقاءِ المثلين متحركين، فأُسكن الأَول منهما وأُدغم فى الثانى، فصار لكنّا كما ترى.

وقد ذكرنا هذا فى غير هذا الموضع من كلامنا مصنفًا وغير مصنَّف.

فإِن قلت: فما تصنع بما أَخبركم به أَبو على عن أَبى عبيدة من قول بعضهم: دعه فى حِرُمِّه، بضم الراءِ، وهو يريد فى حر أُمه؟ أَلا ترى كيف أَلقى حركة همزة «أم» على الراءِ، وقد كانت مكسورة ثم حذف الهمزة، وإِلى ما حكاه أَحمد بن يحيى من قول أَبى السرّار فى خبر ذكره عند سعيد بن سليم وابنُ الأَعرابى حاضرٌ من قول امرأَة رأَت أَبا السرّار عند بناتها، فأَنكرته: أَفى السَّوْتَنْتُنّه، وهى تريد أَفى السَّوْءَةِ «أَنْتُنّه»، فحذفت همزة أَنتنه وأَلقت حركتها على تاءِ السوءة وهى مكسورة؟.

قيل: هذا من الشذوذ بحيث لا يقاس على ضعفه، فضلا عنه على قلته.

وأَيضًا فإِنه حذف همزة ثابتة موجودة فى الوصل، وليست كذلك همزة «اسجدوا» لأَنها بلا خلاف معدومة فى الوصل أَصلاً، وما هو معدوم فى اللفظ لا يعْرِض فيه تخفيف ولا تحقيق.

فإِنْ توهّم متوهم أَنه يرى قطع همزة «اسجدوا» على ضعف ذلك، ثم فعل من بعدُ نحوا من حكاية أَبى عبيدة: دعه فى حِرُمِّه - فإِن هذا أَفحش، من حيث كانت همزة «اسجدوا» مما لا يجوز فى القرآن قطعه أَصلاً، لخبث ذلك فى الشعر فضلاً عن التنزيل وما يجب فيه من تخير أَفصح اللغات له.

---

(١) سورة المائدة الآية (٦٨).

(٢) سورة الكهف الآية (٣٨).

ويزيد فى قبح ذلك أنه إن نوى قطع همزة اسجدوا فإنما ذلك للوقف قبلها، والوقف هنا قبلها لا يجوز من حيث كان قوله: «اسْجُدوا لِآدَمَ» معمولَ قوله: «قلنا للملائكة»، ولا يحسن الوقف على الناصب دون منصوبه، بل لا يجوز الوقف على العامل دون معموله؛ لاتصاله به وكونه فى بعض الأماكن كالجزء من العامل فيه، نحو لا رجل فى الدار، ومررت بى، والمالُ لى، فيمن أسكن الياءَ، فهذا كله وما تركناه من نحوه يشهد بفساد قراءَة أبى جعفر: «لِلْملائِكةُ اسْجُدُوا».

* * *

مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾

ومن ذلك قراءَة الزهرى: «مَذُومًا مَدْحورا»[1].

قال أَبو الفتح: هذا على تخفيف الهمزة من «مَذْءوما»، كقولك فى مسئول: مسول.

فإن قلت: أَفيكون مِن ذِمتُه أَذيمة؟ قيل: لو كان منه لكان مَذِيما كمبيع ومكيل.

فإن قيل: فقد حكى الفراءُ: هذا بُرٌّ مَكُول، ورجل مسورٌ به، وقد قالوا فى مهيب: مَهوب.

قيل: هذا من الشذوذ فى منزلة القُصْيا، فلا يحسن الحمل عليه، وإنما ذكرناه لئلا يورده من يضعف نظره وهو يظنه طائلاً، فلا تحفل به.

* * *

سَوْءَاتِهِمَا ﴿٢٠﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن وأَبى جعفر وشيبة والزهرى: «سَوَّاتِهما»[2] بتشديد الواو.

قال أَبو الفتح: حكى سيبويه ذلك لغةً قليلة، والوجه فى تخفيف نحو ذلك أَن تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الواو قبلها فتقول فى تخفيف نحو السوءَة: السَّوَة، وفى تخفيف الجيئة: الجيَة. ومنهم من يقول: السَّوَّة والجيَّة، وهو أَدون اللغتين وأَضعفهما،

---

(١) وقراءَة الأعمش، والمطوعى، وأبى جعفر. انظر: (الإتحاف ٢٢٢، والقرطبى ١٧٦/٧، مجمع البيان ٤٠٤/٢، غيث النفع ٢٢١).

(٢) وقراءة أبى جعفر بن القعقاع. انظر: (البحر المحيط ٢٧٩/٤، غيث النفع ٢٢١، الكشاف ٥٧/٢، مجمع البيان ٤٥٤/٢).

ومنهم من يقول فى المنفصل من أَوْ أنت: أَوّنت، وفى أبو أيوب أبوّيوب، وهو فى المنفصل أسهل منه فى المتصل، لما يوهم «سَوَّةٌ» أنه من مضاعف الواو، نحو القوَّة والحُوَّة.

وقرأ: «سوْءَتِهما»(١) واحدة مجاهد.

ووجه ذلك أن السوءَة فى الأصل فَعْلَة من ساءَ يسوءُ، كالضربة والقتلة، فأتاها التوحيد من قِبل المصدرية التى فيها.

فإن قلت: إن الفَعلة واحدة من جنسها والواحد مُعرّض للتثنية والجمع.

قيل: قد يوضع الواحد موضع الجماعة وقد مضى ذلك مشروحًا.

* * *

هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴿١٩﴾

ومن ذلك قراءَة ابن مُحَيْصِن: «من هِذى الشَّجرةِ»(٢).

قال أبو الفتح: هذا هو الأصل فى هذه الكلمة، وإنما الهاءُ فى «ذه» بدل من الياءِ فى ذى، يدل على الياءِ الأصلِ: قولهم فى المذكر: «ذا»، فالألف فى ذا بدل من الياءِ فى ذى وأَصل ذا عندنا ذَى، وهو من مضاعف الياءِ مثل حيّ، فحذفت الياءُ الثانية التى هى لام تخفيفًا فبقى ذَىْ قال لى أبو على: فكرهوا أن يشبه آخره آخِرَ كَىْ وأَىْ، وأبدلوها ألفا كما أبدلت فى باءس ويايَس.

ويدل على أَن أصل ذا ذَىٌّ وأنه ثلاثى جواز تحقيره فى قولك: ذَيًّا، ولو كان ثنائيا لما جاز تحقيره كما لا تحقر «ما»، «ومَن» لذلك. وقد شرحت هذا الموضع فى كتابى الموسوم بالمنصف بما يمنع من الإطالة بذكره هنا.

فأما الياء اللاحقة بعد الهاء فى «هذهِى سبيلى»(٣) ونحوه فزائدة، لحقت بعد الهاءِ تشبيها لها بهاءِ الإضمار فى نحو مررت بهى، ووجه الشبه بينهما أن كل واحد من الاسمين معرفة مبهمة لا يجوز تنكيره، وإذا وَقَفْتَ قلتَ: هذهْ، فأسكنت الهاء. ومنهم

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٥٧، العكبرى ١/١٥٦، النحاس ١/٦٠٥، الإتحاف ١٢٢).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٥٦، مجمع البيان ٢/٤٠٤، العكبرى ١/١٥٦).

(٣) سورة يوسف الآية (١٠٨).

من يدعها على سكونها فى الوصل كما يسكنها عند الوقف عليها، كما أن منهم من يسكن الهاء المضمرة إذا وصلها فيقول: مررت بِهْ أمسِ، وذكر أبو الحسن أنها لغة لأزْدِ السَّراة، وأنشد هو وغيره[١]:

فظَلْت لدى البيتِ العتيق أُخيله ومِطْواى مُشْتاقانْ لَهْ أرِقان[٢]

وروينا عن قطرب قول الآخر:

وأشربُ الماءَ ما بى نحوَه عَطَشٌ إلا لأنَّ عيونَهْ سَيْلُ وادِيها

* * *

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا ﴿٢٢﴾

ومن ذلك قراءَة الزهرى: «يُخْصِفَان عليهما»[٣] من أَخْصَفْت، «ويَخِصِفان» الحسنُ بخلاف، وقرأ «يُخصِّفَان»[٤]، ابنُ بُرَيدة والحسنُ والزُّهرىّ والأعرج، واختلف عنهم كلهم.

قال أبو الفتح: مألوف اللغة ومستعملها خَصَفت الورق ونحوه، وأما أخصفت فكأنها منقولة من خصفت، كأنه - والله أعلم -: يُخْصِفان أنفسهما أو أجسامَهما من ورق الجنة، ثم حذف المفعول على عادة حذفه فى كثير من المواضع، أنشد أبو على للحطيئة:

منعَّمةٌ تصون إليك منها كصونك من رداءٍ شرْعبىٍّ

أى تصون الحديث وتخزُنه.

وأما قراءَة الحسن: «يَخِصِّفَان» فإنه أراد بها يختصفان يفتعلان من خصفت،

---

(١) ينسب ليعلى الأحول الأزدى. انظر: (خزانة الأدب ٢/٤٠١، الخصائص ١/١٢٩، والمنصف ٣/٨٤ دون نسبته.

(٢) يقال: ظِلتُ وظَلْلتُ بمعنى: ظِلْتُ، قال الله تعالى: ﴿الذى ظِلْتَ عليه عاكفًا﴾ [طه: ٩٧]. وضمير أخيله، وله: عائد إلى البرق فى بيت قبله، وهو:

أرقت البرق دونه شدوان يمان وأقوى البرق كل يمان

(٣) انظر: (القرطبى ٧/١٨١، الكشاف ٢/٥٨، البحر المحيط ٤/٢٨٠).

(٤) وقراءَة الأعرج، ومجاهد، وابن وثاب. انظر: (القرطبى ٧/١٨٠، الكشاف ٢/٥٨، البحر المحيط ٤/٢٨٠).

كقولهم: قرأت الكتاب واقترأته، وسمعت الحديث واستمعته؛ فآثر إدغام التاء فى الصاد فأسكنها، والخاءُ قبلها ساكنة، فكسرها لالتقاءِ الساكنين، فصارت «يَخِصِّفان».

وأما من قرأها «يخَصِّفَان»[١] فإنه أراد أيضًا إدغام التاءِ فى الصاد فأسكنها على العبرة فى ذلك، ثم نقل الفتحة إلى الخاءِ فصار «يَخَصِّفان».

ويجوز يِخِصِّفّانِ بكسر الياءِ فيمن كسر الخاء إتباعًا، كما قال أبو النجم:

تَدِافُـعَ الشِّيْـبِ ولم تِقِتِّـل[٢]

أراد تَقْتَتِل على ما ذكرت لك. ونحوٌ من ذلك القراءَةُ: يَهَدِّى[٣] ويَهِدِّى[٤] ويِهِدِّى[٥]، أصله كله يَهتدى على ما مضى.

وأما من قرأ: «يُخَصِّفَان» وهو ابن بُرَيدة والحسن أيضًا والأعرج، واختلف عنهم كلهم فهو يُفَعِّلان، كيُقطِّعان ويكسران، وهذا واضح.

* * *

وَرِيشًا ﴿٢٦﴾

ومن ذلك قراءَة النبى ﷺ وجماعةٍ عاصمٍ بخلاف: «ورِياشًا»[٦] بالفتح.

قال أبو الفتح: يحتمل رِيَاشٌ شيئين:

أحدهما: أن يكون جمع رِيش، فيكون كِشعْب وشِعاب ولِهْب، ولِهَاب، ولِصْب ولِصاب وِشقْب وشِقاب.

---

(١) وهم الحسن، ويعقوب، وبريدة، ومحبوب. انظر: (القرطبى ٧/١٨١، البحر المحيط ٤/٢٨٠، النحاس ١/٦٠٥).

(٢) سبق الاستشهاد به فى صفحة (١٤٠).

(٣) من سورة يونس الآية (٣٥)، قراءة ابن كثير وابن عامر وورش. انظر: (الإتحاف ١٥٠).

(٤) قراءة حفص ويعقوب. انظر: (الإتحاف ١٥٠).

(٥) هى قراءة أبى بكر. انظر: (المرجع السابق).

(٦) وقراءَة ابن عباس، وزيد بن على، وزر بن حبيش، وعثمان، ومجاهد، وقتادة، وأبى رجاء، وعلى ابن الحسين، وأبى عمرو، والحسن البصرى، وأبى عبدالرحمن السلمى. انظر: (الإتحاف ٢٢٣، البحر المحيط ٤/٢٨٢، الطبرى١٢/٣٦٣، القرطبى ٧/١٨٤، معانى القرآن للفراء ١/٣٧٥، معانى القرآن للأخفش ٢/٢٩٧، الكشاف ٢/٥٨).

والآخر: أن يكونا لغتين: فِعْلٌ وفِعَال. هكذا قال أبو الحسن، قال: وقال الكلابيون: الرياش: ما كان من لباس أو حشو من فراش أودِثار، والريش: المتاع والأموال. وقد يكون الريش فى الثياب دون المال. ويقال: هو حَسَنَ الريش، أى الثياب. والرياش: القِشر، وهما كما ترى متداخلان.

* * *

فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ (٣٤)

ومن ذلك قراءَة ابن سيرين: «فإذَا جَاءَ آجالُهم»(١).

قال أبو الفتح: هذا هو الظاهر؛ لأن لكل إنسان أجلاً. فأَما إفراد الأَجل فلأَنه جعله جنسًا، أَو لأَنه مصدر فأَتته الجنسية من قِبل المصدرية، وحَسن الإفراد لإضافته أيضًا إلى الجماعة، ومعلوم أَن لكل إنسان أَجلاً، وعليه جاءَ قوله: (٢)

فى حَلقِكم عظْم وقد شَجينا

لأَن لكل إنسان حلقًا، وتقول على هذا: رأسُ القوم صُلْبٌ، أى رءُوسهم صِلاَب. ويجوز أَن تقول: رأس القوم صِلاَب حملاً على المعنى.

وندع الإطالة بالشواهد إشفاقًا من الإطالة التى سئلنا اجتنابها على ما بينا فى صدر الكتاب.

* * *

إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ (٣٥)

ومن ذلك قراءَة أَبىّ بن كعب والأعرج والحسن: «إِمّا تأْتِيَنّكُمْ رُسُلٌ منكم» بالتاء.

قال أَبو الفتح: فى هذه القراءَة بعض الصنعة، وذلك لقوله فيما يليه: ﴿**يقُصُّون عَلَيكم آياتى**﴾(٣). فالأشبه بتذكير يَقُصُّون التذكير بالياء فى قراءَة الجماعة: ﴿**يأْتِينَّكُم**﴾، فتقول على هذا: قامت الزُّيود وقام الزيدون، وتَذكّر لفظ قام لتذكير

---

(١) والحسن. انظر: (الكشاف ٦١/٢، القرطبى ٢٠٢/٧، البحر المحيط ٢٩٣/٤).

(٢) نسبه فى لسان العرب «شجا» للمسيب بن زيد مناة.

(٣) سورة الأعراف الآية (٣٥).

الزيدون، وتؤنث لفظ قامت لأن الزيود مكسر ولا يختص بالتذكير، لقولك: الهنود. وقد يجوز قامت الزيدون، إلا أن قام أحسن.

* * *

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا ﴿٣٨﴾

ومن ذلك ما روى عن أبي عمرو: «حَتّى إذا إدّارَكُوا»(١) وروى عنه أيضًا: «حتى إذا» يقف ثم يقول: «تَدارَكُوا»(٢)، وظهور التاءِ فى تداركوا قراءَة ابن مسعود والأعمش.

وقراءَة أُخرى: «إذآ ادَّاركوا»(٣) قرأَ بها مجاهد وحُمَيد ويحيى وإبراهيم.

قال أبو الفتح: قَطْعُ أَبى عمرو همزة «ادّارَكوا» فى الوصل مشكل، وذلك أنه لا مانع من حذف الهمزة؛ إذ ليست مبتدأَة كقراءَته الأُخرى مع الجماعة. وأَمثل ما يصرف إليه هذا أَن يكون وقف على أَلف «إذا» مُمَيِّلاً بين هذه القراءَة وقراءته الأُخرى التى هى تداركوا، فلما اطمأَن على الألف لذلك القدر من التمييل بين القراءَتين لزمه الابتداءُ بأَول الحرف، فأثبت همزة الوصل مكسورة على ما يجب من ذلك فى ابتدائها، فجرى هذا التمييل فى التلوم عليه وتطاول الصوت به مجرى وقفة التذكر فى نحو قولك: قالوا - وأَنت تتذكر - الآن من قول الله سبحانه: ﴿**قالُوا الآن**﴾(٤)، فتثبُت الواو من قالوا لتَلوِّمِك عليها للاستذكار ثم تثبت همزة الآن، أَعنى همزة لام التعريف.

ومثله «اشْترُوُا» - إذا وقفت مستذكرًا «للضلالة»، فتضم الواو من اشتروا على ما كانت عليه من الضم لالتقاء الساكنين، ثم تشبع الضمة لإطالة صوت وقفة الاستذكار، فتُحدِث هناك واوًا تنشأ عن ضمة واو الضمير، ثم تبتدئ فتقول: «أَلضلالة»، فتقطع همزة الوصل لابتدائك بها، فهذا أَمثل ما يقال فى هذا.

ولا يحسن أَن تقول: إنه قطع همزة الوصل ارتجالا هكذا؛ لأَن هذا إنما يسوغ

---

(١) انظر: (القرطبى ٧/٢٠٤، البحر المحيط ٤/٢٩٦، العكبرى ١/٥٨).

(٢) وقراءة عبدالله بن مسعود، والأعمش، والمطوعى. انظر: (القرطبى ٧/٢٠٤، البحر المحيط ٤/٢٩٦، الإتحاف ٢٢٤).

(٣) وقراءة أبى عمرو، وعصمة. انظر: (القرطبى ٧/٢٠٤، حاشية يس ١/٨٨).

(٤) سورة البقرة الآية (٧١).

لضرورة الشعر. فأما في القرآن فمعاذ الله وحاشا أبى عمرو، ولاسيما وهذه الهمزة هنا إنما هي في فعل، وقلما جاءَ في الشعر قطع همزة الوصل في الفعل، وإنما يجيء الشيء النزر من ذلك في الاسم، نحو قول جميل[1]:

ألا لا أَرى إِثنين أَحسن شيمة   على حَدَثان الدهر مني ومن جُمْل[2]

وقول الآخر:

يا نفس صبرا كل حي لاق   وكل إِثنين إلى افتراق[3]

أَى لاق منيته، فحذف المفعول. وإِنما قل قطع همزة الوصل هذه فى الفعل وجاءَ ما جاءَ من ذلك في الاسم حيث كان الفعل مظنة من همزة الوصل، وإنما تدخل من الأَسماء ما ضارع الفعل.

وباب همزات الأَسماء أن تكون قطعًا، فلما غلب القطع عليها جرت الألسن على العادة في ذلك واستجازوا قطع همزة الوصل لما ذكرنا.

وليست حال همزة الوصل في الفعل كذلك؛ لأنها معتادة هناك فازداد قطعها من الفعل ضِيقَ عُذْرٍ لما ذكرنا.

فأَما «حتى إِذآ ادَّاركوا» بإِثبات أَلف إِذا مع سكون الدال من «ادَّاركوا» فإنما ذلك لأنه أَجرى المنفصل مجرى المتصل، فشبهه بشابَّة ودابَّة ونحو قولهم: لاها الله ذا بإِثبات الأَلف فى «ها»، وترك حذفها لالتقاء الساكنين كما حذفت في قول من قال: لا ها الله ذا.

وقال لى أَبو على: فيها أَربع لغات: لا هَا للهِ ذا بحذف الأَلف. ولاهآ الله ذا بمدها تشبيها بالمتصل على ما مضى في دابة. ولاهَآ أَ لله بإِثبات أَلف ها وهمزة الله بوزن لاها عَلَاّه ذا.

والرابعة: لاهَأَ لله ذا فى وزن هَعَلّه ذا، تحرك أَلف «ها» لا لالتقاء الساكنين وتقلبها

---

(١) (من الطويل) من قصيدته التى مطلعها:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى   بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

انظر: (ديوان العذريين ١٢٩).

(٢) جمل: كنية بثينة - حدثان الدهر: مصائبه.

(٣) ذكره في الخصائص ٤٧٧/٢ - أيضًا - دون أن ينسبه.

همزة كما قرأ أيوب السختياني: «ولا الضَّأَلِّين»[١] بوزن الضَعَلِّين. وعليه ما حكاه أبو زيد من قولهم: شأَبَّة ومأَدَّة.

ومثله أيضًا قراءَة أبى عمرو، ورويناها عن قطرب عنه: «قالوا اطّيْرنا»[٢] وحكى عن بعضهم: هذان عبدا الله.

وحكى عنهم: له ثلثا المال وهو أشد لأنه غيرُ مُدَّغم.

وقال بعضهم: يا الله، وبعضهم: يا أَلله، وبعضهم: يأَلله، وبعضهم: يالله، فحذف ألف يا لالتقاء الساكنين.

* * *

حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ ﴿٤٠﴾

ومن ذلك قراءَة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبى وأَبى العلاء بن الشِّخِّير، ورويت عن أَبى رجاء: «حتى يَلِج الجُمَّل»[٣]، وقرأ «الجُمَل»[٤] بضم الجيم وفتحة الميم مخففةً - ابن عباس وسعيد بن حُبير بخلاف وعبدالكريم وحنظلة ومجاهد بخلاف.

وقرأَ: «الجُمْلُ»[٥] بضم الجيم وسكون الميم - ابن عباس وسعيد بن جُبير بخلاف عنهما.

وقرأَ: «الجُمُل»[٦] بضمتين والميم خفيفة - ابن عباس.

وقرأَ أبو السَّمَّال: «الجَمْل»[٧] مفتوحة الجيم ساكنة الميم.

---

(١) سورة الفاتحة الآية (٧)، وسبق الإشارة إلى القراءة.

(٢) سورة النمل الآية (٤٧).

(٣) وقراءة عاصم، وأبان، والشعبى، وابن محيصن، وأبى رزين، وأبى مجلز، وشهر بن حوشب. انظر: (الإتحاف ٢٢٤، البحر المحيط ٢٩٧/٤، الطبرى ٤٢٨/١٢، القرطبى ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢).

(٤) وقراءة سالم، وقتادة، وابن مسعود، وأبى عمرو، والحسن. انظر: (الطبرى ٤٢٨،١٢، القرطبى ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢، لسان العرب، تهذيب اللغة «جمل»).

(٥) انظر: (القرطبى ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢، البحر المحيط ٢٩٧/٤).

(٦) وقراءة عطاء، والضحاك، والجحدرى. انظر: (القرطبى ٢٠٧/٧، الكشاف ٦٢/٢، مجمع البيان ٤١٧/٢).

(٧) وقراءة المتوكل، وأبى الجوزاء. انظر: (الكشاف ٦٢/٢، القرطبى ٢٠٧/٧، البحر المحيط ٢٩٧/٤).

قال أبو الفتح: أما «الجَمَّلُ» بالتثقيل «الجُمُل» بالتخفيف فكلاهما الحَبْل الغليظ من القِنب، ويقال: حبل السفينة، ويقال: الحبال المجموعة، وكله قريب بعضه من بعض.

وأما «الجُمْلُ» فقد يجوز في القياس أن يكون جمع جَمَل كأسدٍ وأُسْد ووَثنٍ ووُثْن، وكذلك المضموم الميم أيضًا كأُسُد.

وأما «الجَمْل» فبعيد أن يكون مخففا من المفتوح لخفة الفتحة وإن كان قد جاءَ عنهم قوله[١]:

وما كل مبتاع ولو سَلْفَ صَفْقَـهُ   براجـعِ ما قد فاتـه بِـرِداد[٢]

* * *

﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ٤٩﴾

من ذلك قراءَة عِكرمة: «لا يَنالُهُمْ ا لله برحمةٍ دَخلُوا الجنة»[٣].

وقرأ طلحة بن مُصرِّف: «برحمةٍ أُدْخِلُوا الجنة»، أى فُعِلَ ذلك بهم.

قال أبو الفتح: الذى فى هاتين القراءَتين خطابهم بقوله سبحانه: **﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**، وطريق ذلك أن قوله: **﴿أَهَؤلاء الّذين أَقْسمْتُمْ لا يَنالُهُمُ ا لله برَحْمَةٍ﴾** الوقف هنا، ثم يُستأنف فيقال: دَخَلوا الجنة، أَو أُدْخِلُوا الجنة، أى قد دخلوا أَو أُدْخِلُوا، وإِضمار قد موجود فى الكلام نحو قوله: **﴿أَوْ جَاءُوكم حَصِرَت**

---

(١) قال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب: ذكر ابن قتيبة أن هذا البيت للأخطل، ولم أجده فى ديوان شعره الذى رواه أبو على البغدادى، ولعله قد وقع فى رواية أخرى. انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٢١، وقد ورد فى ديوانه المطبوع ١٣٧).

(٢) قال البغدادى: على أن أصله سَلَفَ بفتح اللام، وتسكينُ العين المفتوحة شاذ ضرورة، قال سيبويه فى ذلك الباب: وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء، وذلك نحو جَمَلَ وحَمَل ونحو ذلك، انتهى. وقد أورده ابن عصفور فى كتاب الضرائر، فقال: فأما نقص الحركة فمنه حذفهم الفتحة من عين فَعَل مبالغة فى التخفيف، نحو قول الراجز:

على محالات عكسن عكسا   إذا تسداها طلابا غَلْسَا

يريد غَلَسًا وقول الآخر [من الطويل]: «وما كل مغبون ولو سَلْفَ صفقةُ». يريد سَلَفَ.

(٣) وقراءة النخعى، وابن وثاب. انظر: (القرطبى ٧/٢١٤، الكشاف ٢/٦٤، البحر المحيط ٤/٣٠٤).

صُدُورهم﴾[1] أى قد حصرت صدورهم، أى فقد دخلوا الجنة، فقال لهم: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحزَنُون﴾ وقد اتَّسَعَ عنهم حذف القول كقوله تعالى: ﴿يَدْخُلُون عليْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[2] أى يقولون لهم: سلام عليكم، وقال الشاعر:[3]

رَجْلان من ضبة أخبرانا ... إِنا رأينا رجلاً عريانا

أى قالا: إِنا رأينا، ولذلك كَسَر. هكذا مذهب أصحابنا فى نحو هذا من إِضمار القول.

وقد يجوز أن يكون قوله: ﴿لاَ خَوْفٌ عليكم ولا أَنْتُمْ تَحزَنُون﴾ قولاً مرتجلاً لا على تقدير إِضمار القول، لكن استأنف الله عز وجل خطابهم، فقال: «أُدْخِلوا الجنة»، كما استأنفه تعالى على القراءَة المشهورة وهى: ﴿أُدْخُلُوا الجنَّة﴾.

ومثله من ترك كلام إلى كلام آخرَ بيتُ الكتاب، وهو قوله: [4]

أَلا يا بيتُ بالعلياء بيتُ

أَلا تراه حمله على أنه نادى البيت، ثم ترك خطابه وأَقبل على صاحبه، فقال: بالعلياء بيتٌ، ثم رجع إلى خطاب البيت فقال له:

ولولا حب أَهلك ما أَتيت

وسألنى قديمًا بعض مَن كان يأخذ عنى، فقال: لَم لا يكون «بيتُ» الثانى تكريرًا على الأَول كقولك: يا زيدُ زيدُ، ويكون بالعلياءِ فى موضع الحال من البيت الأول، كما كان قول النابغة:

يا دارَ ميةَ بالعلياءِ[5]

---

(١) سورة النساء الآية (٩٠).

(٢) سورة الرعد الآية (٢٣).

(٣) قال فى الخصائص: وأنشد البغداديون، فذكره (الخصائص ٢/ ٣٤٠) وكذلك انظر: (البغدادى فى شرح شواهد المغنى ٢/٦٥٩).

(٤) هو لعمرو بن قنعاس كما فى الكتاب ٢/ ٢٠١، وأنشده فى اللسان (بيت) بدون نسبة. وعجزه: «ولولا حب أهلك ما أتيت». أراد: لى بيت غيرك بالعلياء، ولكن أوثرك عليه لأنى أحب أهلك وأودهم. وبعده:

ألا يا بيت قومك أبعدونى ... كأنى كل ذنب قد جنيت

أى: كأنى جنيت كل ذنب أتاه إليهم آت.

(٥) البيت بتمامه:

يا دار مية بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد=

قوله: «بالعلياء» فى موضع الحال، أى يا دار مية عالية مرتفعة، فيكون كقوله: [١]

يا بؤسَ للجهـل ضَـرَّارًا لأقوام[٢]

هذا معنى ما أورده بعد أن سـدّدت السؤال ومكنتـه، فقلـت: لا يجوز ذلـك هنـا؛ وذلك أنه لو كان البيت الثانى تكريرًا علـى الأول لقـال: لـولا حُـب أهلـكَ مـا أتيـت، فيكون كقولك: يا زيد لولا مكانك ما فعلت كـذا، وأنـت لا تقـول: يـا زيـد ولـولا مكانك لم أفعل كذا، فإذا بطل هذا ثبت ما قاله صاحب الكتاب من كونه كلامًـا بعـد كلام، وجملة تتلو جملة. وهذا واضح، فقوله على هذا: ﴿لاخَوْفٌ عَليكُـمْ﴾[٣] جملـة لا موضع لها من الإعراب من حيث كانت مرتجلة، وهى فى القول الأول منصوبـة الموضـع على الحال، أى دَخَلوا الجنة أو أُدْخِلوا الجنة مقولا لهم هذا الكلام الذى هو لا خـوف عليكم، وحُـذِف القـولُ وهـو منصـوب علـى الحـال، وأقيـم مقامـه قولـه: ﴿لا خوف عليكم﴾ فانتصب انتصابه، كما أن قولهـم: كلّمته فـاه إلى فِـى منصـوب علـى الحـال؛ لأنه نابَ عن جاعلا فاه إِلى فىّ، أو لأنه وقع موقع مشافَهة التى هى نائبة عـن مشـافِهها له.

* * *

أَوْنُـرَدُّ ﴿٥٣﴾

ومن ذلك قراءَة ابن أبى إسحاق: «أو نُرَدَّ»، بنصب الدال.

= انظر: (ديوان النابغـة ١٦، الكتـاب ٣٢١/٢، الإنصـاف ٢٦٩، خزانـة الأدب ١٢٥/٢، العينـى ٤٩٦/٤، ١٢٩/٨، همع الهوامع ٢٢٣/١، ٢٢٥، ١٥٨/٢).

العلياء والسند: موضعان. أقوت: خلت من أهلها.

(١) من قصيدة للنابغة الذبيانى قالها النابغة لزرعة بن عمرو العامرى، فقد كانت بنو عـامر قـد بعثـت إلى حصن بن حذيفة وعيينة بن حصن أن اقطعوا خلف ما بينكم وبين بنى أسد، وألحقوهـم بنـى كنانة، ونحالفكم، فنحن بنو أبيكم. فلما هم عيينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان: اخرجوا مـن فيكـم من الحلفاء ونخرج من فينا فأبوا، فقالها النابغة. انظر: (ديوانه ١٠٥).

(٢) صدره: «قالت بنو عامر خالوا بنى أسـد». انظـر: (ديوانـه ١٠٥، الكتـاب ٢٧٧/٢، الخصـائص ١٠٨/٣ الإنصـاف ٣٣٠، أمـالى ابـن الشـجرى ٨٠/٢، ٨٣، شـرح المفصــل ٦٨/٣، ١٠٤/٥، خزانة الأدب ٢٨٥/١، ١١٩/٢، همع الهوامع ١٧٣/١).

يا بؤس للجهل: اللام زائدة، وهذه اللفظة تأتى بها العرب على جهة التعنيف.

(٣) انظر: (الإتحاف ٢٢٥، البحر المحيط ٣٠٦/٤، القرطبى ٢١٨/٧).

قال أبو الفتح: الذى قبله مما هو متعلق به قوله: ﴿**فَهَلْ لَنَا مِن شُفعَاءَ فَيشفعوا لَنا**﴾، ثم قال: «أَوْ نُرَدَّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ»، فعطف «نرد» على «يشفعوا»، وهو منصوب لأنه جواب الاستفهام وفيه معنى التمنى، وذلك أنهم قد علموا أنه لا شفيع لهم، وإنما يتمنون أن يكون لهم هناك شفعاءُ، فيردوا بشفاعتهم، فيعلموا ما كانوا لا يعلمونه من الطاعة؛ فيصير به المعنى إلى أنه كأَنهم قالوا: إن نُرزق شفعاءَ يشفعوا لنا أَو نُرْدَدْ. وتقديره مع رفع نُرد على قراءَة الجماعة: إن نُرزق شفعاءَ يشفعوا لنا، وإن نردد نعمل غير الذى كنا نعمل. وذلك أنهم مع نصب «نرد» تمنوا الشفعاء وقطعوا بالشفاعة، وتمنوا الردّ أيضًا وضَمِنوا عمل ما لم يكونوا يعملونه، أى: إن نُردد نعمل غير الذى كنا نعمل كأَنه قال: أَو هل نرد فنعمل.

فأَما قوله سبحانه: ﴿**ياليتنا نُردُّ ولا نُكَذِّبُ بآياتِ ربِّنَا ونَكونُ**﴾[١] فقال فيه أَبو الحسن: إنهم إنما تمنوا الرد، وضَمِنوا أَلاَّ يُكَذِّبُوا، وهذا يوجب النصب لأنه جواب للتمنى، قال: إلا أنه عُطِف فى اللفظ والمراد به الجواب، وشَبَّهه بقول الله سبحانه: ﴿**وامسَحُوا بِرءُوسِكُمْ وأَرجلِكم**﴾[٢] بالجر، قال: فهى فى اللفظ معطوفة على المسح، وفى المعنى معطوفة على الغسل، قال ونحو منه: هذا جحر ضَبٍّ خَربٍ. وقرأها الحسن: «أَو تُريدُ فَنَعْملُ»[٣]، فهو على هذه القراءة على أنهم تمنوا إرادته عز وجل إيمانَهم وعملَهم.

فإن قيل: وكيف يصح تمنيهم إرادتَه منهم الإيمان، ومعلوم أنه هو المرادُ منهم لقوله سبحانه: ﴿**ومَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنْس إلاَّ لِيَعْبُدُونَ**﴾[٤] وغيره من الآى؟.

قيل: يكون معناه إرادة اقتسار لهم على الإيمان لا رَدٍّ منه تعالى الأَمرَ إليهم فيه، فيكون هذا كقوله: ﴿**ولوْ شَاءَ ربُّك لآمنَ مَن فى الأَرْضِ كلُّهم جميعًا**﴾[٥]، أى لو شاءَ مشيئة إلجاء أَو إكراه لا عَرْضٍ وترغيب.

وساغ فى هذه القراءَة تمنيهم العمل، إذ كان بلطف الله عز وجل لهم فيه وإعانته إياهم عليه.

---

(١) سورة الأنعام الآية (٢٧).

(٢) سورة المائدة الآية (٦).

(٣) وقراءَة أبى حيوة. انظر: (القرطبى ٢١٨/٧، الكشاف ٦٥/٢، البحر المحيط ٣٠٦/٤).

(٤) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٥) سورة يونس الآية (٩٩).

وإن شئت قلت: عطَف «نعملَ» بالرفع لفظًا وهو ينوى أنه جـواب، أى إن شاءَ الله ذلك مشيئة إجاء عملنا لا محالة، فيعطفه لفظا وهو يريد الجواب على ما مضى.

* * *

يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴿٥٤﴾

ومن ذلك قراءَة حُمَيد: «يَغْشَى»، بفتح الياءِ والشين، ونصب «الليل»، ورفع «النهار»[1].

قال أَبو الفتح: اتصال قوله تعالى: «يَغْشَى الليلَ النهار» بقوله: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ اتصال الحال بما قبلها، ويكون هناك عائد منها إلى صاحبها وهو الله تعالى، أَى يَغشَى الليلَ النهارُ بأَمره أَو بإذنه، وحُذف العائد كما يحذف من خبر المبتدأ فى نحو قولهم: السَّمْنُ مَنوان بدرهم، أَى منوان منه بدرهم.

ودعانا إلى إضمار هذا العائد أَن تتفق القراءَتان على معنى واحد، أَلا ترى إلى قراءَة الجماعة: ﴿**يُغْشِى الليلَ النهارَ**﴾، وأَن هذه الجملة فى موضع الحال، أَى استوى على العرش مُغْشِيًا الليلَ النهار، أَى استوى عليه فى هذه الحال. فقوله إذًا: ﴿**يطْلُبُه حثِيثًا**﴾ بدل من قوله: «يَغْشَى الليلَ النهارُ» للتوكيد، وهو على قراءَة الجماعة: «يُغْشى»[2] أَو «يُغَشِّى»[3] حالٌ من الليل، أَى يُغَشِّى الليلَ النَّهارَ طالبا له حثيثًا، وحثيثًا بدل من طالب أَو صفة له؛ لأَن طالبًا لو كان منطوقًا به حال هناك، والحال عندنا فوصف من حيث كانت فى المعنى خبرًا، والأَخبار توصف، لكن الصفات عندنا لا توصف.

وإن شئت يكون «حثيثًا» حالا من الضمير فى يطلبه، وفيه من بعدِ هذا ما أَذكره. وذلك أَن الفاعل فى المعنى فى أَحد المفعولين فى قراءَة الجماعة هو الليل؛ لأَنه المفعول الأَول، كقولك: أَعطيت زيدًا عمرًا، فزيد هو الآخذ وعمرو هو المأخوذ، وأَغشيت جعفرًا خالدًا، فالغاشى جعفر والمغْشىّ هو خالد، والفاعل فى قراءَة حُمَيد هو النهار؛ لأَنه مرفوع: «يغشَى الليلَ النهارُ» فالفاعلان والمفعولان جميعًا مختلفان على ما ترى.

ووجه صحة القراءتين جميعًا والتقاء معنَيَيْهما أَن الليل والنهار يتعاقبان، وكل واحد

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٢١/٧، الكشاف ٦٥/٢، الرازى ٢٢٧/٤، البحر المحيط ٣٠٩/٤).

(٢) وقراءة الجمهور عدا الأخوين وأبى بكر. انظر: (البحر المحيط ٣٠٩/٤).

(٣) وقراءة الأخوين وأبى بكر. انظر: (البحر المحيط ٣٠٩/٤).

منهما وإن أزال صاحبه فإن صاحبه أيضًا مُزِيلٌ له، فكل واحد منهما على هذا فاعل وإن كان مفعولاً، ومفعول وإن كان فاعلاً. وعلى أن الظاهر في الاستحثاث هنا إنما هو النهار؛ لأنه بسفوره وشروقه قد أظهر أثرًا في الاستحثاث من الليل. وبعدُ، فليس النهار إلا ضوءَ الشمس، والشمس كائنة محدثة، ولا ضوء قبل أن يخلقها الله جل وعز، فالضوءُ إذا هو الهاجم على الظلمة، ويطلبه حثيثًا على هذا حال من النهار؛ لأنه هو الأحث منهما.

ويجوز في قراءَة الجماعة أن يكون يطلبه حالاً من النهار وإن كان مفعولا، كقولك: ضَربتْ هندٌ زيدًا مولِمَة له، فقد يكون مؤلمة حالاً لزيد، كما قد يجوز أن يكون حالاً من هند، وذلك أن لكل واحد منهما في الحال ضميرًا. ومثله قول الله تعالى: **﴿فأَتَت به قوْمَها تَحْمِلُهُ﴾**(١)، فقد يجوز أن يكون «تحمله» حالاً منها، ويجوز أن يكون حالاً منه، وقد يجوز أيضًا أن يكون منهما جميعًا على قوله:

فلئن لقيتك خاليين لَتَعلما   أَيِيِّ وأَيُّك فارسا الأحزاب؟

ويجوز أَيي وأَيك فارسُ الأَحزاب، أي أينا فارسُ الأَحزاب، فكذلك يكون قوله: يطلبه حثيثًا حالاً منهما جميعًا على ما مضى؛ لأن لهما جميعًا فيه ضميرًا. ولو كانت الآية «فأَتت به قومها تحمله إليه» لجاز أن يكون ذلك حالا منها، ومنه ومنهم جميعًا؛ لحصول ضمير كل واحد منهم في الجملة التي هي حال، فاعرف ذلك.

ولعمري إنَّك إذا قلت: أَغشيتُ زيدًا عمرًا فإن العرف أن يكون زيد هو الغاشي وعمرو هو المغشيّ، إلا أنه قد يجوز فيه قلب ذلك، لكن مع قيام الدلالة عليه، ألا ترى إلى قوله:

فدع ذا ولكن من ينالُك خيرُه   ومن كان يُعطِي حقَّهن القَصائدا

أَراد يعطي القصائد حقهن، ثم قدم المفعول الثاني فجعله قبل الأول من حيث كانت القصائد هنا هي الآخذة في المعنى، ونحوه: كسوت ثوبًا زيدًا، ساغ تقديمه لارتفاع الشك فيه، وليس كذلك «يُغشي الليل النهار» من حيث كانا متساويي الحالين في الغِشْيان، وعلى كل حال فكل واحد منهما غاشٍ لصاحبه.

* * *

---

(١) سورة مريم الآية (٢٧).

بُشْرًا ﴿٥٧﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن بخلاف وقتادة وأَبى رجاءَ والجَحدرى وسهل بن شعيب. «نُشْرا»(١) بضم النون وجزم الشين.

وقرأ: «بَشْرًا»(٢)، بفتح الباءَ ساكنة الشين، أَبو عبدالرحمن بخلاف.

وقرأ: «بُشُـرًا»(٣)، بالياء مضمومة منونين، ابن عباس والسلمى بخلاف وعاصم بخلاف.

وقرأ: «بُشْرى»(٤)، غير منونةٍ على فُعْلَى، محمد بن السَمَيْفَع وابن قُطَيب.

وقرأ: «نَشَرًا»(٥)، بفتح النون والشين مسروق.

قال أَبو الفتح: أَما «نُشْرًا» فتخفيف «نُشُرًا»(٦) فى قراءَة العامة، والنُّشُر جمع نَشُور؛ لأَنها تَنْشُر السحاب وتستدرّه، والتثقيل أَفصح لأَنه لغة الحجازيين، والتخفيف فى نحو ذلك لتميم.

وأَما بُشُرًا فجمع بشير، لأَنَّ الريح تبشِّر بالسحاب.

وأَما بَشْرًا فمصدر فى موضع الحال، كقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يأْتِينَكَ سَعْيًا﴾(٧) أى ساعيات، فكذلك «بَشْرا» أَى باشرات فى معنى مُبَشِّرات، يقال:

---

(١) وقراءة ابن عامر، وعبدا لله بن مسعود، ومسروق، والحسن، والأعمش، والنخعى، وابن وثاب، وابن عباس. انظر: (الإتحاف ٢٢٦، السبعة ٢٨٣، النشر ٢٦٩/٢، ٢٧٠، غيث النفع ٢٢٤، التيسير ١١٠، البحر المحيط ٣١٦/٤، القرطبى ٢٢٩/٧).

(٢) وقراءة عاصم. انظر: (القرطبى ٢٢٩، البحر المحيط ٣١٦/٤، معانى القرآن للفراء ٣٨١/١، الرازى ٢٣٩/٤).

(٣) وقراءة ابن أبى عبلة. انظر: (الطبرى ٤٩١/١٢، القرطبى ٢٢٩/٧، الرازى ٢٣٩/٤، البحر المحيط ٣١٦/٤).

(٤) انظر: (القرطبى ٢٢٩/٧، البحر المحيط ٣١٦/٤، النحاس ٦١٩/١).

(٥) انظر: (الكشاف ٦٦/٢، البحر المحيط٣١٦/٤).

(٦) قراءَة نافع، وأَبى عمرو، وابن كثير، والحسن، والسلمى، وأَبى نوفل، والأعرابى، وابن محيصن، واليزيدى، وأَبى يحيى الأعرابى، وأَبى رجاء، وأَبى جعفر. انظر: (الإتحاف ٢٢٦، السبعة ٢٨٣، غيث النفع ٢٢٤، الكشف ٤٦٥/١، ٤٦٦، مجمع البيان ٤٣٠/٢، معانى القرآن للأخفش ٣٠١/٢، الطبرى ٤٩١/١٢، القرطبى ٢٢٩/٧، البحر المحيط ٣١٦/٤).

(٧) سورة البقرة الآية (٢٦٠).

بَشَرتُ الرجلَ أبشُرُه بَشْرًا، فأَنا باشرٌ وهو مبشور، وأبشرته أُبْشِرُه، فأَنا مُبْشِرٌ وهو مُبْشَر. وبَشَّرْتُه تبشيرًا، فأَنا مُبَشِّر وهو مُبَشَّر. وبَشِر بالأَمر يَبْشَرُ به، فهو بَشِرٌ، كفرِحِ به يفرَح فرَحا، وهو فَرِح. وأَبشر هو أَيضًا يُبْشِرُ إبشارًا، ومنه المثل السائر:

أَبشر، بما سَرَّك عينى تختلج[١]

والبِشَارَة: حسن البَشَرَة. قال أَبو إسحاق: قيل: لما يُفرَح به بِشارة لأَن الإِنسان إِذا فرِح حسنت بَشَرته.

فإِن قيل: فإِن البَشَرة قد يبين عليها الحسن تارة والقبحُ أُخرى فكيف خُص به ها هنا حسنها دون قبحِها؟.

قيل: من عادتهم أَن يوقِعوا على الشيءِ الذى يختصونه بالمدح اسمَ الجنس المطلق على جميع أَجزائه المختلفة. أَلا تراهم قالوا: لفلان خُلُق فخصوه بالمدح، وإِن كان الخلق يكون قبيحًا كما يكون حسنًا.

وقالوا للكعبة: بيت الله، والبيوت كلها لله، فخصوا باسم الجنس أَشرفَ أَنواعه.

وقالوا: فلان متكلم، يعنون به صاحب النظر، والناسُ كلُّهم متكلمون.

وأَما «بُشْرَى» على فُعْلَى فمنصوبة على الحال أَيضًا، أَى مُبَشِّرات على ما مضى.

وفى «نَشَرًا» فَعَلَى حذفِ المضاف، أَى ذوات نشر، والنَّشَرُ أَن تنتشر الغنمُ بالليل فترعى، فهذا على تشبيه السحاب فى انتشاره وعمومه من هاهنا ومن هاهنا بالغنم إِذا انتشرت للرّعْى.

* * *

وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴿١٢٧﴾

ومن ذلك قراءَة على عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأَنس بن مالك وعلقمة والجحدرى والتيمى وأَبى طالوت وأَبى رجاء: «ويَذَرك وإِلاَهَتَكَ»[٢].

---

(١) ذكره الزمخشرى فى أساس البلاغة «خلج» ٢٤٥/١ يقال: خلج الشىء من يده: نزعه، وأخذتُ بيده فخلجته من بين أصحابه. وخلج الطاعن رمحه من المطعون، وخلجت عينه وحاجبه واختلجا.

(٢) وقراءة ابن محيصن، والضحاك، ومجاهد. انظر: (الطبرى ٣٨/١٣، الكشاف ٨٣/٢، القرطبى ٢٦٢/٧، الإتحاف ٢٢٩، البحر المحيط ٣٦٧/٤).

وقرأ: «ويَذَرْكَ»[١] بإسكان الراءِ الأشهبُ.

وقرأ «ويذرُك»[٢] نُعيم بنُ ميَسرة والحسن بخلاف.

قال أبو الفتح: أما «إلاَهَتَك» فإنه عبادتُك، ومنه الإله، أى مستحق العبادة، وقد سميت الشمس إِلاهَة وأَلاهة؛ لأنهم كانوا يعبدونها، ويقال: تألَّه تألُّها. قال رؤبة:

سبَّحن واسترجعن مـــن تألهى[٣]

أى عبادتى، ويقال: لاهِ أبوك، وله أبوك، ولَهْىَ أبوك ولَهِ أبوك، وفى تصريفها بعض الطول فندعه تخفيفًا.

وأما «ويَذرُكَ» بالرفع فعلى الاستئناف، أى فهو يذرك.

وأما «يَـذَرْك» بالإسكان فِمن «يَذَرُك»، كقراءَة أبى عمرو: «إن الله يأمرْكم»[٤] وحكى أبو زيد: «رُسُلْنا» بإسكان اللام استثقالا للضمة مع توالى الحركات، ولم يسكن أَبو عمرو «يأمُرُهم» كما أَسكن «يأمرُكم» وذلك لخفاء الهاء وخفتها فجاءَ الرفع على واجبه.

وليست الكاف فى «يأمركم» بخفية ولا خفيفة خفة الهاءِ ولا خفاءها، فثقل النطق بها فحذف ضَمَّتَها.

* * *

إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ ﴿١٣١﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «إنّما طيْرُكُمْ عِنْدَ الله».

قال أبو الفتح: الطير: جمع طائر فى قول أبى الحسن، وفى قول صاحب الكتاب: اسم للجمع، بمنزلة الجامل والباقر غير مكسَّر.

وروينا عن قطرب فى كتابه الكبير أن الطير قد تكون واحدًا، كما أَن الطائر الذى

---

(١) والحسن. انظر: (القرطبى ٢٦١/٧، البحر المحيط ٣٦٧/٤، الكشاف ٨٣/٢، الرازى ٢٧٤/٤).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٢٩، الطبرى ٣٧/١٣، القرطبى ٢٦١/٧، الكشاف ٨٣/٢، مجمع البيان ٤٦٤/٢، معانى القرآن للفراء ٣٩١/١).

(٣) انظر: (ديوانه ١٦٥).

(٤) وقراءَة، والدورى باختلاس الضمة أو الإسكان. انظر: (الإتحاف ١٩١، غيث النفع ١٩٢).

يَقرأ به الجماعة واحد، وعلى أنه قد يكون الطائر جِمَاعًا بمنزلة الجاملِ والباقر. أنشد ابن الأعرابى:

وبالعثانيـــــن وبالحناجـــــرِ كأنـــه تَهتـــانُ يوم ماطـــــرِ
على رءُوسٍ كرءُوس الطائـــر(١)

* * *

ٱلۡقُمَّلَ ﴿١٣٣﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن: «عَلَيْهِمُ الْقَمْل»(٢)، بفتح القاف، وسكون الميم.

قال أَبو الفتح: «القمل» هنا: هو هذا المعروف، ولا يجوز أَن يكـون تحريـف القُمَّـل ولا لغةً فيه، كالجمْل والجُمَّل فى قراءَة من قرأ «حتى يَلج الجَمْلُ فـى سَمِّ الخِيَـاطِ»؛ لأَن لهذا وجهًا قائمًا معروفًا، وهو هذا القمْل المعروف.

* * *

سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

ومن ذلك قراءَة الحسن أَيضًا: «سأُورِيكُمْ دار الفاسقين»(٣).

قال أَبو الفتح: ظاهر هذه القراءَة مردود، لأَنه سأُفْعِلكم من رأَيْتُ، وأَصله سَأُرْئِيكُم، ثم خففت الهمزة بحذفها وإِلقاء حركتها علـى الـراء، فصـارت سـأُريكم. قـالوا: وإِذًا لا وجه لها، ونحوٌ من هذا قراءَته أَيضًا: «ولا أَدْرأْتُكُم بـه»، إِلا أَن لـه وجهـا مَّـا، وهـو أَن يكون أَراد: «سأُرِيكم»، ثم أَشبع ضمة الهمـزة فأنشـأَ عنهـا واوًا، فصـارت «سـأُوريكم» وقد جاءَ من هذا الإِشباع الذى تنشأُ عنه الحروف شىءٌ صالح نثرًا ونظمًا، فمـن المنثـور قولهم: بينا زيد قائم جاءَ عمرو، إِنما يراد بين أُوقاتِ زيدٌ قائم جاءَ فلان، فأَشبع الفتحـة، فأَنشأَ عنها أَلفًا. ومثله قول عنترة.

يَنْبَاعُ من ذِفْرَى غَضوب جسرة(٤)

أَراد ينْبع، فأَشبع فتحة الباءِ فنشأَت عنها أَلف كما ترى، على هذا حمله لنا أَبو علىّ

---

(١) ذكر فى الخصائص ٤٩٢/٢ الشطر الأخير فقط. قال: يريد الطير.

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٢٩، القرطبى ٢٧٠/٧، الكشاف ٨٦/٢، مجمع البيان ٤٦٧/٢).

(٣) انظر: (الكشاف ٩٣/٢، البحر المحيط ٣٨٩/٤، العكبرى ١٦٤/١).

(٤) سبق الاستشهاد به.

سنة إحدى وأربعين. وقد قال الأصمعى مع ذلك يقال: انباع الشجاع ينباع انبياعًا إذا انخرط ماضيا من الصَّف.

وأخبرنا أبو على عن أحمد بن يحيى أنه قال: يقال: جِئ به من حيثُ ولَيْسا.

وروى الفراءُ عن بعضهم أنه سمعه يقول: أكلت لحما شاةٍ، وهو يريد لحم شاة، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفًا، وهو اعتراض بين المضاف والمضاف إليه على ضيق الوقت وقِصره بينهما. ومنه المسموع عنهم فى الصياريف والدراهيم. وأنشدنا أبو على:

وأننى حيثما يسرى الهوى بصرى ... من حَوْثُما سلكوا أثنى فأنظور

يريد فأنظره، فأشبع الضمة فأنشأ عنها واوًا، هكذا رواه أبو على يسرى من سريت، ورواه ابن الأعرابى : يُشرِى، بالشين معجمة، أى يقلق ويحرك الهوى بصرى، وما أحسن هذه الرواية وأطرفها! وأنشد غيرهما:

عَيْطاء جَمّاء العِظَام عُطْبولْ ... كأن فى أنيابها القَرَنْفولْ(١)

يريد القَرَنْفلَ، فإذا جاز هذا ونحوه نظمًا ونثرًا ساغ أيضًا أن يُتأول لقراءَة الحسن: «سأُورِيكْم»، أراد سأريكم وأشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واوًا، وهو أبو سعيد، والمأثورُ من فصاحته ومتعالَم قوة إعرابه وعربيته! فهذا مع ما فيه من نظائره أمثل من أن يُتلقى بالردّ صِرْفا غير منظور له ولا مسعىً فى إقامته. وزاد فى احتمال الواو فى هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ فمُكن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده، فألحقت الواو فيه لما ذكرنا.

* * *

فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴿١٥٠﴾

ومن ذلك قراءَة مجاهد: «فلا تَشْمتْ بِىَ الأعداءَ»(٢)، وقرأ أيضًا: «فلا يَشْمَتْ بى الأعداءُ»(٣).

---

(١) ذكره فى الخصائص (١٢٦/٣) «ممكورة جم العظام عطبول». الممكورة المطوية الخلق الحسنة و(جم العظام) يقرأ بضم الجيم جمع أجم، وقد جمع نظرا إلى المضاف إليه، والفصيح غير هذا. وقد يكون الأصل: جماء العظام فقصر الممدود، وحذفت الألف فى الرسم، ويقال: عظم أجم: وافر اللحم. انظر: (هامش الخصائص ١٢٦/٣).

(٢) والكسائى، وابن محيصن، ومالك بن دينار، وحميد الأعرج. انظر: (الإتحاف ٣٢١، القرطبى٢٩١/٧، مجمع البيان ٤٨١/٢، البحر المحيط ٣٩٦/٤، تهذيب اللغة «شمت»).

(٣) انظر: (الكشاف ٩٥/٢، مجمع البيان ٤٨١/٢).

قال أبو الفتح: الذى رويناه عن قطرب فى هذا أن قراءَة مجاهد «فلا تشْمَت بِى الأعداءُ» رَفْعٌ - كما ترى - بفعلهم، فالظاهر أن انصرافه إلى الأعداءِ، ومحصوله: يا ربِّ لا تُشْمِتْ أنت بى الأعداء، كقراءَة الجماعة.

فأَما مع النصب فإنه كأنه قال: لا تشْمَتْ بِى أَنتَ يارب، وجاز هذا كما قال الله سبحانه: ﴿الله يستَهْزِئ بهم﴾(١) ونحوه مما يجرى هذا المجرى، ثم عاد إلى المراد فأَضمر فعلا نصب به الأعداء، فكأَنه قال: لا تُشمِت بى الأعداء كقراءَة الجماعة.

* * *

هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴿١٥٦﴾

ومن ذلك قراءَة أَبى وَجْزَة السعدى: «هِدْنا إِليك»(٢).

قال أَبو الفتح: أَما «هُدنا» بضم الهاءِ مع الجماعة فَتُبْنا، والهود: جمع هائد، أَى تائب.

وأَما «هِدنا» بكسر الهاءِ فى هذه القراءَة فمعناه انجذبنا وتحركنا، يقال: هادَنى يهيدُنى هيْدًا، أَى جذبنى وحركنى، فكأَنه قال: إِنا هِدنا أَنفسَنا إِليك، وحركناها نحو طاعتك.

قال:

أَلِمّا عليها فانعَيانِىَ وانظرا ... أَينصتها أم لا يُهيِّدُها ذِكْرى

أَى: أَم لا يهيجها ويهزها ذكرى، ومنه قولهم فى زجر الإِبل: هِيْد، أَى أَسرعى. قال ذو الرمة:

إِذا حداهن بهيدٍ هِيدِ ... صفحن للأزرار بالخدودِ

* * *

ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴿١٥٧﴾

ومن ذلك قال ابن رومى: حدثنى أَحمد بن موسى، وحدثنى الثقة عنه أنه قرأَ: «النبىَّ الأَمِّىَّ» (٣) بفتح الهمزة، يقول: يأتم به منْ قبله.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥).

(٢) وقراءة زيد بن على. انظر: (الكشاف ٢/٩٧، البحر المحيط ٤/٤٠١).

(٣) وقراءة يعقوب. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٠٣، العكبرى ١/١٦٥).

قال أَبو الفتح: هذا منسوب إلى مصدر أَمَمت الشىءَ أَمًّا، كقولك: قصدته قصدًا، ثم أضيف إليه عليه السلام. هذا على هذا التفسير الذى سبق ذكره.

وقد يجوز مع هذا أن يكون أَراد الأُمِّى بضم الهمزة كقراءَه الجماعة، ثم لحقه تغيير النسب، كقولهم فى الإضافة إلى أُمَيَّة: أَمَوى، بفتح الهمزة، وكقولهم فى الدَّهر: دُهْرِى، وفى الأَمسِ إمسى، وفى الأُفُقِ أَفَقِىّ بفتح الهمزة، وهو باب كبير واسع عنهم.

* * *

﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ (١٥٦)

ومن ذلك قراءَة الحسن وعمرو الأسوارى(١): «أُصيبُ به مَن أَسَاءَ»(٢).

قال أَبو الفتح: هذه القراءَة أَشد إِفصاحا بالعدل من القراءَة الفاشية التى هى: «مَنْ أَشَاءُ»؛ لأن العذاب فى القراءَة الشاذة مذكورٌ علةُ الاستحقاق له، وهو الإِساءَة، والقراءَة الفاشية لا يُتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له، وأَن ذلك لشىء يرجع إلى الإِنسان. وإِن كنا قد أَحطنا علمًا بأَن الله تعالى لا يظلم عباده وأَنه لا يعذب أَحدًا منهم إلا بما جناه واجترمه على نفسه، إلا أَنالم نعلم ذلك من هذه الآية، بل من أَماكن غيرها. وظاهر قوله تعالى: ﴿مَنْ أَشَاءُ﴾ بالشين معجمة ربما أَوهم من يضعف نظره من المخالفين أَنه يعذب من يشاءُ من عباده، أَساءَ أَو لم يسئ. نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله، وهو حسبنا وولينا.

* * *

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ (١٥٧)

ومن ذلك قراءَة الجَحدرى وسليمان التيمى وقتادة: «وعَزَرُوه»(٣)، خفيفة الزاى.

---

(١) عمرو بن فائد، أبو على الأسوارى التميمى: معتزلى قدرى، من القراء القصاص، من أهل البصرة. كان منقطعا إلى أميرها محمد بن سليمان. أخذ عن عمرو بن عبيد، وله مناظرات. وكان متروك الحديث، ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقيل: له «تفسير» كبير. قال ابن حجر: مات بعد المائتين بيسير. انظر: (لسان الميزان ٣٧٢/٤ ، اللباب ٤٧/١ - ٤٨، الأعلام ٨٣/٥).

(٢) وقراءة، زيد بن على، وطاوس، وسفيان بن عيينة. انظر: (الإتحاف ٢٣١، الكشاف ٩٧/٢، البحر المحيط ٤٠٢/٤، مجمع البيان ٤٨٥/٢).

(٣) وقراءة عيسى. انظر: (القرطبى ٣٠١/٧، الكشاف ٩٧/٢، البحر المحيط ٤٠٤/٤).

قال أبو الفتح: مشهور اللغة في ذلك: عزَّرت الرجل: أي عظمته، وهو مشدد، وقد قالوا: عَزَرت الرجل عن الشيء بتخفيف الزاي إذا منعته عن الشيء، ومنه سمي الرجل: عَزْرة، فقد يجوز أن يكون «وعزَرُوه» على هذه القراءَة، أي منعوه وحجزوا ذكره عن السوء، كقوله: سبحان الله. ألا ترى أن أبا الخطاب فسره فقال: براءَة الله من السوء، فبرأته من الشيء وحجزته عنه بمعنى واحد.

* * *

عَشَرَة ﴿١٦٠﴾

ومن ذلك قراءَة يحيى والأعمش وطلحة بن سليمان: «عَشِرة»(١)، وقرأ «عشَرة»(٢) بفتح الشين بخلاف.

قال أبو الفتح: أما «عشِرة» بكسر الشين فتميمية، وأما إسكانها فحجازية.

واعلم أن هذا موضع طريف؛ وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثاني من الثلاثي إذا كان مضمومًا أو مكسورًا، نحو الرسُل والطنُب والكبِد والفخِذ، ونحو ظَرُف وشرُف وعَلِم وقدِم. وأما بنو تميم فيسكنون الثاني من هذا ونحوه، فيقولون: رُسْل وكُتْب وكَبْد وفَخْذ، وقد ظَرْفَ وقد عَلْم، لكن القبيلتين جميعًا فارقتا في هذا الموضع من العدد معتاد لغتهما، وأخذت كل واحدة منهما لغة صاحبتها وتركت مألوف اللغة السائرة عنها، فقال أهل الحجاز: اثنتا عشرة بالإسكان، والتميميون عشِرة بالكسر.

وسبب ذلك ما أذكره؛ وذلك أن العدد موضع يَحْدث معه ترك الأُصول وتُضم فيه الكلمُ بعضُه إلى بعض، وذلك من أحد عشر إلى تسعة عشر. فلما فارقوا أصول الكلام من الإفراد وصاروا إلى الضم فارقوا أيضًا أصول أوضاعهم ومألوف لغاتهم، فأسكن من كان يحرك، وحرّك من كان يسكن، كما أنهم لما حذفوا هاءَ حنيفة للإضافة حذفوا معها الياء، فقالوا: حَنَفيّ، ولما لم يكن في حنيف هاء تحذف فتحذف لها الياءُ قالوا فيه: حَنِيفي. وكقولهم: الجاه، وأصله عندنا الوجه، فقلبوه فقدموا العين على الفاء، وكان قياسه أن يقولوا: جَوْه، إلا أنهم لما قلبوا شجُعوا عليه فغيروا بناءَه، فأصاروه من جوَه إلى وجوه، فانقلبت الواو التي هي فاء في موضع العين ألفًا لانفتاح

(١) انظر: (الإتحاف ٢٣١، الكشاف ٩٩/٢، البحر المحيط ٤٠٦/٤، الرازي ٣٠٣/٤).
(٢) انظر: (البحر المحيط ٤٠٦/٤، لسان العرب «عشر»، العكبري ١٩٥/١).

ما قبلها وحركتها، فصارت جاه كما ترى. وحسّن ذلك لهم أيضًا ما أذكره، وهو أنهم قد علموا أنهم إذا حركوا الواو وقبلها فتحة انقلبت ألفًا وهى ساكنة كما تعلم أبدًا، فصار عودهم إلى سكون الحرف مسوغًا لهم تحريكه المؤدى إلى سكونه، حتى كأنهم لم يحدثوا فى الحرف حدثًا.

فإن قيل: فهلا أقروا الواو على سكونها، واستغنوا بذلك عن تحريكها المؤدى إلى سكون الحرف المنقلب عنها وهو الألف.

قيل: الذى فعلوه أصنع، وذلك أنهم إذا قلبوه ألفا صار بمنزلة وجود الحركة فيه؛ لأن الألف فى نحو هذا لا تنقلب إلا عن حركة وهى مع هذا ساكنة، فاجتمع لهم فى الألف أمران:

أحدهما: تحريك الساكن لِما عَرَض لهم هناك فى القلب على عادتهم فى إلحاق التحريف بعضه ببعض.

والآخر: سكون الألف لفظًا مع ما قدمناه من اعتقاد تحريكها معنى.

وإذا أدى الحرف الساكن على خفته تأدية المُحرَّك على ثقله فتلك صنعة مأنوسٌ بها مُعْتَمَدٌ مثلُها، وما لحقه تغيير ما فدعا ذاك إلى إلحاقه تغييرًا ثانيًا كثير فى اللغة جدًا، ألا ترى إلى أحد قولى سيبويه فى أينق: إن الياءَ فيها بدل من الواو التى هى عين فى أصل الكلمة، وذلك أن أصلها أنْوُق، وقد حكاها الفراء فيما رويناه عنه، فقدمت العين على الفاء فصار تقديرها أَونق، فلما قدمت العين على الفاء فتوَهّنت بذلك - قلبوها ياءً، فقالها: أينق، وكذلك لما أعلُّوا فاء الفعل من اتقى بأن أبدلوها تاء وأدغموها فى تاء افتعل أعَلُّوها أيضًا بالحذف، فقالوا: تَقَى يَتْقِى. ومثله ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

قَصَرْتُ له القبيلة إذ تَجهْنا وما ضاقت بشدته ذراعى

فيمن رواه بفتح الجيم، ألا ترى أن وزنه افتعلنا من الوجه اِوتَجهْنا، فلما أبدلت الواو تاء وأُدغمت فى تاءِ افتعل فصارت اتجه - شجُعوا على أن حذفوها أيضًا فقالوا: تَجه؟ فوزن تَجَه الآن على لفظه تَعَل، ومضارعه يتَجه. ومثاله يتعِلُ، وكذلك تقى فَعَلَ. والجاه وزنه على اللفظ بسكون الألف عَفْل، وهو قبَل القلب عَفَل، لأنه صار من جَوْهٍ إلى جوَه، وأصله الأول فعل لأنه وَجْهٌ، ولولا إشفاقى من الإطالة لبسطت هذا ونحوه بسطًا يونِقُ عارفيه وأهله، وفيما ذكرنا دليل على ما أُغفل.

وأما «اثنتا عشَرة»، بفتح الشين فعلى وجه طريف، وذلك أن قوله: «اثنتى» يختص بالتأنيث، وعشَرة، بفتح الشين تختص بالتذكير، وكل واحد من هذين يدفع صاحبه. وأقرب ما تُصْرَف هذه القراءَة إليه أن يكون شبّه اثنتى عَشَرة بالعقود ما بين العشرة إلى المائة. ألا تراك تقول: عشرون وثلاثون، فتجد فيه لفظ التذكير ولفظ التأْنيث؟ أَما التذكير فالواو والنون، وأما التأنيث فقولك: ثلاث من ثلاثون ، ولذلك صلحت ثلاثون إلى التسعين للمذكر والمؤنث فقلت: ثلاثون رجلاً وثلاثون امرأة، وتسعون غلامًا وتسعون جارية؛ فكذلك أيضًا هذا الموضع.

أَلا تراه قال تعالى: ﴿**اثنَتَيْ عشْرةَ أَسْباطًا أُمَمًا**﴾[1] فـ«أسباطا» يؤذن بالتذكير، و«أمم» يؤذن بالتأْنيث. وهذا واضح.

وحَسُن تشبيه اثنتى عشرة برءُوس العقود دون المائة من حيث كان إعراب كل واحد منهما بالحرف لا بالحركة، وذلك اثنتا عشْرة واثنتى عشرة، فهذا نحو من قولهم: عشرون وعشرين، وخمسون وخمسين، وتسعون وتسعين، فافهمه.

ومما يدلك على أن ضم أسماء العدد بعضها إِلى بعض يدعو إِلى تحريفها عن عادة استعمالها قولهم: أحد عشر رجلاً وإِحدى عشرة امرأة، وكان قياس أَربع وأَربعة وخمس وخمسة أن يكون هذا أحد وأحدة، أفلا ترى إلى إحدى - وهى فِعْلَى وأَصلها وِحْدى - كيف عاقبت فى المذكر فَعَلا، وهو أَحد وأَصله وَحَد؟.

فأَما إِحدى وعشرون إِلى التسعين فإِنه لَمَّا سبق التحريف إِليها فى إِحدى عشرة ثبت فيها فيما بعد.

* * *

وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴿١٦١﴾

ومن ذلك ما رواه قتادة عن الحسن: «وقولوا حِطَّةً»، بالنصب.

قال أَبو الفتح: هذا منصوب عندنا على المصدر بفعل مقدر، أى احطُطْ عنا ذنوبنا حِطَّةً.

قال:

واحطُط إِلهى بفضلٍ منك أوزارى

(١) سورة الأعراف الآية (١٦٠).

ولا يكون «حِطة» منصوبًا بنفس قولوا؛ لأن قلت وبابها لا ينصب المفرد إلا أن يكون ترجمةَ الجملة، وذلك كأن يقول إنسانٌ: لا إله إلا الله، فتقول أنت قلت: حقا؛ لأن قوله: لا إله إلا الله حق، ولا تقول: قلتُ زيدًا ولا عمرًا، ولا قلتُ قيامًا ولا قعودًا، على أن تنصب هذين المصدرين بنفس قلت لما ذكرته.

* * *

يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴿١٦٣﴾

ومن ذلك قراءَة شَهْر بنِ حَوْشَب[1] وأبى نَهيك: «يَعَدُّون فى السَّبْت»[2].

قال أبو الفتح: أراد يعتدون، فأسكن التاءَ ليدغمها فى الدال، ونَقلَ فتحتها إلى العين، فصار يعَدُّون، وقد مضى مثله فى يَخَصِّف.

* * *

بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ ﴿١٦٥﴾

ومن ذلك قراءَة أبى جعفر وشيبة وأبى عبدالرحمن والحسن واختلف عن نافع: «بعَذابٍ بِيسٍ»[3]، فِعْلٍ بلا همز «وبِئْسٍ»[4]، وهى قراءَة السُّلمى بخلاف، ويحيى وعاصم بخلاف، والأعمش بخلاف، وعيسى الهمْدَانى. «بَيْئِسٍ» مثال فَيْعل ابنُ عباس وعاصم بخلاف. «بَيْئَس» طلحة بنُ مُصرِّف.

---

(١) شهر بن حوشب الأشعرى (٢٠ - ١٠٠هـ = ٦٤١ - ٧١٨م): فقيه قارئ، من رجال الحديث. شامى الأصل. سكن العراق، وكان يتزيًا بزى الجند، وولى بيت المال مدة. وهو متروك الحديث. انظر: (تهذيب التهذيب ٣٦٩/٤، ثمار القلوب ١٣٣، الأعلام ١٧٨/٣).

(٢) انظر: (الكشاف ٩٩/٢، البحر المحيط ٤١٠/٤، مجمع البيان ٤٩١/٢).

(٣) وقراءة زيد، وهشام، والداجونى. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٤) وقراءة ابن عامر، وابن كثير، وزيد بن ثابت، وهشام، والداجونى، وابن ذكوان. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

وقرأ أبو رجاء. «بائس»[1]، و«بَيَسٌ» وزن فَعَلٌ.

وقراءَة نصر بن عاصم وجُؤَيَّة بنِ عائذ: و«بَأْس»[2]، وروى عن مالك بن دينار أيضا.

و«بَيَّسٍ»[3] وزنُ فَعّلٍ يروى عن نصر بن عاصم أيضًا.

و«بئِس»[4] وزن فَعِل قراءَة زيد بن ثابت و«بِئْس»[5].

ومما رويت عن الحسن و«بَيْس»، ورويت عن نافع أيضا.

قال أبو الفتح: أما «بِيْس» بغير همز على وزن فِعْل فيحتمل أمرين:

أحدهما: أَن يكون أَراد مثال فِعْل، فيكون كما جاءَ من الأَوصاف على فِعْل نحو نِضْو ونِقْض وحلْف، وأَصله الهمز كقراءَة من قرأَ «بِئْسٍ» بالهمز، إِلا أنه خفف فأَبدل ياء فصارت «بيس» كَبير وذيبٍ، فيمن خفف.

---

(١) وقراءة أبى رجاء، ومجاهد. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٢) ولأعمش، ومالك بن دينار. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٣) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٤) وقراءة حمزة، ويعقوب، ويحيى، وعيسى بن عمر، وابن مصرف، وأبى عبدالرحمن. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٥) وقراءة أبى بكر، وابن عامر، والحسن. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

والآخر: أن يكون أراد فَعِلاً، فأصله بئِس كَمَطِرَ وحَذِر، ثم أسكن ونقل الحركة من العين إلى الفاء كالعبرة فيما كان على فَعِل وثانيه حرف الحلق كفخِذ ونغِر وجئز[١]، فصار إلى بِئسٍ، ثم خفف فقال: بِيس على ما مضى.

وأما «بئِس» على فَعِل فجاءَ على قولهم: قد بَئِس الرجلُ بآسةً: إذا شَجُعَ، فكأنه عذاب مُقدِم عليهم وغيرُ متأخر عنهم.

وقد يجوز أيضًا أن يكون «بئِس» مقصورًا من بئيس كالقراءَة الفاشية، كما قالوا في لبيق: لَبِق، وفي سميج سَمِج.

وأما «بَيْئِس» على فيْعِل ففيه النظر، وذلك أن هذا البناءَ مما يختص به ما كان معتل العين كسيِّد وهيِّن وديِّن وليِّن، ولم يجئ في الصحيح، وكأنه إنما جاءَ في الهمزة لمشابهتها حرفي العلة، والشبة بينها وبينهما من وجوه كثيرة.

وأما «بَيْسٍ» في وزن جَيْشٍ فطريق صنعته أنه أراد بَئِس، فخفف الهمزة فصارت بين بين، أي بين الهمزة والياء، فلما قاربت الياءَ ثقلت فيها الكسرة فأسكنها طلبًا للاستخفاف. فصارت في اللفظ ياءً، كما خففوا نحو صيدَ البعير فقالوا: صيْدَ وإن كانت العين في صيد ياءً محضة وكانت في بَئِس همزةً مخففةً، إلا أنه شبهها بياءِ صَيِد لما ذكرنا من مقاربتها في اللفظ الياءَ، ونحو من ذلك قول ابن ميادة:

فكان يوْمَيْذٍ لهـا حكمُها

أراد يومئذ، فخفف فصارت الهمزة بين بين بهت الياءَ فأسكنها، فقال: يَوْمَيْذٍ، فهذا كَبَيْسٍ على ما ترى.

وقد يجوز أن يكون أراد تخفيف بَيْئس، فصارت بَيِس ثم أسكن تخفيفًا، كقولهم في عَلِمَ: علْم، وفي كَلِمة كَلْمة، وفي فَخِذ فخْذ، ومثال بيْس على هذا فَيْل.

فأما بائس فاسم الفاعل من بئِس على ما قدمنا ذكره.

وأما «بَيَس»[٢] فطريف، وظاهر أمره أن يكون جاءَ على ماض مثالُه فَيْعَلَ كهَيَنم، ثم

(١) وخارجة، طلحة. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبري ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبي ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف=

خففت الهمزةُ فيه وأُلقيت حركتُها على الياءِ فصار بَيَس، وجاز اعتقـاد هـذا الفعـل وإن لم يظهر كأشياء تثبت تقديرًا ولا تبرز استعمالا.

وأَما «بَيِّس» بتشديد الياءِ وكسرها. فليس على فعِّل كما ظـن ابـن مجـاهد، بـل هـو على فيْعِل تخفيف بيئس على قول من قال في تخفيف سوءَة: سَوَّة، وفـي تخفيـف شـيء: شيّ، فأَبدل الهمزةَ على لفظ ما قبلها، وعليه قول الشاعر:

يُعْجِـلُ ذا القَبَاضـــة الوحِيَّـــا أَن يرفـعَ المئـزر عنـه شيَّـــا

فصار بَيِّسِ كما ترى.

وأَما «بأْسٍ» فتخفيف بئِس، كقولك في سئِم: سأْم، وفي علِم عَلْم.

وأَما «بيْس» فالعمل فيه من تخفيف الهمزة ثم إِسكانها فيما بعـد كـالعمل فـي «بَيْسٍ» وهو يريد الاسم وقد مضى ذلك.

وأَما بِيِس[١] فعلـى الإتبـاع مثـل فِخِـذ وشِـهِدَ. قـال أَبـو حـاتم فـي قـراءَة بعضهـم: «بِئيس»[٢] فهذا في الصفة بمنزلة حِذْيم فِعْيَلْ، وكذا مَثَّله أَبو حاتم أَيضًا.

وحكى أَبو حاتم أَيضًا «بئيس»[٣] كشعير وبعير، فكسر أَوله لكسر الهمزة بعده.

وحكى أَيضًا فيها «بَئِّس» فعِّل، وأَنكرها فردها البتـة، أَنكـر قـراءَة الحسـن: «بِئْـس». وقال: لو كان كذا لما كان بُدُّ معها من «ما» بِئسما كنعم ما.

* * *

= ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(١) قراءة ابن كثير، والزهرى. انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

(٣) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٤٩٢/٢، النشر ٢٧٢/٢، الكشف ٤٨١/١، السبعة ٢٩٦، الطبرى ٢٠٠/١٣، ٢٠١، القرطبى ٣٠٨/٧، البحر المحيط ٤١٢/٤، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبرى ١٦٦/١، النحاس ٦٤٧/١، التبيان ١٧/٥).

﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (١٧٢)

ومن ذلك قراءة زهير عن خصَيْف: «مِنْ ظُهورهم ذُرِّيئتَهم». واحدة مهموزة.

قال أَبو الفتح: هذا يمنع مِن تَأَوُّل الذرية فيمن لم يهمز أنها من الذَّر أَو من ذَرَوت أَو من ذريْت، ويقطع بأَنها من ذَرَأْتُ، أَى خَلَقْت.

فإِن قلت: فهلا أَجزْتَ أَن تكون من الذَّر وجعلتها فُعْلِيَّة غير أَنها همزت كما وجد بخط الأَصمعى: قَطًا جؤنى.

قيل هذا من الشذوذ بحيث لا يسمع أَصلاً فضلاً عن أَن يتخذ قياسًا.

* * *

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ (١٦٩)

ومن ذلك قراءَة السُّلَمى: «وادَّارسُوا ما فيه»(١) وعباس عن الضبى عن الأَعمش: «وادَّكَروا ما فيه».

قال أَبو الفتح: «ادَّارَسُوا»: تدارسوا، كقوله: ﴿ادَّاركوا﴾(٢) والعمل فيهما واحد وقد تقدم.

وأما «وادّكرُوا» فأَراد تذكروا، وهذا كقوله تعالى: ﴿قالوا اطَّيَّرْنا﴾(٣).

* * *

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (١٨٧)

ومن ذلك قراءَة السُّلَمى: «إِيَّان مُرْساها»(٤) بكسر الهمزة.

قال أَبو الفتح: أَما أَيَّان بفتح الهمزة فَفَعْلان، وبكسرها فِعْلان والنون فيهما زائدة حملاً على الأَكثر فى زيادة النون فى نحو ذلك.

فإِن قيل: فهلا جعلتها فِعَّالا من لفظ أين، قيل: يمنع من ذلك أَن أَيّان ظرفُ زمان

---

(١) وقراءة على. انظر: (الكشاف ٢/١٠٢، القرطبى ٧/٣١٢، مجمع البيان ٢/٤٩٥).

(٢) سورة الأعراف الآية (٣٨).

(٣) سورة النمل الآية (٤٧).

(٤) انظر: (الكشاف ٢/١٠٧، البحر المحيط ٤/٤٣٤).

وأين ظرفُ مكان، لكنها ينبغى أن تكون من لفظ «أى» لما ذكرناه من اعتبار زيادة النون فى نحو هذا.

ولأن «أيا» استفهام كما أن «أيان» استفهام، وأن «أىّ» أين كانت فهى بعض من كل، والبعض لا يخص زمانًا من مكان ولا جوهرًا من حدث، فحمْلُها على «أى» أولى من حملها على أين.

وقد كنا قلنا فى أى هذه: إنها من لفظ أَوَيْتُ ومعناه.

أما اللفظ فلأن باب طويت وشويت أضعاف باب حَيِيت وعَيِيت.

وأما المعنى فلأن البعض آوٍ إلى الكل ومتساند إليه، فهى إذًا من قوله:

يأْوِى إلى مُلْطٍ له وكَلْكَلِ

يصف البعير يقول: إنه يتساندُ بعضه إلى بعض، فهو أقوى له، فأصلها على هذا أَوْىٌ، ثم قلبت الواو ياءً وأدغمت فى الياءِ فصارت أىٌّ، كقولك: طويت الكتابَ طيا وشويت اللحم شيًّا.

ولو سميت رجلاً بأَيّان، فتحت الهمزة أو كسرتها، لم تصرفه معرفة لأنها كحَمْدان وعِمْران، وإن كسَّرت ذلك الاسم على سِرْحان وسَراحين وحَوْمانة وحوامِين قلت: أَوايين، فظهرت الواو التى هى عين أَوَيْتُ، كقولك فى تكسير ريَّان أو جمعه على مثال مفاعيل: روايِين، تظهر الواو التى هى عينه لزوال علة القلب عنها.

* * *

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ (١٨٧)

ومن ذلك قراءَة ابن عباس: «كأَنَّك حَفِيٌّ بها».

قال أبو الفتح: ذهب أبو الحسن فى قوله تعالى: ﴿يسْأَلونَكَ كَأَنَّك حَفِيٌّ عَنها﴾ إلى أن تقديره يسأَلونك عنها كأَنك حَفِى بها، فأَخر «عن» وحذف الجار والمجرور للدلالة عليها، فهذا الذى قدره أبو الحسن قد أظهره ابن عباس، وحذف «عنها» لدلالة الحال عليها. ألا ترى أنه إذا كان حفيًا بها فِمن العرف وجارى عادة الاستعمال أن يُسْأَل عنها، كما أنه إذا سئل عنها فليس ذلك إلا لحفاوته بها؟ وإذا لم يكنِ بها حفيا لم يكن عنها مسئولاً، وكل واحد من حرفى الجر دلَّ عليه ما صحبه فساغ حذفه، وهذا واضح.

* * *

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ (١٨٩)

ومن ذلك قراءَة ابن يعمرَ: «فَمَرَتْ بِهِ»(١)، خفيفة.

قال أبو الفتح: أَصله «فمرت به» مثقلة، كقراءَة الجماعة، غير أَنهم حذفوا نحو هذا تخفيفًا لثقل التضعيف. وحكَى ابن الأَعرابى فيما رويناه عنه فيما أَحسب: ظَنْتُ زيدًا يفعل كذًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وقَرْنَ فِى بُيُوتِكن﴾(٢) فيمن أخذه من القرار لا من الوَقار، وهذا الحذف فى المكسور أَسوغ؛ لأنه اجتمع فيه مع التضعيف الكسرة وكلاهما مكروه، وهو قوله تعالى: ﴿ظَلْتَ عليه عاكفًا﴾(٣) أى ظَلِلْتَ، وقالوا مَسْتُ يده أى مَسستها. وقال أبو زُبَيد:

خلا أَن العتاق من المطايا أَحَسَنَ بِهِ فَهُنَّ إِليه شُوسُ(٤)

أَراد أَحسسن، وهذا وإِن كان مفتوحًا فإنه قد حُمّل الهمزة الزائدة، فازداد ثقلاً.

وقرأ: «فَمَارت به»(٥) بألف عبدا لله بن عمرو(٦)، وهذا من مار يمور: إذا ذهب وجاءَ، والمعنى واحد، ومنه سُمى الطريق مَوْرا للذهاب والمجىء عليه، ومنه المُورُ: التراب لذلك.

وقرأ ابن عباس: «فاستَمرّت به»(٧) ومعناه مرَّت مكلِّفَة نفسَها ذلك؛ لأن استفعل إنما يأتى فىأكثر الأمر لمعنى الطلب، كقولك: استطعم أى طلب الطُّعْم، واستوهب: طلب الهِبَةَ، والباب على ذلك.

* * *

---

(١) وقراءة ابن عباس، وأبى العالية، والنقاش، وأيوب. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٣٩، الكشاف ٢/١٠٩، مجمع البيان ٢/٥٠٨).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٣).

(٣) سورة طه الآية (٩٧).

(٤) قال فى المصنف ٣/٨٤: ويروى: حَسَسْنَ به، يقال: حسستُ بالشىء، وأحسستُه وأحسَسْتُ به وحسيت به فى معنى واحد. وانظر: (الخصائص ٢/٤٤٠).

(٥) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٣٩، الكشاف ٢/١٠٩).

(٦) فى مجمع البيان ٢/٥٠٨: عبدا لله بن عمر.

(٧) وقراءة سعد بن أبى وقاص، والضحاك. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٣٩، الكشاف ٢/١٠٩، مجمع البيان ٢/٥٠٨).

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴿١٩٤﴾

ومن ذلك قراءَة سعيد بن جُبير: «إِنِ الذين تَدْعُون مِنْ دُونِ ا للهِ عِبـادا»[1]، نَصْـبٌ. «أَمثالَكم»، نصبٌ.

قال أَبو الفتح: ينبغى – وا لله أعلم – أَن تكون «إِنْ» هذه بمنزلة «ما»، فكأَنه قال: مـا الذين تدعون من دون ا لله عبادًا أمثالكم. فأَعمل «إِنْ» إعمال «ما»، وفيه ضعف: لأَن إِن هذه لم تختص بنفى الحاضر اختصاص «ما» بَهِ، فتجرى مجرى «ليس» فى العمـل، ويكـونُ المعنى: إِنْ هؤلاء الذين تدعون من دون ا لله إنما هى حجارةٌ أَو خَشَبٌ، فهم أَقـل منكـم لأَنكم أَنتم عقلاء، ومخاطبون، فكيف تعبدون ما هو دونكم؟.

فـإِن قلـت: مـا تصنـع بقـراءَة الجماعـة: ﴿**إِنّ الذيـن تَدعـون مــن دون ا لله عبـادٌ أَمثالُكم**﴾؟ فيكف يُثبت فى هذه ما نفاه فى هذه؟.

قيل: يكون تقديره أَنهم مخلوقون كما أَنتم أَيها العباد مخلوقون، فسماهم عبادًا على تشبيههم فى خلقهم بالناس كما قال: ﴿**والنجم والشجَرُ يسـجدان**﴾[2]. وكمـا قـال: ﴿**وإِنْ مِن شيءٍ إلا يُسبِّح بِحمده**﴾[3] أى: تقوم الصنعة فيه مقام تسبيحه.

* * *

يَمُدُّونَهُمۡ ﴿٢٠٢﴾

ومن ذلك قراءة الجحدرى: «يُمَادُّونَهم»[4].

قال أبو الفتح: هو يُفَاعِلونهم من أمددته بكذا، فكأنه قال: يعاونونهم.

* * *

بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٢٠٥﴾

ومن ذلك قراءة أبى مِجْلَز: «بالغُدُوِّ والإِيصال»[5] بكسر الألف.

---

(١) انظر: (القرطبى ٣٤٢/٧، الكشاف ١١٠/٢، شرح الأشمونى ٢٥٥/١، ومغنـى اللبيـب ٢٢/١، شرح التصريح ٢٠١/١، همع الهوامع ١١٦/٢، البحر المحيط ٤٤/٤).

(٢) سورة الرحمن الآية (٦).

(٣) سورة الإسراء الآية (٤٤).

(٤) انظر: (القرطبى ٧/ ٣٥٢، البحر المحيط ٤/ ٤٠١، الكشاف ١١١/٢، مجمع البيان ٢/ ٥١٣).

(٥) انظر: (القرطبى ٣٥٥/٧، الكشـاف ٢/ ١١١، البحـر المحيـط ٤/ ٤٥٣، العكـبرى ١/ ١٦٨، النحاس ١/ ٦٦٢).

قال أبو الفتح: هو مصدر آصلنا فنحن مؤصلون، أى دخلنا فى وقت الأصيل. قال أبو النجم:

«فَصَدرت بعد أصِيل المؤصِل».

* * *

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ (١)

من ذلك قرأ ابنُ مسعود وسعد بنُ أبى وقاص وعليٌّ بن الحسين وأبو جعفر محمد ابن على وزيد بن على وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف: «يسألونك الأنفال»[(١)].

قال أبو الفتح: هذه القراءَة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأُخرى التى هى: «عن الأنفال»، وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضًا لطلبها، واستعلامًا لحالها: هل يَسُوغ طلبها؟.

وهذه القراءَة بالنصب إصراح بالتماس الأنفال وبيانٌ عن الغرض فى السؤال عنها. فإن قلت: فهل يحسن أن تحملَها على حذف حرف الجر حتى كأنه قال: يسأَلونك عن الأنفال، فلما حذف عن نصب المفعول، كقوله[(٢)]:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

قيل: هذا شاذ، إنما يحمله الشعر، فأما القرآن فيُختار له أفصح اللغات وإن كان قد جاء: ﴿**واختار موسى قَوْمَه سبعين رَجُلاً**﴾[(٣)] ﴿**واقْعُدوا لهم كلَّ مَرْصَد**﴾[(٤)] فإن الأظهر ما قدمناه.

* * *

---

(١) وقراءة عكرمة، وعطاء، والضحاك. انظر: (الكشاف ٢/١١٢، الطبرى ١٣/٣٧٧، التبيان ٥/٨٦، البحر المحيط ٤/٤٥٦، النحاس ١/٦٤٤).

(٢) من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى، وعجزه: «فقد تركتك ذا مال وذا نَشَبِ».
انظر: (الكتاب ١/٣٧)، وقيل: البيت فى شعرين مختلفين أحدهما لأعشى طرود، والآخر مختلف فى قائله، فقيل: عمرو بن معد يكرب، وقيل: العباس بن مرداس، وقيل: زرعة بن السائب، وقيل: خفاف بن أم ندبة. انظر: (خزانة الأدب ١/ ١٦٤: ١٦٦).
النشب: المال الثابت كالضياع ونحوها، من نشب الشىء، والمال. الإبل، أو هو عام، وشاهده «أمرتك الخير».

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥٥).

(٤) سورة التوبة الآية (٥).

وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴿٧﴾

ومن ذلك قراءَة ابن محيصن: «وإِذْ يعِدُكم ا للهُ احدى الطائفتين»[1] يصل ضمة الهاء بالحاء ويسقط الهمزة.

قال أبو الفتح: هذا حَذف على غير قياس، ومثله قراءَة ابن كثير: «إنها لَحْدَى الكُبَر»[2]، وقد ذكرنا نحوه، وهو ضعيف القياس، والشعر أولى به من القرآن.

* * *

وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴿٧﴾

ومن ذلك قراءة مسلمة بن محارب: «وإذ يعِدْكُم ا للهُ»[3]، بإسكان الدال. قال أبو الفتح: أسكن ذلك لتوالى الحركات وثقل الضمة، وقد ذكرنا قبله مثله.

* * *

مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾

ومن ذلك قراءَة رجل من أهل مكة، زعم الخليل أنه سمعه يقرأُ: «مُرَدّفين»[4]. واختَلفت الرواية عن الخليل فى هذا الحرف، فقال بعضهم: «مُرُدِّفين»[5]، وقال آخر: «مُرِدِّفين»[6].

قال أبو الفتح: أصله «مُرْتَدِفين» مفتعلين من الرَّدْف، فآثر إدغام التاء فى الدال، فأسكنها وأَدغمها فى الدال، فلما التقى ساكنان وهما الراءُ والدال حرك الراءَ لالتقاء الساكنين: فتارة ضمها إتباعًا لضمة الميم، وأُخرى كسرها إتباعًا لكسرة الدال.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤/ ٤٦٤، الإتحاف ٢٣٥).

(٢) سورة المدثر الآية (٣٥).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٦٤، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٦٥، الطبرى ١٣/٤١٥، القرطبى ٧/٧٠، إعراب القرآن للنحاس ٦٦٧/١، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٣).

(٥) انظر: (الكشاف ٢/ ١١٦، القرطبى ٧/ ٣٧٠، الطبرى ١٣/٤١٥، البحر المحيط ٤/ ٤٦٥، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٦٦٧).

(٦) انظر: (الطبرى ١٢/ ٤١٧، البحر المحيط ٤/ ٤٦٥، القرطبى ٧/ ٣٧٠، إعراب القرآن للنحاس ٦٦٧/١).

ومثله: ﴿وجـاءَ الْمُعْـذِّرون﴾. ومـن كسـر الـراءَ فلالتقـاء السـاكنين، وعليـه جـاءَ: ﴿وجاءَ الْمُعْذِّرون﴾[١]. ويجوز فيهما أن تنقل حركة الحرف الساكن على الساكن قبله فيقول: «مُرَدِّفِين»، «وجاءَ الْمُعَذِّرون» مفعلين من الاعتذار، على قولهم: عذّر فى الحاجة: أى قصر، وأعذر: تقدم.

* * *

أَمَنَةً نُّعَاسًا [آل عمران: ١٥٤]، وأما آية الأنفال: ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ [الأنفال: ١١]

ومن ذلك قراءة ابن محيصن: «أَمْنَةً نُعَاسا»[٢] بسكون الميم.

قال أبو الفتح: لا يجوز أن يكون «أَمْنة» مخففًا من «أَمَنَةً» كقراءَة الجماعة، من قِبـل أن المفتوح فى نحو هذا لا يُسكن كما يُسكن المضموم فى المكسور لخفة الفتحة. وأما قوله:

وما كل مبتاع ولو سلف صفقه ... بـــراجع ما قـد فاتـه بِرِداد[٣]

قـال أبـو الفتـح: فشـاذ. على أننـا قـد ذكرنـا وجـه الصنعـة فـى كتابنـا الموسـوم بالمنصف[٤].

* * *

مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ١١

ومن ذلك قراءة الناس: ﴿ماءً لِيُطَهِّرَكم به﴾ وقرأ الشعبى:[٥] «مَـا لِيُطَهَركـم بـه»[٦] على معنى الذى به.

قال أبو الفتح: ما هاهنا موصولـة، وصلهـا حـرف الجـر بما جره، وكأنـه قـال: مـا

(١) سورة التوبة الآية (٩٠).
(٢) انظر: (الإتحاف ٢٣٦، البحر المحيط ٢٦٨/٤).
(٣) سبق الاستشهاد به صفحة (٣٦١).
(٤) انظر: (المنصف ٢١/١).
(٥) عامر بن شراحيل بن عبد، الشعبى الحميرى، أبو عمرو (١٩ - ١٠٣هـ=٦٤٠ - ٧٢١م)، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. انظر: (تهذيب التهذيب ٦٥/٥، الوفيات ٢٢٤/١، حلية الأولياء ٣١٠/٤، تهذيب ابن عساكر ١٣٨/٧، سمط اللآلى ٧٥١، تاريخ بغداد ٢٢٧/١٢، الأعلام ٢٥١/٣).
(٦) انظر: (الكشاف ٢/ ١١٧، البحر المحيط ٤/ ٤٦٨، مجمع البيان ٥٢٣/٢).

لِلطُّهور، كقولك: كسوته الثوب الذى لدفع البرد، ودفعت إليه المال الذى للجهاد، واشتريت الغلام الذى للقتال.

ألا تَرى أن تقديره ويُنَزِّل عليكم من السماء الماءَ الذى لأن يُطهِّركم به، أى الماء الذى لطهارتكم أو لتطهيركم به. وهذه اللام فى قراءة الجماعة: ﴿ماءً لِيُطَهِّركم به﴾ هى لام المفعول له، كقوله: زرتك لتكرمنى، وهى متعلقة بزرتك، ولا ضمير فيها لتعلقها بالظاهر.

فهى كقوله تعالى: ﴿إنا فَتَحنا لك فَتَحًا مُبينا لِيغفِر لك الله﴾[1]، فهى كما ترى متعلقة بنفس «فتحنا» تعلق حرف الجر بالفعل قبله.

وأما اللام فى قراءَة من قرأ: «ما لِيُطَهِّرَكم به»، أى الذى للطهارة به، فمتعلقة بمحذوف، كقولك: دفعت إليه المال الذى له، أى استقر أو ثبت له، وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف.

وأما لام المفعول له فلا تكون إلا متعلقة بالظاهر نحو زرته ليكرمنى وأعطيته ليشكرنِى، أو بظاهر يقوم مقام الفعل كقولك: المال لزيد لينتفع به، فاللام فى «لزيد» متعلقة بمحذوف على ما مضى، والتى فى قولك: لينتفع به هى لام المفعول له، وهى متعلقة بنفس قولك: لزيد تعلقها بالظرف النائب عن المحذوف فى نحو قولك: أزيد عندك لتنتفع بحضوره؟ وزيد بين يديك ليُؤْنِسك.

فاللام هنا متعلقة بنفس الظرفين اللذين هما عندك وبين يديك.

وعلى كل حال فمعنى القراءَة: ﴿ماءً لِيُطَهِّرَكم به﴾، والقراءَة بقوله: «مَا لِيُطَهِّركم به»، يرجعان إلى شيء واحد، إلا أن أشدَّهما إفصاحا بأن الماء أُنزل للتطهر به هى قراءَة مَن قرأ: ﴿ماءً لِيُطهِّركم به﴾؛ لأن فيه تصريحًا بأن الماءَ أُنزل للطهارة، وتلك القراءة الشاذة إنما يُعْلَم أنه أُنزل للطهارة به، فالقراءَة الأُخرى وبغيرها - مما فيه إصراح بذلك.

وعلى كل حال فلام المفعول له لا تتعلق بمحذوف أبدًا، إنما تعلُّقها بالظاهر، فعلاً كان أو غيره مما يقام مقامه.

* * *

(١) سورة الفتح الآيتان (١، ٢).

﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ﴿١١﴾

ومن ذلك قراءة أبى العالية[١]: «رِجْسَ الشيطان»[٢]، بالسين.

قال أبو الفتح: كل شيء يُستقذَر عندهم فهو رِجس، كالخنزير ونحوه.

وفيما قرئ على أبى العباس أحمد بن يحيى[٣] قال: الرجس فى القرآن: العذاب، كالرجز. ورِجسُ الشيطان: وسوستُه وهَمْزُه ونحو ذلك من أمره. والرجز: عبادة الأوثان، ويقال: هو إثم الشرك كله.

وقرىء: «والرِّجْزَ والرُّجْزَ»، جميعًا «فاهْجُرْ»[٤]. قال: وقال بعضهم: أراد به الصنم. قال: وكل عذاب أُنزل على قوم فهو رِجز، ووسواس الشيطان رجز. وقد ترى إلى تزاحم السين والزاى فى هذا الموضع، فقراءَة الجماعة: ﴿رِجْزَ الشيطان﴾ معناه كمعنى رِجس الشيطان. وقد نبهنا في كتابنا المعروف بالخصائص[٥] من هذه الطريق فى تزاحم الحروف المتقاربة ما فى بعضه كل مقنع بمشيئة الله.

* * *

---

(١) أبو العالية الرياحى، رفيع بن مهران، من كبار التابعين، أخذ القرآن عرضا عن أبى بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس، وصح أنه عرض على عمر، توفى سنة ٩٠ هـ، وقيل: سنة ٩٦ هـ. انظر: (طبقات القراء ١/٢٨٤).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/ ١١٧، البحر المحيط ٤/٤٦٩).

(٣) أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيبانى بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (٢٠٠ - ٢٩١هـ = ٨١٦ - ٩٠٤م): إمام الكوفيين فى النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات فى بغداد. من كتبه: «الفصيح»، «قواعد الشعر»، «شرح ديوان زهير»، «مجالس ثعلب»، «معانى القرآن». انظر: (نزهة الألبا ٢٩٣، تذكرة الحفاظ ٢/٢١٤، طبقات ابن أبى يعلى ١/٨٣، أداب اللغة ٢/١٨١، ابن خلكان ١/٣٠، تاريخ بغداد ٥/٢٠٤، الأعلام ١/٢٦٧).

(٤) سورة المدثر الآية (٥)، وقراءة الضم هى قراءة الجمهور، والكسر قراءة ابن مسعود. قال الخليل فى العين (٦: ٦٦): وقرئ «والرجز فاهجُر» بكسر الراء وفيها بضمها وهما واحد، وقال فى الدر المنثور: أخرج الطبرانى والحاكم وصححه (المستدرك ٢٩٩١/١٢٠)، وابن مردوية عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ على رسول الله ﷺ: «والرجز فاهجر» بالكسر. انظر: (الدر المنثور ٦/٤٥٢، الزجاج معانى القرآن ٥/٢٤٥).

(٥) انظر: (الخصائص ٢/٨٤: ٩٠).

﴿بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ (٢٤)

ومن ذلك قراءة الحسن والزهرى «بين المَرِّ وقلبه»(١).

قال أبو الفتح(٢): وجه الصنعة فى هذا أنه خفف الهمزة فى «المرء» وألقى حركتها على الراء قبلها، فصارت بين المر وقلبه، ثم نوى الوقف فأسكن وثقل الراء على لغة من قال فى الوقف: هذا خالدّ وهو يجعلّ، ثم أطلق ووصل على نية الوقف، فأقر التثقيل بحاله على إرادة الوقف.

وعليه قوله، أنشدَناه أبو على(٣):

بِبَــازِلٍ وَجنــاءَ أَو عَيْهَــلِّ (٤)

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/١٢١، البحر المحيط ٤/٤٨٢).

(٢) نقل البغدادى هذا النص فى شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٨ عن ابن جنى ونسبه إلى المنصف، ولكنه فى المحتسب كما هنا ولم يذكره فى المنصف.

(٣) البيت من أرجوزة طويلة لمنظور بن مرثد الأسدى، وقيل: لمنظور بن حبة الأسدى، (وهو بعينه منظور بن مرثد).

قال المجد: «ومنظور بن حبة راجز، وحبة أمه، وأبوه مرثد، والشطر الأول: «نسل وجد الهائم المغتلِّ». انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٦، ٢٤٧).

(٤) قال البغدادى: على أنهم جوزوا فى الشعر تحريك لام المضعف لأجل حرف الإطلاق مع أن حقه السكون فى غير الشعر كما جوزوا فيه أن يحركوا لأجل المجىء بحرف الإطلاق ما حقه السكون فى غيره.

قال سيبويه: «وأما تضعيف قولك: هذا خالده، وهو يجعل، وهذا فرج حدثنا بذلك الخليل عن العرب، ومن ثم قالت العرب: فى الشعر فى القوافى سبسبًا تريد السبسَبَ، وعيهل تريد العيهل، لأن التضعيف لما كان فى كلامهم فى الوقف أتبعوه الياء فى الوصل والواو على ذلك كما يلحقون الواو والياء فى القوافى فيما لا تدخله واو ولا ياء فى الكلام، وأجروا الألف مجراهما؛ لأنها شريكتها فى القوافى، ويمد بها فى غير موضع التنوين، ويلحقونها فى غير التنوين؛ فألحقوها بهما فيما ينون فى الكلام، وجعلت سبسب كأنه مما لا تلحقه الألف فى النصب؛ إذا وقفت، قال رجل من بنى أسد [من الرجز]: «ببازل وجناء أو عيهل».

وقال رؤبة [من الرجز]:

لقد خشيت أن أرى جَدَبا … فى عامنا ذا بعدما أخصبا

أراد جَدْبا؛ وقال رؤبة: [من الرجز]: «بـدء يحب الخُلُق الأضخما».

يريد العيهلَ فنوى الوقف فثقَّل، ثم أَطلق وهو يريد الوقف. ومثله ما قرأْناه على أَبى بكر محمد بن الحسن عن أَبى العباس أَحمد بن يحيى:

ومُقلتان جَوْنتا المكحَلِّ

يريد المَكْحَلَ. وأَول هذه القصيدة (١):

ليت شبابى عاد للأَوّلّ وغَضٌّ عيش قد خلا أَرْغَلُّ (٢)

وفيها أَشياءُ من هذا الطراز كثيرة، فكذلك «المَرِّ» على هذا.

وقراءَة الجماعة من بعدُ أَقوى وأَحسن، لأَنَّ هذا من أَغراض الشعر لا القرآن.

* * *

لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴿٢٥﴾

ومن ذلك قراءَة العامة: «لا تُصِيبَن الذّينَ ظَلَمُوْا»، وقراءَة على وزيد بن ثابت وأَبى جعفر محمدِ بن على (٣) والربيع بن أَنس وأَبى العالية وابن جمّاز: «لَتصِيبَنّ» (٤).

قال أَبو الفتح: معنيا هاتين القراءَتين ضدان كما ترى؛ لأَن إِحداهما ﴿**لا تُصِيبَنّ الذين ظَلَمُوا منكم خاصةً**﴾، والأُخرى: «لَتُصِيبَنَّ» هؤلاء بأَعيانهم خاصة. وإِذا تباعد معنيا قراءَتين هذا التباعد وأَمكن أَن يُجمع بينهما كان ذلك جميلاً وحسنًا، ولا يجوز أَن

= فعلوا هذا إذ كان من كلامهم أن يضعفوا. انتهى كلامه. انظر: (الكتاب ٢/٢٨٢، شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٦، ٢٤٧. سر صناعة الإعراب ١/١٦١، ٢/٤١٧).

(١) انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٦).

(٢) شدد لام أوَّل، وأرغل كذلك، وهو بالغين المعجمة، قال صاحب العباب: وعيش أرغَل وأغرل: أى واسع. انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٢٤٦).

(٣) محمد بن على زين العابدين بن الحسين الطالبى الهاشمى القرشي، أبو جعفر الباقر (٥٧ - ١١٤هـ = ٦٧٦ - ٧٣٣م): خامس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية. كان ناسكًا عابدًا، له فى العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة. وتوفى بالحميمة ودفن بالمدينة. انظر: (تذكرة الحفاظ ١/١١٧، تهذيب التهذيب ٩/٣٥٠، وفيات الأعيان ١/٤٥٠، اليعقوبى ٣/٦٠، صفة الصفوة ٢/٦٠، ذيل المذيل ٩٦، حلية الأولياء ٣/١٨٠، الأعلام ٦/٢٧٠، ٢٧١).

(٤) وقراءة عبدالله بن مسعود، والزبير بن العوام، وأبى. انظر: (الكشاف ٢/١٢١، القرطبى ٧/٣٩٢، مجمع البيان ٢/٣٢، البحر المحيط ٤/٤٨٦، شرح المفصل ٨/١١٧، مغنى اللبيب ١/٢٠٣).

يراد زيادة «لا» من قِبل أنه كان ويصير معناه: واتقوا فتنة تصيبن الذين ظَلموا منكم خاصة، فليس هذا عندنا من مواضع دخول النون، ألا تراك لا تقول: ضربت رجلاً يدخلَنّ المسجد؟ هذا خطأ لا يقال، ولكن أقرب ما يصرف إليه الأمر فى تلافى معنيى القراءَتين أن يكون يراد لا تصيبنّ، ثم يحذف الألف من «لا» تخفيفًا واكتفاءً بالفتحة منها، فقد فَعَلَت العرب هذا فى أخت «لا» وهى «أمَا».

من ذلك ما حكاه محمد بن الحسن من قول بعضهم: أمَ وا الله ليكوننّ كذا، فحذف ألف أمَا تخفيفا، وأنشد أبو الحسن وابن الأعرابى وغيرهما [١]:

فلستُ بمدرك ما فات منى ... بلَهْفَ ولا بِلَيت ولا لو انى[٢]

يريد بلهفًا، فحذف الألف.

وذهب أبو عثمان فى قول الله سبحانه: «يَا أَبتَ»[٣]، فيمن فتح التاءَ أنه أراد يا أبتا، فحذف الألف تخفيفًا. وأنشدوا [٤]:

قد وَرَدَتْ مِنْ أَمْكِنَهْ ... مِنْ ها هنا ومن هُنَهْ

إن لم أُروّها فَمَهْ[٥]

يريد: إن لم أروها فما أصنع؟ أو فما مغناى؟ أو فما مقدارى؟ فحذف الألف. وألحق الهاءَ لبيان الحركة، وروينا عن قطرب[٦].

---

(١) أنشده أبو الحسن فى كتابه معانى القرآن ص ٦٥، ٧٢، وهو فى الخصائص ٣/١٣٧، الأمالى الشجرية ٢/٧٤، واللسان «لهف»، ١١/٢٣٤، الإنصاف ٣٩٠، ٤٤٩، ٥٤٦، العينى ٤/٢٤٨، الخزانة ١/٦٣، سر صناعة الإعراب ٢/٥٢١، ٧٢٨.

(٢) فى معانى القرآن للأخفش ص ٧٣: يريد: بلهفاه، وفى سر صناعة الإعراب ٢/٥٢١ «بلهفا» وفيه ٢/٧٢٨ بلَهْفَى.

(٣) سورة يوسف الآية (٤). وقراءة الجماعة: ﴿يَا أَبتِ﴾.

(٤) ذكر فى سر صناعة الإعراب ١/١٦٣، ٢/٥٥٥ قال: فيما أخبرنا به بعض أصحابنا يرفعه بإسناده إلى قطرب فذكره، وهو فى: (المنصف ٢/١٥٦، وشرح شواهد الشافية ٤/٤٧٩، وشرح المفصل ٣/١٣٨، ٤/١٠، ٤٣ والأول والثانى فى شرح الملوكى ص ٣١٢، ٣١٥، وشرح المفصل ٩/٨١، والممتع ٤٠٠، واللسان «هنا» ٢٠/٣٧٤).

(٥) قوله: «فقد وردت» أى: الإبل، والورود: الوصول إلى الماء من غير دخول فيه، وقد يكون دخولاً، وأمكنة: جمع مكان، ومن هاهنا - إلى آخره: يدل من أمكنة، وروى «إن لم تُرَوَّها بالخطاب». انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٤٧٩، ٤٨٠).

(٦) انظر: (سر صناعة الإعراب ١/١٦٣).

فعلى هذا يجوز أن يكون أراد بقوله: «لَتُصِيبَنَّ»: لا تُصِيبَنّ، فحذف ألف لا تخفيفا من حيث ذكرنا.

فإن قلت: فهل يجوز أن يحمله على أنه أراد: لَتُصِيبَن الذين ظلموا منكم خاصة، ثم أشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفا كالأبيات التى أنشدتها قبل هذا الموضع، نحو قوله:

ينباع مِن ذِفْرَى غَضوب جَسْرة (١)

وهو يريد ينبع؟.

قيل: يمنع من هذا المعنى، وهو قوله تعالى يليه: ﴿**واعلموا أنّ الله شديدُ العِقاب**﴾(٢) فهذا الإغلاظ والإرهاب أشبه بقراءة من قرأ: ﴿**لا تُصيبن الذين ظَلموا منكم خاصة**﴾ من أن يكون معناه إنما تصيب الذين ظلموا خاصة.

فتأمل ذلك فإنه يَضِحُ لك بمشيئة الله.

* * *

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴿٣٥﴾

ومن ذلك ما روى عن عاصم أنه قرأ: «وما كان صَلاتَهم عِند البيت» نصبا، «إلا مُكاءٌ وتَصْدِيةٌ» رفعا. رواه عبيد الله عن سفيان عن الأعمش أن عاصمًا قرأ كذلك.

قال الأعمش: وإن لحن عاصم تلحن أنت؟! وقد رُوى هذا الحرف أيضًا عن أبان ابن تَغلب (٣) أنه قرأ كذلك.

قال أبو الفتح: لسنا ندفع أنّ جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح، فإنما جاءَت منه أبيات شاذة، وهو فى ضرورة الشعر أعذر، والوجه اختيار الأفصح الأعرب، ولكن من وراءِ ذلك ما أذكره.

اعلم أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته، ألا ترى أنك تقول: خرجت فإذا أسد

(١) سبق الاستشهاد به صفحة (١٦٠).

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٥.

(٣) أبان بن تغلب بن رباح البكرى الجريرى بالولاء، أبو سعيد (١٤١هـ = ٧٥٨م): قارئ لغوى، من غلاة الشيعة. من أهل الكوفة. كان جده رباح مولى لجرير بن عباد البكرى فنسب إليه. من كتبه: «غريب القرآن»، «القراءات»، «صفين»، «الفضائل»، «معانى القرآن». انظر: (اللباب ١/٢٢٤، فهرست الطوسى ١٧، أعيان الشيعة ٥/٤٧ - ٦١، الأعلام ١/٢٧).

بالباب فتجد معناه معنى قولك: خرجت فإذا الأسد بالباب لا فرق بينهما؟ وذلك أنك في الموضعين لا تريد أسدًا واحدًا معينًا، وإنما تريد خرجت فإذا بالباب واحد من هذا الجنس، وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في ﴿مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ جوازًا قريبًا، حتى كأنه قال: وما كان صلاتَهم عند البيت إلا المُكَاءُ والتصديةُ، أي إلا هذا الجنس من الفعل. وإذا كان كذلك لم يجر هذا مجرى قولك: كان قائم أخاك، وكان جالس أباك، لأنه ليس في جالس وقائم من معنى الجنسية التي تلاقى معنيا نكرتها ومعرفتها على ما ذكرنا وقدمنا.

وأيضًا فإنه يجوز مع النفي مِن جعل اسم كان وأخواتها نكرة ما لا يجوز مع الإيجاب. ألا تراك تقول: ما كان إنسان خيرًا منك ولا تجيز كان إنسان خيرًا منك؟ فكذلك هذه القراءَة أيضًا، لَما دخلها النفي قوِي وحسن جعلُ اسم كان نكرة. هذا إلى ما ذكرناه من مشابهة نكرة اسم الجنس لمعرفته، ولهذا ذهب بعضهم في قول حسان(١):

كأَنَّ سَبيئة من بَيت رأْس ... يكون مزاجَها عسل وماءُ(٢)

أنه إنما جاز ذلك من حيث كان عسل وماء هما جنسين، فكأنه قال: يكون مزاجَها العسل والماء، فبهذا تسهل هذه القراءَة، ولا يكون من القبح واللحن الذي ذهب إليه الأعمش على ما ظن.

* * *

بِٱلْعُدْوَةِ ﴿٤٢﴾

ومن ذلك قراءَة الناس ﴿بالعُدْوَةِ﴾ و«العِدْوِة»، بالضم والكسر(٣). وقرأ

---

(١) انظر: (ديوانه ٣، الكتاب ٤٩/١، لسان العرب «سبأ»، خزانة الأدب ٤٠/٤).

(٢) السبيئة: الخمر، وفي رواية السيرافي والشنتمري: كأن سلافة. وبيت رأس: موضع بالشام. وخبر كأن في البيت بعده:

على أنيابها أو طعم غض ... من التفاح هصره اجتناء

(٣) كسر العين قراءة ابن كثير، وأبي عمرو بن العلاء، ويعقوب، وابن محيصن، والحسن، واليزيدي، وضمها قراءة باقي السبعة. انظر: (الإتحاف ٢٣٧، الطبري ٥٦٥/١٣، القرطبي ٢١/٨، السبعة ٣٠٦، الكشاف ١٢٧/٢، معاني القرآن للأخفش ٣٢٣/٢، الرازي ٣٦٩/٤، النشر ٢٧٦/٢، التبيان ١٤٧/٥، التيسير ١١٦، البحر المحيط ٤٩٩/٤، إعراب القرآن للعكبري ٤/٢، العنوان ٨٨، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٠، ١٧١، الحجة لأبي زرعة ٣١١، غيث النفع ٢٣٤، الكشف ٤٩١/١، مجمع البيان ٥٤٨/٢).

«بالعَدْوَةِ»(١) قَتادة(٢) والحسن وعمرو، واختلف عنهم.

قال أَبو الفتح: الذى فى هذا أنها لغة ثالثة، كقولهم: فى اللبن رِغوة ورَغوة ورُغوة. ولها نظائر مما جاءَت فيها فُعْلة وفِعْله وفَعْله، منه قولهم: له صِفوة مالى وصَفوته وصُفوته، روى ذلك أَبو عبيدة. ومثله أَوطأته عَشوة وعُشوة وعِشوة، روى ذلك أَبو عبيدة وابن الأَعرابى.

وروى الكسائى: كلمته بحَضرة فلان وحِضرته، وحكى ابن الأَعرابى: غَشوة وغُشوة وغِشوة، وغِلطة وغُلطة وغَلطة. وقالوا: شاة لَجْبَةُ ولُجْبة ولِجْبة وربْوة ورُبْوة ورَبْوة، فكذلك تكون أيضًا العِدوة والعَدوة والعُدوة. وروى ابن الأَعرابى أَيضًا: المُدية والمِدية والمَدية، بالفتح.

* * *

فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴿٥٧﴾

ومن ذلك ما يروى عن الأعمش أنه قرأ: «فَشَرِّذ بِهِم مِنْ خَلْفَهم» (٣)، بالذال معجمة.

قال أَبو الفتح: لم يمور بنا فى اللغة تركيب ش ر ذ، وأَوجه ما يُصْرَف إليه ذلك أَن تكون الذال بدلا من الدال، كما قالوا: لحم خَرادل وخَراذل. والمعنى الجامع لهما أَنهما مجهوران ومتقاربان.

* * *

فَٱجْنَحْ ﴿٦١﴾

ومن ذلك قراءَة الأَشهب العقيلىّ: «فاجْنُحْ» (٤)، لها بضم النون.

---

(١) وقراءة زيد بن على. انظر: (البحر المحيط ٤/٤٩٩، الكشاف ٢/١٢٧، الرازى ٤/٣٦٩).

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسى البصرى (٦١ - ١١٨هـ = ٦٨٠ - ٧٣٦م): مفسر حافظ ضرير. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا فى العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلس فى الحديث. مات بواسط فى الطاعون. انظر: (تذكرة الحفاظ ١/١١٥، نكت الهيمان ٢٣٠، النووى ٢/٥٧، ابن خلكان ١/٤٢٧، المعارف ٢٠٣، طبقات المدلسين ١٦، إرشاد الأريب ٦/٢٠٢، الأعلام ٥/١٨٩).

(٣) ابن مسعود والمطوعى. انظر: (الإتحاف ٢٣٨، الكشاف ٢/١٣٢، البحر المحيط ٤/٥٠٩).

(٤) انظر: (القرطبى ٨/٣٩، الكشاف ٢/١٣٢، البحر المحيط ٤/٥١٤).

قال أَبو الفتح: حكى سيبويه جنَح يجنُح، وهى فى طريق ركَد يركُد، وقعدَ يقعُد، وسفَل يسفُل فى قربها ومعناها. ويؤكد ذلك أَيضًا ضَربٌ من القياس، وهو أَن جنح غير متعد، وغير المتعدى الضم أَقيس فيه من الكسر. فقعد يقعد أَقيس من جلس يجلس؛ وذلك أَن يفعُل بابه لِمَا ماضيه فعُل نحو شرُف يشرُف، ثم أُلحق به قعد. وباب يفعِل بابه لِمَا يتعدى نحو ضرب يضرب، فضرب يضرب إِذًا أَقيس من قتل يقتل، كما أَن قعد يقعد أَقيس من جلس يجلس. وقد تقصيت هذه الطريق فى كتابى المنصف [1].

* * *

وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَاخِرَةَ ﴿٦٧﴾

ومن ذلك قراءَة ابن جمّاز: «والله يُريد الآخرةِ» [2]، يحملها على عَرَض الآخرة.

قال أَبو الفتح: وجه جواز ذلك على عزته وقلة نظيره - أَنه لما قال: «تريدون عَرَض الدنيا»، فجرى ذكر العَرَض فصار كأَنه أَعاده ثانيًا فقال: عرض الآخرة، ولا يُنكَر نحو ذلك.

أَلا ترى إِلى بيت الكتاب [3]:

أَكُلَّ امرئ تحسبين امرأً ... ونار تَوَقَّد بالليل نارا

وأَن تقديره: وكل نار؟ فناب ذكره كُلاًّ فى أَول الكلام عن إِعادتها فى الآخر حتى كأَنه قال: وكُلَّ نار هربًا من العطف على عاملين، وهما كل وتحسبين. وعليه بيته أَيضًا[4]:

إِنَّ الكريم وأَبيك يَعتمِلْ ... إِنْ لم يجد يومًا على من يتكلْ[5]

---

(١) انظر: (المنصف ١/١٨٥ وما بعدها).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/١٣٤، البحر المحيط ٤/٥١٨).

(٣) نسبه فى الكتاب ١/٦٦ لأبى داود، وفى أمالى ابن الشجرى ١/٢٩٦ بدون نسبة، وفى كامل المبرد ١٦٣: وأنشد سيبويه لعدى بن زيد العبادى وفى حواشيه «الصحيح أنه لأبى داود الإيادى» وكذا نسب إلى عدى فى الكامل ٤٨٩.

(٤) أنشده سيبويه لبعض الأعراب. انظر: (الكتاب ٣/٨١، العقد الفريد ٥/٣٩٢، الخصائص ٢/٣٠٧، أمالى ابن الشجرى ٢/١٦٨، الزجاجى ٢٣٤، ٢٣٥، مجالس العلماء ٨٢٠، شرح شواهد المغنى ١٤٣، همع الهوامع ٢/٢٢، شرح التصريح ٢/١٥، شرح الأشمونى ٢/٢٢٢، اللسان «عمل»).

(٥) يعتمل: يعمل لنفسه ويحترف لإقامة العيش وبعدهما فى اللسان: فيكتس من بعدها ويكتحل.

أراد: من يتكل عليه، فحذف عليه من آخر الكلام استغناءً عنها بزيادتها فى قوله: «على من يتكل»، وإنما يريد إن لم يجد من يتكل عليه.

وعليه أيضًا قول الآخر (١):

أَتدْفع عن نفس أَتاها حِمامُها   فهلا التى عن بين جنبيك تَدفع(٢)

أَراد فهلا عن التى بين جنبيك تدفع، فزاد «عن» فى قوله: عن بين جنبيك، وجعلها عوضًا من «عن» التى حذفها وهو يريدها فى قوله: فهلا التى، ومعناها فهلا عن التى.

وله نظائر، فعلى هذا جازت هذه القراءَة، أَعنى قوله: «تُريدونَ عرَضَ الدنيا وا لله يُريد الآخرةِ»، فى معنى عرضَ الآخرة وعلى تقديره. ولعمرى إنه إذا نصب فقال على قراءَة الجماعة: ﴿وا لله يُريدُ الآخرةَ﴾ فإنما يريد عرضَ الآخرة، إلا أَنه يَحذف المضاف ويقيم المضاف إِليه مقامه، وإِذا جرّ فقالا: يريد الآخرةِ صار كأَن العَرَض فى اللفظ موجود لم يحذف، فاحتُمل ضعف الإعراب تجريدًا للمعنى وإِزالة للشك أَن يَظن ظان أَنه يريد الآخرةَ إِرادة مرسلة هكذا. هذا إلى ما قدمناه من حذف لفظ لمجيئه فيما قَبْلُ أَو بعْد.

* * *

(١) لرجل من محارب يعزى ابن عم له على ولده. انظر: ذيل الأمالى، ذكر منسوب إلى زيد بن رزين ابن الملوح المحاربى أخى ابن بكر فى: (سمط اللآلى ١٠٩، وشواهد المغنى ١٤٩).

(٢) روى: «فهل أنت عما بين جنبيك تدفع؟».

ســورة التــوبــة

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴿١﴾

من ذلك حكى أَبو عمرو أن أَهل نَجران يقولون: «براءَةٌ مِـنِ ا للهِ»[1]؛ يَجرّون الميم والنون.

قال أَبو الفتح: حكاها سيبويه، وهى أَول القياس، تكسرها لالتقاءِ الساكنين، غير أَنه كُثر استعمال «من» مع لام المعرفة فهربوا من توالى كسرتين إلى الفتح. وإِذا كانوا قد قالوا: ﴿قُمَ الليلَ﴾ [2]، ﴿وقُلَ الحقُّ﴾[3]، ففتحوا و لم تلتق هناك كسرتان فالفتح فى ﴿مِنَ ا للهِ﴾ لتوالى الكسرتين أَولى.

* * *

ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا ﴿٤﴾

ومن ذلك قراءَة عِكرمة: «ثُم لم يَنقضوكم شيئًا [4]»، بالضاد معجمة. قال: أَى لم ينقضوا أُموركم، وهو كناية حسنة عن النقص؛ لأَنه إِذا نقصه شيئًا من خاصّه فقد نقضه عما كان، فهذه طريقة.

* * *

إِلًّا وَلَا ذِمَّةٗ ﴿٨﴾

ومن ذلك قراءَة عِكرمة أيضًا: «إِيْلاً ولا ذِمَّةً [5]»، بياءٍ بعد الكسرة خفيفة اللام.

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٦، الكشاف للزمخشرى ٢/١٧٢، البحر المحيط ٥، ٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/٤، تفسير الآلوسى ١٠/٤٢).

(٢) سورة المزمل الآية (٢).

(٣) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٤) وعطاء بن يسار، وأبو زيد، وابن السميفع. انظر: (الكشاف ٢/١٧٤، الجامع لأحكام القرآن ٨/٧١، التبيان للطوس ٥/١٧٢، البحر المحيط ٥/٨، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٦، مجمع البيان ٥/٤، تفسير الرازى ١٥/٢٤٤، تفسير الآلوسى ١٠/٤٩).

(٥) وقراءة طلحة بن مصرف. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٢، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٧، الكشاف ٢/١٧٦ مجمع البيان ٥/٨، البحر المحيط ٥/١٣).

قال أبو الفتح: طريق الصنعة فيه أن يكون أراد «إلاًّ» كقراءَة الجماعة، إلا أنه أبدل اللام الأُولى ياء لثقل الإدّغام، وانضاف إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة. وقد جاءَ نحو هذا أحرف صالحة كدينار، لقولهم: دنانير، وقيراط لقولهم: قراريط، وديماس فيمن قال: دماميس، وديباج فيمن قال: دبابيج، وشيراز فيمن قال: شراريز. وقد جاء مع الفتحة استثقالا للتضعيف وحده. قال سعد بن قُرْط يهجو أُمَّه [١]:

يا ليتما أُمُّنا شالت نَعامتُها ... أَيْما إلى جنة أَيما إلى نار

وروينا عن قطرب [٢]:

لا تفسدوا آبالَكم ... أَيْمَا لنا أَيْمَا لكم

وقال عمر بن أبي ربيعة [٣]:

رأت رجلاً أَيْما إذا الشمس عارضت ... فيَضْحَى وأَيما بالعشي فيَخصرَ

وقد قلبوا الثانى منهما فقالوا فى أمللت: أمليت، وفى أَمَلُّ: أَمْلَى أَنا. وحدثنا أبو على أن أحمد بن يحيى حكى عنهم: لا ورَبْيك لا أَفعل، أى لا وربَّك، فكذا تكون قراءَة عِكرمة «إيلاً ولا ذِمّة»، يريد إلاًّ، وأبدل الحرف، الأول ياء لما ذكرناه.

وقد يجوز أن يكون فِعْلا من أُلْتُ الشيء إذا سُسْته أَءُوله إيالة. إلا أنه قلب الواو ياء لسكونها والكسرة قبلها.

* * *

وَيَتُوبُ ٱللَّهُ ﴿١٥﴾

ومن ذلك قراءَة الأعرج [٤] وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفى [٥] وعمرو

---

(١) انظر: (شرح الحماسة للتبريزى ٤/١٧٥).

(٢) انظر: (خزانة الأدب ٤/٤٣٢).

(٣) انظر: (ديوانه ١٨٣).

(٤) عبدالرحمن بن هرمز، أبو داود، من موالى بنى هاشم، عُرف بالأعرج (١١٧هـ = ٧٣٥م): حافظ، قارئ، من أهل المدينة. أدرك أبا هريرة وأخذ عنه. وهو أول من برز فى القرآن والسنن. وكان خبيرًا بانساب العرب، وافر العلم، ثقة. رابط بثغر الإسكندرية مدة، ومات بها. وفى اسم أبيه خلاف. انظر: (نزهة الألبا ١٨، تذكرة الحفاظ ١/٩١، تهذيب الأسماء ١/٣٠٥، طبقات القراء ١/٣٨١، مرآة الجنان ١/٣٥٠، الأعلام ٣/٣٤٠).

(٥) عيسى بن عمر الثقفى بالولاء، أبو سليمان (١٤٩هـ = ٧٦٦م): من أئمة اللغة. وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتبه. وهو من أهل البصرة. انظر: (وفيات الأعيان ١/٢٩٣، إرشاد التهذيب ٦/١٠٠، خزانة الأدب ١/٥٦، نزهة الألبا ٢٥، صبح الأعشى ٢/٢٣٢، طبقات النحويين ٣٥ - ٤١، الأعلام ٥/١٠٦).

ابن عُبَيْد ورُويت عن أَبى عمرو: «ويتوبَ ا لله» (١)، بالنصب.

قال أَبو الفتح: إذا نَصب فالتوبة داخلة فى جواب الشرط معنى، وإذا رَفع كقراءَة الجماعة فقال: ﴿ويتوبُ ا للهُ علَى مَن يشاءَ﴾ فهو استئناف؛ وذلك أن قوله: ﴿قاتِلوهمْ يُعَذّبْهم ا للهُ بأَيْديكم ويُخزِهم ويَنْصُرْكمْ عليهم ويَشْفِ صُدورَ قوم مؤمنين ويُذْهِبْ غَيْظَ قلوبهم ويتوبُ ا للهُ على مَن يشاءُ﴾ فهو كقولك: إن تزرنى أُحسن إِليك وأُعطىَ زيدًا درهمًا، فتنصبه على إِضمار أن، أَى: إِن تزرنى أَجمع بين الإِحسان إِليك والإِعطاء لزيد.

والوجه قراءَة الجماعة على الاستئناف؛ لأنه تم الكلام على قوله تعالى: ﴿ويُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِم﴾، ثم استأنف فقال: ﴿ويتوبُ ا للهُ على مَنْ يشاء﴾، فالتوبة منه سبحانه على من يشاءُ ليست مسببة عن قتالهم، هذا هو الظاهر؛ لأن هذه حالٌ موجودة من ا لله تعالى قاتَلوهم أَو لم يقاتلوهم، فلا وجه لتعليقها بقاتِلوهم. فإِن ذهبتَ تعلّق هذه التوبة بقتالهم إِياهم كان فيه ضرب من التعسف بالمعنى.

* * *

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ (١٩)

ومن ذلك قراءَة ابن الزُّبير (٢) وأبى وجزة (٣) السعدى ومحمد بن على وأبى جعفر

---

(١) وقراءة الحسن، وزيد بن على، وعمرو بن فائد، ورويس، ويعقوب، ومقاتل. انظر: (الكشاف ١٧٨/٢، مجمع البيان ١١/٥، مختصر شواذ القراءات ٥١، إعراب القرآن للنحاس ٨/٢، البحر المحيط ١٧/٥، الجامع لأحكام القرآن ٨٧/٨ النشر فى القراءات العشر ٢٧٨/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٠، تفسير الآلوسى ٦٣/١٠).

(٢) عبدا لله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى، أبو بكر (١ - ٧٣هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢م): فارس قريش فى زمنه، وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة. انظر: (ابن الأثير ١٣٥/٤، فوات الوفيات ٢١٠/١، تاريخ الخميس ٣٠١/٢، حلية الأولياء ٣٢٩/١، اليعقوبى ٢/٣، صفة الصفوة ٣٢٢/١، الطبرى ٢٠٢/٧، الأعلام ٨٧/٤).

(٣) يزيد بن عبيد، روى الحروف عنه محمد بن يحيى بن قيس ومحمد بن إسحاق، وروى عنه هشام ابن عروة، توفى سنة ١٣٠ هـ. انظر: (طبقات القراء ٣٨٢/٢).

القارى: «أَجَعلْتُم سُقَاةَ الحَاجِّ (١) وعمَرَةَ المسجد الحرام» (٢)، وقرأ «سُقاية الحاجِّ وعَمَرَةَ المسجد (٣)» الضحاك (٤).

قال أبو الفتح: أما سُقاة فجمع ساق، كقاض وقضاة وغاز وغزاة. وعَمَرَة جمع عامر، ككافر وكفرة وبارٍّ وبررة.

وأما سُقَاية ففيه النظر، ووجهه أن يكون جمع ساق، إلا أنه جاءَ على فُعال كعَرق(٥) وعُراق، ورَخِل ورُخال (٦)، وتوءَم وتُؤام، وظِئر وظُآر، وإنسان وأُناس، وثَنِى (٧) وثُناء، وبرىء وبُرَاءُ.

فكان قياسه إذ جاءَ به على فُعال أن يكون سُقاء، إلا أنه أنثه كما يؤنّث من الجمع أشياء غيره، نحو حِجارة وعِيارة وقَصير وقِصارة.

---

(١) وقراءة أبى جعفر يزيد بن القعقاع، وابن وردان، ومحمد بن على الباقر، وأبى حيوة، وابن الزبير، وأبى وجزة السعدى، وابن جماز، وسعيد بن جبير. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٩/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٧/٢ تحبير التيسير ١١٧، مختصر شواذ القراءات ٥٢، الجامع لأحكام القرآن ٩١/٨، البحر المحيط ٢٠/٥، تفسير الفخر الرازى ١٢/١٦، النشر فى القراءات العشر ٢٧٨/٢، الكشاف ١٨٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، تفسير الآلوسى ٦٧/١٠).

(٢) وردت فى المصادر «وعَمَرَةَ المسجدِ» بكسر الدال وهى قراءة أبى حيوة، وعبدالله بن الزبير، والضحاك، وابن وردان، وابن جماز، وكذلك قراءة المذكورين فى نص المحتسب. انظر: (الكشاف ١٨٠/٢، مجمع البيان ١٤/٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، إعراب القرآن للعكبرى ٩/٢، البحر المحيط ٢٠/٥، تفسير الفخر الرازى ١٢/١٦، النشر ٢٧٨/٢، تفسير الآلوسى ٦٧/١٠).

(٣) وردت فى المصادر «ومُسْتايَةَ الحاج وعَمَرَةَ المسجدَ» وهى قراءة الضحاك، ومشاركة ابن جبير فى قراءة «وعمرة المسجدَ». انظر: (غيث النفع ٢٣٧، مجمع البيان ١٤/٥، الجامع لأحكام القرآن ٩١/٨ البحر المحيط ٢٠/٥، تفسير الآلوسى ٦٧/١٠، إعراب القرآن للعكبرى ٧/٢).

(٤) الضحاك بن مزاحم البلخى الخراسانى، أبو القاسم (١٠٥هـ = ٧٢٣م): مفسر. كان يؤدب الأطفال. ويقال: كان فى مدرسته ثلاثة آلاف صبى. له كتاب فى التفسير توفى بخراسان. انظر: (ميزان الاعتدال ٤٧١/١، تاريخ الخميس ٣١٨/٢، المحبر ٤٧٥، العبر ١٢٤/١، الأعلام ٢١٥/٣).

(٥) العَرْقُ: العظم أخذ عنه معظم اللحم وبقى عليه لحوم رقيقة طيبة جمع عِراقٌ. انظر: المعجم الوسيط «عرق».

(٦) الرَّخْلُ: الأنثى من أولاد الضأن جمعه أرْخُلٌ، ورُخال بالضم أو الكسر، ورِخْلَان. انظر: المعجم الوسيط «رخل».

(٧) الثنى: كل ما سقطت ثنيته جمع ثُناء بالضم أو الكسر، وثُنْيان. انظر: المعجم الوسيط «ثنى».

وجاءَت فى شعر الأَعشى وعُيُورة وخُيوطة، وقد جاءَ هـذا التـأنيث أَيضًـا فـى فُعَـال هذا. ذهب أَبو على فى قولهم: نُقاوة المتاع إلى أَنه جمع نَقـوة، فعلـى هـذا جـاءَ سُـقاية الحاج، فهو كتأنيث ظُؤار وتُؤام ونحو ذلك.

وكأن الذى آنس مَن قرأَ «سُقاة» و«عَمَرة» و«سُقاية» وعدل إليه عن قـراءَة الجماعـة: ﴿سِقايةَ الحاجِّ وعِمَارةَ المسجد الحرام﴾ - هربه من أن يقابل الحـدث بـالجوهر، وذلـك أَن السِّقاية والعِمارة مصدران، ومَن آمن با لله جوهـر، فلابـد إذًا مـن حـذف المضـاف، أَى أَجعلتم هذين الفعلين كفعل من آمن با لله؟ فلما رأَى أَنه لابـد مـن حـذف المضـاف قرأَ: «سقاة» «عَمَرَة» و «سُقايَة» على ما مضى.

ولست أَدفع مع هذا أَن يكون سِقايةَ الحاجِّ جمع ساق و عِمَارةَ المسجد الحـرام جمع عامر، فيكون كقائم وقيام وصاحب وصِحاب وراع ورِعاء، إلا أَنه أَنث فِعالا علـى مـا مضى، فصار كحِجارة وعِيارة، وأَن يكونا مصدرَىْ سقيت وعمـرت أَقيـس؛ لأَن ذلـك فى اللغة أَفشى. وبَنَى سقاية وهو جمع ساق على التأنيث لا على أَنه أَنث سِقاء؛ لأَنه لـو أَراد ذلك لقال: سِقاءَة فهمز، كعَظَاءَة إذا بُنيت على العَظاءِ، ويكون كل واحـد منهمـا قائمًا برأسه.

* * *

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ (٢٨)

ومن ذلك قراءَة ابن مسعود (١): «وإنْ خِفتم عائلةً» (٢).

قال أَبو الفتح: هذا من المصادر التى جاءَت علـى فاعلـة كالعاقبـة والعافيـة، وذهـب الخليل فى قولهم: ما باليت بالة أَنها فى الأَصل بالية، كالعاقبة والعافيـة، فحذفـت لامهـا

(١) عبدا لله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى، أبو عبدالرحمن (٣٢هـ = ٦٥٣م): صحـابى. مـن أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول ا لله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسـلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول ا لله ﷺ الأمين، وصـاحب سـره، ورفيقـه فى حله وترحاله و غزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشى معه. نظر إليه عمـر يومـا وقـال: وعـاء مسلئ، علمًا. وولى فى عهد عمر بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان فتوفـى فيهـا عن نحو ستين عامًا. انظر: (الإصابة ترجمة ٤٩٥٥، غاية النهاية ٤٥٨/١، البدء والتـاريخ ٩٧/٥، صفة الصفوة ١٥٤/١، حلية الأولياء ١٢٤/١، تاريخ الخميس ٢٧٧/٢، الأعلام ١٣٧/٤).

(٢) وقراءة علقمة. انظر: (الكشاف ١٤٢/٢، مجمع البيان ٢٠/٥، البحر المحيط ٢٨/٥).

تخفيفًا. ومنه قوله سبحانه: ﴿لا تَسمعُ فيها لاغيةً﴾ (١)، أى لغوا. ومنه قولهم: مررت به خاصة أى خصوصًا. وأما قوله تعالى: ﴿ولا تزال تَطَّلِعُ على خائنة منهم﴾(٢) فيجوز فيه أن يكون مصدرًا أى خيانة منهم، ويجوز أن يكون على أن معناه على نِيةٍ خائنة أو عقيدة خائنة، وكذلك أيضًا يجوز أن يكون لا تَسْمَعُ فيها كلمة لاغية، وكذلك الآخر على إن خِفتم حالا عائلة. فالمصدر هنا أعذب وأعلى.

* * *

إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ ﴿٣٧﴾

ومن ذلك قراءَة جعفر بن محمد والزهرى (٣) والعلاءِ بن سَيّابة والأشهب: «إنما النَّسْى» (٤) مخففًا فى وزن الهَدْى بغير همز.

قال أبو الفتح: تحتمل هذه القراءَة ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون أراد النَّسْء (٥) على ما يحكى عن ابن كثير بخلاف أنه قرأ به، ثم أُبدلت الهمزة ياء، كما أُبدلت منها فيما رويناه من قول الشاعر(٦):

أَهبَى الترابَ فوقه إِهبايا

يريد إِهباء ونحوٌ منه قوله:

---

(١) سورة الغاشية الآية (١١).

(٢) سورة المائدة الآية (١٣).

(٣) محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهرى، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر (٥٨ - ١٢٤هـ = ٦٧٨ - ٧٢٤م): أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء تابعى، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتى حديث، نصفها مسند. انظر: (تذكرة الحفاظ ١٠٢/١، وفيات الأعيان ٤٥١/١، تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩، حلية الأولياء ٣٦٠/٣، غاية النهاية ٢٦٢/٢، تاريخ الإسلام ٥/ ١٣٦ - ٢٥٢، الأعلام ٩٧/٧).

(٤) وقراءة ابن كثير، وشبل. انظر: (السبعة ٣١٤؛ إعراب القرآن للعكبرى ٨/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٦/٢ الكشاف ١٨٩/٢، مجمع البيان ٢٨/٥).

(٥) قرأ بها أيضًا، محمد بن سعدان، والسلمى، وطلحة، والأشهب، وشبل، وعبيد بن عقيل. انظر: (إعراب القرآن ٨/٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٥، السبعة فى ٣١٤، الكشاف ١٨٩/٢، البحر المحيط ٣٩/٥).

(٦) ذكره فى الخصائص ٣٥٠/٢، المنصف ١٦٢/٢ - أيضًا - دون نسبة.

كفِعــل الهِــر يحتــرش العَظَايــا(١)

يريد العَظاءَة، لا على قول أَبى عثمان من أنه شبه أَلف النصب بهاءِ التأنيث، ولا على ما رأيته من كونه تكسير العَظاية كإِدواة وأَداوَى.

والوجه الثانى أَن يكون فَعْلا من نَسِيت، وذلك أَن النسيء من نسأَت: أَى أَخرت، والشيء إِذا أُخر ودوفع به فكأَنه منسى.

والثالث وفيه الصنعة أَنه أَراد النسيء، على فعيل ثم خفف الهمزة وأَبدلها ياء وأَدغم فيها ياء فعيل فصارت النَّسِيّ، ثم قصَر فعيلا بحذف يائه فصار نَسٍ ثم أَسكن عين فعيل فصار نَسْيٌ.

ومثله مما قُصر من فَعيل ثم أسكن بعد الحذف قولهم فى سميح: سَمْح، وفى رطيب رطب، وفى جديب جدب، ومما قُصر ولم يسكن قولهم فى لبيق: لَبِق، وفى سميج سَمِج، وقد ذكرنا ذلك.

* * *

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (٣٧)

ومن ذلك قراءَة أَبى رجاء: «يَضَلُّ به الذين كفروا» (٢)، بفتح الياءَ والضاد.

قال أَبو الفتح: هذه لغة، أَعنى ضَلِلت أَضَلّ. واللغة الفصحى ضَلَلت أَضِل. وقراءَة الحسن بخلاف وابن مسعود ومجاهد (٣) وأَبى رجاء بخلاف وقَتادة وعمرو بن

---

(١) البيت فى المنصف (١٥٥/٢):

ولاعــب بالعشــر بنــى بنيــه   كفعــل الهــر يلتمــس العظايــا

(٢) انظر: (إعراب القرآن ٨/٢، البحر المحيط ٤٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/٨، الكشاف ١٨٩/٢، تحبير التيسير ١١٧).

(٣) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكى، مولى بنى مخزوم (٢١ - ١٠٤هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢م): تابعى، مفسر من أهل مكة. قال الذهبى: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل فى الأسفار، واستقر فى الكوفة. انظر: (طبقات الفقهاء ٤٥، إرشاد الأريب ٢٤٢/٦، غاية النهاية ٤١/٢، صفة الصفوة ١١٧/٢، ميزان الاعتدال ٩/٣، حلية الأولياء ٢٧٩/٣، الأعلام ٢٧٨/٥).

ميمون(١) ورواه عباس(٢) عن الأعمش: «يُضَلّ به» (٣).

وفيه تأويلان: إن شئت كان الفاعل اسم الله تعالى مضمرا، أى يُضل الله الذين كفروا. وإن شئت كان تقديره يُضِل به الذين كفروا أولياءهم وأتباعهم.

* * *

ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴿٤٠﴾

ومن ذلك قال عباس: سألت أبا عمرو وقرأ «ثانى اثنين»، قال أبو عمرو: وفيها قراءَة أُخرى لا ينصب الياء «ثانىْ اثْنين»(٤).

قال أبو الفتح: الذى يُعمل عليه فى هذا أن يكون أراد ثانىَ اثنين كقراءة الجماعة، إلا أنه أسكن الياءَ تشبيها لها بالألف. قال أبو العباس: هو من أحسن الضرورات، حتى لو جاءَ به إنسان فى النثر كان مصيبا.

فإن قيل: كيف تجيزه فى القرآن وهو موضع اختيار لا اضطرار؟ قيل: قد كثر عنهم جدًا، ألا ترى إلى قوله (٥):

---

(١) عمرو بن ميمون أبو عبدالله الأودى الكوفى التابعى الجليل، أخذ القراءاة عرضا عن عبدالله بن مسعود، وروى عن عمر بن الخطاب وأدرك النبى ﷺ ولم يلقه، توفى سنة ٧٥ هـ وقيل: سنة ٧٤هـ . انظر: (طبقات القراء ١/٦٠٣).

(٢) عباس بن الفضل الأنصارى الواقفى، (١٨٦هـ = ٨٠٢م): قاض، من رجال الحديث. من أهل البصرة. كان عالما بالقرآن والشعر. ولى قضاء الموصل، فى أيام الرشيد العباسى، ومات فيها. له كتاب فى «القراءات» كبير. انظر: (تهذيب التهذيب ٥/١٢٦، الأعلام ٣/٢٦٤).

(٣) وقراءة أبى عمرو، ويعقوب، ورويس. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٢، إعراب القرآن للنحاس ٢/١٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٨، البحر المحيط ٥/٤٠، التبيان ٥/٢١٦، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٣٩، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٥، الكشاف ٢/١٨٩، مجمع البيان ٥/٢٨، معانى القرآن للفراء ١/٤٣٧، تفسير الفخر الرازى ١٦/٥٧، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧٩، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٢).

(٤) انظر: (البحر المحيط ٥/٤٣، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٤٤، الكشاف ٢/١٩٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٩، تفسير الآلوسى ١٠/٩٦).

(٥) البيتان من الرجز نسبهما ابن رشيق فى العمدة إلى رؤبة بن العجاج، ولم أعثر عليهما فى ديوانه. انظر: (شرح شواهد الشافية ٤/٤٠٦).

كـــأَنَّ أَيـــديـــهـــن بالقـاع الـقَرِق   أَيدى عَذَارى يتعاطَين الورِق(١)

وقول الآخر:

حُدْبًا حـــدابير مـــن الـــوَخْـــشَنِّ   تـــركْن راعيـــهن مثلَ الشَّنّ (٢)

وقال رؤبة، أنشدَناه أبو على:

سَوّى مســـاحيهن تقـــطيطَ الحُقَـــق   تَفْليلُ مـــا قارعْن من سُمْر الطُّرَق(٣)

وقال الأعشى (٤):

إذا كـــانَ هادِي الفَتى فـــي البلا   د صَـدْرَ القَنَاةِ أَطـاعَ الأَمِـــــيرَا

وقد جاءَ عنهم فى النثر قولهم: لا أكلمك حَيْرِى دهر، كذا يقول أصحابنـا، ولى أَنـا فيه مذهب غـير هـذا، وهـو أَن يكـون أَراد حِيرِىّ دهـر بالتشـديد، ثـم خفـف الكلمـة

(١) ورد فى شرح شواهد الشافية ٤/٤٠٥: «أيدى جوار يتعاطين الورق».
قال البغدادى: على أن تسكين الياء مع الناصب شاذ.
قال ابن الشجرى: قال المبرد: هذا من أحسن الضرورات؛ لأنهم ألحقوا حالة بحالتين، يعنى أنهم جعلوا المنصوب كالمجرور والمرفوع، مع أن السكون أخف من الحركـات، ولذلـك اعتزموا على إسكان الياء فى ذوات الياء من المركبات، نحو معدى كرب وقالى قَلا انتهى. وضمير: «أيديهـن» للإبل، والقاع: المكان المستوى، والقرق - بفتح القاف وكسر الراء - الأملـس، وقـال الشريف المرتضى: هو الخشن الذى فيه الحصـا، وجَـوَارَ - بفتـح الجيم: جمـع جاريـة، ويتعـاطين: ينـاول بعضهن بعضا، والورق - بكسر الراء - الدارهم، شبه حذف مناسم الإبل للحصى بحذف جوار يلعبن بدراهم، وخص الجـوارى لأنهـن أخـف يـدا مـن النسـاء. انظـر: (شـرح شـواهد الشـافية ٤/٤٠٦).
(٢) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢١٧).
(٣) انظر: (ديوان رؤبة ١٠٦، الكتاب ٣/٣٠٦، المقتضب ٤/٢٢، المنصف ٢/١١٤، شرح المفصـل ١٠/١٠٣، أمالى ابن الشـجرى ١/١٠٤، اللسـان «سـحا»، «قفـط»، «حقـق»). أراد بالمسـاحى حوافر الأتن لأنها تسحو الأرض، أى: تقشرها وتؤثر فيها لشدة وطئها. والتقطيط: قطع الشىء وتسويته. والحقق: جمع حقة، بالضم، وهى وعاء من الخشب أو العاج ونحوه، ينحت ليوضع فيـه الطيب أى: إن الصخر سوى حوافر هذه الأتن، كأنما قطعت تقطيط الحقـق. فتقطيـط منصـوب على المصدر المشبه به.
(٤) من قصيدة فى مدح هوذة بن على الحنفى (من المتقارب) مطلعها:
غشيـــت لليلـــى بلـــيل حـــذورا   وطـــالبتهـــا ونــــذرت النــذورا
انظر: (ديوانه ١٣١).

فحذف ياءَها الثانية وقد كانت الأُولى المدغمةُ فيها ساكنة، فأقرها على سكونها تلفتا إلى الياءَ المحذوفة الثانية؛ لأنها فى حكم الثبات كما صحح الآخَرُ الواو فى العواور؛ لأنه إنما يريد العواوير، فلما حذف الياءَ وهى عنده فى حكم الثبات أَقر الواو على صحتها دلالة على أنه يريد الياءَ.

ومثله أيضًا ما جاءَ عنهم من تخفيف ياء لاسيّما، وذلك أن السِّىّ فِعْل من سوّيت، وأَصله سِوْى فقلبت الواو ياء لسكونها مكسورًا ما قبلها، أَو لوقوع الياء بعدها، أَو لهما جميعًا. فلما حذفت الياء التى هى لام وانفتحت الياء بالقاء فتحةِ اللام عليها كان يجب أَن ترجع واوًا لأنها عين أَو تصح كما صحت فى عِوَض وحِوَل، وأَن تقول: لا سِوَما زيد. لكنه أَقرها على قلبها دلالة على أنه يريد سكونها ووقوع الياء بعدها. وإِن شئت لأَنها الآن قد وقعت طرفًا فضعفت. فهذا كله ونظائر له كثيرة أَلغينا ذكرها لئلا يمتد الكتاب باقتصاصها تشهد بأَن يكون قولهم: لا أَكلمك حِيرِى دهر إِنما أُسكنت ياؤه لإِراده التثقيل فى حيرىّ دهر، غير أَن الجماعة تلقته على ظاهره.

وشواهد سكون هذه الياء فى موضع النصب فاش فى الشعر، فإِذا كثر هذه الكثرة وتقبّله أَبو العباس ذلك التقبل ساغ حمل تلك القراءَة عليه.

يؤكد ذلك أَيضًا أَنك لو رُمت قطعه ورفعه على ابتداء، أَى هو ثانى اثنين، لتقطّع الكلام، وفارقَه مألوف السديد من النظام، وإِنما المعنى إِلا تنصروه فقد نصره الله ثانى اثنين إِذ هما فى الغار. وقوله: ﴿**إِذ هما فى الغار**﴾ بدل من قوله جل وعز: ﴿**إِذ أخرجه الذين كفروا**﴾.

فإِن قلت: فإِن وقتَ إِخراج الذين كفروا له قبل حصوله ﷺ فى الغار، فكيف يُبدَل منه وليس هو هو، ولا هو أَيضًا بعضه، ولا هو أَيضًا من بدل الاشتمال، ومعاذ الله أَن يكون من بدل الغلط؟ قيل: إِذا تقارب الزمانان وُضع أَحدهما موضع صاحبه، أَلا تراك تقول: شكرتك إِذ أَحسنت إِلىّ، وإِنما كان الشكر سببًا عن الإحسان، فزمان الإِحسان قبل زمان الشكر، فأعملت شكرت فى زمان لم يقع الشكر فيه.

ومن شرط الظرف العامل فيه الفعل أَن يكون ذلك الفعل واقعا فى ذلك الزمان كزرتك فى يوم الجمعة وجلست عندك يوم السبت، لكنه لما تجاور الزمانان وتقاربا جاز عمل الفعل فى زمان لم يقع فيه لكنه قريب منه. وقد مرّ بنا هذا الحكم فى المواضع أَيضًا. قال زياد بن منقذ:

وهُمْ إذا الخيل جالوا فى كواثبها   فوارسُ الخيلِ لا مِيلٌ ولا قَـزَم[١]

وإنما مقعد الفارس فى صهوة الفرس لا فى كاثبته؛ لأن المكانين لما تجاوروا استُعمل أحدهما موضع الآخر. ألا ترى إلى قول النابغة:

إذا عرّضوا الخَطىّ فوق الكواثب[٢]

ومحال أن يجلس الفارس موضع عرض الرمح من أدنى مَعرفة الفرس، فافهم بما ذكرنا ما مضى.

* * *

لَوِ ٱسْتَطَعْنَا ﴿٤٢﴾

ومن ذلك قراءَة الأعمش: « لوُ استَطعْنا [٣]» بضم الواو.

قال أبو الفتح: شبهت واو لو هذه بواو جماعة ضمير المذكرين، فضمت كما تلك مضمومة فى قول الله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الموتَ﴾[٤]. وكذلك شبهت واو الجمع هذه بواو لو فكُسرت، وذلك على من قرأ: «فتمنوِا الموت»، و «الذين اشتروِا الضلالة» [٥].

وهناك قراءَة أُخرى: اشترَوا [٦] الضلالة، بفتح الواو ولالتقاء الساكنين. فلو قرأ قارئ متقدم «لوَ استطعنا» بفتح الواو لكان محمولا على قول من قال: «اشترَوَا الضلالة»، فأما الآن فلا عذر لأحد أن يرتجل قراءَة وإن سوغتها العربية، من حيث كانت القراءَة سنة متّبعة.

* * *

---

(١) انظر: (الصحاح، لسان العرب «قزم»).

(٢) انظر: (أساس البلاغة، اللسان مادة «كثب») يقال: عرض رمحه على كاثبة فرسه، وكثب الطعام وغيره: جمعه وباتوا على كثيب من رسَل وكُثب وكُثبان وكأن قد ودهن قطبان، على كُثبان.

(٣) وزيد بن على. انظر: (إعراب القرآن ٢/٩، البحر المحيط ٥/٤٦، الكشاف ٢/١٩، مجمع البيان ٥/٣٢).

(٤) سورة البقرة الآية (٩٤)، وسورة الجمعة الآية (٦).

(٥) سورة البقرة الآية (١٦).

(٦) قراءة أبى السمال. انظر: (البحر المحيط ١/٧١). وسبق الإشارة إليها.

﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (٤٦)

ومن ذلك ما رواه ابن وهب عن حرملة بن عمران أنه سمع محمد بن عبدالملك يقرأُ: «لأعدّوا له عُدَّهُ» (١).

قال أَبو الفتح: المستعمل فى هذا المعنى العُـدّة بالتـاءِ، ولم يمرر بنا فى هـذا الموضع العُدّ، إِنما العُدّ: البَثْر يخرج فى الوجه.

وطريقه أَن يكون أَراد: ولو أَرادوا الخروج لأَعدوا لـه عُدَّتـه: أَى تـأَهبوا لـه، إِلا أَنـه حذف تاءَ التأنيث وجعل هاء الضمير كالعوض منها. وهذا عندى أحسن مما ذهب إِليـه الفراء فى معناه، وذلك أَنه ذهب فى قول الله تعالى: ﴿**وإِقامِ الصلاة**﴾ إِلى أَنه أَراد إِقامة الصلاة، إِلا أَنه حذف هاء الإِقامة لإِضافة الاسم إِلى الصلاة.

وإِنما صار ما ذهبت إِليه أَقوى لأَنى أَقمت الضمير المجرور مُقام تاء التأنيث، والمضمـر المجرور شديد الحاجة إِلى ما جره من موضعين: أَحدهما حاجة المجـرور إِلى مـا جـره، أَلا تراه لا يُفصل بينهما ولا يُقـدم المجرور علـى مـا جره؟ والآخـر أَن المجرور فـى «عُـدَّهُ» مضمر، والمضمر المجرور أَضعف من المظهـر المجـرور للطـف الضمـير عـن قيامـه بنفسـه، وليست الصلاة بمضمرة فتضعف ضعف هاء عُدَّهُ، فبقدر ضعف الشىء وحاجتـه إِلى مـا قبله ما يكاد يُعتد جزءًا منه فيَخلف جزءًا محذوفًا من جملته، فافهم ذلك.

وأَما أَصحابنا فعندهم أَن الإِقام مصدر أَقمت كالإِقامة، وليس مذهبنا فيـه كمـا ظنـه الفراءُ.

* * *

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ (٤٧)

ومن ذلك قراءَة ابن الزبير: «وَلأَرْقَصوا خِلالَكم» (٢).

قال أَبو الفتح: هذا هو معنى القراءَة المشهورة التـى هـى: ﴿**ولأَوْضعوا خِلالكـم**﴾.
يقال: وضـع البعير يضـع وأَوضعتـه أَنـا أَى: أَسـرعت بـه، وكذلـك الرقْـص، والرقَـص

---

(١) وقراءة معاوية بن محمد بن عبدالملك. انظـر: (البحـر المحيـط ٥/٤٨، الكشـاف ٢/١٩٣، تفسـير الآلوسى ١٠/١١١).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشاف ٢/١٩٤، تفسير الآلوسى ١٠/١٩٢).

والرقَصان. يقال: رقص وأَرقصته أنا. قال[(١)]:

يـــا ليتنـــي فـيهـا جَـــذَعْ   أَخُـب فــيـهــا وأَضَـــعْ
كأننـــي شـــاة صَـــدَعْ [(٢)]

وقال حسان [(٣)]:

بـزجـاجـة رَقَصَـت بما في دنّهـــا   رقَصَ القَلوص براكب مستعجـل[(٤)]

وفي الخبر: فإذا راكب يوضِع، أي يحث راحلته. وقال جميل [(٥)]:

بماذا تـردِّين امــرأً جـاءَ لا يَـرى   كـوُدِّكِ وُدًا قـد أَكـلّ وأَوضـعا

ولا يقال رقص إِلا للاعب أَو للإبل، وشبهت الخمر بذلك.

* * *

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ ﴿٥١﴾

ومن ذلك قراءَة الناس: ﴿قُلْ لن يُصِيبنا﴾، وقرأ طلحة وأَعيَن قاضي الري: «قـل لـن يُصيِّبنا»[(٦)]، مشددًا.

قال أَبو الفتح: ظاهر أَمر عَين أصَاب يُصيب أنها واو، ولذلك قالوا في جمع مصيبـة: مَصَاوب بالواو، وهي القوية القياسية. فأَما مصائب بالهمز فغلط من العـرب، كهمزهـم حلأت السويق ورثأت زوجي ونحو ذلـك مما هُمز ولا أَصـل لـه فـي الهمز. وواحـد المصايب مصيبة ومَصُوبة ومُصاب ومصابة.

---

(١) لدريد بن الصمة قاله في يوم غزوة حنين، وقد كان شيخا ممَّا لا قوة فيه [من الرجز]. انظر: (ديوانه ٩٣، الأغاني ١٠/٣٠: ٣٢).

(٢) الجذع: الشاب الحدث. قال في اللسان «وضع»: يقال: وضع الرجل إذا عدا يضع وضعا وأنشده لدريد.

(٣) من قصيدة (من الكامل) مطلعها:

أسـألت رسـم الـدار أم لم تسـأل   بين الجـوابـي فـالبـضيع فـحومل

انظر: (ديوانه ٢٩٠).

(٤) ورد في ديوانه ٢٩٣ بزجاجة وقصت بما في قعرها. أي: اضطراب الحباب فيها، رقص القلوص: أي: سير الناقة خببا.

(٥) لم يرد في ديوانه المطبوع. انظر: (ديوان العذريين ط دار الجيل).

(٦) انظر: (الكشاف ١٩٥/٢، البحر المحيط ١/٥، إعراب القرآن للنحاس ٢٣/٢، الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/٨).

وأنا أرى أن تكون مصايب جمع مُصاب. لأن الألف هنا وإن كانت بدلا من العين فإنها أشبه بألف رسالة التى يقال فى تكسيرها رسايل، وذلك أن الألف لا تكون أصلاً فى الأسماء المتمكنة ولا فى الأفعال، إنما تكون زائدة أو بدلاً، وليست كذلك والياء والواو لأنهما قد تكونان أصلين فى القبيلين جميعًا كما يكونان بدلين وزائدتين، فألف مصاب ومصابة أشبه بالزائد من ياءِ مصيبة وواو مصوبة، فافهم ذلك فإن أحدًا من إخواننا لم يذكره.

وبعد فقد مر بنا فى تركيب ص ى ب فى هذا المعنى، فإنهم قد قالوا أصاب السهم الهدف يَصيبه كباعه يبيعه، ومنه قول الكميت (١):

أَسهُمهـا الصائـداتُ والصُّيَّـبُ

فعلى هذا ومن هذا الأصل تكون قراءَة طلحة يصيّبنا بالياء، فيكون يفعّلنا منه، فيصيّب على هذا كيُسيّر ويُبيّع. وقد يجوز أيضًا أن يكون يصيّبنا من لفظ ص و ب، إلا أنه بناه على فَيْعَل يُفَيْعل، وأصله على هذا يُصَيْوبنا فاجتمعت الياءُ والواو وسَبقت الياء بالسكون فقلبت الواو ياءَ وأُدغمت فيها الياء فصارت يصيّبنا. ومثله قوله: تحيَّز، هو تفعيل من حاز يحوز، والوجه ما قدمناه لأن فَعَل فى الكلام أكثر من فيعل.

ويجوز وجه آخر، وهو أن يكون من الواو، إلا أنه لما كثر يُصِيب والمصيبة - أُنِس بالياء لكثرة الاستعمال ولخفتها عن الواو كما قالوا: دِيمة ودِيَم، فلما كثر ذلك وكانت الياء أخف من الواو مروا عليها فقالوا: دامت السماء تَديم.

ولا يحسن أن يُذهب فى هذا إلى قول الخليل فى طاح يطيح وتاه يتيه: إنه فعِل يفعِل؛ لقلة ذلك ووجود المندوحة عنه فى قولهم: هذا أتيه منه وأطيح منه، فاعرف ذلك.

* * *

إِلَّآ إِحْدَى ﴿٥٢﴾

ومن ذلك قراءَة الناس: ﴿إِلاَّ إِحْدَى﴾ غير ابن مُحَيْصن، فإنه كان يصلها ويسقط الهمزة (٢).

---

(١) انظر: لسان العرب «صيب».

(٢) انظر: (البحر المحيط ٥/٥٢).

قال أَبو الفتح: قد ذكرنا ذلك فيما مضى فى قراءَة ابن مُحَيْصِن أَيضًا فى سورة الأَعراف.

* * *

مَغَـٰرَٰتٍ ﴿٥٧﴾

ومن ذلك قراءَة الناس ﴿مَغَارَاتٍ﴾، وقرأَ سعد بن عبدالرحمن بن عوف «مُغَارات»[١].

قال أَبو الفتح: أَما مَغَارات على قراءَة الناس فجمع مَغارة أَو مَغار، وجاز أَن يجمع مغار بالتاءِ وإِن كان مذكرًا لأَنه لا يَعقل، ومثله إِوان وإِوانات وجَمَل سِبَطر وجمال سِبطرات وحَمّام وحمامات، وقد ذكرنا هذا ونحوه فى تفسير ديوان المتنبى عند قوله[٢]:

فَفِى النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ[٣]

ومَغار مَفْعَل من غار الشىء يغور. وأَما مُغَارات فجمع مُغَار، وليس من أَغرت على العدو، ولكنه من غار الشىء ويغور، وأَغرته أَنا أُغيره، كقولك: غاب يغيب وأَغبته، فكأَنه: لو يجدون ملجأ أَو أَمكنة يُغيرون فيها أَشخاصهم ويسترون أَنفسهم، وهذا واضح.

ويؤكد ذلك قراءَة مَسْلَمة بن محارب[٤]: «مُدْخلاً»[٥]، أَى مكانًا يُدخلون فيه أَنفسهم.

---

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٢/٣٣٢، الكشاف ٢/١٩٦، البحر المحيط ٥/٥٥).

(٢) من قصيدة فى مدح سيف الدولة الحمدانى، أنشدها فى جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة، مطلعها:

لَيالى بعد الظاعنين شكول   طوالٌ وليلُ العاشقين طويلُ

انظر: (ديوانه ٣/٢١٧).

(٣) صدره: «إذا كان بعضُ الناس سيفًا لدولة» انظر: (ديوانه ٣/٢٢٩).

والبوقات: جمع بوق، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويزمر، قال ابن جنى: وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق، والقياس يعضده، إذ له نظائر كثيرة: مثل حمام وحمامات، وسرادق وسرادقات، وجواب وجوابات، وهو كثير فى كلام العرب فى جمع ما لا يعقل من المذكر إذ لا يوجد له مثال القلة. انظر: (شرح الديوان ٣/٢٢٩، ٢٣٠).

(٤) مسلمة بن محارب أبو عبدالله الفهرى البصرى النحوى، له اختيار فى القراءة. انظر: (طبقات القراء ٢/٢٩٨).

(٥) وقراءة الحسن، والأعمش، ومحبوب، وعيسى بن عمر. انظر: (الجامع لأحكام القرآن ٨/١٥٦، الكشاف ٢/١٩٦، البحر المحيط ٥/٥٥، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٩، إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦).

ورويت عن أبيّ بن كعب (١) أو «مندخلا» (٢)، وهو من قول الشاعر:

ولا يـدى فـى حميـت السكـن تندخـل(٣)

ومنفعل فى هذا شاذ؛ لأن ثلاثيه غير متعد عندنا.

* * *

لَوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧

ومن ذلك ما رواه الأعمش قال: سمعت أنسا (٤) يقرأ: «لَوَلَّوا إلِيه وهُمْ يَجْمِزون»،(٥) قيل له: وما يجمزون؟ إنما هى يجمحون. فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد.

قال أبو الفتح: ظاهر هذا أن السلف كانوا يقرءُون الحرف مكان نظيره من غير أن

(١) أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد، من بنى النجار، من الخزرج، أبو المنذر(٢١هـ = ٦٤٢م): صحابى أنصارى. كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود، مطالعا على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ - على قلة العارفين بالكتابة فى عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحى. وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتى على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك فى جمعه. وله فى الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثًا، ومات بالمدينة. انظر: (طبقات ابن سعد ٥٩/٢/٣، غاية النهاية ٣١/١، صفة الصفوة ١٨٨/١، حلية الأولياء ٢٥٠/١، الجمع ٣٩، الكواكب الدرية ٤٥/١، الأعلام ٨٢/١).

(٢) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٣٢/٢، البحر المحيط ٥٥/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٨).

(٣) فهو من أدخلته، ونظيره أطلقته فانطلق، وهو من باب انقطع الحبل لأن اليد لا تكونُ فاعلة، إنما هى آلة يفعل بها، كما يقال سمعت بأذنى، ونظرت بعينى وإنما الفاعل هو الجملة لا العضو وحده. انظر: (المنصف ٧٢/١).

(٤) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجارى الخزرجى الأنصارى، أبو ثمامة، أو أبو حمزة (١٠ق هـ - ٩٣هـ = ٦١٢ - ٧١٢م): صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرًا وخدم النبى ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر: (طبقات ابن سعد ١٠/٧، تهذيب ابن عساكر ١٣٩/٣، الجمع ٣٥، صفة الصفوة ٢٩٨/١، الأعلام ٢٤/٢، ٢٥).

(٥) انظر: (الكشاف ١٩٦/٢، تحبير التيسير ١١٨، البحر المحيط ٥٥/٥، مجمع البيان ٣٩/٥، تفسير الفخر الرازى ٩٦/١٦).

تتقدم القراءَة بذلك، لكنه لموافقته صاحبه فى المعنى. وهـذا موضع يجد الطاعن به إذا كان هكذا على القراءَة مطعنًا، فيقول: ليست هذه الحروف كلها عن النبى ﷺ، ولو كانت عنه لما ساغ إبدال لفظ مكان لفظ إذ لم يثبت التخيير فى ذلك عنه، ولما أنكر أيضًا عليه: «يجمزون»، إلا أن حُسْنَ الظن بأَنَس يدعو إلى اعتقاد تقدُّم القراءَة بهذه الأحرف الثلاثة التى هى «يجمحون» و«يجمزون» و«يشتدون»، فيقول: اقرأ بأيها شئت، فجميعها قراءَة مسموعة عن النبى ﷺ؛ لقوله عليه السلام: «نزل القرآن بسبعة أحرف كلها شاف كاف[1]».

فإن قيل: لو كانت هذه الأحرف مقروءًا بجميعها لكان النقل بذلك قد وصل إلينا، قيل: أَوَ لا يكفيك أنس موصّلا لها إلينا؟ فإن قيل: إن أنسًا لم يحكِها قراءَة وإنما جمع بينها فى المعنى، واعتل فى جواز القراءَة بذلك لا بأنه رواها قراءَة متقدمة، قيل: قد سبق مِن ذِكر حسن الظن ما هو جواب عن هذا.

ونحوٌ مِن هذه الحكاية ما يروى عن أَبى مَهدية من أنه كان إذا أراد الأذان قال: الله أكبر مرتين، أَشهد أن لا إله إلا الله مرتين كذلك إلى آخر الأذان، ينطق من ذلك بالمرة الواحدة، ويقول فى إثرها: مرتين كما ترى، فيقال له: ليس هكذا الأذان، إنما هو كذا، فيقول: المعنى واحد، وقد علمتم أن التكرار عِيٌّ. وهذا لعمرى مسموع من أبى مَهدية إلا أنه كان مدخولاً. ألا ترى أن أبا محمد يحيى بن المبارك اليزيدى[2] وخلفًا

---

(١) وأخرجه النسائى فى الصغرى (٩٤٠) من طريق: عمرو بن منصور قال: حدثنا أبو جعفر بن نفيل قال: قرأت على معقل بن عبيد الله، عن عكرمة بن خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبى بن كعب، قال: أقرأنى رسول الله ﷺ سورة فبينا أنا فى المسجد جالس إذ سمعت رجلا يقرؤها يخالف قراءتى فقلت له: من علمك هذه السورة فقال: رسول الله ﷺ فقلت: لا تفارقنى حتى نأتى رسول الله ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله إن هذا خالف قراءتى فى السورة التى علمتنى فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا أبى» فقرأتها فقال لى رسول الله ﷺ: «أحسنت» ثم قال للرجل: اقرأ فقرأ فخالف قراءتى فقال له رسول الله ﷺ: أحسنت، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبى إنه أنزل القرآن على سبعة أحرف كلهن شاف كاف».

قال أبو عبد الرحمن النسائى: معقل بن عبيد الله ليس بذلك القوى.

(٢) يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى، أبو محمد، اليزيدى (١٣٨ - ٢٠٢هـ = ٧٥٥ - ٨١٨): عالم بالعربية والأدب. من أهل البصرة. كان نازلاً فى بنى عدى بن مناة بن تميم، أو كان من مواليهم، فقيل له العدوى. وسكن بغداد، فصحب يزيد بن منصور الحميرى يؤدب ولده، فنسب إليه. واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون. وعاش إلى أيام خلافته وتوفى بمرو. من كتبه:=

الأحمر[١] لما أنفذهما إليه أبو عمرو ليسألاه عن شيء من اللغة لخلاف جرى بينه وبين عيسى بن عمر أتياه وهو يخاطب الشياطين فى صلاته: اخسأنانّ عنى، اخسأنان عنى.

وكذلك قول ذى الرمة: [٢]

وظاهِرْ لها من يابس الشخت

فقيل له: أنشدتنا بائس فقال: يابس بائس واحد. وهذا شعر ليست عليه مضايقة الشرع.

وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى قال: كان يحضر ابنَ الأعرابى شيخٌ من أهل مجلسه يومًا ينشد: [٣]

وموضِعِ زَبْنٍ لا أُريد بَراحه كأنى به من شدة الروع آنس[٤]

فقال له الشيخ: ليس هكذا أنشدتنا يا أبا عبيد الله. فقال: كيف أنشدتك؟ فقال له: وموضع ضيق، فقال: سبحان الله! تصحبنا منذ كذا وكذا سنة ولا تعلم أن الزبْن والضيق شيء واحد؟ فهذا لعمرى شائع لأنه شعر وتحريفه جائز، لأنه ليس دِينًا ولا عملاً مسنونًا.

* * *

=«النوادر فى اللغة»، «المقصور والممدود». انظر: (وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٠، إرشاد الأريب ٧/ ٢٨٩، ابن النديم ٥٠ – ٥١، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٣، غاية النهاية ٢/ ٣٧٥، خزانة البغدادى ٤/ ٤٢٦، الأعلام ٨/ ١٦٣).

(١) خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر (نحو ١٨٠هـ = نحو ٧٩٦م): راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. كان أبواه موليين من فرغانة وله: «ديوان شعر»، وكتاب: «جبال العرب»، «مقدمة فى النحو – ط». انظر: (إرشاد الأريب ٤/ ١٧٩، مراتب النحويين ٤٦، سمط اللآلى ٤١٢، بغية الوعاة ٢٤٢، الشعر والشعراء ٣٠٨، الأعلام ٢/ ٣١٠).

(٢) انظر: (ديوانه ١٧٦).

(٣) من قصيدة للمرقش مطلعها:

أمن دل أسماء الطلول الدوارس يخطط فيها الطير قفر بسابس

انظر: (المفضليات ٢٢٤).

(٤) يروى:

ومنزل طنك لا أريد مبيته كأنى به من شدة الروع أنسُ

انظر: (المفضليات ٢٢٥).

﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾ (٥٧)

ومن ذلك ما حكاه ابن أَبى عبيدة بن معاوية بن قُرْمُل عن أَبيه عن جده – وكانت له صحبة – أنه قرأ: «لَوا لَوْا إلِيه»، بالألف وفتحة اللام الثانية(١).

قال أَبو الفتح: هذا مما اعتقب عليه فَاعَل وفَعَّل، أعنى وَالَوا وَوَلَّوا. ومثله ضعَّفت وضاعفت الشيء، ووصّلت الحديث وواصلته، وسوّفت الرجل وساوفته. ومن أبيات الكتاب:

لو ساوَفَتْنا بِسُوف من تحيتها سوْفَ العيوف لراح الركب قد قِنِعوا

سوف العيوف: مصدر محذوف الزيادة، أى مساوفة العيوف.

* * *

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ (٦٦)

ومن ذلك ما روى عن مجاهد: «إِن تُعْفَ عن طائفةٍ منكم»، بالتاءِ المضمومة «تُعَذَّبْ طائفة»(٢).

قال أَبو الفتح: الوجه يُعْفَ بالياءِ لتذكير الظروف، كقولك: سِيرَت الدابة وسِير بالدابة، وقُصدت هند وقَصد إلى هند. لكنه حمله على المعنى فأَنث «تُعْفَ»، حتى كأَنه قال: إن تُسامَح طائفة أَو إن تُرحم طائفة. وزاد فى الأنس بذلك مجىء التأنيث يليه، وهو قوله: «تُعذَّبْ طائفة»، والحمل على المعنى أَوسع وأَفشى: منه ما مضى، ومنه ما سترى.

* * *

---

(١) وقراءة الأشهب العقيلى. انظر: (البحر المحيط ٥/٥٥، الرازى ١٦/٩٦).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشاف ٢/٢٠٠، البحر المحيط ٥/٦٧، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢٤).

وقرأ «تُعَذَّبْ طائفة، مع قراءة: «يُعْفَ، وتُعْفَ» حمزة، والكسائى، وابن عامر، وأبى عمرو، وابن كثير، ونافع، وأبى جعفر، وخلف، ويعقوب، ومجاهد. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٥، السبعة ٣١٦، غيث النفع ٢٣٨، تحبير التيسير ٢٢٨، البحر المحيط ٥/٦٧، التبيان ٥/٢٥٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٦، الحجة لأبى زرعة ٣٢٠، التيسير ١١٨، ١١٩، مجمع البيان ٥/٤٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٣، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢٤، النشر ٢/٢٨٠، تفسير الآلوسى ١٠/١٣٢).

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ۝٨٣﴾

ومن ذلك ما يُروى عن مالك بن دينار: «فاقعُدوا مع الخَلِفين» [(١)]، بغير ألف. قال أَبو الفتح: ينبغى أَن يكون مقصورًا من الخالفين كقراءَة الجماعة، وقد جاءَ نحو هذا، قال الراجز:

أَصبح قلبى صَرِدَا لا يشتهى أَن يَردا
إِلا عَرَادا عَرِدا وصِلِّيانا بَرِدا
وعَنْكَثا ملتبِدا [(٢)]

يريد: عارِدا وباردا، كما قال أَبو النجم:

كأن فى الفُرشِ القَتَاد العاردا

وقد حذفت الأَلف حشوًا فى غير موضع. قال:

مثل النَّقا لبده ضرب الطِّلل [(٣)]

يريد الطِّلال، كقول القُحَيف:

دِيار الحى تضربها الطِّلال بها أَنَس من الخافى ومالُ

وروينا عن قطرب:

أَلا لا بارك الله فى سهيل إِذا ما الله بارك فى الرِّجال

يريد: لا بارك الله، فحذف الأَلف قبل الهاء، وينبغى أَن يكون أَلف فِعال لأنها زائدة، كقوله تعالى: ﴿إِلهِ الناس﴾، ولا تكون الأَلف التى هى عين فعَل فى أَحد قولى سيبويه: إن أصله لاهٌ كناب؛ لأَن الزائد أَولى بالحذف من الأَصلى، وقد حذفوا الواو حشوًا أَيضًا قالوا:

إن الفَقِير بيننا قاضٍ حَكَم أَن تَرِد الماءَ إِذا غاب النُجُم

يريد النجوم.

وقال الأَخطل:

---

(١) وقراءة عكرمة: انظر: (البحر المحيط ٨١/٥ الكشاف ٢٠٦/٢، مختصر شواذ القراءات ٥٤، تفسير الآلوسى ١٥٣/١٠).

(٢) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٢٧٠).

(٣) ذكره فى الخصائص دون نسبة (٣٦٧/٢).

كلَمْـــع أَيــدى مشــاكيــلٍ مُسَلّبَـــةٍ   يندبْنَ ضَرْس بنات الدهر والخُطُب(١)

يريد الخطوب. وقد حُذفت الياء أيضًا نحو قول عُبَيد الله بن الحُرّ:

وبُدِّلْتُ بعــد الزعـفـران وطيبــــه   صدا الدِّرع من مستحكِمات المسامر

يريد المسامير. وقال الآخر: (٢)

والبكـــرات الفسّـــج العطامســا(٣)

يريد العطاميس.

فكما حُذفت حروف اللين من هذا ونحوه مما تركناه إجمامًا بحذفه فكذلك تحذف الألف من الخالِفين، فيصير الخلِفين.

* * *

﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ١٠٠﴾

ومن ذلك قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة وسلام وسعيد بن أسعد ويعقوب ابن طلحة وعيسى الكوفى: «مِنَ المهاجرين والأنصارُ»(٤).

قال أبو الفتح: الأنصار معطوف على قوله: ﴿**والسابِقُون الأوّلونَ من المهاجرين والأنصار**﴾.

فأما قوله: ﴿**والذين اتّبعوهم بإحسان**﴾ فيجوز أن يكون معطوفًا على ﴿**الأنصار**﴾

---

(١) انظر: (الخصائص ١٣٦/٣، ديوانه ١٨٨، اللسان «ضرس»).

(٢) من قول غيلان بن حريث، أو هو ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة. انظر: (الكتاب ٤٤٤/٣، الخصائص ٦٤/٢، جمع الجوامع ١٥٧/٢، المخصص ٤٧/٤، ٦١/٧، ١٣٨، اللسان «فسج»)، وليس فى ديوان ذى الرمة ولا ملحقاته.

(٣) صدره: «قد قربت ساداتها الروانسا». انظر: (الكتاب ٤٤٥/٣). الفسج: جمع فاسج وفاسجة، وهى التى ضربها الفحل قبل أن تستحق الضراب. والعيطموس: الناقة الفتية الحسنة الخلق.

(٤) وقراءة يعقوب. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٤، إعراب القرآن للنحاس ٣٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١١/٢، البحر المحيط ٩٢/٥، التبيان ٢٨٧/٥، تفسير الطبرى ٧/١١، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/٨، الكشاف ٢١٠/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٤، تحبير التيسير ١١٨، مجمع البيان ٦٤/٥، معانى القرآن للفراء ٣٣٦/٢، معانى القرآن للأخفش ٣٣٦/٢، تفسير الفخر الرازى ١٧١،١٦، النشر ٢٨٠/٢، تفسير الآلوسى ٨/١١).

في رفعه وجره، ويجوز أن يكون معطوفًا على السابقين، وأن يكون معطوفًا على الأنصار لقربه منه.

* * *

صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴿١٠٣﴾

ومن ذلك قراءة الحسن: «صدقة تُطْهِرُهم» (١)، خفيفة.

قال أبو الفتح: هذا منقول من طهَر وأطهرته كظهر وأظهرته، وقراءَة الجماعة أشبه بالمعنى لكثرة المؤمنين؛ فلذلك قرأتْ: «تُطَهّرهم»، من حيث كان تشديد العين هنا إنما هو للكثير.

وقد يُؤدِّى فعلت وأفعلت عن الكثرة من حيث كانت الأفعال تفيد أجناسها، والجنس غاية الجموع. ألا ترى إلى ما أنشده الحسن من قوله:

أنت الفداءُ لِقِبلة هدّمتها ... ونَقَرتها بيديك كل منقّر

ولم يَقل كل نَقْر، وهذا واضح، وعليه قراءة من قرأ: «وأغلقَتِ الأبواب»، (٢) وهو واضح.

* * *

أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ ﴿١٠٨﴾

ومن ذلك قراءَة عبدا لله بن يزيد: «أحق أن تقوم فيهِ فيهُ رجال»(٣)، بكسر هاءِ فيه الأولى، وضم هاء فيه الآخرة مختلستين.

قال أبو الفتح: أصل حركة هذه الهاء الضم، وإنما تكسر إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة، كقولك: مررت به، ونزلت عليه. وقد يجوز الضم مع الكسرة والياء، وقد يجوز إشباع الكسرة والضمة ومطلهما إلى أن تحدث الواو والياء بعدهما، نحو مررت بهى وبهُو ونزلت عليهى وعليهو، وهذا مشروح فى أماكنه، لكن القول فى كسر فيه الأولى وضم فيه الثانية.

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٢١٢، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٤٩، البحر المحيط ٥/٩٥).

(٢) سورة يوسف الآية (٢٣).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٥/٩٩).

والجواب أنه لو كسرهما جميعا أو ضمهما جميعًا لكان جميلاً حسنًا، غير أن الذى سوغ الخلاف بينهما عندى هو تكرير اللفظ بعينه؛ لأنه لو قال: «فيهِ فيهِ»، أو «فيهُ فيهُ» لتكرَّرَ اللفظ عينه البتة.

وقد عرفنا ما عليهم فى استثقالهم تكرير اللفظ حتى أنهم لا يتعاطونه إلا فيما يتناهى عنايتهم به، فيجعلون ما ظهر من تجشمهم إياه دلالة على قوة مراعاتهم له، نحو قولهم: ضربت زيدًا ضربت، وضربت زيدًا زيدًا، وقولهم: قم قائمًا قم قائمًا، وقولهم فيما لا محالة فى توكيده، أعنى الأذان: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر.

ومما يدلك على قوة الكلفة عليهم فى التكرير أنهم لما صاغوا ألفاظ التوكيد لم يرددوها بأعيانها، وذلك كقولهم: جاءنى القوم أجمعون أكتعون أبصعون، فخالفوا بين الحروف، لكن أعادوا حرفًا واحدًا منها تنبيها على عنايتهم وإعلانهم أنه موضع يختارون تجشم التكرير من أجله، وجعلوا الحرف المعاد منه لامَه لأنه مقطع، والعناية بالمقاطع أقوى منها بمدرج الألفاظ.

ألا تراهم يتسمحون بحشو البيت فى اختلافه، فإذا وصلوا إلى القافية راعوها ووفقوا بين أحكامها، أعنى فى الروى والوصل والخروج والردف والتأسيس والحركات؟ وسبب ذلك أنه مقطع، والمعول فى أكثر الأمر عليه.

ومنه إجماع الناس فى الدعاء على أن يقولوا: اختم بخير، ومنه قول الله سبحانه: ﴿**خِتامُه مِسْك**﴾ (١) أى طعم مقطعه فى طيب رائحة المسك، وهذا ألطف معنى من أن يكون المراد به أن هناك خاتمًا عليه، وأنه من مسك.

ومن تجنب التكرير قوله تعالى: ﴿**لا يَستوِى منكم مَن أَنفق مِن قبل الفَتْح وقاتَلَ أُولئك أَعظمُ درجةً مِن الذين أَنفقوا مِن بَعدُ وقاتلوا**﴾ (٢) ولم يقل: من بعد الفتح تجنبًا للتكرير، ولهذا - فى التكرير وكراهيتهم إياه إلا فيما يدلون بتجشمهم تكريره على قوة اهتمامهم بما هم بسبيله - نظائر.

وفيما ذكرنا كافٍ، فعلى هذا تكون هذه القراءَة التى هى: «فيهِ فيهُ» ، اختيرت لوقوع الخلاف بين الحرفين على ما ذكرنا.

---

(١) سورة المطففين الآية (٢٦).

(٢) سورة الحديد الآية (١٠).

فإن قيل: فَلِم كُسر الأول وضُم الآخر وهلا عُكس الأمر؟ ففيه قولان: أحدهما أن الكسر في نحو هذا أفشى في اللغة فقُدّم، والضم أقل استعمالاً فأُخر. والثاني - وهو أغمض - وهو أن «فيه» الأولى ليست في موضع رفع، بل هي منصوبة الموضع بقوله تعالى: ﴿تَقُوم﴾، من قوله: أَحَقُّ أن تقومَ فيه. و«فيه» من قوله: ﴿فيه رجال﴾ في موضع الرفع؛ لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه، والمبتدأ رجال، و«فيه» خبر عنه، فهو مرفوع الموضع. فلما كان كذلك سبقت الضمة لتصور معنى الظرف.

ومعاذ الله أن نقول: إن ضمة الهاء من «فيه» عَلَم رفع، كيف ذلك والهاء مجرورة الموضع بـ«في»؟ نعم وهي اسم مضمر، والمضمر لا إعراب في شيء منه، وهي أيضًا مكسورة في أكثر اللغة. هل يجوز أن يظن أحد أن الضمة فيها علَم رفع؟ لكن الكلمة مرفوعة الموضع، وتصور معنى الرفع فيها أسبق إلى اللفظ كما ذهب بعضهم في ضمة تاءِ المتكلم في نحو قمت وذهبت إلى أنها إنما بُنيت على الضم لَمحًا لموضعها من الإعراب، إذ هي مرفوعة، وكانت أقوى من تاء المذكر والمؤنث في نحو قمتَ وقمتِ، فكانت لذلك أحق بذلك.

وليس الظرف هنا وصفًا لمسجد، بل هو على الاستئناف. والوقف عندنا على قوله: ﴿أحق أن تقوم فيه﴾، ثم استؤنف الكلام فقيل: ﴿فيه رجال﴾. وهذا أولى من أن يجعل الظرف وصفًا لمسجد، لما فيه من الفصل بين النكرة وصفتها بالخبر الذى هو «أحق»، ولأنك إذا استأنفت صار هناك كلامان، فكان أفخر من الوصف من حيث كانت الصفة مع موصوفها كالجزء الواحد.

* * *

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ (١٠٩)

ومن ذلك قراءة نصر بن عاصم[1] بخلاف: «أَفَمَن أَسَسُ بُنْيانِه عَلَى تَقْوَى مِنَ الله

---

(١) نصر بن عاصم الليثى (٨٩هـ = ٧٠٨م): من أوائل واضعي «النحو» قال ياقوت: كان فقيها، عالما بالعربية، من فقهاء التابعين، وله كتاب فى العربية وهو أول من نقط المصاحف. وكان يرى رأى الخوارج ثم ترك ذلك، وله فى تركه أبيات. انظر: (طبقات النحويين واللغويين ٢/٢١، إرشاد الأريب ٢١/٧، بغية الوعاة ٤٠٣، الأعلاق النفيسة ٢٠٠، الأعلام ٨/٢٤).

ورِضْوَان خيرٌ أَم من أَسَسُ بُنيانِه»(١) فى وزن فعل. وقرأ: «أساسُ بُنيانِه» (٢) بفتح الألف وألف بين السينين نصر بن على بخلاف، وروى عنه أيضًا: «أُسُّ بُنْيانِه» (٣) برفع الألف وخفض النون فى بنيانه، والسين مشددة.

قال أبو الفتح: يقال هو أُس الحائط وأساسه، فُعْل وفَعَال. وقد قالوا: لهِ أَسّ بفتح الألف، وقد أَسّ البناء يؤسه أَسًّا: إذا بناه على أساس. وقالوا فى جمع أس: آساس كقُفل وأقفال، وقالوا فى جمع أساس إساس وأُسُسُ. ونظير أساس وإساس ناقة هجان ونُوق هِجَان، ودِرع دِلاص وأَدرع دِلاص، وإن كان هذا مكسور الأول، فإن فَعَالا وفِعالا تجريان مجرى المثال الواحد. ألا ترى كل واحد منهما ثلاثيًا وفيه الألف زائدة ثالثة؟ وقد اعتقبا أيضًا على المعنى الواحد فقالوا: أوان وإِوان، ودِواء، ودَواء وحَصاد وحِصَاد، وجَزَاز وجِزاز وجَرَام وجِرام.

وقد يجوز أن يكون إِسَاس جمع أُسّ كبُرد وبِرَاد، وقد يجوز أن يكون جمع أَس كفَرخ وفِراخ. وأما أُسُس فجمع أساس، كقُذُل وقَذَال. قال كَذَّاب بنى الحِرْماز:

وأُس مجد ثابتٌ وطيد نال السماءَ فرعُه المديد

* * *

عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ (١٠٩)

ومن ذلك ما حكاه ابن سلام قال: قال سيبويه: كان عيسى بن عمر يقرأ: «على تقوًى من الله»(٤) قلت: على أى شىء نوّن؟ قال: لا أدرى ولا أعرفه. قلت: فهل نوّن أحد غيره؟ قال: لا.

---

(١) ونصر بن على. انظر: (البحر المحيط ٥/١٠٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/٤١، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٦٤).

(٢) ونصر بن على اليمانى. انظر: (مجمع البيان ٥/٧٠، مختصر شواذ القراءات ٥٥، معانى القرآن للفراء ١/٤٥٢. إعراب القرآن للعكبرى ٢/٤١، البحر المحيط ٥/١٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٦٤ الكشاف ٢/٢١٥).

(٣) وقراءة نصر بن على. انظر: (البحر المحيط ٥/١٠٠، الكشاف ٢/٢١٥، مجمع البيان ٥/٧٠، الجامع الأحكام القرآن ٨/٢٦٤).

(٤) انظر: (الكشاف ٢/٢١٥، مختصر شواذ القراءات ٥٥، البحر المحيط ٥/١٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٦٤، حاشية يس ٢/٣٨٤).

قال أبو الفتح: أخبرنا بهذه الحكاية أبو بكر جعفر بن على بن الحجاج عن أبى خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام.

فأما التنوين فإنه وإن كان غير مسموع إلا فى هذه القراءة فإن قياسه أن تكون أَلِفه للإلحاق لا للتأنيث، كتَترى فيمن نون وجعَلَها ملحقة بجعفر.

وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف فى قياس ذلك وألا يقول: لا أدرى. ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ورويناها عن شيخنا أبى بكر لتوقفت فيها. فأما أن يقول سيبويه: لم يقرأ بها أحد فجائز. يعنى فيما سمعه، لكن لا عذر له فى أن يقول: لا أدرى لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفه للإلحاق.

* * *

ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ﴿١١٢﴾

ومن ذلك قرءة الجماعة: ﴿**التائبون العابدون**﴾ وفى قراءة أبى وعبدا لله بن مسعود، ويروى أيضًا عن الأعمش: «التائبين العابدين»(١).

قال أبو الفتح: أما رفع ﴿**التائبون العابدون**﴾ فعلى قطع واستئناف، أى هم التائبون العابدون. وأما «التائبين العابدين» فيحتمل أن يكون جرًّا وأن يكون نصبًا: أما الجر فعلى أن يكون وصفًا للمؤمنين فى قوله تعالى: ﴿**إن ا لله اشترى من المؤمنين أنفسهم**﴾ «التائبين العابدين». وأما النصب فعلى إضمار فعل لمعنى المدح، كأنه قال: أعنى أو أمدح «التائبين العابدين»، كما أنك مع الرفع أضمرت الرافع لمعنى المدح.

* * *

وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴿١١٤﴾

ومن ذلك قراءة طلحة: «وما يَسْتَغْفِرُ إبراهيمُ لأبيه (٢)»، ورويت عنه أيضًا: «وما استَغفر إبراهيمُ لأبيه»(٣).

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٤٣/٢ إعراب القرآن للعكبرى ١٣/٢، مجمع البيان ٧٤/٥، الكشاف ٢١٦/٢، التبيان ٣٠٧/٥، البحر المحيط ١٠٤/٥، مختصر شواذ القراءات ٥٥، تفسير الفخر الرازى ٢٠٢/١٦، تفسير الآلوسى ٣٠/١١).

(٢) انظر: (الكشاف ٢١٧/٢، البحر المحيط ١٠٥/٥، تفسير الآلوسى ٣٤/١١).

(٣) وقراءة عبدا لله بن مسعود. انظر: (البحر المحيط ١٠٥/٥، الكشاف ٢١٧/٢، تفسير الآلوسى ٣٤/١١، شواذ القراءات للكرمانى «مخطوط»).

قال أبو الفتح: أما «يَسْتغِفر» فعلى حكاية الحال، كقولك: كان زيد سيقوم، إن كان متوقعًا منه القيام. وحكاية الحال فاشية فى اللغة، منها قول الله عز وجل: ﴿**فوجَد فيها رَجُلَين يقتتلان هذا مِن شِيعتِه وهذا من عَدُوِّه**﴾(١) ولم يقل: أحدهما من شيعته، والآخر من عدوه.

وذلك أنه تعالى لما حكى الحال الماضية صار النبى ﷺ ومن يسمع من بَعدُ كالحاضرين للحال، فقال: هذا، وهذا. وقال تعالى: ﴿**وإنَّ ربَّك لَيَحْكم بَيْنَهم يومَ القيامة**﴾ (٢)، وهذه اللام إنما تدخل على فعل الحال الحاضرة، فحَكى الحال المستأنفة كما حكى السالفة.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ (١١٨)

ومن ذلك قراءة الناس ﴿**الذين خُلِّفوا**﴾، وقرأ: «خَلَفُوا»،(٣) بفتح الخاء واللام خفيفةً - عِكرمة وزِرّ بن حُبيش (٤) وعمرو بن عبيد، ورُويت عن أبى عمرو.

وقرأ: «خالَفُوا»(٥) أبو جعفر محمد بن على وعلى بن الحسين (٦) وجعفر بن

---

(١) سورة القصص الآية (١٥).

(٢) سورة النحل الآية (١٢٤).

(٣) وقراءة معاذ القارئ، وحميد. انظر: (البحر المحيط ٥/١١٠، الكشاف ٢/٢١٨، مجمع البيان ٥/٧٨، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٨١، ٢٨٢، تفسير الفخر الرازى ١٦/٢١٧).

(٤) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدى (٨٣هـ = ٧٠٢م): تابعى، من جلتهم. أدرك الجاهلية والإسلام، ولم ير النبى ﷺ. كان عالما بالقرآن، فاضلا. وكان ابن مسعود يسأله عن العربية. سكن الكوفة. وعاش مائة وعشرين سنة. ومات بوقعة دير الجماجم. انظر: (الإصابة ١/٥٧٧، حلية الأولياء ٤/١٨١، الأعلام ٣/٤٣).

(٥) وقراءة أبى زيد، وأبى مجلز، والشعبى، وابن يعمر، وزيد بن على، ومحمد الباقر. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٥، البحر المحيط ٥/١١٠، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٨١، ٢٨٢، الكشاف ٢/٢١٨، مجمع البيان ٥/٧٨، تفسير الفخر الرازى ١٦/٢١٧، تفسير الآلوسى ١١/٤١).

(٦) على بن الحسين بن على بن أبى طالب، الهاشمى القرشى، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين (٣٨ - ٩٤هـ = ٦٥٨ - ٧١٢م): رابع الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل فى العلم والورع. انظر: (وفيات الأعيان ١/٣٢٠، ابن سعد ٥/١٥٦، اليعقوبى ٣/٤٥،=

محمد[1] وأبو عبدالرحمن السلمى.

قال أبو الفتح: من قرأ «خَلَفُوا» فتأْويله: أقَاموا و لم يبرحوا، ومن قرأ «خالَفُوا» فمعناه عائد إِلى ذلك؛ وذلك أنهم إِذا خالفوهم فأقاموا فقد خلفوا هناك.

* * *

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴿١٢٨﴾

ومن ذلك قراءه عبدا لله بن قُسَيْط المكى: «لقد جاءَكم رسولٌ من أنْفَسِكم» (٢).

قال أبو الفتح: معناه من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع، أى أجوده وخياره، واشتقه من النفس، وهى أشرف ما فى الإنسان.

* * *

=صفة الصفوة ٥٢/٢، ذيل المذيل ٨٨، حلية الأولياء ١٣٣/٣، ابن الوردى ١٨٠/١، الأعلام ٢٧٧/٤).

(١) جعفر بن محمد الباقر بن على زيد العابدين بن الحسين السبط، الهاشمى القرشى، أبو عبدا لله، الملقب بالصادق (٨٠ - ١٤٨هـ = ٦٩٩ - ٧٦٥م): سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة فى العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. انظر: (نزهة الجليس ٣٥/٢، وفيات الأعيان ١٥٠/١، الجمع ٧٠، اليعقوبى ١١٥/٣، صفة الصفوة ٩٤/٢، حلية الأولياء ١٩٣/٣، الأعلام ١٢٦/٢.

(٢) وقراءة عائشة، وابن عباس، وأبى عمرو، ومحبوب، ويعقوب، وأبى العالية، وفاطمة، والضحاك، وابن محيصن، وابن علية، والزهرى. انظر: (الكشاف ٢٢٣/٢، مجمع البيان ٨٥/٥ مختصر شواذ القراءات ٥٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٦، البحر المحيط ١١٨، الجامع لأحكام القرآن ٣٠١/٨).

سـورة يـونـس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ (٤)

من ذلك قراءة أبى جعفر والأعمش وسهل بن شعيب «وعْدُ اللهِ حَقٌّ أنه يَبْدأُ الخَلْق ثم يُعيده» (١).

قال أبو الفتح: إن شئت كان تقديره: وعد الله حقًا لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، أى من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غنىّ عن إخلاف الوعد، وإن شئت كان تقديره: أى وَعَدَ الله وَعْدًا حقًا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فتكون «أنه» منصوبة بالفعل الناصب لقوله: «وَعْدا».

ولا يجوز أن يكون «أنه» منصوبة الموضع بنفس «وَعْدٍ» لأنه قد وصف بقوله: «حقًا»، والصفة إذا جرت على موصوفها أَذِنت بتمامه وانقضاء أجزائه، فهى من صلته، فكيف يوصف قبل تمامه؟ فأما قول الحطيئة(٢):

أَزمعتُ يأْسًا مبينا من نَوَالِكُمُ ولن تَرى طاردًا للحُرِّ كاليأس

فلا يكون قوله: من نوالكم من صلة يأس من حيث ذكرنا. ألا تراه قد وصفه بقوله: «مبينًا»؟ وإذا كان المعنى لعمرى عليه ومُنع الإعراب منه أُضمر له ما يتناول حرف الجر، ويكون يأسًا دليلاً عليه، كأنه قال فيما بعد: يئست من نوالكم.

* * *

(١) وقراءة عبدالله بن مسعود، وابن أبى عبلة. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٤٩/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٣/٢، تفسير الطبرى ٦١/١١، الكشاف ٢٢٥/٢، مجمع البيان ٨٩/٥، معانى القرآن للفراء ٤٥٧/١، تفسير الفخر الرازى ٣٠/١٧، النشر فى القراءات العشر ٢٨٢/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٧).

(٢) انظر: (ديوانه ٢٨٣، الخصائص ٢٦٠/٣).

وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

ومن ذلك قراءَة ابن مُحيْصِن[(١)] وبلال بن أبى بُردة ويعقوب: «أَنَّ الحمدَ لله».

قال أبو الفتح: هذه القراءَة تدل على أن قراءة الجماعة ﴿أَنِ الحمدُ لله﴾[(٢)] على أنّ «أَنْ» مخففة من «أَنّ»، بمنزلة قول الأعشى[(٣)]:

فى فِتيةٍ كسيوف الهند قد علِمـــوا ... أَنْ هالكٌ كلُّ من يَحفـى وينتعلُ[(٤)]

أى أنه هالك، فكأنه على هذا: وآخر دعواهم أنه الحمد لله، وعلى أنه لا يجوز أن يكون «أَنْ» هنا زائدة كما زيدت فى قوله:

ويومًـا تُوافينا بوجـــه مقسَّـــم ... كـأَنْ ظبيةٍ تعطو إلـى وارق السَّلَـمْ

أى كظبية، وإذا لم يكن ذلك كذلك لم يكن تقديره: وآخر دعواهم الحمد لله. هو كقولك: أول ما أقوله: زيد منطلق. وعلى أن هذا مع ما ذكرناه جائز فى العربية لكن فيه خلافًا لتقدير قراءة الجماعة، وفيه أيضًا الحمل على زيادة «أَنْ» وليس بالكثير.

ولو قرأ قارئ: إنَّ الحمد لله، بكسر الهمزة على الحكاية التى للفظ بعينه لكان جائزًا، لكن لا يُقْدَم على ذلك إلا أن يرد به أثر، وإن كان فى العربية سائغا. وإذا فتح فقال: أَنّ الحمد لله، فلم يحك اللفظ بعينه وإنما جاء بمعنى الكلام كقولنا: بلغنى أن زيدًا منطلق –

---

(١) محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمى بالولاء، أبو حفص المكى (١٢٣هـ = ٧٤١م): مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، وأعلم قرائها بالعربية. انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته و لم يُلحقوها بالقراءات المشهورة. وكان لا بأس به فى الحديث. روى له مسلم والترمذى والنسائى حديثًا واحدًا. انظر: (غاية النهاية ١٦٧/٢، العبر ١٥٧/١، تهذيب ٤٧٤/٧، التاج ١٨٠/٩، الأعلام ١٨٩/٦).

(٢) وقراءة عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن يعمر، وأبى مجلز، وأبى حياوة. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٥٢/٢، إعراب القرآن العكبرى ١٤/٢، البحر المحيط ١٢٧/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣١٣/٨، مجمع البيان ٩٢/٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٧).

(٣) من قصيدته الشهيرة التى مطلعها:

ودع هريـرة إن الركـب مـرتحـل ... وهل تُطيـق وداعـًا أيهـا الرجُـلُ

انظر: (ديوانه ٢١٧).

(٤) وردت فى الديوان (٢٢١) على النحو التالى:

فى فتية كسيوف الهنـد قـد علمـوا ... أن ليـس يدفع عن ذى الحيلـة الحيل

إمـا ترينـا حفـاة لا نـعال لنـا ... إنـا كـذلـك مـا نحفـى وننتعـل

فليس هذا على حكاية ما سمع لفظًا. ألا تراه إذا قيل له: قد انطلق زيدٌ فقال: بلغنى أن زيدًا منطلق، كان صادقًا، وإن لم يؤدّ نفس اللفظ الذى سمعه، لكنه أدى معناه؟ وإن كسَر فقال: إنَّ الحمد لله، فهو مؤد لنفس اللفظ وحاك له البتة.

* * *

لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ومن ذلك قراءة ابن شعيب قال: سمعت يحيى بن الحارث يقرأ: «لِنَظُّرَ كيف تَعْملون»(١)، نون واحدة. قال: فقلت له: ما سمعت أحدًا يقرؤها، قال: هكذا رأيتها فى الإمام: مصحف عثمان. أيوب، عن يحيى، عن ابن عامر: «لِنَظُّر»، بنون واحدة مثله.

قال أَبو الفتح: ظاهر هذا أنه أدغم نون ننظر فى الظاء، وهذا لا يعُرف فى اللغة، ويشبه أن تكون مخفاة فظنها القُراء مدغمة على عادتهم فى تحصيل كثير من الإخفاء إلى أن يظنوه مدغمًا. وذلك أن النون لا تدغم إلا فى ستة أحرف ويجمعها قولك: يَرمَلون.

* * *

وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ﴿١٦﴾

ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسن وابن سيرين: «ولا أَدْرَأْتكم به»(٢).

قال أبو الفتح: هذه قراءة قديمة التناكر لها والتعجب منها. ولعمرى إنها فى بادئ أَمرها على ذلك، غير أن لها وجها وإن كانت فيه صنعة وإطالة.

وطريقه أن يكون أراد «ولا أدريتكم به» ثم قلب الياء لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة - ألفا، كقولهم فى ييئس: ياءَس، وفى ييبس يابَس. وكقولهم: ضَرب عليهم سايَة، وإنما يريد سَيّة، وهى فَعْلة من سوّيت، فقُلبت الواو ياء وأُدغمت فى الياء فصار سَيّه، ثم قلبت الياء الأولى لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة - ألفًا، فصارت ساية.

وقالوا فى الإضافة إلى الحِيرَة: حارىّ، وإلى طَىّ طائِىّ، وقالوا: حاحيت وعاييت وهاهيت. والأَصل حيحيت وعيعيت وهيهيت، فقلبت الياءَات السواكن فى هذه

---

(١) وقراءة ابن عامر. انظر: (البحر المحيط ١٣١/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١٤/٢).

(٢) وقراءة أبى رجاء. انظر: (إعراب القرآن ٥٣/٢، البحر المحيط ١٣٣/٥، تفسير الطبرى ٣٢١/٨، معانى القرآن للفراء ٤٥٩/١، الكشاف ٢٢٩/٢).

الأماكن ألفات، فكذلك أيضًا قُلبت ياءُ «أدريتكم» ألفا فصارت «أدرأتكم» وعلى ذلك أيضًا ما رويناه عن قطرب: أن لغة عُقَيل أن يقولوا فى أعطيتك: أعطاتك. فلما صارت أدريتكم إلى أدرِاتْكم همز على لغة من قال فى البـاز: البـأز، وفى العـالم: العـألم، وفى الخاتم: الخأتم، وفى التابل وتابَلْتُ القدر: التأبل، وتأبلت القدر. وأنشد ابن الأعرابى(١):

وَلّى نعامُ بَنى صفوان زَوْزَأةً لّما رأى أسدًا فى الغار قد وثبا

يريد زوزاْة. ولِنحو هذا نظائر قد أوردناها فى كتابنا الموسوم بالخصائص فى باب ما همزَته العرب ولا أَصل له فى همز مثله، فهذا وإِن طالت الصنعة فيه أَمثل من أن تُعطَى اليد بفساده وترك النظر فى أمره.

* * *

حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ﴿٢٢﴾

ومن ذلك قراءة أم الدرداءِ «حتى إِذا كنتم فى الفُلْكِيّ» (٢)، بكسر الكاف وتثبيت الياء.

قال أَبو الفتح: اعلم أَن العرب زادت ياءَ الإِضافة فيما لا يحتاج إِليها، من ذلك قولهم: فى الأَحمر أَحمرِىّ، وفى الأَشهر أَشهرىّ.

قال العجاج:

والدهر بالإنسان دَوّارىّ

أى دوّار. وقال فيها أَيضًا:(٣)

غُضْف طواها الأَمس كَلاَّبىّ

أى: كَلاَّب.

فإِن قيل: فإِن هذا أَمر يختص بالصفات، وليس «الفلك» بصفة فتلحقه ياءُ النسب، قيل: قد جاءَ ذلك فى الاسم أَيضًا. أَلا ترى إِلى قول الصلتان(٤):

(١) انظر: (الخصائص ٣/١٤٧، لسان العرب «زوى»).

(٢) وقراءة أبى الدرداء. انظر: (الكشاف ٢/٢٣١، البحر المحيط ٥/١٣٨).

(٣) انظر: (الخصائص ٣/١٠٦).

(٤) انظر: (أمالى أبى على القالى ٢/١٤٢، ١٤٣).

أنــا الصلتانــىّ الــذى

وأيضًا فقد شُبه كل واحد من الاسم والصفة بصاحبـه، فغير منكَر أن يُشَبه الفُلك بالحلو والمر. ويزيد فى شبهه به أن الفلك عندنا اسم مكسَّر، وليس عندنا كما ذهب إليه الفراءُ فيه: من أنه اسم مفرد يقع على الواحد والجمع، كالطاغوت ونحوه. وإذا كان جمعا مكسرًا أشبه الفعل من حيث كان التكسير ضربًا من التصرف، وأصل التصرف للفعل، ألا ترى أن ضربًا من الجمع أشبه الفعل فمُنع من الصرف وهو باب مفاعل ومفاعيل؟ ولأن التكسير أيضًا ثان كما أن الفعل ثان، وإذا أشبه التكسير الفعل من حيث وصفنا قاربَ الصفة لشدة ملابسة الصفة للفعل لفظًا ومعنى وعملاً، فهذا عندى هو العذر فى إلحاق «الفُلك» ياءَى الإضافة فى هذه القراءَة.

* * *

وَٱزَّيَّنَتۡ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءَة الأعرج «وأزيَنت» (١)، وهى أيضًا قراءَة نصر بن عاصم وأبى العالية والحسن بخلاف وقتادة وأبى رجاء بخلاف والشعبى وعيسى الثقفى. وقرأ: «وازيأنّت»(٢) أبو عثمان النَّهْدى.

قال أبو الفتح: أما «أزْيَنَتْ» فمعناه صارت إلى الزينة بالنبت، ومثله من أفعَل، أى: صار إلى كذا أجذع المُهر صار إلى الإجذاع، وأحصد الزرع، وأجزَّ النخل: أى صار إلى الحصاد والجَزار، إلا أنه أخرج العين على الصحة وكان قياسه أزانت، مثل أشاع الحديث، وأباع الثوب: أى عرضه للبيع.

وأما «ازْيأنّت» فإنه أراد فعالّت، وأصله ازيانّت مثل ابياضّت واسوادت، إلا أنه كره التقاء الألف والنون الأولى ساكنتين، فحرك الألف فانقلبت همزة، كقول كُثَيِّر:

---

(١) وقراءة سعد بن أبى وقاص، وأبى العالية، وعبدالرحمن، وابن يعمر، وابن هرمز. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٥٦/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٥/٢، البحر المحيط ١٤٣/٥، ١٤٤، تفسير الطبرى ٧٢/١١، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/٨، الكشاف ٢٣٣/٢، مجمع البيان ١٠٢/٥، إتحاف فضلاء البشر ١٤٨).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١٥/٢، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/٨، إعراب القرآن للنحاس ٥٦/٢، البحر المحيط ١٤٤/٥).

وِلِلأَرضِ أما سُودُها فتجللت ... بياضًا وأما بِيضُها فادهأمت(١)

وقد تقدم نظير ذلك فيه.

* * *

كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ ﴿٢٤﴾

ومن ذلك قراءَة مروان على المنبر: «كأَنْ لم تَتغَنّ بالأَمس» (٢).

قال أَبو الفتح: جاءَ هذا مجيءَ نظائره، كقولهم: تمتعت بكذا، وتأَنقت فيه، وتلبّست بالأَمر، مما جاءَ تفعّلت على هذا الحد.

* * *

بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴿٣٨﴾

ومن ذلك قراءة عمرو بن فائد (٣): «بِسُورَةِ مثلِهِ»، (٤) بالإِضافة.

قال أَبو الفتح: هو عندى على حذف الموصوف وإِقامة الصفة مقامه، أَى بسورةِ كلامٍ مثله، أَو حديثٍ مثله، أَو ذِكرٍ مثله. وقد ذكرنا حذف الموصوف وإِقامة الصفة مقامه.

* * *

أَحَقٌّ هُوَۖ ﴿٥٣﴾

ومن ذلك قراءَة الأَعمش: «آلحقُّ هو؟» (٥).

قال أَبو الفتح: اعلم أَن الأَجناس تتساوى فائدتا معرفتها ونكرتها فى نحو هذا، تقول: ثق بأَمانٍ من الله، وثق بالأَمان من الله، وهذا حق، وهذا الحق، وهذا صدق، وهذا الصدق.

---

(١) ديوانه ص ٣٢٣. وهو من قصيدة فى رثاء عبدالعزيز بن مروان. انظر: (سر صناعة الإعراب ٧٤/١). وروى فى الخصائص (١٤٣/٣): فأسوأدت فى موضع: فادهأمت.

(٢) انظر: (الكشاف ٢٣٣/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٥/٢، البحر المحيط ١٤٤/٥).

(٣) انظر: (الأسوارى ٨٣/٥).

(٤) انظر: (الكشاف ٢٣٧/٢، البحر المحيط ١٥٨/٥).

(٥) انظر: (الكشاف ٢٤١/٢).

ومن قولهم: خرجت فإذا بالباب أَسد، وإذا بالباب الأَسد، المعنى واحد ووَضْع اللفظ مختلف، وسبب ذلك كون الموضع جنسًا، وقد تقدم نحو هذا.

* * *

فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ (٥٨)

ومن ذلك قراءَة النبى ﷺ وعثمان بن عفان وأُبَىّ بن كعب والحسن وأَبى رجاء ومحمد بن سيرين والأَعرج وأَبى جعفر بخلاف والسُّلَمِى وقتادة والجَحْدَرى وهلال بن يَسَاف والأعمش بخلاف وعباس بن الفضل وعمرو بن فائد: «فَبذلكَ فلتفْرَحوا»، بالتاء[(١)].

وقرأَ: «فَبذَلكَ فافرَحوا» [(٢)] أُبى بن كعب.

قال أَبو الفتح: أَما قراءَة أبى هذه «فافرحوا» فلا نظر فيها، لكن «فلتَفْرَحوا» بالتاءِ خرجت على أَصلها، وذلك أَن أَصل الأَمر أن يكون بحرف الأَمر وهو اللام، فأَصل اضرب لِتضرب، وأَصل قم لِتقم. كما تقول للغائب: لِيقم زيد، ولتضرب هند، لكن لما كثر أَمر الحاضر نحو قم، واقعد، وادخل، واخرج، وخذ، ودع، حذفوا حرف المضارعة تخفيفًا - بقى ما بعده ودل حاضر الحال على أَن المأمور هو الحاضر المخاطب، فلما حذف حرف المضارعة بقى ما بعده فى أَكثر الأَمر ساكنًا فاحتيج إِلى همزة الوصل ليقع الابتداءُ بها فقيل: اضرب، اذهب، ونحو ذلك.

فإن قيل: ولِمَ كان أَمر الحاضر أَكثر حتى دعت الحال إلى تخفيفه لكثرته؟ قيل: لأَن الغائب بعيد عنك، فإذا أَردت أَن تأمره احتجت إِلى أَن تأمر الحاضر لتؤدى إِليه أَنك تأمره، فقلت: يا زيد، قل لعمرو: قم. ويا محمد، قل لجعفر: اذهب، فلا تصل إِلى أَمر الغائب إلا بعد أَن تأمر الحاضر أَن يؤدى إليه أَمرك إِياه، والحاضر لا يحتاج إِلى ذلك لأَن خطابك إِياه قد أَغنى عن تكليفك غيره أَن يتحمل إِليه أَمرك له.

---

(١) وقراءة أنس، وابن عباس، وابن هرمز، وزيد بن ثابت، ويعقوب، ورويس، والمطوعى، وابن عامر فى رواية غير المشهورة عنه، والكسائى فى رواية زكريا بن وردان. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٧، الكشاف ٢/٢٤١، الطبرى ١١/٨٨، القرطبى ٨/٣٥٤، مجمع البيان ٥/١١٦، الفراء ١/٤٦٥، الأخفش ٢/٣٤٥، النشر ٢/٢٨٥، الإتحاف ٢٥٢، النحاس ٢/٦٥، الكشف ١/٥٢٠، الحجة لأبى زرعة ١٨٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٨٢، التبيان ٥/٣٩٥، العكبرى ٢/١٦، همع الهوامع ٤/٣٠٨، مغنى اللبيب ١/١٨٦).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٦٩، الكشاف ٢/٢٤١، الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٥٤، البحر المحيط ٥/١٧٢، إعراب القرآن للنحاس ٢/٦٥، تفسير الفخر الرازى ١٧/١٠٨).

ويدلك على تمكن أمر الحاضر أنك لا تأمر الغائب بالأسماء المسمى بها الفعل في الأمر نحو: صه، ومَه، وإيه، وإيهًا، وحيَّهل، ودونك، وعندك، ونحو ذلك.

لا تقول: دونه زيدًا، ولا عليه جعفرًا كقولك: دونك زيدًا، وعليك سعدًا. وقد شذ حرف من ذلك فقالوا: عليه رجلاً لَيْسَنِي. ولهذا المعنى قوى ضمير الحاضر على ضمير الغائب فقالوا: أنت وهو، فلما صاغوا لهما اسمًا واحدًا صاغوه على لفظ الحضور لا لفظ الغيبة، فقالوا: أنتما، فضموا الغائب إلى الحاضر، ولم يقولوا: هما، فيضموا الحاضر إلى الغائب، فهذا كله يريك استغناءَهم بقُم عن لِتقم ونحوه.

وكأنَّ الذى حسن التاءَ هنا أنه أمر لهم بالفرح، فخوطبوا بالتاءِ لأنها أذهب في قوة الخطاب، فاعرفه، ولا تقل قياسًا على ذلك: فبذلك فلتحزنوا؛ لأن الحزن لا تقبله النفس قبول الفرح، إلا أن تريد إصغارهم وإرغامهم، فتؤكد ذلك بالتاءِ على ما مضى.

* * *

فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴿٧١﴾

ومن ذلك قراءَة أبى عبدالرحمن والحسن وابن أبى إسحاق وعيسى الثقفيّ وسلاّم ويعقوب، ورُويت عن أبى عمرو: «فأَجمِعُوا أمْرَكم وشُرَكاؤُكم»، مكسورة الميم ورفع «شركاؤكم»[١].

وقرأ: «فاجمَعوا أمركم»[٢]، غير مهموزة والميم مفتوحة و «شُركاءَكم» نصبًا الأعرج وأبو رجاء وعاصم الجَحْدَرى والزهرى، وروى عن الأعمش. وفى قراءَة أُبىّ: «وادْعُوا شُرَكاءَكم ثم اجمَعوا أمْرَكم»[٣].

---

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٤٦/٢، السبعة ٣٢٨، الكشاف ٢٤٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٦٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، البحر المحيط ١٧٩/٥، التبيان ٤٠٨/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/٨، الحجة المنسوبه لابن خالويه ١٨٣، النشر ٢٨٠/٢، مغنى اللبيب ٣٤/٢).

(٢) وقراءة نافع، وأبى عمرو، ويعقوب، والأصمعى، والتمار، ورويس. انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٤٦/٢، السبعة ٣٢٨، الكشاف ٢٤٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٦٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، البحر المحيط ١٧٩/٥، التبيان ٤٠٨/٥، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٨٣، النشر ٢٨٠/٢، مغنى اللبيب ٣٤/٢).

(٣) فى مختصر شواذ القراءات ٥٩: «فادعوا».

قال أبو الفتح: أما «فأَجمِعوا أمرَكم وشركاؤكم» بالرفع فرفعه على العطف على الضمير فى «أَجمِعوا»، وساغ عطفه عليه من غير توكيد للضمير فى «أَجمِعوا» من أجل طول الكلام بقوله: «أمرَكم». وعلى نحو من هذا يجوز أن تقول: قم إلى أخيك وأبو محمد، واذهب مع عبدالله وأبو بكر؛ فتعطف على الضمير من غير توكيد وإن كان مرفوعًا ومتصلاً لِمَا ذكرنا من طول الكلام بالجار والمجرور. وإذا جاز قول الله تعالى: ﴿ما أَشْرَكْنا ولا آباؤنا﴾ (١) وأن نكتفى بطول الكلام بـ «لا» وإن كانت بعدَ حرف العطف كان الاكتفاءُ من التوكيد بما هو أطول من «لا»، وهو أيضًا قبل الواو، كما أن التوكيد لو ظهر لكان قبلها - أحرى.

وعلى ذلك فلو قال قائل: «قم وزيد» فعطف على الضمير المرفوع من غير توكيد كان أقبح من قولنا: «قمت وزيد»، وذلك أن المعطوف عليه فى «قم وزيد» ضمير لا لفظ له فهو أضعف من الضمير فى قمت؛ لأن له لفظًا وهو التاءُ، و«قمت وزيد» أَضعف من «قمنا وزيد» لأن «نا» من قمنا أتم لفظًا من التاءِ فى قمت.

وعليه أيضًا تعلم أن قمتما وزيد أشبه شيئًا من قمنا وزيد؛ لأن «تُما» من «قمتما» أتم لفظًا من «نا» من قمنا. وكذلك أيضًا قولك للنساء: ادْخلْنانِّ وزيد أمثل من قولك: دخلتنّ وزيد؛ لأن «نانِّ» من ادخلنانِّ أطول من «تُنّ» من دخلتن.

فهذه مُصارفة وإن خفيت ولطفت تؤثّر فى أنفس العارفين بها ما لا تخطر على أوهام الساهين عنها.

وكذلك لو قلت: اضربنا «نّهِ» وزيد لكان أَمثل من ادخلنانِّ وزيد، لأن «نانّهِ» ستة أَحرف «ونانِّ» أربعة أحرف، وكذلك اضربنانّهما وزيد، أَمثل من اضربنانّه وزيد لأن «نانّهما» سبعة أَحرف «ونانّه» ستة أَحرف، وكذلك الزيدّين الثوبين اكسونانّهما هما - أمثل من قولك: الزيدين اكسونانّهما لأن «نانّهما هُما» عشرة أَحرف «ونانّهما» سبعة أَحرف.

فهذا مبنى يعاد عليه، ويثنى أشباهه إليه. وجميعه من بعدُ ليس في قوة التوكيد نحو قم أنت وزيد، و﴿اسكنْ أنتَ وزوْجُك الجَنَّةَ﴾(٢)؛ وذلك أن التوكيد وإن لم يكن فى طول هذه الفروق والفصول فإن فيه معنى ليس فيها، وهو تثبيته معنى الاسمية للمضمر

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٤٨).

(٢) سورة يونس الآية (٧١).

المتصل الذى قد شَعّثَ الفعل فمازجه وصار كجزء منه، فضعف عن العطف عليه، كما لا يجوز العطف على جزء من الفعل. فإذا وُكّد صار فى حيز الأسماءِ ولحق بما يَحسن العطف عليه بعد توكيده كما حسن عليها.

* * *

ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ ﴿٧١﴾

ومن ذلك قراءَة السرّى بن يَنْعُم «ثم أَفْضُوا إِلَىّ» (١) من أفضيت.

قال أبو الفتح: معناه أَسرعوا إِلىّ، وهو أَفعلْت من الفَضاءِ؛ وذلك أَنه إِذا صار إِلى الفَضاء تمكن من الإِسراع، ولو كان فى ضيق لم يقدر من الإِسراع على ما يقدر عليه من السعة. ولام أَفْضيت والفَضاءُ وما تصرف منهما واو لقولهم: فَضا الشىء يفْضو فُضُوا إِذا اتسع. فقولهم: أَفْضيت: صرت إِلى الفَضاء، كقولهم: أَعرَق الرجل إِذا صار إِلى العراق، وأَعمن الرجل إِذا صار إِلى عُمان، وأَنجد: أَتى نجدًا، ونحو ذلك.

* * *

إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾

ومن ذلك قراءَة مجاهد (٢) وسعيد بن جُبَير (٣): «إِنّ هذا لَساحِرٌ مُبِين»(٤).

---

(١) وقراءة أبى حيوة. انظر: (البحر المحيط ١٨٠/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، تفسير القرطبى ٣٦٤/٨ الكشاف ٢٤٦/٢، معانى القرآن للفراء ٤٧٤/١).

(٢) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكى، مولى بنى مخزوم (٢١ - ١٠٤هـ = ٦٢٤ - ٧٢٢م): تابعى، مفسر من أهل مكة. قال الذهبى: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسر من ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عنه كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل فى الأسفار، واستقر فى الكوفة. ويقال إنه مات وهو ساجد. انظر: (طبقات الفقهاء ٤٥، إرشاد الأريب ٢٤٢/٦، غاية النهاية ٤١/٢، صفة الصفوة ١١٧/٢، ميزان الاعتدال ٩/٣، حلية الأولياء ٢٧٩/٣، الجمع بين رجال الصحيحين ٥١٠، الأعلام ٢٧٨/٥).

(٣) سعيد بن جبير الأسدى، بالولاء الكوفى أبو عبدالله (٤٥ - ٩٥هـ = ٦٦٥ - ٧١٤م): تابعى، كان أعلمهم على الإطلاق. وهو حبشى الأصل، من موالى بنى والبة بن الحارث من بنى أسد. أخذ العلم عن عبدالله بن عباس وابن عمر. انظر: (وفيات الأعيان ٢٠٤/١، طبقات ابن سعد ١٧٨/٦، تهذيب التهذيب ١١/٤، حلية الأولياء ٢٧٢/٤، ابن الأثير ٢٢٠/٤، المعارف ١٩٧، الطبرى ٩٣/٨، الأعلام ٩٣/٣).

(٤) وقراءة الأعمش. انظر: (البحر المحيط ٨١/٥).

قال أَبو الفتح: هذا - على قول قراءَة الجماعة: ﴿لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ - إِشارة إِلى الفعل الواقع هناك من قَلْب العصا حيَّة ونحوه، وهذا - على من قرأَ: لَسَاحِر - إِشارة إِلى موسى عليه السلام، كما أَن هذا - من قول الله تعالى: ﴿هذا يومُ لا يَنْطِقُون﴾[١] إِشارة إِلى اليوم، وهذا - على قراءَة من قرأَ: «هذا يومَ لا يَنْطِقُون»، بالنصب - إِشارة إِلى الفعل الواقع فى هذا اليوم.

* * *

قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴿٨٩﴾

ومن ذلك قراءَة أَبى عبدالرحمن: «قَد أُجيبَتْ دَعَوَاتُكما» [٢].

قال أَبو الفتح: هذه جمع دعوة، وبهذه القراءَة تعلم أَن قراءَة الجماعة: ﴿قد أُجيبَتْ دَعْوَتُكما﴾ يراد فيها بالواحد معنى الكثرة. وساغ ذلك لأَن المصدر جنس، وقد تقدم أَن الأَجناس يقع قليلها موقع كثيرها، وكثيرُها موقع قليلها.

* * *

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴿٩٢﴾

ومن ذلك قراءَة أُبىّ بن كعب ومحمد بن السَّمَيْفَع ويزيد البربرى: «فاليوم نُنَحّيك»[٣]، بالحاء.

قال أَبو الفتح: هذه نُفعِّلك من الناحية، أى نجعلك فى ناحية من كذا. يقال: نَحوْتُ الشىء أَنحوه: إِذا قصدته، ونحّيت الشىء فتنحى: أَى باعدته فتباعد فصار فى ناحية.

قال رؤبة وهو فى جماعة من أَصحابه ممن يأخذ عنه، وقد أَقبلت عجوز منصرفة عن السوق، وقد ضاق الطريق بها عليهم:

---

(١) سورة المرسلات الآية (٣٥).

(٢) وقراءة الضحاك. انظر: (البحر المحيط ٥/١٨٧، تفسير القرطبى ٨/٣٧٦، الكشاف ٢/٢٥٠).

(٣) وقراءة ابن مسعود، واليزيدى. انظر: (مجمع البيان ٥/١٣٠، الكشاف ٢/٢٥٢، البحر المحيط ٥/١٨٩، تفسير الفخر الرازى ١٧/ ١٥٧).

تَنَحّ للعجوز عن طريقها   إِذْ أقبلت رائحةً من سوقها
دعها فما النحوىّ من صديقها (١)

وقال الحطيئة لأمه(٢):

تَنَحَّىْ فاقعدى مِنّى بعيدًا   أراح الله منك العالمينا

وقد استعملت العرب مصدر نحوت الشىء نحوًا ظرفًا، كقولك: زيد نحوك: أى فى شِقّك وناحيتك وعليه ما أنشده أبو الحسن (٣):

تَرمِى الأماعيز بمُجْمَرَات   بأرجل رُوحٍ مُجَنَّبَات
يَحْدو بها كلُّ فتى هيَّات   وهنّ نحوَ البيت عامداتِ

فنصب عامدات على الحال لتمام الكلام من قبلها. وقد جمعوا نحوًا على نُحُوّ، فأخرجوه على أصله.

---

(١) انظر: (شرح شواهد الشافية ١٣٨/٤).
قال البغدادى: على أن صديقًا فيه جمع؛ لأن من للتبعيض، ولا يصح أن يكون النحوى بعض صديق، بل يكون بعض الأصدقاء، كأنه قال: دعها فما النحوى من أصدقائها، كما تقول: دعنى فما أنت من أشكالى، وفعيل من صيغ الجمع كالكليب والعبيد، ومثله قول قعنب ابن أم صاحب:

ما بال قوم صديق ليس لهم   دين وليس لهم عهد إذا ائتمنوا

وقال الصاغانى فى العباب: قال ابن دريد: أخبرنا أبو عثمان عن التوزى، قال: كان رؤبة يقعد بعد صلاة الجمعة فى رحبة بنى تميم فينشر، ويجتمع الناس إليه، فازدحموا يومًا، فضيقوا الطريق، فأقبلت عجوز معها شىء تحمله، فقال رؤبة الأبيات.
وقال: أحد شراح أبيات الإيضاح للفارس: ولعل المخاطب على هذه الحكاية رجل من نحو بن شمس، وقيل: إن المخاطب بقوله: (دعها) يونس بن حبيب النحوى، وذلك أن رؤبة كان يسير ومعه أمه إذ لقيهما يونس، فجعل يداعب والدة رؤبة ويمنعها الطريق، فخاطبه رؤبة بهذه الأبيات، وقيل: هذا الشعر لامرأة من العرب خاطبت به أبا زيد الأنصارى، قال ابن الأنبارى: مرت امرأة من العرب بأبى زيد النحوى وأصحابه، وقد منعوا الطريق، فلم يمكنها أن تجوز، فخاطبته بالأبيات أى: أن هؤلاء إنما لازموك لصداقتهم، وأنا لست كذلك، فدعنى أسير. انظر: (شرح شواهد الشافية ١٣٨/٤، ١٣٩).
(٢) انظر: (ديوانه ٢٧٧).
(٣) انظر: (الخصائص ٣٥/١، لسان العرب «نحا»).

ومنه حكاية الكتاب: إِنكم لتنظرون في نحوّ كثيرة، ومثله من الشاذ بَهو وبُهُوّ للصّدْر، وأَب وأُبُوّ، وابن وبُنُوّ. قال القَناني يمدح الكسائي[1]:

أَبى الذمَّ أَخلاقَ الكسائي وانتمى ... به المجدَ أَخلاقُ الأُبُوّ السوابق

* * *

(١) انظر: تاج العروس «أبو».

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ (١)

من ذلك قراءَة النـاس: ﴿ثُمّ فُصِّلَتْ﴾، وقـرأ: «فَصَلَتْ» [١]، بفتـح الفـاء والصـاد خفيفة عِكرمة والضحاك والجَحْدرى، ورُويت عن ابن كثير.

قال أبو الفتح: معنى «فَصَلت»: أى صدَرت وانفصلت عنه ومنه، وهو كقولـك: قـد فَصل الأمير عن البلد: أى سار عنه.

* * *

﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ (٥)

ومـن ذلـك قـراءَة ابـن عبـاس بخـلاف ومجـاهد ويحيى بـن يعْمَـر ونصـر بـن عـاصم وعبدالرحمن بن أفزى والجحدرى وابن أَبى إِسحاق وأَبى رَزِيـن وأَبـى جعفـر محمـد بـن على وعلى بن حسين وزيد بن على وجعفر بن محمد والضحاك وأَبى الأَسـود: «تَثْنَوْنِـى صُدُورُهم» [٢] على تفعوعل، وقـرأ: «تَثْنَـونَّ صُدورُهـم» ابـن عبـاس بخـلاف[٣]، وقـرأ: «تَثْنَئِـنُّ صدورُهـم»[٤] عُـروة الأعشـى، ورُويـت عـن عـروة الأعشـى أيضًـا: «يثْنـؤنَّ

---

(١) وقراءة زيد بن على. انظر: (التبيان ٥/٤٤٦، الكشاف ٢/٢٥٨، تفسير القرطبى ٩/٣، البحر المحيط ٥/٢٠٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٩، تفسير الفخر الرازى ١٧/١٧٩).

(٢) وقراءة عـاصم الجحـدرى، وعبدالرحمـن بـن أبزى، والـدؤلى، والأعمـش. انظـر: (البحـر المحيـط ٥/٢٠٢، معـانى القـرآن للفـراء ٢/٣، معـانى القـرآن للأخفـش ٢/٣٥٠، تفسـير الطـبرى ١١/١٢٦، تفسير القرطبى ٩/٥، إعراب القرآن للنحـاس ٢/٧٩، مختصـر شـواذ القـراءات ٥٩، تفسير الآلوسى ١١/٢١٠).

(٣) انظـر: (مختصـر شـواذ القـراءات ٥٩، الكشـاف ٢/٢٥٩، البحـر المحيـط ٥/٢٠٢، الآلوسـى ١١/٢١٠).

(٤) وقراءة مجاهد. انظر: (الكشاف ٢/٢٥٩، العكبرى ٢/١٩، مجمع البيـان ٥/١٤٢، البحـر المحيـط ٥/٢٠٢).

صدورُهم»[١] ورُوى ذلك عن مجاهد أيضًا، ورُوى عن ابن عباس: «تَثْنَوْنِ صدورُهم»[٢] ورُوى عن سعيد بن جبير وأَحسبها وَهْما: «يُثْنُون صدورَهم»[٣]، بضم الياءِ والنون.

قال أبو الفتح: أما «تَثْنَونى» فتفعوعِل، كما قال: وهذا من أبنية المبالغة لتكرير العين، كقولك: أعشب البلد، فإذا كثر فيه ذلك قيل: اعشوشب، واخلولقت السماءُ للمطر: إذا قويت أَمارةُ ذلك، واغْدَوْدنَ الشعر: إذا طال واسترخى. أنشدنا أبو على[٤]:

وقامت ترائيك مُغْدَوْدِنا   إذا ما تنوء به آدها[٥]

وقرأت على أبى بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى قول الشاعر:

لو كنت تعطِى حين تُسأَلُ سامحتْ   لك النفس واحلولاك كل خليل[٦]

وقال حُميد بن ثور[٧]:

فلما مضى عامين بعد انفصاله   عن الضرع واحلولى دِماثا يَرودُها

فهذا أقوى معنى من استحلى.

وأَما «تثنئنُّ» و«تَثْنَونَّ» ففيهما النظر فتثنئنّ تفعلِلّ من لفظ الثّنّ ومعناه، وهو ما هشّ وضعف من الكلأ. وأنشد أبو زيد ورويناه عنه[٨]:

يأيها الفصيّل المُعَنِّى   إنك ريّان فصَمت عَنّى

يكفى اللقوحَ أَكلةٌ من ثِنّ

وأصله تثنانُّ فحُركت الأَلف لسكونها وسكون النون الأُولى، فانقلبت همزة على ما مضى قَبلُ، وعليه قول دُكَين:

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١٩/٢).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٨٠/٢).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٢٠٢/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١٩/٢، تفسير الآلوسى ٢١١/١١).

(٤) من قصيدة لحسان بن ثابت (ديوانه ١٢٧) (من المتقارب) مطلعها:

أَلم تذر العين تسهادها   وجدى الدموع وإنفادها

انظر: (ديوانه ١٢٧).

(٥) المغدودن: الشعر الطويل الكثير، تنوء: تنهض بجهد ومشقة، آدها: أثقلها. انظر: (هامش ديوانه ١٢٨).

(٦) انظر: لسان العرب «حلا».

(٧) انظر: (ديوانه ٧٣).

(٨) انظر: لسان العرب «ثنن».

راكـــدةٌ مِخلاتُـــه ومحلبُـــه   وجُلُّــه حتـــى ابياضَّ ملبَّبُــــه

يريد ابياض، فحَرك الألف فهمزها على ما مضى. والتقاءُ المعنيين أن «الثِّنَّ»: ما ضعف ولان من الكلأ، فهو سريع إلى طالبه خفيف، وغير معتاص على آكله، وكذلك «صدورهم» مجيبة لهم إلى أن يثنوها ليستخْفوا من الله سبحانه.

وأما «تثْنونَّ» فإنها تفعوْعل من لفظ الثِّنّ ومعناه أيضًا، وأصلها تثنونِنُ، فلزم الإدّغام لتكرير العين إذ كان غير ملحق، وكذلك قالوا: فى مُفعوعل من رَددت مُرْدَودّ، وأصلها مُردَوْدِدُ. فلمّا لم يكن ملحقًا وجب إدغامه، فنقلت الكسرة من الدال الأُولى فأُلقيت على الواو، وأُدغمت الدال فى الدال فصار مُردودٌّ. وكذلك أصل هذه تَثْنَوْنِنُ، فأسكنت النون الأُولى، ونقلت كسرتها على الواو، فأُدغمت النون فى النون فصار «تثنوِنَّ».

وذهب أبو إسحاق فى قولهم: مصائب، بالهمز إلى أن أصلها مصاوب، فهمزت الواو لانكسارها، كما همزت فى إسادة وإعاء، فقياسه على هذا أن تكون «تثنئنّ» أصلها تثنوِنُّ، فهمزت الواو لانكسارها، وعلىً أن مذهب أبى إسحاق هذا مردود عندنا غير أن قياسه أن يقول ما ذكرنا.

وأما «تَثْنَوْنِ صُدورُهم»، بنون مكسورة من غير ياء، ورفع «صدورهم» فإنه أراد الياءَ، فحذفها تخفيفًا كالعادة فى ذلك، ولاسيما والكلمة طويلة بكونها على تفعوعل.

وأما «يَثْنَؤُنَّ صدورُهم»، بالنصب، وبالهمزة المضمومة فَوْهم من حاكيه أو قارئه؛ لأنه لا يقال: ثنأت كذا بمعنى ثَنَيْتُه، وكذلك «يُثْنون صدورهم»؛ لأنه لا يُعرف فى اللغة أثنيت كذا بمعنى ثَنيته، إلا أن يكون معناه يجدونها منثنية، كقولهم: أحمدته: وجدته محمودًا، وأذممته: وجدته مذمومًا.

* * *

وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

ومن ذلك قراءَة أُبىّ وابن مسعود: «وباطِلاً ما كانوا يَعْمَلُون»(١).

قال أبو الفتح: «باطلاً» منصوب بـ«يعملون»، و«ما» زائدة للتوكيد، فكأنه قال:

---

(١) وقراءة عاصم. انظر: (مجمع البيان ١٤٨/٥، الكشاف ٢٦٢/٢، البحر المحيط ٢١٠/٥، إعراب القرآن للعكبرى ٢٠/٢، إعراب القرآن للنحاس ٨٢/٢).

وباطلاً كانوا يعملون. ومن بَعدُ ففى هذه القـراءَة دلالـة علـى جـواز تقديـم خـبر كـان عليها، كقولك: قائمًا كان زيد، وواقفًا كان جعفر. ووجـه الدلالـة مـن ذلـك أنـه إنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل، و«باطلا» منصوب بـ«يعملون»، والموضع إذا لِـ«يعملون»؛ لوقوع معموله متقدمًا عليه، فكأنه قال: ويعملون بـاطلاً كـانوا. ومثلـه قول الله تعالى: ﴿أَهؤلاء إِيّاكم كانوا يَعبدون﴾[1]؟ استدل أبو علىّ بذلك علـى جـواز تقديم خبر كان عليها؛ لأَن «إيـاكم» معمـول «يعبـدون»، وهـو خـبر كـان. وإنما يجوز وقوع المعمول فيه بحيث يجوز وقوع العامل على ما قدمناه.

وعلى نحو من ذلك ما استدل أبو علـى علـى جـواز تقديـم خـبر المبتـدأ عليـه بقـول الشماخ[2]:

كـلا يومَى طُوَالـة وصْلُ أروى ظَنُـونٌ آن مُطَّـرَحُ الظُّنُـون

فقال: «كلا» ظرف لقوله: «ظَنون»، و«ظنون» خبر المبتدأ الـذى هـو «وصـل أروى»، فدل هذا على جواز تقديم «ظنون» على «وصل أروى» كأنه قال: ظنون فى كلا هذين اليومين وصل أروى، أى: هو متّهم فيهما كليهما. وقد مضى نحو هذا.

* * *

﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ (٣٢)

ومن ذلك قراءَة ابن عباس بخلاف وأيوب السختيانى[3]: «فأَكثرْتَ جَدَلَنا»[4].

قال أبو الفتح: الجـدل اسـم بمعنـى الجِـدال والمجادلـة، وأصـل «ج د ل» فـى الكـلام: القوة، منه قولهم: غلام جادل: إذا ترعرع وقوى، وركب فلان جَديلة رأيـه: أى صمـم عليه و لم يلِن فيه. ومنه الأجدل للصقر، وذلك لشدة خَلقه، وعليه بقية الباب. وكذلـك

(١) سورة سبأ الآية (٤٠).

(٢) انظر: (أمالى أبى على القالى ٢/ ٣٢).

(٣) أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى، أبو بكـر (٦٦ - ١٣١هـ = ٦٨٥ - ٧٤٨م): سيد فقهاء عصره. تابعى، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كـان ثبتـا ثقة رُوى عنه نحو ٨٠٠ حديث. انظر: (تهذيب التهذيب ١/ ٢٩٧، حلية الأولياء ٣/ ٣، اللباب ١/ ٥٣٦، الأعلام ٢/ ٣٨).

(٤) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/ ٢١، إعراب القرآن للنحـاس ٢/ ٨٨، البحـر المحيط ٥/ ٢١٨، الجامع الأحكام القرآن ٩/ ٢٨، الكشاف ٢/ ٢٦٧، معانى القرآن للأخفش ٢/ ٣٥٢).

الجدال إنما هو الاقتواء على خصمك بالحجة. قال الله عز وجل: ﴿**وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً**﴾[١]، أى: مغالبة بالقول، وتقويًا.

ونحو منه لفظًا قولهم: ظَبْى شادن: أى قد قوى واشتد، والشين أخت الجيم، والنون أخت اللام. ونحو منه قولهم: عطَوت الشيء: إذا تناولَته، وقالوا: أتيت عليه: إذا ملكتَه واشتملت عليه. والعين أخت الهمزة، والطاءُ أخت التاء، والواو أخت الياء. وهذا باب من اللغة لعله لو تُقرِّيَتْ لأَتى على أكثرها، وقد أَتيت على كثير منه فى كتاب الخصائص[٢].

ولولا أن القُراءَ لا ينبسطون في هذه الطريق لنبهت على كثير منه. لا، بل إذا كان منتحلو هذا العلم والمترسمون به قلَّما تَطُوع طباعهم لهذا الضرب منه، وإن اضطروا إلى فهم شيء من جملته أظهروا التجاهل به، ولم يشكروا الله عز وجل على ما لاح لهم وأعرض من طريقه؛ جريا على عادة مستوخَمة، وإخلادًا إلى خليقة كرهة مستوبَلة حسدًا يَرِيهم ونَغَلا يُجويهم. وما أقلهم مع ذلك عددًا! وكذلك هم بحمد الله ولو ضوعفوا مددًا، فما ظنك بالقُرَّاء لو جُشموا النظر فيه والتقرّى لغروره ومطاويه؟ جعلنا الله ممَن يأوى إلى طاعته وأودعنا أبدًا شكر نعمته.

* * *

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ (٤٢)

ومن ذلك قراءَة على بن أبى طالب عليه السلام وعروة بن الزبير[٣] وأبى جعفر محمد بن على وأبى عبدالله جعفر بن محمد: «ونادَى نُوحٌ ابنَهَ»[٤]، ورُوى عن عروة:

(١) سورة الكهف الآية (٥٤) .

(٢) انظر: (الخصائص ٢/١٤٧).

(٣) عروة بن الزبير بن العوام الأسدى القرشى أبو عبدالله (٢٢ - ٩٣هـ = ٦٤٣ - ٧١٢م): أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل فى شيء من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى المدينة فتوفى فيها. وهو أخو عبدالله بن الزبير لأبيه وأمه. انظر: (ابن خلكان ١/٣١٦، صفة الصفوة ٢/٤٧، حلية الأولياء ٢/١٧٦، الأعلام ٤/٢٢٦).

(٤) وقراءة عروة وغيره، (فى مختصر شواذ القراءات: هشام بن عروة)، وقراءة على بن الحسين. انظر: (التبيان ٥/٤٩٥، الجامع لأحكام القرآن ٩/٣٨، الكشاف ٢/٢٧٠، مجمع البيان ٥/١٦٠، تفسير الفخر الرازى ١٧/٢٣١، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، إعراب القرآن للنحاس ٢/٩٢، مختصر شواذ القراءات ٦٠).

«ابْنَها»(١). وقرأَ: «ابْناه»(٢)، ممدودة الألف السُّدّى على النداءِ. وبلغنى أنه على التَّرثى، وروى عن ابن عباس: «نُوحُ ابنَهْ»(٣)، جزم.

قال أَبو الفتح: أَما «ابنَهَ» فإِنه أَراد ابنها كما يروى عن عروة فيما قرأَ: «ابْنَها»، يعنى ابنَ امرأَته؛ لأنه قد جرى ذكرها فى قوله سبحانه: «وأَهْلَكَ»(٤)، فحذفَ الألف تخفيفًا، كقراءَة من قرأ: «يا أَبَتَ»(٥). قال أَبو عثمان يريد: يا أَبتاه، وقد ذكرنا حذف الأَلف فيما مضى، وأَنشدنا البيت الذى أنشده أَبو الحسن وابن الأعرابى جميعًا:

فلستُ بمدرك ما فات منِّى ... بلهفَ ولا بلَيْتَ ولا لو انِّى(٦)

أَراد بلهفًا، وغَيَّره.

وقراءَة السُّدى: «ابناه» يريد بها النُّدْبة، وهو معنى قولهم: الترثِّى. وهو على الحكاية: أَى قال له: يا ابناه، على النداءِ. ولو أراد حقيقة الندبة لم يكن بُد من أحد الحرفين: يا ابناه، أو واابناه، كقولك فيها: وازيداه، ويازيداه.

وأما «ابْنَهْ»، بجزم الهاءِ فعلى اللغة التى ذكرناها لأزد السرّاة فى نحو قوله:

ومِطْواى مشتاقان لَهْ أرِقانِ

* * *

﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۝٤٤﴾

ومن ذلك قراءَة الأعمش بخلاف: «على الجُودِىْ»، خفيف(٧).

---

(١) وقراءة على، وعكرمة. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، البحر المحيط ٥/٢٢٦، التبيان ٥/٤٩٥، الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٥، الكشاف ٢/٢٧٠، مجمع البيان ٥/١٦١، تفسير الفخر الرازى ١٧/٢٣١).

(٢) وقراءة ابن أبى ليلى. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٦٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، الكشاف ٢/٢٧٠، مجمع البيان ٥/١٦١، البحر المحيط ٥/٢٢٦).

(٣) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١ البحر المحيط ٥/٢٢٦، مجمع البيان ٥/١٦١).

(٤) سورة هود الآية (٤٠).

(٥) سورة يوسف الآية (٤) ، وهى قراءة ابن عامر، وأبى جعفر، والأعرج. انظر: (البحر المحيط ٥/٢٧٩).

(٦) سبق الاستشهاد به فى صفحة (٣٩٣).

(٧) وقراءة المطوعى، وابن أبى عبلة. انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/١٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٥٦، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٢، البحر المحيط ٥/٢٢٩).

قال أبو الفتح: تخفيف ياءَى الإضافة قليل إلا فى الشعر. أنشدنا أبو على[١]:

بَكِّـى بعينـكِ واكـفَ القطر إبـنَ الحوارى العالـىَ الذِّكْـرِ

يريد «الحوارىّ». وروى عنهم: لا أكلمك حِيْرِىْ دهر بتخفيف الياءِ، يريد حِيرىّ دهر، وهذا فى النثر، فعليه قراءَة الأعمش: «الجودى»، خفيفًا.

* * *

فَضَحِكَتْ (٧١)

ومن ذلك قراءَة محمد بن زياد الأعرابى[٢]:«فضَحَكَتْ»، فتحًا.

قال أبو الفتحَ: روى ابن مجاهد قال: قال أبو عبدالله بن الأعرابى: الضَّحْك: هو الحيض، وأنشد[٣]:

ضَحْـكُ الأرانـب فوق الصفـا مثـلُ دم الجَوف يـوم الّلِقـا

قال: وأنشد[٤]:

فجاءَت بِمَزْج لـم يَرَ الناس مثلـه هـو الضّحْك إلا أنه عمَل النحل[٥]

وبعد، فليس فى اللغة ضحَكَتْ، وإنما هو ضَحِكت، أى: حاضت. قال أحمد بن يحيى: ضحِكت وطَمِثت لوقتها، والضَّحك: والشهد، وهو الثلج. وقال أحمد بن يحيى:

---

(١) هو لعبيدالله بن قيس الرقيات (من الكامل). فى ديوانه: «بكى بدمعك واكف القطر». انظر: (ديوانه ١٨٣، النوادر ٢٠٥).

(٢) محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابى، أبو عبدالله (١٥٠ - ٢٣١هـ = ٧٦٧ - ٨٤٥م): راوية، ناسب، علامة باللغة. من أهل الكوفة. كان أحول، قال ثعلب: ولقد أملى على الناس ما يحمل على أحمال، ولم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه، له تصانيف كثيرة، منها: «أسماء الخيل وفرسانها»، «تاريخ القبائل»، «النوادر»، «تفسير الأمثال»، «شعر الأخطل»، «معانى الشعر»، «الأنواء». انظر: (وفيات الأعيان ٤٩٢/١، تاريخ بغداد ٢٨٢/٥، الوافى بالوفيات ٧٩/٣، نزهة الألباب ٢٠٧، طبقات النحويين واللغويين ٢١٣، إرشاد الأريب ٥/٧، الأعلام ١٣١/٦).

(٣) انظر: لسان العرب «ضحك».

(٤) لأبى ذؤيب الهذلى من قصيدة مطلعها:

ألا زعمـت أسمـاءُ أن لا أحبهـا فقلتُ بلـى لـولا ينازعنى شُغْلِـى

انظر: (ديوان الهذليين ٣٤/١ وما بعدها).

(٥) وفى الديوان: «فجاء بمزج لم ير الناس مثله». انظر: (ديوان الهذليين ٤٢/١). قال الأصمعى: الضحاك: الثغر، فشبه بياض العسل به، وقال بعضهُم: هو الطلع، وقال آخرون: هو الزُّبد.

وهو الطلع. قال محمد بن الحسن: قلت لأبى حاتم فى قوله:

تضحك الضبْع لِقتـلى هذيـلٍ[١]

قال: ومن أين لهم أن الضبُع تحيض؟ وقال: يا بنى، إنما تكشِر للقتلى إذا رأتهم، كما قالوا: يضحك العَيْر إذا انتزع الصلِّيَانَة.

ويقال فى:

تضحك الضبْـع لقتلَـى هذيل

أى: تستبشر لقتلاهم لتأكلهم، فيهِرّ بعضها على بعض، فجعله ضحِكًا.

وتـرى الذئـب لهـا يستهـلُّ

أى: يعوى، فيستدعى الذئاب فرحًا بذلك.

* * *

وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴿٧٢﴾

ومن ذلك قراءَة الأعمش: «وهَذَا بَعْلِى شَيخ»[٢].

وقال أبو الفتح: الرفع فى «شيخ» من أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون «شيخ» خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هذا شيخ، والوقف إِذًا على قوله: «هذا بَعْلِى»؛ لأن الجملة هناك قد تمت، ثم استأنف جملة ثانية فقال: «هذا شيخ».

والثانى: أن يكون «بعلى» بدلاً من «هذا»، و«شيخ» هو الخبر.

والثالث: أن يكون «شيخ» بدلاً من «بعلى»، وكأنه قال: هذا شيخ، كما كان التقدير فيما قبله: بعلى شيخ.

والرابع: أن يكون «بعلى» و«شيخ» جميعًا خبرًا عن هذا، كقولك: هذا حُلو حامض،

---

(١) هو لتأبط شرا ولم أعثر عليه فى ديوانه. انظر: (الجمهرة ٢/١٦٧، لسان العرب «ضحك»).

(٢) وقراءة ابن مسعود، وأبى، والمطوعى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٣، إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٢، إتحاف ٢٥٩، تفسير القرطبى ٩/٧٠، مجمع البيان ٥/١٧٥، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٥٦، معانى القرآن للفراء ٢/٢٣، مغنى اللبيب ٢/١٤٢، ١٤٣، البحر المحيط ٥/٢٤٤ مختصر شواذ القراءات ٦٠، الكشاف ٢/٢٨١، مجمع البيان ٥/١٧٥).

أى: قد جمع الحلاوة والحموضة، وكذلك هذا: أى قد جمع البعولة والشيخوخة.

فإن قلت: فهل تجيز أن يكون «بعلى» وصفا لـ«هذا»؟ قيل: لا؛ وذلك أن هذا ونحو من أسماءِ الإشارة لا يوصف بالمضاف. ألا تراهم لم يجيزوا مررت بهذا ذى المال، كما أجازوا مررت بهذا الغلام؟ وإذا لم يجز أن يكون «بعلى» وصفًا لـ«هذا» من حيث ذكرنا لم يجز أيضًا أن يكون عطف بيانٍ له؛ لأن صورة عطف البيان صورة الصفة، فافهم ذلك.

وهنا وجه خامس، لكنه على قياسِ مذهب الكسائى، وذلك أنه يعتقد فى خبر المبتدأ أبدًا أن فيه ضميرًا وإن لم يكن مشتقًا من الفعل، نحو زيد أخوك، وهو يريد النسب. فإذا كان كذلك فقياس مذهبه أن يكون «شيخ» بدلاً من الضمير فى «بعلى»؛ لأنه خبر عن «هذا».

فإن قلت: فإن الكوفيين لا يجيزون إبدال النكرة من المعرفة إلا إذا كان من لفظها، نحو قول الله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَاصِيَةِ ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة﴾[1]، وليس قبل «شيخ» معرفة من لفظه - قيل: أجل، إلا أن هذا اعتبار فى الاسمين الملفوظ بكل واحد منهما، فأما الضمير فيه فعلى قياسِ قول من استودعه إياه فلا لفظ له أيضًا فيعتبر خلافُه أو وفاقُه، وإذا سقط ذلك ساغ، وجاز إبدال النكرة منه لِما ذكرنا من تقديم لفظه المخالف للفظها.

* * *

هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴿٧٨﴾

ومن ذلك قراءَة سعيد بن جُبَير والحسن بخلاف ومحمد بن مروان وعيسى الثقفى وابن أبى إسحاق: «هُن أَطْهَرَ لَكُمْ»، بالنصب[2].

قال أبو الفتح: ذكر سيبويه هذه القراءَة وضعفها، وقال فيها: احْتَبى ابن مروان فى لحنه، وإنما قبح ذلك عنده لأنه ذهب إلى أنه جعل «هُنّ» فصلاً، وليست بين أحد الجزئين

(١) سورة العلق الآيتان (١٥، ١٦).

(٢) وزيد بن على، وعبد الملك بن مروان. انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٥٦/٢، الكشاف ٢٨٣/٢، مجمع البيان ١٨١/٥، التبيان ٤٠/٦، الطبرى ٥٢/١٢، القرطبى ٧٦/٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢٤/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٢، مغنى اللبيب ١٠٤/٢، همع الهوامع ٢٣٨/١).

اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك، كقولك: ظننت زيدًا هو خيرًا منك، وكان زيد هو القائم.

وأنا من بعدُ أرى أن لهذه القراءَة وجها صحيحًا، وهو أن تَجعل «هنّ» أحد جزئى الجملة، وتجعلها خبرًا لـ«بناتى»، كقولك: زيد أخوك، وتجعل «أطهرَ» حالاً من «هنّ» أو من «بناتى»، والعامل فيه معنى الإشارة، كقولك: هذا زيد قائمًا أو جالسًا، أو نحو ذلك. فعلى هذا مجازه، فأما على ما ذهب إليه سيبويه ففاسد كما قال.

* * *

أَوْ ءَاوِىٓ (٨٠)

ومن ذلك ما رواه الحُلْوَانىّ عن قالون[1] عن شيبة: «أَوْ آوِىَ»[2]، بفتح الياءَ. وروى أيضًا عن أبى جعفر مثله. قال ابن مجاهد: ولا يجوز تحريك الياءِ هاهنا.

قال أبو الفتح: هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى سائغ جائز، وهو أن تعطف «آوِىَ» على «قُوّة»، فكأنه قال: لو أنَّ لى بكم قوةً أَوَ أُوِيًّا إلى ركن شديد. فإذا صرت إلى اعتقاد المصدر فقد وجب إضمار أن ونصب الفعل بها، ومثله قول مَيْسُون بنت بَحْدَل الكُلَيْبيّة[3]:

لَلُبْسُ عباءَة وتَقَرَّ عينى ... أحب إلىّ من لُبس الشُّفُوف

فكأنها قالت: للبس عباءَة وأَن تَقَرّ عينى، أى: لأَن أَلبس عباءَة وتقرّ عينى أحب إلىّ من كذا، وعليه بيت الكتاب أيضًا[4]:

فلولا رجالٌ من رِزَامٍ أعِزَّةٌ ... وآلُ سُبَيْع أَو أَسُوءَكَ عَلْقَمَا

---

(١) عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدنى، مولى الأنصار، أبو موسى (١٢٠ - ٢٢٠هـ = ٧٣٨ - ٨٣٥م): أخد القراء المشهورين. من أهل المدينة، مولدًا ووفاة. انتهت إليه الرياسة فى علوم العربية والقراءة فى زمانه بالحجاز وكان أصم يُقرأ عليه القرآن وهو ينظر إلى شفتى القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ. و«قالون» لقب دعاه به نافع القارئ، لجودة قراءته، ومعناه بلغة الروم جيد. انظر: (التيسير للدانى، النجوم الزاهرة ٢/٢٣٥، إرشاد الأريب ٦/١٠٣، غاية النهاية ١/٦١٥، التاج ٩/٣١٣، الأعلام ٥/١١٠).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٥/٢٤٧، الكشاف ٢/٢٨٣، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٤، مجمع البيان ٥/١٨١).

(٣) انظر: (الكتاب ١/٤٢٦).

(٤) انظر: (الكتاب ١/٤٢٨).

أى: أو أن أسوءَك، فكأنه قال: أو مساءَتى إياك، فكذلك هذه القراءَة: لَوْ أَنَّ لى بِكُمْ قُوَّةً أَو أُوِيًّا، أى: أو أَن آوِىَ إِلى ركن شديد، وهذا واضح.

* * *

يَجْرِمَنَّكُمْ ﴿٨٩﴾

ومن ذلك قراءَة يحيى والأعمش: «يُجْرِمنكم»(١).

قال أبو الفتح: جَرَم الرجل ذنبًا إذا كَسب الجُرْم، ثم يُنْقل فيقال: أَجْرَمْتُه ذنبًا إذا كسَبته إِياه، فعليه جاءَ: «لا يُجْرِمَنَّكُم» أى: لا يَكسِبَنَّكم بُغْضُ القوم تركَ العدل، كما يدعو الإِنسانَ الحِفْظَةُ والغضب إِلى ما يَحوب فيه وينال من دينه.

* * *

بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

ومن ذلك قراءَة السُّلَمِىّ: «بَعُدَتْ ثَمُودُ»، بضم العين(٢).

قال أبو الفتح: أما بَعُدَ فيكون مع الخير والشر، تقول: بَعُدَ عن الشر، وبَعُد عن الخير، ومصدرها البُعْدُ. وأما بَعِدَ ففى الشر خاصة، يقال: بَعِدَ يَبْعَدُ بَعَدًا. ومنه قولهم: أَبْعَدَهُ الله، فهو منقول من بَعِدَ؛ لأنه دعاء عليه، فهو من بَعِدَ الموضوعة للشر. فقراءَة السّلَمى هذه: «أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودُ» متفقة الفعل مع مصدره، وإِنما السؤال عن قراءَة الجماعة: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

وطريق ذلك أن يكون البُعْدُ بمعنى اللعنة، فيكون أَبْعَدَهُ الله فى معنى لعنه الله، ومنه قوله:

ذَعَرْتُ به القَطَا وَنَفَيْتُ عنه مُقَام الذئب كالرجل اللَّعِين

أى: مقام اللعين، أى: المُبعَد. وعلى كل حال فالإبعاد للشىء نقص له وابتذال منه، فقد يلتقى معنى بَعِدَ مع معنى بعد من هذا الموضع. ألا ترى أنهم إذا أَدْنَوْا شيئًا من

---

(١) وقراءة ابن كثير، ويعقوب. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٨، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٤، القرطبى ٩/٩٠، النشر ٢/٢٤٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٦٠، البحر المحيط ٥/٢٥٥).

(٢) وقراءة أبى حيوة، ومعاذ، وعلى بن أبى طالب، وعيسى. انظر: (البحر المحيط ٥/٢٥٧، القرطبى ٩/٩٢، الكشاف ٢/٢٩١، مجمع البيان ٥/١٨٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٥).

نفوسهم قالوا: هو الحبيب القريب، فالقرب على كل حال من صفات المدح، فنقيضه إذًا من صفات الذم، ولهذا قالوا: حبذا زيد، ولم يقولوا: حبذاك؛ لأنه موضع بِشَارَة وَتَحَفٍّ به. فالقرب أولى به من البعد، ولهذا قالوا فيمن يُصطفى: قد أدناه منه، وقد قرُب من قلبه، وعليه قال:

ودارٌ أَنتَ ساكنها حبيب تَوَددُهَا إلى قلبى قريب

فهذا طريق قراءَة الجماعة: ﴿ألا بُعْدًا لِمدْيَن كما بَعِدت ثمود﴾، وإن شئت كان من هذا الطَّرْز، وإن شئت كان من معنى اللعنة.

* * *

لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴿١١١﴾

ومن ذلك قراءَة الزُّهرى وسليمان بن أرقم: «لَمًّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ»(١) بالتنوين.. ابن مسعود والأعمش: «إنْ كُلٌّ إلا لَيُوفينَّهُمْ ربُّك»(٢).

قال أبو الفتح: أما «لَمًّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ»، بالتنوين فإنه مصدر كالذى فى قوله سبحانه: ﴿ويأكلون التُّرَاثَ أكلا لَمًّا﴾ أى أكلاً جامعًا لأَجزاء المأكول، فكذلك تقدير هذا: وإنَّ كلا ليُوَفِّينهم ربُّك أعمالهم لَمًّا، أى: توفية جامعة لأعمالهم جميعًا، ومحصِّلة لأَعماهم تحصيلاً، فهو كقولك: قيامًا لأقومنّ، وقعودًا لأقعدنَّ.

وأَما «إنْ كُلٌّ إلا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ» فمعناه: ما كُلٌّ إلا والله ليوفينهم، كقولك: ما زيد إلا لأَضربنَّه، أى: ما زيد إلا مستحق لأن يقال فيه هذا، ويجوز فيه وجه ثان، وهو أَن تكون «إِنْ» مخففة من الثقيلة، وتجعل «إلا» زائدة، وقد جاءَ عنهم ذلك. قال:

أرى الدهر إلا منجنونا بأهله وما طالب الحاجات إلا مُعَلَّلا

أى: أرى الدهر منجنونًا بأهله يتقلب بهم، فتارة يرفعهم، وتارة يخفضهم. وعلى ذلك أيضًا تأولوا قول ذى الرمة(٣):

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٤، البحر المحيط ٥/٢٦٦، الطبرى ١٢/٧٤، ٧٥، مجمع البيان ٥/١٩٦، معانى القرآن للفراء ٢/٣٠، التبيان ٦/٧٥، الحجة لأبى زرعة ٣٥١، القرطبى ٩/١٠٥، الكشاف ٢/٢٩٥).

(٢) وقراءة أبى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٤، القرطبى ٩/١٠٦، الكشاف ٢/٢٩٠، مجمع البيان ٥/١٩٦).

(٣) انظر: (ديوانه ١٧٣).

حَراجيجُ مـا تنفـك إلا مُناخـةً على الخَسف أو تَرْمى بها بلدًا قفرًا

أى: ما تنفك مناخة، وإلا زائدة.

* * *

وَلَا تَرْكَنُوٓاْ ﴿١١٣﴾

ومن ذلك قراءَة طلحة وقتادة والأشهب، ورويت عن أبى عمـرو: «ولا تَرْكُنـوا»[(١)]، بضم الكاف.

قال أبو الفتح: فيها لغتـان: رَكِنَ يَرْكَنُ كعلـم يعلـم، ورَكَـن يَرْكُـنُ كقتـل يقتـل. وحُكى عنهم رَكَن يَرْكَن فَعَل يَفْعَل. وهذا عند أبى بكر من اللغات المتداخلة، كأَن الـذى يقول: ركَن بفتح الكاف سمع مضارع الذى يقول: رَكِن، وهـو يرْكَـن، فـتركبت لـه لغـة بين اللغتين، وهى رَكَن يَرْكَن. وقد ذكرنا فى كتابنا الخصائص بابًا فى تركيب اللغات[(٢)].

وعليه كان أبو بكر يقول أيضًا فى قولهم ضَفَـن الرجـل يَضْفِـن: إن قـائل ذلـك سمع قولهم: ضَيْفَنَ، وظاهر لفظ ذلك أن يكون فَيْعَلا لأنه أكثر فى الكلام من فَعْلَن، فصارت نون ضَيْفَن وإن كانت زائدة كأَنها أصل لِما ذكرناه. فلما استَعمل الفعـل منـه جـاءَ بـه على ذلك، فقال: ضَفَن يضْفِنُ. فَضَفَن يَضْفِن على حقيقة الأَمر إنما هو فَلَـن يَفْلِـن؛ لأن الضاد فاءٌ والفاءُ لام، وعين ضيف التى هى ياء محذوفة للشبهة الداخلة هناك مـن حيـث ذكرنا، وله نظائر.

* * *

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴿١١٣﴾

ومن ذلك قراءَة يحيى والأعمش وطلحة بخـلاف ورواه إسـحاق الأزرق عـن حمـزة: «فتِمَسَّكُم النارُ»[(٣)].

قال أبو الفتح: هذه لغة تميم، أن تكسر أول مضارع مـا ثـانى ماضيـه مكسور، نحو

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦، إعـراب القـرآن للنحـاس ٢/١١٦، الكشـاف ٢/٢٩٦، القرطبى ٩/١٠٨).

(٢) انظر: (الخصائص ١/٣٧ وما بعدها).

(٣) وقراءة علقمة. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦، إعراب القـرآن للنحـاس ٢/١١٦، البحـر المحيط ٥/٢٦٩، الكشاف ٢/٢٩٦).

علمت تِعْلَم، وأنا إِعْلَمُ وهى تِعْلَمُ، ونحن نِرْكَبُ. وتقـلّ الكسـرة فـى اليـاء، نحـو يِعْلَـم، ويِرْكب استثقالاً للكسرة فى الياء، وكذلك ما فى أول ماضيه همـزة وصـل مكسـورة، نحو: تِنْطَلِق، ويوم تِسْوَدُّ وجوه وتِبْيَضُّ وجوه، فكذلك «فتِمَسَّكم النارُ».

فأمّا قولهم: أَبَيْتَ تِيبَى فإنما كُسر أول مضارعـه وعـينُ ماضيـه مفتوحـة مـن قِبـل أن المضارع لما أتى على يَفْعَل، بفتح العين صار كأن ماضيه مكسور العين حتى كأنـه أبِـىَ. وقد شرحنا ذلك فى كتابنا المنصف.

* * *

وَزُلَفًا ﴿١١٥﴾

ومن ذلك: «وزُلُفًا»(١)، بضم الـزاى والـلام. قـرأ بهـا أبـو جعفـر يزيـد وطلحـة بـن مصرِّف بخلاف، وعيسى وابن أبى إسحاق، وقرأ: «وزُلْفًا»(٢)، بضم الزاى ساكنة الـلام ابن محيصن ومجاهد.

قال أبو الفتح: مَن قال: «زُلُفا»، بضـم الـزاى والـلام جميعًـا فواحدتـه زُلُفَـة، كبُسُـرَة وبُسُر فيمن ضم السين، ومن قرأ: «زُلْفًا»، بسكون اللام فواحدته زُلْفَة، إلا أنه جمعه جمع الأجناس المخلوقات، كبُرَّة وبُرّ، ودُرّة ودُرّ؛ وذلك أن الزُلْفَة جنس مـن المخلوقـات وإن لم يكن جوهرًا، كمـا أن الـدّرة والـبرّة جوهـر جنـس مـن الجواهـر. وعلـى هـذا أجـاز أبو العباس فى قولنا: ضربـت ضربًـا أن يكـون جمـع ضربـة كحبـة وحـب، ومثلـه قـول الآخر:

حتـى اتَّقَوْهَــا بالســلام والتَّحِـى

يريد جمع تحية.

---

(١) وقراءة أبى عمرو، وورش، وأبى عمرو، والشـبنوذى، وشـيبة، ونصـر بـن علـى. انظـر: (إتحـاف ٢٦١، إعراب القرآن للنحاس ١١٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٢٦/٢، البحر المحيـط ٢٧٠/٥، التبيان ٧٨/٦، الطبرى ٧٧/١٢، القرطبى ١٠٨/٩، مجمع البيان ١٩٩/٥، معانى القـرآن للفـراء ٣٠/٢، النشر ٢٩٢/٢).

(٢) وقراءة ابن محيصن، واليمانى. انظر: (مختصر شواذ القـراءات ٦١، إتحـاف فضـلاء البشـر ٢٦١، البحر المحيط ٢٧٠/٥ الطـبرى ٧٧/١٢، القرطبـى ١٠٨/٩، إعـراب القـرآن للنحـاس ١١٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٢٦/٢، الكشاف ٢٩٧/٢، تفسير الفخر الرازى ٨٤/١٨).

والزُّلْفَة: الطائفة من الليل. وأما قراءَة الجماعة: ﴿وزُلَفًا مـن الليـل﴾ فعلى الظاهر، نحو غُرْفَة وغُرف، وصُفَّة وصُفَف.

* * *

وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ﴿١١٦﴾

ومن ذلك قراءَة جعفر بن محمد والعلاء بـن سَيَابَةَ، ورواه حسـين الجُعْفِيّ عـن أَبى عمرو: «وأُتْبِع الذين ظَلَمُوا»[1]، بضم الهمزة، وإِسكان التاء، وكسر الباء.

قال أبو الفتح: هو عندنا على حذف المضاف: أَى أُتبع الذين ظلموا جزاءَ ما أُتْرِفُوا فيـه وكانوا مجرمين، أَى جزاء ما أُترفوا فيه وأجرموا فلم يشكروا، بل أُتْرِفُوا فيه مجرمين ظالمين.

* * *

آخر الجزء الأول، ويليه بإذن الله الجزء الثاني وأوله «سورة يوسف».

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٢٩٨، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦).

المحتويات

مقدمة التحقيق.......... ٣
مقدمة المؤلف ١٠١
سورة فاتحة الكتاب ١١٠
سورة البقرة ١٢٩
سورة آل عمران.......... ٢٤٦
سورة النساء ٢٧٨
سورة المائدة.......... ٣١١
سورة الأنعام.......... ٣٣١
سورة الأعراف.......... ٣٥٠
سورة الأنفال ٣٨٦
سورة التوبة ٣٩٩
سورة يونس.......... ٤٢٧
سورة هود ٤٤٠
المحتويات ٤٥٤